

كِتَابُ

الْبُحَارِ

تأليف
الإمام موفق الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد
ابن قدامة المقدسي
٥٩١ - ٦٦١ هـ

محققه ونسطه: رشيد
كمال عبد المطلب السبع المكي

مكتبة المأمون

جدة - هاتف : ٦٤٤٦٦١٤

کتاب
الغرائب

قَالَ اللَّهُ تَتَالَى
وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

كِتَابُ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ

تَأَلِيفُ
الْإِمَامِ مَوْفِقِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ
ابْنِ قِدَامَةَ الْمُقَدِّسِيِّ

٥٤١ - ٦٢٠ هـ

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيلُ وَضَبْطُ
خَالِدِ عَبْدِ اللطيف السَّيِّدِ الْعَلَمِيِّ

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

الطبعة السادسة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبيلوس - الطابق الثامن - تلفون: 861178 - 800832 - 800811
فاكس: 961-1-805478 - ص.ب: 11-5769 بيروت - لبنان - بريد إلكتروني: academia@dm.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إِنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شرع التوبة لعباده، وبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد المستغفرين وإمام المؤمنين، عليه صلوات الله وسلامه.

وبعد:

فهذا (كتاب التوابين)، للإمام الفقيه الزاهد موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، نقدّمه للناس في وقت أحوج ما نكون فيه إلى التوبة من الذنوب، بالرجوع والإنابة إلى الله تعالى ستار العيوب وغفار الذنوب.

وقد عرض فيه المؤلف - رحمه الله - أخبار التائبين وقصص المنيبين ممّن كانوا في مختلف العصور القديمة والحديثة، من عهد آدم عليه السلام إلى أوائل القرن السابع الهجري الذي كان فيه المؤلف.

وقد عرض فيه المؤلف لسرد الأخبار بطريقة مشوّقة، تحكيها صورة جذابة، وتشرحها جمل سهلة مألوفة، يجني القارئ منها العبرة والفائدة في لطف ويسر واشتياق.

ولا شك أن مطالعته بحرارة وشوق توقظ في الإنسان التقوى التي تحمله على التقرب من الله تعالى، بما يقوم به من إنسلاخ عن الرذائل وبعد عن أسبابها، ومن تحلّ بالفضائل والتماس أسبابها وميسراتها^(١).

لكن المصنف - رحمه الله - قد أغفل عمداً - لأن ذلك خارج عن مقصده من هذا الكتاب - الكلام على التوبة وشروطها، وما ينبغي لها، ولهذا فأنا أستدرك في هذه المقدمة ما أغفله - رحمه الله - ليتّم به النفع، وتعمّ به الفائدة، فأقول:

(١) من كلام الأستاذ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط في مقدمته على الكتاب.

محاسبة النفس :

إن التوبة لا يَصَار إليها إلا بعد محاسبة النفس ، لأنه المرء إذا حاسب نفسه عرف ما عليه من الحق ، فخرج منه ، وتنصّل منه إلى صاحبه ، وهي حقيقة التوبة ، فكان تقديم المحاسبة عليها لذلك أولى .

ولتاخيرها وجه - أيضاً - وهو أن المحاسبة لا تكون إلا بعد تصحيح التوبة .

والتحقيق : أن التوبة بين محاسبتين : محاسبة قبلها ، تقتضي وجوبها ، ومحاسبة بعدها ، تقتضي حفظها .

فالتوبة محفوفة بمحاسبتين ، وقد دلّ على المحاسبة قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾^(١) ، فأمر سبحانه العبد أن ينظر ما قدّم لغده ، وذلك يتضمّن محاسبة نفسه على ذلك ، والنظر : هل يصلح ما قدّمه أن يلقي الله به أو لا يصلح ؟ .

والمقصود من هذا النظر : ما يوجبه ويقتضيه من كمال الإستعداد ليوم المعاد ، وتقديم ما ينجمه من عذاب الله ، ويبيّض وجهه عند الله .

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : حاسبُوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل توزّنوا ، وترنّوا للعرض الأكبر ، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾^(٢) .
منزلة التوبة :

فإذا نزل العبد هذه المنزلة ، منزلة محاسبة النفس ، أشرف منها على مقام التوبة ، لأنه بالمحاسبة قد تميّز عنده ماله مما عليه .

ومنزل التوبة أول المنازل ، وأوسطها ، وآخرها ، فلا يفارقه العبد السالك ، ولا يزال فيه إلى الممات ، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به ، واستصحبه معه ، ونزل به .

فالتوبة هي بداية العبد ونهايته ، وحاجته إليها في النهاية ضرورية ، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك ، وقد قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٣) ، وهذه الآية في سورة مدنيّة ، خاطب الله تعالى بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه ، بعد إيمانهم وصبرهم ، وهجرتهم وجهادهم ، ثم علّق الفلاح بالتوبة تعليق

(١) سورة الحشر آية رقم ١٨ .

(٢) سورة الحاقة ، آية رقم ١٨ . وانظر فيما تقدم تهذيب مدارج السالكين ١/ ١٧٥ - ١٧٦ .

(٣) سورة النور ، آية رقم ٣١ .

المسبب بسببه، وأتى بأداة (لعل) المشعرة بالترجي، إيداناً بأنكم إذا تبتُّم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١)، فقَسَمَ العباد إلى تائب، وظالم، وما تَمَّ قِسْم ثالث البتة، وأوقع اسم: (الظالم) على مَنْ لَمْ يَتُبْ، ولا أَظْلَم منه لجهله بربه وبحقه، وبعبث نفسه وآفات أعماله^(٢).

فاتحة التوبة:

ولما كانت التوبة هي رجوع العبد إلى الله تعالى، ومفارقتها لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هدايته إلا بإعانتة وتوحيده، فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام، وتضمنتها أبلغ تضمين، فمن أعطى الفاتحة حقها - علماً وشهوداً وحالاً ومعرفة - علم أنه لا تصحُّ له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح.

فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جَهْلٌ يُنافي معرفة الهدى، والثاني غيٌّ ينافي قصده وإرادته.

فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والإعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخراً^(٣).

إما الإعتصام بالله، وإما الذنوب:

إن من معاني التوبة: أن ينظر العبد إلى ما كان من انخلاءه عن الإعتصام بالله حين إتيان الذنب، وأن الله تعالى منع عصمته عنه، وأن ينظر إلى ما كان من فرحه عند ظفـره بذلك الذنب، وقعوده عن تداركه، مُصِراً عليه، مع تيقنه نظراً الحق سبحانه وتعالى إليه، فإن العبد لو اعتصم بالله لما خرج عن هداية الطاعة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤)، فلو كملت عصمته بالله تعالى لم يخذله أبداً، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٥)، أي: متى اعتصمتم به تولاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يُفارقان العبد،

(١) سورة الحجرات، آية رقم ١١.

(٢) تهذيب مدارج السالكين ١٨٥/١.

(٣) تهذيب مدارج السالكين ١٨٦/١ - ١٨٧.

(٤) سورة آل عمران، آية رقم ١٠١.

(٥) سورة الحج، آية رقم ٧٨.

وعداوتهما أضُرَّ من عداوة العدو الخارجي، فالنصر على هذا العدو أهم، والعبدُ إليه أحوج.

وكمال النصر على العدو بحسب كمال الإعتصام بالله، ونقص هذا الإعتصام يؤدي إلى الإنخلاع من عصمة الله، وهو حقيقة الخذلان، فما خلَّى الله تعالى بينك وبين الذنب إلا بعد أن خذلك، وخلَّى بينك وبين نفسك، ولو عصمك ووفَّقك لما وجد الذنب إليك سبيلاً.

وهكذا ترجع التوبة إلى اعتصامك بالله تعالى، وعصمته لك^(١).

الغفلة عند مقارفة الذنب:

وتشتد الغفلة على مقارِف الذنب حتى يفرح عند ظفَره شهوته المحرمة، وهذا الفرح بالمعصية دليل على شدة الرغبة فيها، والجهل بقَدْر من عصاه، والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرهما، وفرحه بها غطَّى عليه ذلك كله، وفرحه بها أشدَّ ضرراً عليه من موافقتها.

والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبداً، ولا يكمل بها فرحه، بل لا يُباشرها إلاّ والحزن مخالط لقلبه، ولكن سُكر الشهوة يحجبه عن الشعور به.

ومتى خلا قلبه من هذا الحزن، واشتدت غِبطته وسروره، فليَتَّهِم إيمانه، وليُنْكِر على موت قلبه، فإنه لو كان حياً لأحزنه ارتكاب الذنب، وغطاه، وصعب عليه، ولا يحسُّ القلب بذلك، فحيث لم يُحسَّ به، فما لجرح بميت إيلام.

وهذه النكتة في الذنب قلَّ من يهتدي إليها أو يتنبه لها، وهي موضع مخوِّف جدّاً، مترامٍ إلى هلاك إن لم يتدارك بثلاثة أشياء:

- خوفٍ من الموافاة عليه قبل التوبة.

- وندم على ما فاتته من الله بمخالفة أمره.

- وتشمير للجدِّ في استدراكه^(٢).

شروط التوبة:

وشروط التوبة ثلاثة: الندم، والإقلاع، والعزم.

فحقيقة التوبة، هي:

(١) أنظر تهذيب مدارج السالكين ١/ ١٨٧.

(٢) تهذيب مدارج السالكين ١/ ١٨٨.

- الندم على ما سلف منه في الماضي .

- والإقلاع عنه في الحال .

- والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل .

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت: يندم، ويُقلع، ويعزم .

فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة .

وهذه الشروط إذا كان الذنب والمعصية بين العبد وبين الله تعالى، وأما إن كان ذلك يتعلق بحق آدمي، فشروطها أربعة، هذه الثلاثة،

والرابع: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه، ردّه إليه، وإن كان حدّ قذفٍ ونحوه مكنه منه أو طلب عفوّه، وإن كان غيبة استحلّه منها^(١).

علامات التوبة المقبولة :

وللتوبة المقبولة الصحيحة علامات :

منها: أن يكون العبد بعد التوبة خيراً مما كان عليه قبلها .

ومنها: أنه لا يزال الخوف مصاحباً له، لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول رسول الموت القابض لروحه: ﴿أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٢)، فهناك يزول الخوف .

ومنها: انخلاع قلبه، وتقطعه ندماً وخوفاً، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها، وهذا تأويل ابن عُيَيْنَةَ لقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُتْنَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾^(٣)، قال: تقطعها بالتوبة .

ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه، وهذا هو تقطُّعه، وهذا حقيقة التوبة، لأنه يتقطَّع قلبه حسرةً على ما فرط منه، وخوفاً من سوء عاقبته، فمن لم يتقطَّع قلبه في الدنيا على ما فرط حسرةً وخوفاً، تقطَّع في الآخرة إذا حَقَّتْ الحقائق، وعابن ثواب المطيعين، وعقاب العاصين، فلا بُدَّ من تقطع القلب إما في الدنيا، وإما في الآخرة .

(١) أنظر تهذيب مدارج السالكين ١/١٨٨، ورياض الصالحين ص .

(٢) سورة فصلت، آية رقم /٣٠ .

(٣) سورة التوبة، آية رقم /١١٠ .

ومنها: كسرة خاصة تحصل للقلب. لا يُشبهها شيء، ولا تكون لغير المذنب، لا تحصل بجوع، ولا حُبٍّ مجرد، وإنما هي أمرٌ وراء هذا كله تكسِرُ القلب بينَ يدي الربِّ كسرة تامة، قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقته بينَ يدي ربِّه طريقاً ذليلاً خاشعاً. فليس شيء أحبَّ إلى الله من هذه الكسرة، والخضوع والتذليل، والإخبات، والإنطراح بين يديه، والإستسلام له^(١).

خاتمة:

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة، فمن لم يجد ذلك في قلبه فليتهم توبته، وليرجع إلى تصحيحها، فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة، وما أسهلها باللسان والدعوى، وما عالج الصادق بشيء أشقَّ عليه من التوبة الخالصة الصادقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٢).

هذا ما وفّقني الله سبحانه وتعالى لكتابته في شأن التوبة، وأرجو أن أكون أحطت بالأمر من كثير من جوانبه بما يغني ويفيد، وهناك أمور أخرى كثيرة تتعلق بالتوبة يجب على الإنسان معرفتها، ليس هنا موضع ذكرها^(٣).

(١) تهذيب مدارج السالكين ١/١٩٢ - ١٩٣.

(٢) تهذيب مدارج السالكين ١/١٩٣.

(٣) انظر في ذلك تهذيب مدارج السالكين ١/١٧٥ - ٣٠٢.

الإسرائيليات

وقد ذكر المصنّف في كتابه كثيراً في الروايات الإسرائيلية وقصصهم، ولا سيما في باب ذكر التّوابين من الملائكة، ومن الأنبياء، ومن الأمم السابقة. فكان لزاماً عليّ في هذه المقدمة أن أبين معنى الروايات الإسرائيلية، وحُكم روايتها. فأقول مستعيناً بالله تعالى:

إن المراد بالروايات الإسرائيلية هو ما جاء عن أهل الكتاب - اليهود والنصارى - من قصص وأخبار عن الأمم الماضية السالفة، وما حدث بين أنبيائها وبينها.

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي، إلا أن المراد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فالمراد به ما يعمّ اللون اليهودي واللون النصراني معاً.

وقد أطلق العلماء على ذلك لفظ الإسرائيليات من جهة أن عيسى - عليه السلام - أرسل إلى بني إسرائيل، فالنصارى بالأصل هم من بني إسرائيل. فأطلق لفظ الإسرائيليات وعني به كلُّ من اليهود والنصارى. والبعض قال: أن ذلك أطلق من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، لأن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره وكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين في مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

واليهود يعتمدون في رواياتهم على التوراة - العهد القديم - وما كان بجانبه من السنن والنصائح والشروح التي لم تؤخذ عن موسى - عليه السلام - بطريق الكتابة، وإنما تحمّلوها ونقلوها - مع كثير من الزيادات والإفتراءات - بطريق المشافهة، ثم دوّنت وعرفت باسم: التلمود. هذا إضافة إلى ما كان لديهم من كتب الأدب، والقصص، والتاريخ، والتشريع، والأساطير.

وأما النصارى فكانت رواياتهم تعتمد على الإنجيل، والأنجيل المعتمدة عند النصارى يطلق عليها وعلى ما انضم إليها من رسائل الرسل: العهد الجديد. كما كان إلى

جوار ذلك ما زاده النصارى من القصص والأخبار والتعاليم التي زعموا أنهم تلقوها عن عيسى - عليه السلام.

وإذا نحن أجلنا النظر في التوراة والإنجيل نجد أنهما قد اشتملا على كثير مما ذكر في القرآن الكريم، وبخاصة ما كان له تعلق بقصص الأنبياء - عليهم السلام - ، وذلك على اختلاف كبير في الإجمال والتفصيل فالقرآن إذا عرض لقصة من قصص الأنبياء مثلاً، فإنه ينحو فيها ناحية يخالف بها منحى التوراة والإنجيل، فتراه يقتصر على مواضع العظة، ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل، بل يتخير من ذلك ما يمس جوهر الموضوع، وما يتعلق بموضع العبرة.

ومن هنا دخلت الروايات الإسرائيلية على المسلمين، فقد كان بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - يسألون بعض أهل الكتاب - من أسلم طبعاً مثل كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام وغيرهما - عن تفصيل بعض القصص، وتبيان بعض الأمور، وهذا جائز قطعاً، وهو مأخوذ من قوله - ﷺ - : حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ. (متفق عليه).

غير أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة، وتفصيلاً لما أجمله القرآن منها. مع توقفهم فيما يُلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين، وذلك امتثالاً لقول النبي ﷺ - : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم، وإلهانا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون. (رواه البخاري). كما إنهم لم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام.

كذلك كان الصحابة لا يصدقون أهل الكتاب فيما يخالف الشريعة الإسلامية، أو يتنافى مع العقيدة، بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شيء فأجابوا عنه خطأ ردّوا عليهم خطأهم، وبينوا لهم وجه الصواب فيه.

هذا هو مبلغ رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب وأخذهم عنهم.

أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب. فكثر على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وميل النفوس لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث بني إسرائيل.

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات، وأفرط في الأخذ منها

إلى درجة جعلتهم لا يردّون قولاً، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم، وإن كان لا يقبله الشرع، ولا يتصوره العقل.

واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات، والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة، إلى أن جاء دور تدوين للتفسير، فوجد من المفسرين من حشا كتبه بهذه القصص الإسرائيلية، الذي كاد - أي: هذا العمل، من إدخال هذه القصص على الكتب والتفاسير - أن يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها.

ولقد كانت لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك فردوا كل ما قيل لهم، إن صدقاً وإن كذباً، بل ودخل هذا النوع من التفاسير كثير من القصص الخيالي المخترع المفتري عن أهل الكتاب، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها أن لا يقبل شيئاً مما جاء فيها لاعتقاده أن الكل من واد واحد، ومن هذه التفاسير: تفسير الثعلبي، وتفسير الكلبي والسدي وغيرها كثير.

كما أن نسبة وافتراء بعض هذه الإسرائيليات التي لا يكاد يصح شيء منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب، جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الإتهام والريبة. قيمة ما يروى من الإسرائيليات:

بعد سبر الروايات الإسرائيلية، وصحة إسنادها ونسبتها إلى راويها من أهل الكتاب، ينقسم خبرهم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما يُعلم صحته، بأن نقل عن النبي - ﷺ - نقلاً صحيحاً، وذلك مثل تعيين صاحب موسى عليه السلام - بأنه الخضر، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله - ﷺ - كما عند البخاري^(١). أو كان له شاهد من الشرع يؤيده، وهذا القسم صحيح مقبول.

الثاني: ما يعلم كذبه، بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا مما جاء في كتاب الله تعالى، أو ورد عن رسول الله - ﷺ -

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، ويجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني،

(١) كتاب التفسير، تفسير سورة الكهف، باب (٤)، حديث رقم (٤٧٢٧) ٤٢٣/٨.

ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلهم . . . وغير ذلك .

الخلاصة :

وخلاصة ما تقدم : أنه يجوز رواية الإسرائيليات، وذلك بعد صحة إسنادها ونسبتها إلى راويها من أهل الكتاب - لأنه قد افترى الزنادقة الكثير الكثير ونسبوه إلى أهل الكتاب - ، ثم تعرض الرواية على الشرع، فإن كان في الشرع ما يوافقها علم صدقها، وإن كان في الشرع ما يخالفها علم كذبها، وإن لم يوجد فيه ما يوافقها أو ما ينفيها، تَوَقَّف فيها، ولا يُحْكَم لا بصدقها ولا بكذبها، ويجوز روايتها مع ذلك . والله تعالى أعلم .

ذكر بعض من اشتهر برواية الإسرائيليات :

- منهم الصحابي الجليل : أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث، أسلم عند قدوم النبي - ﷺ - المدينة، وشهد مع عمر - رضي الله عنه - فتح بيت المقدس والجابية، ووقف إلى جانب عثمان وقت الفتنة . وكان رضي الله عنه واسع العلم، وليس ذلك بالعجيب، فقد اجتمع لديه علم التوراة وعلم القرآن .

- أبو إسحاق كعب بن ماته الحميري، المعروف بكعب الأحبار، وأصله من يهود اليمن، ويقال : أنه أدرك الجاهلية، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل : في خلافة عمر . وبعد إسلامه انتقل إلى المدينة، وغزا الروم في خلافة عمر، ثم تحول في خلافة عثمان إلى الشام فسكنها إلى أن مات بحمص سنة (٣٢) هـ . على أرجح الأقوال، وقد بلغ مائة وأربعين سنة .

روى عن رسول الله - ﷺ - مرسلاً، وعن عمر، وصهيب، وعائشة؛ وروى عنه معاوية، وأبو هريرة، وابن عباس، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم كثير .

وكان كعب بن ماته على مبلغ عظيم من العلم، ولهذا كان يقال له : كعب الجبر، وكعب الأحبار، ولقد نُقل عنه في التفسير وغيره ما يدل على علمه الواسع بالديانة اليهودية وبالإسلام، قال ابن سعد : ذكر أبو الدرداء كعباً فقال : إن عند ابن الحميري لعلماً كثيراً .

- وهب بن منبه بن سيج بن ذكناز، أبو عبد الله اليماني الصنعاني، من خيار علماء التابعين، ولد سنة (٣٤) هـ، في خلافة عثمان، ومات سنة (١١٠) هـ، وقيل غير ذلك .

روى عن أبي هريرة، وأبي سعيد الحدي، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر، وأنس، وغيرهم . وروى عنه ابنه : عبد الله وعبد الرحمن، وعمر بن دينار وغيرهم كثير .

وكان رحمه الله واسع العلم، كثير الإطلاع على الكتب القديمة، محيطاً بأخبار كثيرة وقصص تتعلق بأخبار الأول ومبدأ العالم. وكان يقول: يقولون عبد الله بن سلام أعلم أهل زمانه، وكعب أعلم أهل زمانه، أفرأيت من جمع علمهما؟ يعني نفسه.

- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو خالد أو أبو الوليد، أصله رومي نصراني، كان من علماء مكة ومحدثيهم، وهو من أول من صنف الكتب بالحجاز، وهو قطب الإسرائيليات في عهد التابعين.

روى عن أبيه، وعطاء بن أبي رباح، وزيد بن أسلم، والزهري وغيرهم. وروى عنه ابنه: عبد العزيز ومحمد، والأوزاعي، والليث بن سعد، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وحمام بن زيد وغيرهم كثير. قال ابن سعد: ولد سنة (٨٠) هـ، وأماوفاته فمختلف فيها، فمنهم من قال سنة (١٥٠) هـ، ومنهم من قال سنة (١٥٩) هـ وقيل غير ذلك.

نقلًا وباختصار شديد. وتصرف كبير عن كتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ص ١٦٥ - ٢٠١، وانظر تفسير ابن كثير ٤/١، والبداية والنهاية ١٢١/٢ - ١٢٣. وفتح الباري ٦/٤٩٨ - ٤٩٩.

ترجمة وحياة المؤلف

وتتضمن الأمور التالية :

- العصر والبيئة التي عاش فيهما .
- نسبه .
- أسرته .
- مولده ونشأته .
- طلبه للعلم وعمله .
- مذهبه .
- جهاده .
- صفاته وخلقُه .
- أقوال العلماء فيه .
- آثاره .
- وفاته .

العصر والبيئة التي عاش فيهما موفق الدين ابن قدامة

عاش موفق الدين - رحمه الله في الفترة ما بين (٥٤١ - ٦٢٠) هـ، وهذه الفترة تولى الخلافة فيها من بني العباس:

- المقتفي بالله أبو عبد الله محمد المستظهر بالله الذي تولى الخلافة عام (٥٣٠) هـ، وتوفي عام (٥٥٥) هـ.

- ثم خلفه ابنه المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن محمد المقتفي بالله، الذي تولى الخلافة بعد والده عام (٥٥٥) هـ حتى عام (٥٦٦) هـ.

- ثم خلفه ابنه المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن يوسف المستنجد بالله، الذي تولى الخلافة من عام (٥٦٦) هـ حتى عام (٥٧٥) هـ.

- وبعد المستضيء بالله تولى الخلافة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء الذي تسلم أمر الخلافة عام (٥٧٥) هـ حتى عام (٦٢٢) هـ.

وهذه الفترة مليئة بالأحداث والتقلبات السياسية، وتطور الأمور مما له أثر بالغ في الحياة الاجتماعية والعلمية والإقتصادية، ففي هذه الفترة انتهت دولة الفاطميين في مصر التي بدأت بتولي المعز لدين الله الفاطمي في عام (٣٥٩) هـ، وانتهت بوفاة العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ أبو محمد عام (٥٦٧) هـ، ومدتها (٢٠٨) سنة. وفي نهاية الدولة الفاطمية كان موفق قد بلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، وهي سن الشباب والحيوية والإدراك والتأثر بالأحداث عند الرجل.

كذلك شهد موفق آخر الحروب الصليبية في عهد صلاح الدين الذي كسر شوكة الصليبيين في (حطين) وحرر القدس من أيديهم في رجب عام (٥٨٣) هـ، بعد سيطرتهم عليها (٩٢) سنة.

وكانت هذه الفترة من الزمن كلها أحداث وغزوات وغارات وتناحر بين الأمراء على البلاد الإسلامية، إذ الخلافة العباسية في نهاية أمرها تحتضر. ولم تنته بعد من بغداد على أيدي التتار.

وكان في كل إقليم بل في كل مدينة أمير متسلط، ولكن قد يتخلل هذا قوة في بعض الأحيان من بعض الخلفاء أو الأمراء، كما كان من صلاح الدين، وغيره كابن هبيرة العالم الورع الزاهد المشهور بالعدل، وقد كان وزيراً (٥٤٤ - ٥٦٠) هـ للمقتفي ثم لابنه المستنجد. وكان المقتفي يثني عليه ويقول: ما وزر لبني العباس مثله.

والموفق رحمه الله قدم بغداد سنة (٥٦١) هـ لطلب العلم بعد وفاة ابن هبيرة بسنة، والناس يتحدثون بمآثره وعلمه وفضله، وابن قدامة وقتها في ريعان الشباب له عشرون سنة، يدفعه مثل هذا لمضاعفة الطلب والجهد في التحصيل.

فكل هذه المشاكل في العالم الإسلامي من سقوط دول وقيام أخرى، ومن نصر على يد صلاح الدين وأمثاله، أو ما حاق بالمسلمين على أيدي الصليبيين، كان لها أثرها وصداها في نفسه رحمه الله.

هذا من الناحية السياسية، أما من الناحية العلمية فقد عاش رحمه الله في فترة من أفضل الفترات التي غنت بالعلماء الأجلاء لا في الشام وحده بل في العالم الإسلامي كله. فإذا نظرنا في صفحات كتب التراجم والسير في الفترة التي عاشها الموفق (٥٤١ - ٦٢٠) هـ. نجد الكثير من علماء المسلمين ومجتهداتهم قد عاشوا في هذه الفترة.

وقد قضى الموفق معظم حياته - رحمه الله - في دمشق العاصمة الإسلامية لبني أمية، التي كانت مليئة بالعلم والعلماء، وبأهل التقى والصلاح.

وكل هذا من الواقع السياسي والحالة العلمية كان له أثره في حياة شخصية موفق الدين ابن قدامة رحمه الله تعالى.

المؤلف

نسبه: (١)

هو شيخ الإسلام الإمام الفقيه الزاهد موفق الدين، أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر بن عبد الله بن حذيفة بن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، العدوي القرشي نسباً، الجُماعلي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي موطناً.

فهو منحدر من سلالة الخليفة الراشد الفاتح العادل الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، ثم من ذرية أشهر أولاده الصحابي العالم الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - ، ثم من ذرية أشرف أولاده سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رحمه الله تعالى - أحد الفقهاء السبعة، الذي كان يُشَبَّه بأبيه في الهدى والسَّمت.

- أسرته:

خرج موفق الدين من أسرة كريمة مشهورة بالعلم والفضل والتقوى والصلاح.

فوالده أحمد بن محمد بن قدامة - رحمه الله تعالى - (٤٩١ هـ - ٥٥٨ هـ) هو من العلماء الصالحين، العبَّاد، الزهَّاد، الفضلاء، وهو خطيب جماعيل قبل هجرته عنها. وهو عميد الأسرة في حياته، وهو نذي درّس أولاده الحديث وغيره من العلوم منذ نعومة أظفارهم.

(١) أنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٥٨/١٣ - ١٦٠، مرآة الجنان لسبط ابن الجوزي ٦٦/٩ - ٦٧، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١٣٣/٢ - ١٣٤، البداية والنهاية لابن كثير ٩٩/١٣ - ١٠٠، شذرات الذهب لابن العماد ٨٨/٥ - ٩٢، فوات الوفيات لابن شاکر الكتبي ٢٠٣/١ - ٢٠٤، النجوم الزاهرة لابن تغري بردی ٢٥٦/٦، مرآة الجنان للياضي ٤٧/٤ - ٤٨، هدية العارفين للبغدادي ٤٥٩/١ - ٤٦٠، مقدّمة المغني لابن قدامة لعبد القادر بدران ص ٣ - ٣٥ ومعجم المؤلفين ٣٠/٦.

وأخوه أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة - وهو الذي تولّى تربية الموفق ورعاه في صغره، وكان الموفق يدعو له ويثني عليه - . وشهرة أبي عمر لا تقلّ عن شهرة موفق الدين، فهو من العلماء الأجلاء، الزهاد الورعين، ومن أكثر العلماء إحياءاً للسنّة وإماتة للبدع.

فمن هذه الأسرة الكريمة العريقة في العلم والمجد خرج الشيخ موفق الدين أبو محمد.

ومن علماء هذه الأسرة.

- أبو الحسين أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، ابن أخي الموفق، وقد جمع الله له حسن الخلق والخُلُق والدين والأمانة والمروءة.

- وابنه، أحمد بن أحمد بن عبيد الله، العالم الفاضل، سمع من الموفق - وهو جدّه لأمه، وعمّ أبيه.

- ومنهم: العالم الجليل أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة صاحب الشرح الكبير، ولي القضاء مدّة لا يأخذ شيئاً.

- ومنهم: عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد (أبو عمر)، وهو عالم فاضل.

- ومنهم: ابن الموفق عيسى بن عبد الله بن أحمد، عالم جليل ورع.

- ومنهم: ابن ابنه أحمد بن عيسى بن عبد الله، وله يد في العلم والفضل كسلفه.

- ومن هذه الأسرة الكريمة ابن خالة الموفق عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي - الإمام المعروف - ، وهو زميل الموفق، وكانت ولادتهما في سنة واحدة ليس بينهما سوى أشهر.

- مولده ونشأته:

ولد الإمام موفق الدين في شعبان سنة (٥٤١) هـ، ببلدة جماعيل - وهي بلدة من أعمال نابلس قرب بيت المقدس من أرض فلسطين المقدسة - ، وكان الصليبيون في ذلك الوقت قد استولوا على بيت المقدس وما حوله من البقاع، فهاجر والد أبو العباس أحمد بن محمد بن قدامة بأسرته إلى دمشق مع ابنه: أبي عمر، وموفق الدين عبد الله، وابن خالتهما عبد الغني حوالي سنة (٥٥١) هـ. فنزلوا في مسجد أبي صالح بدمشق ظاهر الباب الشرقي، فأقاموا فيه مدّة سنتين، ونسبوا إليه فليل لهم: الصالحيون.

ثم انتقلوا إلى جبل قاسيون في صالحيّة دمشق، حيث استقرت أسرهم هناك.

- طلبه العلم وعمله :

عندما استقرت أسرة أبي العباس أحمد بن محمد بن قدامة في سفح جبل قاسيون بدأ موفق الدين بالتعلّم، فحفظ القرآن، واشتغل في طلب العلم، وتلقّى مبادئ علومه على أبيه، ثم تتلمذ على يد أبي المكارم بن هلال وغيره من شيوخ دمشق وعلمائها، وحفظ (مختصر الخرقى) في الفقه الحنبلي، وغيره من الكتب.

وما زال منهمكاً في طلب العلم ودرسه حتى بلغ العشرين من عمره، فرحل إلى بغداد بصحبة ابن خالته عبد الغني، سنة (٥٦١) هـ، فأقام في بداية أمره عند الشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - بمدرسته مدة يسيرة، وكان الشيخ في التسعين من عمره، فقرأ عليه (مختصر الخرقى) قراءة فهم وتدقيق - لأنه كان قد حفظه في دمشق - .

ثم توفي الشيخ، فدرس على عدد من المشايخ في بغداد، أشهرهم أبو الفتح ابن المني - وكان إمام عصره في مذهب الحنابلة - ، وسمع فيها - أيضاً - من هبة الله الدقاق وغيره .

وبقي في بغداد أربع سنوات، ثم عاد إلى دمشق عن طريق الموصل، فأخذ عن خطيبها أبي الفضل، وأقام في أهله مدّة .

ثم حجّ عام (٥٧٤) هـ، وأخذ عن شيخ الحنابلة في مكة الحافظ المحدث أبي محمد المبارك بن علي الطباخ البغدادي .

ثم عاد إلى بغداد، ولازم ابن المني مرّة أخرى، وقرأ على عدد من المشايخ لمدة عام، ثم رجع إلى دمشق، فاشتغل بالتعليم والتأليف، وبرع في ذلك، فألف (المغني شرح مختصر الخرقى) في الفقه، وهو كتاب غاية في الإتقان والإحكام والضبط، وهو من أعظم الكتب المؤلفة في الفقه الإسلامي عامة، وفي فقه مذهب الإمام أحمد خاصة . حتى قال سلطان العلماء العزّين عبد السلام فيه : لم تطبّ لي الفتيا حتى كانت عندي نسخة من (المغني) .

وقد عني بالتدريس إلى جانب التأليف، فكان طلبه العلم يتلقون عليه الدروس في الحديث والفقه وغير ذلك من العلوم، وقد تفقه عليه خلق كثير، منهم ابن أخيه شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، والعماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي، وهو ابن خالة موفق، أخي الحافظ عبد الغني، وغيرهم كثير .

- مذهبه :

موفق الدين عبد الله من أبرز علماء الحنابلة، وقد سلك هذا المذهب عن علم

ودراية، فهو من المجتهدين، ولكنه في جملة آرائه حنبلي المذهب، ويخالف المذهب في بعض المسائل، ويستقلّ فيها برأيه، ويدلّل على ذلك.

ويحتلّ الموفق - رحمه الله تعالى - مكانة بارزة بين فقهاء الحنابلة، فهو ضليع في المذهب الحنبلي، وقد حفظ مسائل الخرقى في صغيره، واطلع على الكثير من كتب المذهب، حتى قيل: إنه حامل لواء مذهب الحنابلة في عصره.

وقد تقدّم به علمه حتى بلغ رتبة الاجتهاد، وصار علماً من أعلام الإسلام، فأراؤه وكتبه مقدّمة عند الحنابلة الذين جاؤوا بعده.

- جهاده :

ولم يكن الإمام موفق الدين ابن قدامة من العلماء الأبرار فقط، بل كان من المجاهدين الأخيار كذلك، فقد جاهد بالسيف والسنان كما جاهد بالقلم واللسان في حروب الصليبيين، تحت إمرة القائد المناضل الناصر صلاح الدين الأيوبي، الذي جند المسلمين سنة (٥٨٣) هـ، لجهاد الصليبيين ودحرهم وقمعهم، ولتطهير الأرض المقدسة من رجسهم وذنسهم؛ فقد شارك هو وأخوه أبو عمر وكثير من تلاميذهما وبعض أفراد إيسرتهما في هذه المعارك تحت ألوية صلاح الدين المظفّرة، وكان لهما ولتلاميذهما خيمة يتنقلون بها مع المجاهدين في سبيل الله حيثما حلّوا.

وهكذا علماء الإسلام في الذروة في العلم والعمل والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسوة بأصحاب رسول الله - ﷺ -، فرحمة الله ومغفرته على أعلام الإسلام، وهداة الأنام، وفقّ الله تعالى علماء زماننا إلى الاقتداء بهؤلاء البررة الأطهار لنعود إلى مجدنا الغابر.

- صفاته وخلقه :

كان رحمه الله تعالى قوي الشخصية، متميز التفكير، نافذ البصيرة، سليم العقيدة، حسن الإتياع، شديد التمسك بالسنة، قوي على أهل الباطل، رحيم بأهل الحق، لا يجامل ولا يخضع لغير سلطان الحق والعلم، مع أدب رفيع، وفهم دقيق، وذوق سليم. وكان رحمه الله ورعاً زاهداً، كثير الحياء، عزوفاً عن الدنيا وأهلها، هيناً، ليناً، متواضعاً، محباً للمساكين. حسن الأخلاق، جواداً سخياً.

وكان كثير العبادة، غزير الفضل، ثابت الذهن، شديد الثبوت في علمه، دائم السكون، قليل الكلام، كثير العمل، يستأنس الإنسان برويته قبل كلامه، رحمه الله تعالى.

- بعض أقوال العلماء فيه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عنه : ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الموفق .
وقال عنه شيخه ابن المنى عند خروجه من بغداد : اسكن هنا فإن بغداد مفتقرة إليك ، وأنت تخرج من بغداد ولا تخلف فيها مثلك .
وقال ابن الصلاح : ما رأيت مثل الموفق .
وقال سبط ابن الجوزي : من رأى الموفق فكأنما رأى بعض الصحابة ، وكان النور يخرج من وجهه .
ولجلالة قدره قد ألّف الحافظ ضياء الدين عبد الغني المقدسي كتاباً في سيرته .
وكذلك الحافظ الذهبي .

- آثاره :

خلف ابن قدامة رحمه الله ثروة علمية ضخمة ، كان لها وزنها في العلوم الإسلامية ، ومن هذه الكتب :

- ١ - المغني شرح مسائل الخرقى ، وهو أوفى شرح لمسائل الخرقى . وعلى مسائل الخرقى أكثر من ثلاثمائة شرح ، أوفاهها المغني لابن قدامة رحمه الله ، وهو مطبوع متداول بين كثير من العلماء ، وهو قاموس في الفقه .
- ٢ - الكافي ، وهو فقه سنة مختصر مركّز ، ذكر فيه من الأدلة ما يتوصل الطلبة به للعمل بالدليل .
- ٣ - المقنع ، وهو في المذهب ، مجرد من الدليل ، يذكر فيه بعض الروايات المعتمدة .
- ٤ - العمدة في الفقه ، وهو للمبتدئين ، يذكر فيه الدليل من الكتاب والسنة ، لا يستغني عنه المبتدئ لسهولة عبارته ، وذكر الأدلة فيه .
- ٥ - مختصر الهداية لأبي الخطاب . وأبو الخطاب شيخ شيخه عبد القادر الجيلاني .
- ٦ - روضة الناظر في أصول الفقه .
- ٧ - مختصر علل الحديث لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال .
- ٨ - مختصر في غريب الحديث .
- ٩ - قنعة الأريب في الغريب .
- ١٠ - البرهان في مسألة القرآن .

- ١١ - مسألة العلو (جزآن).
- ١٢ - كتاب التوابين - وهو كتابنا هذا - .
- ١٣ - كتاب القدر (جزآن).
- ١٤ - فضائل الصحابة .
- ١٥ - المتحابين في الله (جزآن).
- ١٦ - كتاب الرقة والبكاء (جزآن).
- ١٧ - اليقين في نسب القرشيين .
- ١٨ - الإستبصار في نسب الأنصار .
- ١٩ - لمعة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد .
- ٢٠ - ذم التأويل .
- ٢١ - مقدمة في الفرائض .
- ٢٢ - مناسك الحج .
- ٢٣ - ذم الموسوسين .
- ٢٤ - صفة الفلق .
- ٢٥ - فضائل العشر .
- ٢٦ - مجموعة فتاوى .
- ٢٧ - مشيخة شيوخه .

وله - رحمه الله - إلى ذلك بعض الرسائل ، منها :

- ٢٨ - رسالة إلى الشيخ فخر الدين ابن تيمية في تخليد أهل البدع في النار .
- ٢٩ - جواب مسألة وردت من (صرخد) في القرآن .
- ٣٠ - مسألة في تحريم النظر في كتب أهل الكلام .

- وفاته :

توفي موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة - رحمه الله تعالى وأسكنه
فسيح جناته - يوم السبت ، يوم عيد الفطر ، سنة (٦٢٠) هـ ، ودفن في سفح جبل قاسيون
في صالحية دمشق ، فوق جامع الحنابلة^(١) .

(١) قد أفدت في هذه الترجمة من ترجمة الأستاذ عبد القادر الارناؤوط للموفق ومن ترجمة الدكتور عبد
العزیز بن عبد الرحمن السعيد له ، في كتابه ابن قدامة وآثاره الأصولية .

أصل التحقيق

لقد اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على نسخة مطبوعة بتحقيق الأستاذ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله .

وكان قد اعتمد في نسخته على مخطوطتين، ومطبوعة . وقد قارن بينها، وضبط النص ضبطاً جيداً، إلا أنه اعتمد أصلاً له مخطوطة رمز لها بـ (أ)، فإن كان هناك خلافاً بين النسخ، اعتمد الأصل (أ) وأثبتته، ونوّه في الهامش لما في المخطوطة (ب) والمطبوعة الأخرى .

وكنّت كثيراً ما أجد أن الصواب إنما هو ما في المخطوطة (ب) والمطبوعة . فأثبتته وأنوّه إلى ذلك، من ذلك ما جاء في باب ذكر التوابين من ملوك الأمم الماضية، توبة ملك من الملوك، حيث جاء فيها: ثنا جوير بن أسماء . وقال الأستاذ عبد القادر في الهامش: «في (ب) والمطبوعة: جويرية» . قلت: وجويرية هو الصواب، كما بينته في موضعه، وهناك أخطاء أخرى في الأصول الثلاثة قد نوّهت إليها في موضعها .

وقد قام الأستاذ عبد القادر حفظه الله بوضع عناوين للقصص، وشرح بعض الكلمات الغريبة، وعلّق على بعض القصص التي لا تتفق وما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - . وقد استفدتُ من ذلك .

قلت: وقد استدركت بعض العناوين على الأستاذ عبد القادر، وغيّرت في بعضها لتكون أكثر تعبيراً عمّا في القصة .

وهذه صور وريقات من المخطوطتان التي اعتمد عليها الأستاذ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى .

28

يَسْتَعِي قَالَ فَمَخْرَجَ مَعَهُ وَسَمِعَ فِي جَانِبِي سَعْدَادَ فَلَمْ يَحْذَرْ سَلَمَهُ لِي فِي مَخْرَجِهِ
وَالْتَمَعْتُ فَمَلَسْتُهَا دَكَاظًا نَبِيضًا رَأَيْتُ النَّاسَ عَلَيْهِمْ سُلُوكٌ عَظِيمٌ بِصُفُوفِهِمْ
الَّذِينَ أَقْبَلُوا لَهُ النَّصْرَ فِي مَالِكٍ فَلَمْ يَرَأِ أَنْ تَشْكُو إِلَيَّ النَّصْرَ فِي خَالِهِ بَلْ مَدَّ يَدَهُ
إِلَيَّ فَمَسَسَنِي فَقَالَ النَّصْرُ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ مَدَّ يَدَهُ عَلَيَّ أَنَا أَعْرِفُهُ وَأَهْلِي
بِمَا كُنْتُ أَصْرًا إِلَى الشُّوَبِ ابْنِي رَطِلَ حَبْرٌ وَرَطِلَ شَوَاهِدٌ وَرَطِلَ حُلُوفَانِ الشَّيْبِ
هَذِهِ الْعِلَّةُ بَارِعَتَيْنِ رُجُلًا فَقَالَ يَا عَلَامَ ابْنِي بَارِعَتَيْنِ مِثْلَ ذَلِكَ فَإِنِّي
الْعِلَامُ بِذَلِكَ فَسَلَّمَ النَّصْرَ إِلَيَّ فِي الْعَقِيرِ وَقَالَ خُذْهُ لِمَنْ ذَكَرْتُ فَاحْطَرْتُ
مَعَهُ الْجَمَالَ وَمَضَى مَعَهُ إِلَى الدُّوَيْرَةِ وَقَامَ النَّصْرُ إِلَيَّ عِنْدَ مَدَّ يَدَهُ
إِلَيَّ إِلَى الدُّوَيْرَةِ وَقَفَّ بِأَرْجَائِهَا خَلْفَ طَائِفٍ حَتَّى دَخَلَ الْقَبْرِ فَوَضَعَ
الْأَسْلَمَ وَأَجْتَمَعَ الشُّعْبُ وَالْقُبَرَاءُ وَقَدَّمُوا الطَّعَامَ فَأَسْتَبَدَّ الشُّعْبُ مِنْ
الطَّعَامِ وَقَالَ يَا مَعِي مَا بَقِيَ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ فَحَكِي لَهُ الْقِصَّةَ بِكُلِّ مَا
يَسَعُ الشُّعْبُ أَنْ تَرْضَوْا أَنْ تَأْكُلُوا الطَّعَامَ نَصْرًا فِي وَسْطِكُمْ بِدُونِ كَفَائَةٍ
فَالْقُبَرَاءُ إِذَا كَفَانَهُ قَالَ تَدْعُو اللَّهَ لَمْ تَقْبَلْ أَكُلْ طَعَامَهُ بِالْمَهْمَاءِ مِنَ النَّارِ
فَلَمَّا سَمِعَ فَلَمَّا رَأَى النَّصْرَ إِسْكَاهُمْ مِنْ الطَّعَامِ مَعَ جَاهِهِمْ
فَمَا كُنْتُ الشُّعْبُ فِي الدُّوَيْرَةِ فَفَعَلْتُ بِهِ كُلَّ قِطْعٍ الزَّيْلَةَ وَكُلَّ

عملي في التحقيق

لقد بذلت جهدي في أن تخرج هذه الطبعة لهذا الكتاب بحلّة جديدة، ترضي قارئنا العزيز، ولذلك قمت بالخطوات التالية:

- صححت الأخطاء المطبعية والعلمية الموجودة في المطبوعة، وهي قليلة.
 - عزوت الآيات إلى السورة التي هي منها، وذكرت رقمها في هذه السورة.
 - خرجت الأحاديث تخريجاً - آمل أن يكون دقيقاً - ، وبَيَّنت صحيحها من سقيمها.
- قدر الطاقة .

- ذكرت بعض الفوائد المستنبطة من الأحاديث الواردة، ليكون النفع أعمّ وأشمل.
- بيَّنت صحة أو ضعف أسانيد القصص والروايات التي ذكرها المصنف، ما كان إلى ذلك سبيلاً، لا سيما القصص التي يتعلّق بها أمر مهمّ، كالقصص التي تذكر توبة الأنبياء، وتوبة الصحابة، وتوبة بعض الفضلاء.

- نقضت وعلّقت على ما جاء في بعض القصص من مخالفة لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - ، ولا سيما فيما يتعلّق بأخبار توبة الملائكة وتوبة الأنبياء.

- ضبطت الأنساب بالشكل في النص، ثم ذكرت ضبطها كتابة في الهامش، وبَيَّنت أصل هذا النسب، وإلى ماذا يُنسب. وقد تكرّرت بعض الأنساب كثيراً، فاكثفت بضبطها كتابة أوّل مرة، وضبطتها بالشكل في كل الكتاب.

- شرحت الكلمات الغريبة الواردة في النصوص، وضبطت بالشكل، ما كان منها بحاجة إلى ذلك.

- ترجمت للأعلام المذكورين، ولا سيما لمن تتعلق القصة به، ما كان إلى ذلك سبيلاً، إذ أنّ هناك من لم أعثر له على ذكر البتّة.

- قدّمت للكتاب بذكر شيء عن التوبة وما يتعلق بها من الأحكام، لتتم بذلك الفائدة ويعمّ النفع، لأن المصنّف أغفل هذا الأمر - والظاهر أن ذلك عمداً - لأنه يخرج عن مقصوده من هذا الكتاب، الذي جعله لسرد قصص التوابين لا غير.

- ذكرت نبذة عن الروايات الإسرائيلية، وحكم روايتها، وقيمتها، وذلك لأن المصنف أكثر في ذكر مثل هذه الروايات في كتابه، وقد أشرت إلى هذه الروايات في الكتاب.

- ترجمة لمؤلف الكتاب موفق الدين ابن قدامة ترجمة موجزة، يستبين القارئ منها معالم حياته الشخصية والعلمية.

هذا وما كان في صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان.
وأسأل الباري - عز وجل - أن يجنبنا الشطط، وأن يهدينا للأقوم، وأن يسدّد خطانا على الصراط المستقيم.
كما أسأله تعالى أن يجعل عملي هذا في ميزان حسناتي يوم القيامة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خالد عبد اللطيف السبع العلمي
طرابلس - لبنان

كِتَابُ
التَّوَلُّدِ

تأليف
الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد
ابن قدامة المقدسي
"٥٤١ - ٦٢٠ هـ"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

قال الشيخ الامام العالم الأوحّد، الصدر الكبير، شيخ الإسلام موفق الدين، أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، رضي الله عنه:

الحمد لله الكريم الوهاب، الرحيم التّوّاب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، يحبّ التّوّابين والمتطهّرين، ويغفر للمنيبين والمستغفرين، ويقبل عثرات العائرين، ويقبل اعتذار المعتذرين، فله الحمد كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لكريم وجهه، وعزّ جلاله.

وصلى الله على نبيّه وصفيّه محمّد خاتم الأنبياء، وسيد الأصفياء، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

هذا كتاب، ذكرت فيه بعض أخبار التّوّابين، تشويقاً إلى أخبارهم، وترغيباً في أحوالهم، والإقتداء بهم.

بدأت فيه بذكر توبة الملائكة، ثم الأنبياء عليهم السلام، ثم ملوك الأمم الخالية، ثم الأمم، ثم الأحاد منهم، ثم أصحاب نبينا عليه الصلاة والسلام، ثم ملوك هذه الأمة، ثم سائرهم.

ونسأل الله تعالى أن يقبل توبتنا، ويغفر حَوْبَتَنَا^(١)، ويسدّد ألسنتنا، ويسلّ سخيمَةً قلوبنا^(٢).

(١) قال محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح ص ٢٢: «الحُوب - بالضم، والحَاب: الإثم وقد حاب بكذا، أي: أثم.. وحُوبَة - أيضاً - بفتح الحاء ٢٢» أ.هـ.
ويطلق الحوب أيضاً على الذنب - وهو الذي استوجب الإثم -، ولهذا قال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٩٨: «ما يَأْثُم الرجل إن لم يُرَاعه» أ.هـ.
ومنه قوله تعالى في سورة النساء، آية رقم (٢)، عن أكل أموال اليتامى: ﴿إِنَّه كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾.
أي: ذنباً كبيراً، وإثماً عظيماً.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٤١١: «السَّخِيمَة: السّواد، والأسخَم: الأسود، والسُّخَام - بالضم - : سواد القدر، وسَخِمَ الله وجهه تسخيماً، أي: سَوَّده» أ.هـ.
وقال في أساس البلاغة ص ٢٠٥: «سَلَّلْتُ سَخِيمَةً بِاللُّطْفِ وَالتَّرَضِّي، وفي قلوبهم سخائم ٢٢» أ.هـ.
والمقصود هنا: هو سؤال الله تعالى أن يُسَلِّ - أي يَرُدِّ - سواد قلوبنا، أي: ما فيه من الحقد والحسد والضغينة وما إلى ذلك عن قلوبنا.

ذكر القَوَّابِينَ من الملائكة عليهم السلام

١ - [قصة هاروت وماروت]^(١)

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقر - رحمه الله - ، أنبأ الأمين أبو طالب عبد القادر بن محمد اليوسفي^(٢) ، أنبأ ابن المذهب ، أنبأ أبو بكر القطيعي^(٣) ، ثنا

(١) ذكر المصنف في هذا الباب قصة هاروت وماروت . وقبل الدخول في هذه القصة وما فيه ، يجب أن نعلم أن حاصل هذه القصة راجع في تفصيله إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/١٤١ : «قد روي قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين ، كمجاهد السدي ، والحسن البصري ، وقتادة ، وأبي العالية ، والزهري ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان وغيرهم .

وقصّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين .

وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى .

وظاهر سياق القرآن إجمال القصة ، من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى .

والله أعلم بحقيقة الحال ، أ هـ .

وأما قصتهم كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في سورة البقرة ، آية رقم ١٠٢ ، حيث قال عن بعض أهل الكتاب : ﴿وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ ، وَمَا كَفَرَ سَلِيمٌ ، وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ ، وَمَا أُتْرِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ وَهَارُوتَ وَمَارُوتَ ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ . . الآية﴾ .

فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى ، من غير زيادة ولا نقصان .

(٢) اليوسفي : بضم الياء ، وسكون الواو ، وضَمَّ السين المهملة ، وبعدها فاء . وهذه النسبة إلى أبي يوسف الإسفراييني ، خازن دار العلم ببغداد ، كذا في اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٤٢٠ .

(٣) القطيعي : بفتح القاف ، وكسر الطاء ، وسكون الياء ، وبعدها عين مهملة .

هذه النسبة إلى القطيعة ، وهو اسم لعدة محال ببغداد .

منها : قطيعة الربيع مولى المنصور ، نسبت إليه لأن المنصور أقطعها إياها . . .

ومنها : قطيعة الدقيق ، ينسب إليها أبو بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي - قلت : وهو الرواي =

عبد الله بن أحمد، ثنا أبي^(١) رحمه الله، ثنا يحيى ابن أبي بُكَيْرٍ، ثنا زهير بن محمّد، عن موسى بن جبير، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، أَنه سمع نبيّ ﷺ يقول: «إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَهْبَطَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: أَيُّ رَبَّنَا. ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾»^(٢).

قالوا: رَبَّنَا! نحن أطوع لك من بني آدم.

قال الله تعالى للملائكة:

هَلُمُّوا مَلَائِكِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، حَتَّى نَهْبِطَهُمَا إِلَى الْأَرْضِ، فَتَنْظُرُوا^(٣) كيف يعملان.

قالوا: رَبَّنَا! هاروت وماروت.

فَأَهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ؛ وَتَثَلَّتْ لَهُمَا الزُّهْرَةُ امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ، فَجَاءَتْهُمَا، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. قالت: لا والله! حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك.

فقالا: لا والله! لا نشرك بالله شيئاً أبداً.

فذهبت عنهما، ثم رجعت بصبيّ تحمله، فسألاها نفسها. فقالت: لا والله! حتى تقتلا هذا الصبيّ. فقالا: لا والله! لا نقتله أبداً.

فذهبت، ثم رجعت بِقَدَحٍ خَمْرٍ تحمله، فسألاها نفسها. فقالت: لا والله! حتى تشربا هذا الخمر، فشربا حتى سكرا. فوقعا عليها، وقتلا الصبيّ. فلما أفاقا، قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً مما أبيتماه إلّا فعلتماه حين سكرتُما، فخيراً بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا - عذاب الدنيا^(٤).

= هنا - ، يروي عن إسحاق، وإبراهيم الحرمين، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهم.
روى عنه الحاكم أبو عبد الله، وأبو نعيم الحافظ وغيرهما، وكان مكثراً، مات في ذي الحجة، سنة ثمان وستين وثلاثمائة...

كذا في الباب في تهذيب الأنساب ٤٨/٣.

(١) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المرزوي، نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة الكبار، صاحب المذهب، ثقة حافظ فقيه حجة، ولد سنة (١٦٤ هـ) وتوفي سنة (٢٤١ هـ)، وله سبع وسبعون سنة.

أنظر تهذيب الكمال ٤٣٧/١ - ٤٧٢، والتقريب ٢٤/١.

والحديث في مسنده كما سيأتي.

(٢) سورة البقرة آية رقم /٣٠.

(٣) في المسند ١٣٤/٢: حتى يُهْبِطَ بهما إلى الأرض فتَنْظُرَ.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ١٣٤/٢.

وابن حبان في صحيحه، في كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، موارد النظمان حديث رقم (١٧١٧) ص ٤٢٥.

أخبرنا أبو العباس: أحمد بن المبارك بن سعد، أنا جدي لأمي أبو المعالي ثابت بن

= وابن السني في عمل اليوم والليلة، كما في المقاصد ص ٤٥٥ وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٣٨/١ وعزاه لأحمد وابن حبان، ثم قال:

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين: إلا موسى بن جبير... وهو الأنصاري... ذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولم يحك فيه شيئاً من هذا ولا من هذا، فهو مستور الحال.

وقد تفرد به عن نافع - مولى ابن عمر - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - .
وروي له متابع من وجه آخر عن نافع: كما قال ابن مردويه، حدثنا دملج بن أحمد، حدثنا هشام بن علي بن هشام، حدثنا عبدالله بن رجاء، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا موسى بن سرجس، عن نافع، عن ابن عمر سمع النبي - ﷺ - يقول، فذكره بطوله.
وقال أبو جعفر بن جرير - رحمه الله - [هو الإمام الطبري المفسر، وذكر ذلك في تفسيره ٣٦٤/١ - ٣٦٥]:

حدثنا القاسم، أخبرنا الحسين وهو: سنيد بن داود صاحب التفسير: - أخبرنا الفرج بن فصالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع، قال سافرت مع ابن عمر، فلما كان في آخر الليل، قال يا نافع انظر طلعت الحمراء؟.

قلت: لا، مرتين أو ثلاثاً. ثم قلت: قد طلعت.
قال: لا مَرَجاً بها ولا أهلاً. قلت: سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع. قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله - ﷺ - .

أو قال: قال لي رسول الله - ﷺ -: إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم، قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك، قال: فاخترأوا ملكين منكم، قال: فلم يألوا جهداً أن يختاروا، فاخترأوا هاروت وماروت.
وهذان أيضاً غريبان جداً.

وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبدالله بن عمر، عن كعب الأحبار، لا عن النبي - ﷺ - ، كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار... [فذكره نحوه] أ هـ.

ثم ذكر إسناداً آخر عن موسى بن عقبة عن سالم، أنه سمع عبدالله، يحدث عن كعب الأحبار فذكره.

ثم قال: «فهذا أصح وأثبت ألى عبدالله بن عمر، من الإسنادين المتقدمين، وسالم أثبت في أبيه من مولا نافع.

فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل، والله أعلم» أ هـ.
والزُّهرة: هي الكوكب المعروف، وفي الحديث الذي ذكره المصنف أنها تمثلت لهاروت وماروت امرأة من أحسن البشر، لكن الحديث ضعيف كما تقدم. لكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤٠/١:

«وأقرب ما ورد في ذلك، ما قال ابن أبي حاتم، أخبرنا عصام بن رواد، أخبرنا آدم، أخبرنا أبو جعفر حدثنا الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ... فذكر القصة =

= بمعناها، وفيه:

وفي ذلك الزمان امرأة حُسِنَتْها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب..

ثم قال: وقد رواه الحاكم في مستدركه مطولاً: عن أبي زكريا العنبري. عن محمد بن عبد السلام، عن إسحاق بن راهويه، عن حكام بن سلم الرازي - وكان ثقة - ، عن أبي جعفر الرازي به: ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة والله أعلم» أهـ.

قلت: قول الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. غير مسلم به، فهذا إسناد ضعيف فيه:

١ - أبي جعفر الرازي: مشهور بكنيته، واسمه: عيسى بن أبي عيسى، وأصله من مرو، صدوق سيء الحفظ، كما في التقريب ٤٠٦/٢.

٢ - الربيع بن أنس: صدوق له أوهام، كما في التقريب ٢٤٣/١.

فأنتي للحديث الصحة، والله تعالى أعلم.

قلت: وملخص ما سبق، هو ما قاله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٤٣/١. حيث قال عن

هاروت وماروت: «وقد ورد في قصتهما وما كان من أمرهما، آثار كثيرة غالبها إسرائيلية.

وروى الإمام أحمد حديثاً مرفوعاً عن ابن عمر، وصححه ابن حبان في تفاسيمه، وفي صحته عندي نظر، والأشبه أنه موقوف على عبدالله بن عمر ويكون مما تلقاه عن كعب الأحبار... .

وفيه: أنه تمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر.

وعن علي وابن عباس وابن عمر - أيضاً - : أن الزهرة كانت امرأة، وأنهما لما طلبا منها ما ذُكر، أبت

إلا أن يعلمها الاسم الأعظم فعلمهاها، فقالت، فارتفعت إلى السماء، فصارت كوكباً.

وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس، قال: وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن

الزهرة في سائر الكواكب. وهذا اللفظ أحسن ما ورد في شأن الزهرة.

ثم قيل: كان أمرهما وقصتهما في زمان إدريس، وقيل: في زمان سليمان بن داود - كما سيأتي.

وبالجملة فهو خبر إسرائيلي مرجعه إلى كعب الأحبار، كما رواه عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري،

عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار بالقصة.

وهذا أصح إسناداً، وأثبت رجالاً، والله أعلم» أهـ.

ولكن يعكر على هذا ما قاله الحافظ ابن حجر في القول المسدّد ص ٤٨: «وله طرق كثيرة جمعتها

في جزء مفرد يكاد الواقف عليه أن يقطع بوقوع هذه القصة لكثرة الطرق الواردة فيها، وقوة مخارج

أكثرها، والله أعلم» أهـ.

وأنت ترى في قول الحافظ: يكاد الواقف... إلخ أنه لم يقطع بصحتها، على الرغم من كثرة طرقها

وجودة أكثرها كما ذكر، وهذا يوحي بشكّه في ذلك، والله أعلم.

ونم أحصن على هذا الكتاب ليتسنى لي الإضطلاع عليه، ولكن - والله أعلم - أن كثرة الطرق وقوتها

إنما هي راجعة للموقوف من أقوال بعض الصحابة وغيرهم، وليس للمرفوع.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٣٩/١ - ١٤١ الكثير منها.

وإن ثبت ما ذهبنا إليه من قصد ابن حجر، فيرجع بنا الحال إلى ما ذكره ابن كثير من أن من روى هذا،

الحديث إنما تلقى ذلك عن كعب الأحبار، وهو نقلها عن كتب بني إسرائيل.

والله تعالى أعلم.

بندار، أنا أبو عليّ بن دوما، أنا أبو عليّ الباقَرْحي^(١)، أنا الحسن بن علويّه، أنا إسماعيل، أنا إسحاق بن بشر، عن جوير، عن الضحّاك، عن مكحول، عن معاذ^(٢)، قال:

= وقد ذكر عبد الله محمد الصديق في تعليقه على المقاصد الحسنة ص ٤٥٥ قول الحافظ ابن حجر، ثم قال: «وأظن السيوطي في الجبّاك، وفي الدر المنثور في ذكر طرقها، حتى زاد عدة طرق على ما أورده الحافظ».

ولكنها مع ذلك قصة شاذة تخالف القرآن وقواعد العلم، ويبان ذلك في كتابنا قصص القرآن أ هـ. وأنظر المقاصد الحسنة ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

(١) الباقَرْحي: بفتح الباء والقاف، وسكون الراء، وفي آخرها الحاء المهملة.

هذه النسبة إلى باقَرْح، وهي قرية من نواحي بغداد.

كذا في الباب في تهذيب الأنساب ١١٢/١.

(٢) هذا إسناد ضعيف جداً عن معاذ، هذا إن لم يكن موضوعاً، فيه:

١ - إسحاق بن بشر، أبو حذيفة البخاري صاحب كتاب (المبتدأ)، قال الذهبي عنه في ميزان الاعتدال ١٨٤/١: «تركوه، وكذّبه عليّ بن المديني». وقال ابن حبان: لا يحلّ حديثه إلا على جهة التعجب، وقال الدارقطني: كذاب متروك.

قلت: - أي الذهبي - : يروي العظامم عن ابن إسحاق وابن جريج والثوري.

قال إسحاق الكوسج: قدّم علينا أبو حذيفة فكان يحدث عن ابن طاووس وكبار من التابعين ممّن مات قبل حُميد الطويل، فقلنا له: كتبت عن حُميد الطويل؟ ففزع، وقال: جئتم تسخرون بي؟! جدّي لم يرَ حميداً. فقلنا له: فأنت تروي عن من مات قبل حُميد! فعلمنا ضَعْفَهُ، وأنه لا يدري ما يقول أ هـ. وقال - أيضاً - في المغني في الضعفاء ٦٩/١: «مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال ابن المديني: كذاب» أ هـ.

وأنظر الضعفاء الكبير للعقيلي ١٠٠/١. ولسان الميزان ٣٥٤/١ - ٣٥٥.

٢ - جوير، وهو ابن سعيد الأزدي، أبو القاسم البلخي، ويقال اسمه جابر، وجوير لقب.

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٢٣/٢ - ١٢٤: «قال عمرو بن علي: ما كان يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عنه، وكذا قال أبو موسى». وقال أبو طالب، عن أحمد: ما كان عن الضحّاك فهو أيسر، وما كان يُسند عن النبي - ﷺ - فهو منكر».

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: كان وكيع إذا أتى على حديث جوير، قال: سفيان، عن رجل، لا يسمّيه، استضعافاً له.

وقال الدوري وغيره عن ابن معين: ليس شيء.

... وقال عبد الله بن علي بن المديني سألت - يعني أباه - عن جوير، فضعّفه جداً قال: وسمعت أبي يقول: جوير أكثر على الضحّاك، روى عنه أشياء منكر.

.. وقال النسائي، وعلي بن الجنيّد والدارقطني: متروك. وقال النسائي في موضع آخر: ليس بثقة.

وقال ابن عدي: والضعف على حديثه وروايته بيّن.

وقال أبو قدامة السرخسي: قال يحيى القطان: تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث ثم ذكر الضحّاك وجويراً، ومحمد بن السائب، وقال: هؤلاء لا يحمل حديثهم، ويكتب التفسير عنهم.

لَمَّا أَنْ أَفَاقَا جَاءَهُمَا جَبْرَيْلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُمَا يَبْكِيَانِ ،
فَبَكَى مَعَهُمَا ، وَقَالَ لَهُمَا : مَا هَذِهِ الْبَلَاءَةُ الَّتِي أُجْحَفَ بِكُمَا^(١) بِلَاؤُهَا وَشَقَاؤُهَا ؟ .
فَبَكَيَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمَا : إِنَّ رَبُّكُمَا يَخِيرُكُمَا بَيْنَ :

عَذَابِ الدُّنْيَا ، وَأَنْ تَكُونَا عَنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ فِي مَشِيئَتِهِ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمَا ، وَإِنْ شَاءَ
رَحِمَكُمَا .

وَإِنْ شِئْتُمَا عَذَابِ الْآخِرَةِ .

فَعَلِمَا أَنَّ الدُّنْيَا مَنْقُطَةٌ ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ دَائِمَةٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ بَعْبَادَهُ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ . فَاخْتَارَا
عَذَابِ الدُّنْيَا ، وَأَنْ يَكُونَا فِي الْمَشِيئَةِ عِنْدَ اللَّهِ .

قَالَ : فَهُمَا بِبَابِلَ فَارَسَ مَعْلُقَيْنِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فِي غَارٍ تَحْتَ الْأَرْضِ ، يُعَذَّبَانِ كُلُّ يَوْمٍ
طَرَفِي النَّهَارِ إِلَى الصُّبْحَةِ .

وَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ خَفَقَتْ بِأَجْنَحَتِهَا فِي الْبَيْتِ ، ثُمَّ قَالُوا : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَوْلَدِ
آدَمَ ، عَجَبًا كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيَطِيعُونَهُ عَلَى مَا لَهُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ ! .
وَقَالَ الْكَلْبِيُّ^(٢) : فَاسْتَغْفَرَتِ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ لَوْلَدِ آدَمَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ :

وقال أحمد بن سيار المرزوي : جوير بن سعيد كان من أهل بلخ ، وهو صاحب الضحاك ، وله رواية
ومعرفة بأيام الناس ، وحاله حسن في التفسير ، وهولين في الرواية .
وقال ابن حبان : يروي عن الضحاك أشياء مقلوبة .

وقال الحاكم أبو أحمد : ذاهب الحديث .

وقال الحاكم أبو عبد الله : أنا أقرأ إلى الله من عهده^(٣) أ هـ .

وقال الحافظ ابن حجر في التقريب ١/١٣٦ : «ضعيف جداً» أ هـ .

وأُنظر تهذيب الكمال ٥/١٦٧ - ١٧١ .

٣ - وإسماعيل - الراوي عن إسحاق بن بشر - هو ابن عيسى البغدادي العطار ، مختلف فيه ، قال
الذهبي في الميزان ١/٢٤٥ : «ضعفه الأزدي ، وصححه غيره ، وهو الذي يروي (المبتدأ) عن أبي
حذيفة البخاري .

وثقه الخطيب : ومات سنة ٢٣٢ هـ » أ هـ .

وقال ابن حجر في لسان الميزان ١/٤٢٦ : «وذكره ابن حبان في الثقات» .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي وأباً زرعاً يقولان : «كتبتنا عنه» أ هـ .

(١) أُجْحَفَ بِكُمَا ، أَي : ذَهَبَ بِكُمَا وَاسْتَأْصَلَكُمَا .

وقال في مختار الصحاح ص ٢٨٦ : «أجحف به : ذهب به» أ هـ .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٥٢ : «أجحف بهم الدهر ، واجتَحَفَهُمْ : استأصلهم» أ هـ .

(٢) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي ، صاحب التفسير ، كوفي ، صاحب بدعة ،
متهم بالكذب ، ورُمي بالرفض .

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

وروي عن ابن عباس، أَنَّ الله - تعالى - قال للملائكة: انتخبوا ثلاثة من أفاضلكم. فانتخبوا عزراً، وعزراييل، وعزوريا. فكانوا إذا هبطوا إلى الأرض كانوا في حدّ بني آدم وطبائعهم. فلما رأى ذلك عزرا وعرف الفتنة، علم أن لا طاقة له، فاستغفر ربّه - عزّ وجلّ - واستقاله، فأقاله.

فروي أنّه لم يرفع رأسه بعدُ حيّاءً من الله تعالى^(٢).

= ومما قاله العلماء فيه:

قول أبي حاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه، هو ذاهب الحديث، لا يشتغل به. وقال النسائي: ليس بثقة، ولا يُكتب حديثه.

وقال عليّ بن الجنيد، والحاكم أبو أحمد والدراقطني: متروك.

وقال الجوزجاني: كذاب ساقط.

وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، روى عن أبي صالح التفسير، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، لا يحلّ الإحتجاج به.

وقال الساجي: متروك الحديث، وكان ضعيفاً جداً لفرطه في التشيع، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع.

أنظر تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ - ١٨١، والتقريب ١٦٣/٢، واللباب في تهذيب الأنساب ١٠٤/٣ - ١٠٥.

(١) سورة الشورى آية رقم ٥.

وقصة استغفار الملائكة لولد آدم ذكرها الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤٠/١. ضمن ذكره لقصة هاروت وماروت عن ابن عباس، حيث جاء فيها بعد الخطيئة - وبين أهل السماء. فنظرت الملائكة إلى ما وقعاً فيه، فمجبوا كل العجب، وعرفوا أنّه من كان في غيب فهو أقلّ خشية، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض، فنزل في ذلك ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

وعزاه للحاكم، من طريق أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس به، ثم ذكر قول الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت: بل إسناده ضعيف، فيه أبو جعفر الرازي صدوق، سيء الحفظ، كما في تقريب التهذيب ٤٠٦/١ والربيع بن أنس؛ صدوق وله أوهام، كما في التقريب ٢٤٣/١.

وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

المقصود هنا المؤمنين فقط، وليس كل من في الأرض ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ رَحْمَةٍ وَعِلْمًا﴾. أنظر تفسير ابن كثير ١٠٦/٤.

(٢) روى هذه القصة الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤٠/١ من طريق ابن أبي حاتم، عن أبيه، بإسناده عن

ابن عباس أنّ أهل سماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فرأوهم يعملون المعاصي، فقالوا: يا رب أهل الأرض كانوا يعملون بالمعاصي فقال الله: أنتم معي وهم في غيب عني. فقيل لهم: اختاروا=

قال الربيع بن أنس^(١): لما ذهب عن هاروت وماروت السكر عَرَفَا ما وقعا فيه من الخطيئة وندما، وأرادا أن يَضْعِدا إلى السَّمَاء، فلم يستطيعا، ولم يُؤْذَن لهما. فبكيا بكاءً طويلاً، وضاقا ذَرْعاً بامرهما.

ثم أتيا إدريس - عليه السلام -^(٢) وقالوا له: أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا سَمِعْنَا بِكَ تُذَكِّرُ بِخَيْرِ فِي السَّمَاءِ. فدعا لهما، فاستَجِيبَ لَهُ، وَخَيْرًا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَرُوي أَنَّ الْمَلَأَكَةَ، لما قالوا لله تبارك وتعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٣)، طافوا حول العرش أربعة آلاف عام، يَتَعَذَّرُونَ إِلَى اللَّهِ - عز وجل - من اعتراضهم^(٤).

منكم ثلاثة. فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض، على أن يحكموا بين أهل الأرض، وجعل فيهم شهوة الأدميين، فأبشروا أن لا يشربوا خمراً، ولا يقتلوا نفساً، ولا يزناوا، ولا يسجدوا للوثن.

فاستقال منهم واحد، فأقيل.

فأُخْبِرَ إثنان إلى الأرض فأتتهما امرأة من أحسن الناس. . . القصة.

ثم قال الحافظ ابن كثير: «وهذا السياق فيه زيادة كثيرة، وإغراب، ونكارة، والله أعلم بالصواب» أ هـ.

(١) هو الربيع بن أنس البكري، أو الحنفي بصري، نزل خراسان، صدوق له أوهام، رُوي بالتشيع، من صغار التابعين مات سنة مائة وأربعين. أو قبلها التقريب ٢٤٣/١.

(٢) هكذا ذكره الربيع بن أنس أنه إدريس - عليه السلام.

وجاء في رواية ابن عباس - التي فيها: اختاروا ثلاثة منكم. . . وقد تقدمت - : وأما هما - أي: هاروت وماروت - فأرسل إليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. . . فهنا ذكر بأنه سليمان - عليه السلام - .

وجاء في رواية مجاهد عن ابن عمر كما في تفسير ابن كثير ١٣٩/١: «وفي الأرض نبي يدعو بين الجمعيتين: فإذا كان يوم الجمعة أجيب، فقالا: لو أتينا فلاناً فسألناه، فطلب لنا التوبة، فأتياه، قال: رحمكما الله كيف يطلب التوبة أهل الأرض لأهل السماء، قالوا: إنا قد ابتلينا. . .»

وجاء في رواية عن مجاهد - ابن كثير ١٤١/١ - : «فاستغاثا برجل من بني آدم، فأتياه فقالا ادع لنا ربك، فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالوا: سمعنا ربك يذكر بك بخير في السماء. . .» فهنا ذكر دون تسمية.

والله تعالى أعلم بالصواب.

(٣) سورة البقرة، آية رقم / ٣٠.

(٤) لم أجد من ذكر هذه القصة، لكن المصنف - رحمه الله - أشار إلى تضعيفها، حيث صدر الكلام بقوله: رُوي - بصيغة المجهول - ، وتصدر الكلام بصيغة المجهول يفيد التضعيف كما هو مقرر عند علماء الحديث.

= قلت؛ وقد ورد عن هاروت وماروت غير ما تقدّم، وأنهما أنزِلَاً ليحكمَا في الأرض، بالعدل، بعدما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم، ثم حدث معهما ما حدث. أنظر القصّة بتمامها في تفسير ابن كثير ١٤١/١.

قلت: وملخص ما تقدّم - وقد سبقت الإشارة إلى ذلك - أن قصة هاروت وماروت رُويت عن جماعة من التابعين، وقصّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين. وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق - عليه السلام - أنظر تفسير ابن كثير ١٤١.

ذكر التوابين من الانبياء عليهم السلام

٢ - تَوْبَةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (*)

أخبرنا أبو الفضل مسعود بن عبيد الله بن النادر، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن

(*) ذكر المصنف في هذا الباب قصة آدم - عليه السلام - وأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها.

وهذه القصة، قد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في ثلاثة مواضع، وسأذكرها هنا حتى يظهر للقارىء ما جاء به القرآن جلياً، وما أخبر به، حتى نؤمن بما جاء فيه، وكما أخبر الله تعالى، من غير زيادة ولا نقصان.

قال تعالى في سورة البقرة الآيات (٣٥ - ٣٧): ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف، الآيات (١٩ - ٢٣):

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمَنْ نَاصِحٌ. فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ، قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقال تعالى في سورة طه: الآيات (١١٥ - ١٢٢):

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَفسِي وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزْمًا، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى، فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى، إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى، فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى. فَأَكَلَا مِنْهَا، فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾.

قلت: فنحن نؤمن بما جاء في كتاب الله تعالى من غير زيادة ولا نقصان، ونؤمن بما جاء به =

= النبي - ﷺ - بما صحَّ عنه، ولا حاجة بنا إلى سوى ذلك من الروايات والقصص المأخوذة عن بني إسرائيل.

وذكر المصنف هنا قصة آدم - عليه السلام - وأكله هو وزوجه من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها. قلت: وقد اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافاً كبيراً - ليس في ثبوتها، فهي ثابتة بإخبار الله عز وجل ذلك - ، لكن كان مثار الخلاف حول أكل آدم وزوجه من الشجرة، وقد نهاهما الله تعالى عن الأكل منها، مع عصمة آدم من اقتراف الذنوب، وأن وقوع ذلك منه مخالف للعصمة. وأجابوا عن ذلك بأجوبة كثيرة، سأذكرها موجزة مع بيان الرأي الصواب منها إن شاء الله تعالى.

١ - فقال بعضهم: إن ذلك وقع قبل النبوة، وإليه ذهب ابن فورك، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾. فذكر أن الإجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وإذا كان هذا قبل النبوة فجائز عليهم - أي الأنبياء - الذنوب وجهاً واحداً - أي على رأي من يقول بأن الأنبياء غير معصومين قبل النبوة - .

واعترض على هذا بأنه وقع بعد صدور الأمر والنهي إليه، وقد ذكر الله تعالى في كتابه أنه خاطبه بلا واسطة وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه، وأحل له وحرّم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو معنى النبوة.

وأما قوله تعالى ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ﴾ أي: اصطفاه. وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها. ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فقبل توبته، ﴿وَهَدَى﴾ أي: وهداه إلى الثبات على التوبة والتشبت بأسباب العصمة.

٢ - وقال البعض أنه تأوّل فيما فعل، إذ فهم أن الأمر والنهي ليسا جارمين: فظن أن الأمر أمر إرشاد، ولا إثم بتركه، أو تأوّل النهي للتنزيه وليس للتحريم.

واعترض بأن الله تعالى عندما نهاهما عن الشجرة قال لهما: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، والظلم والنهي عنه لا يكون من جهة الذنب، بل من جهة الوجوب، والنهي للتحريم.

٣ - أنه تأوّل فيما فعل: فظن أن المراد العين، وكان المراد الجنس. أي أنه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهد أخطأ فيه، فإنه ظن أن النهي لعين الشجرة فتناول من غيرها من نوعها.

وهذا منقوض بقوله عز وجل في سورة الأعراف: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾. ثم قال على لسان إبليس: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾. فقد أشار إليها وعرفها.

٤ - أن ما حصل منه هو ترك الأولى. واعترض بأنه كيف يكون عمله تركاً للأولى، وقد زجره الله عن ذلك، ونهيه بأنه يكون من الظالمين إذا أقدم عليه.

٥ - إن المعصية منه كانت في الجنة، والعصمة تكون في الدنيا. واعترض بأن هذه دعوى تحتاج إلى دليل. وأنه كان نبياً، والنبي معصوم قبل النبوة وبعدها عن الكباثر، فكيف يتميّز؟!.

٦ - أن يكون ذلك منه على سبيل النسيان - أي أكلها ناسياً - ، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

ولكن لما كان الأنبياء - عليهم السلام - يلزمهم من التحفظ والتيقظ والحذر لكثرة معارفهم، وعلو منازلهم، وعظم قدرهم، ولعله - والله تعالى أعلم - وإن حطّ عن الأمة العتاب في حالة النسيان لم يحطه عن الأنبياء. كما قال - ﷺ - : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل.

=

الحسين، أنا أبو بكر محمد بن عليّ الخياط، أنا أبو عبد الله بن دُوست، ثنا الحسين بن صفوان، ثنا ابن أبي الدنيا^(١)، ثنا يعقوب بن إسحاق بن دينار، ثنا محمد بن معاذ العنبري^(٢)، عن ابن السَّمَاك قال: حَدَّثَنِي عمر بن ذَرّ عن مجاهد:

إِنَّ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامَ - لَمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، تَسَاقَطَ عَنْهُ جَمِيعُ زِينَةِ الْجَنَّةِ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ مِنْ زِينَتِهَا إِلَّا التَّاجُ وَالْإِكْلِيلُ. وَجَعَلَ لَا يَسْتَرُ بِشَيْءٍ مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ إِلَّا سَقَطَ عَنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَى حَوَاءَ بَاكِياً، وَقَالَ: اسْتَعِذِّي لِلخُرُوجِ مِنْ جِوَارِ اللَّهِ، هَذَا أَوَّلُ شَوْمِ الْمَعْصِيَةِ. قَالَتْ: يَا آدَمُ! مَا ظَنَنْتُ أَنْ أَحَدًا يَخْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا، - وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ قَاسَمَهُمَا عَلَى الشَّجَرَةِ -، وَآدَمُ فِي الْجَنَّةِ هَارِبًا اسْتَحْيَاءً مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شَجَرَةٌ بَعْضُ

= ولما كان النبي كأحد الناس، وكان التَّنبُّ والحدَرُ - كما قلنا - في مخالفة الله لازماً، فإذا نسي عدُّ ذلك خطيئة في حقه، وإن كان غير خطيئة في حق غيره. ولقد أحسن الجنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقال القرطبي: وهذا هو الصحيح. وقاله البيضاوي - أيضاً - ويكفي أن الله تعالى أورد في كتابه الكريم، فنكون - بحمد الله - قد فسرنا القرآن بالقرآن. والله تعالى أعلم. وهنا يطرح سؤال، وهو: كيف يجوز لنبي نهاه الله - عزَّ وجلَّ - وحذره أن يكون من الظالمين أن ينسى.

نقول - بعون الله تعالى - : بأن إبليس قد شدد الإغراء؛ وكان قد عرف نقاط الضعف التي يدخل فيها على المؤمن، أو على أي إنسان - منها حب الخلود، وحبُّ الملك - وشيئاً آخر، هو كما قال الله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمَنِ النَّاصِحِينَ﴾. فغَرَّهما باليمين. قاله ابن عباس.

وكان يظن آدم أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً، فغَرَّهما بوسوسته وقسمه لهما. وقال قتادة: حلف بالله لهما حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله. وكان بعض العلماء يقول: من خادعنا بالله خدعنا. والله تعالى أعلم وأحكم. نفلاً - وبتصرّف كبير - عن رسالة: (النبوة والعصمة) لشيخنا المفضل، الشيخ فواز أحمد زمرلي حفظه الله تعالى، ويسر الله طبعها.

وأنظر كتاب (عصمة الأنبياء) للرازي ص ٢٦ - ٣٢، و(النبوة والأنبياء) لمحمد علي الصابوني ص ٦٥ - ٦٨.

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، الأموي مولا هم. البغدادي، معروف: بابن أبي الدنيا، محدث حافظ، صاحب تصانيف، أدب غير واحد من أولاد الخلفاء، توفي ببغداد سنة مائتين واحد وثمانين، وله ثلاث وسبعون سنة.

أنظر تاريخ بغداد ١٠/٨٩ - ٩١، والفهرست لابن النديم ١/١٨٥، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٧/١٥٥ وتهذيب التهذيب ٦/١٢ - ١٣، وتقريب التهذيب ١/٤٤٧، ومعجم المؤلفين ٦/١٣١.

(٢) العنبري: بفتح العين، وسكون النون، وفتح الباء الموحدة، وفي آخرها راء. هذه النسبة إلى العنبر بن عمرو بن معجم، ويقال لهم بلعنبر أيضاً، وينسب إليها كثير الناس. كذا في اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٣٦٠.

أغصانها، فظنَّ آدم أنه قد عُوْجِلَ بالعقوبة، فنكس رأسه يقول: العَفْو! العَفْو. فقال الله - عزَّ وجلَّ - : يا آدم! أفراراً مني؟ قال: بل حياة منك سيدي^(١).

فأوحى الله إلى المَلَكَيْن: أن أخرجاً آدم وحواء من جوارِي، فإنهما قد عصيانِي. فترع جبريل - عليه السَّلام - النَّاج عن رأسه، وحلَّ ميكائيل - عليه السَّلام - الإكليل عن جَبِينِهِ.

فلَمَّا هَبَطَ من ملكوت القُدُس إلى دار الجوع والمَسْغَبَةِ^(٢)، بكى على خطيئته مائة سنة، قد رَمَى برأسه على ركبتيه حتى نبتت الأرض عشباً وأشجاراً من دموعه، حتى نَقَعَ الدَّمْع في نُقْر الجَلَامِيدِ^(٣) وأَقْعَيْتِهَا.

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون، أنا أبو علي بن شاذان، أنا أبو علي عيسى بن محمد الطُّومَارِي^(٤)، أنبأ محمد بن أحمد بن البراء، أنبأ عبد المنعم بن إدريس، أنبأ أبي، عن وَهْب بن مُنْبَه^(٥):

(١) أنظر كتاب (الزهد) للإمام أحمد ص ٦٣ وتفسير ابن كثير ٨٠/١، والبداية والنهاية له ٧٢/١ - ٧٣.
(٢) المسغبة: المجاعة، والسَّغْب: الجوع، تقول: به سَغَبٌ ومَسْغَبَةٌ، وسَغَابَةٌ، أي: جوع مع تعب، أنظر مختار الصحاح ص ٢٧، وأساس البلاغة ص ٢١١.
ومنه قوله تعالى في سورة البلد آية رقم ١٤: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة:
(٣) النقع، هو: القبار، وهو أيضاً: ما اجتمع في البشر في الماء. يقال: استنقع الماء في الغدير: اجتمع وثبت، مختار الصحاح ص ٢٠٩.
في نُقْر الجَلَامِيدِ:

نقر الشيء: ثقبه بالمنقار، والنقرة: حفرة صغيرة في الأرض. مختار الصحاح ص ١٨٥.
والجَلَامِيد جمع جلمود، وهو الصخر. مختار الصحاح ص ٩٢ والمعنى أنه بكى حتى اجتمع الدمع في ثُقُب الصخر وإقْعَيْتِهَا.

(٤) قال في اللباب ٢٨٩/٢: «الطُّومَارِي: بضم الطاء وسكون الواو، وفتح الميم، وبعد الألف راء. هذه النسبة إلى الطومار، وهو لقب رجل. واشتهر بها أبو علي عيسى بن محمد بن أحمد. . الطوماري البغدادي، - قلت: وهو الراوي هنا - ، وإنما لقب بذلك لأنه اشتهر بصحبة أبي الفضل بن طومار الهاشمي.

... وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة اثنتين وستين ومائتين، ومات في المحرم، أو صفر، سنة ستين وثلاثمائة، ولم يكن ثقة، كان مخلطاً في رواياته» أ هـ.

(٥) هو أبو عبد الله الصنعاني، عالم أهل المين، ولد سنة أربع وثلاثين، روى عن أبي هريرة يسيراً، وعن عبد الله بن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله وغيرهم.

أن آدم - عليه السلام - لبث في السُّخْطَةِ سبعة أيام: ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطْلَعَهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، وَهُوَ مُنْكَسٌ مُحْزُونٌ كَظِيمٍ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ! مَا هَذَا الْجَهْدُ الَّذِي أَرَاكَ فِيهِ الْيَوْمَ، وَمَا هَذِهِ الْبَلِيَّةُ الَّتِي قَدْ أَجْحَفَ بِكَ بِلاؤها وشقاؤها^(١)!

قال آدم: عَظُمَتْ مُصِيبَتِي يَا إِلَهِي، وَأَحَاطَتْ بِي خَطِيبَتِي، وَخَرَجْتَ مِنْ مَلَكُوتِ رَبِّي، فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ الْهَوَانِ بَعْدَ الْكِرَامَةِ، وَفِي دَارِ الشَّقَاوَةِ بَعْدَ السَّعَادَةِ، وَفِي دَارِ الْعَنَاءِ وَالنَّصَبِ بَعْدَ الْخَفْضِ وَالِدَّعَةِ، وَفِي دَارِ الْبَلَاءِ بَعْدَ الْعَافِيَةِ، وَفِي دَارِ الظُّغْنِ وَالزُّوَالِ بَعْدَ الْقَرَارِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، وَفِي دَارِ الْفَنَاءِ بَعْدَ الْخُلْدِ وَالْبَقَاءِ، وَفِي دَارِ الْغُرُورِ بَعْدَ الْأَمْنِ. إِلَهِي! فَكَيْفَ لَا أَبْكِي عَلَى خَطِيبَتِي، أَمْ كَيْفَ لَا تَحْزَنُنِي نَفْسِي، أَمْ كَيْفَ لِي أَنْ أُجْتَبَرَ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ وَالْمُصِيبَةُ يَا إِلَهِي؟.

قال الله تعالى له: أَلَمْ أَصْطَفِكَ لِنَفْسِي، وَأَحْلَلْتُكَ دَارِي، وَأَصْطَفَيْتُكَ عَلَى خَلْقِي، وَخَصَّصْتُكَ بِكَرَامَتِي، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّتِي، وَحَذَرْتُكَ سَخَطِي؟ أَلَمْ أَبْأَشِرْكَ بِيَدِي، وَأَنْفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِي، وَأَسْجِدَ لَكَ مَلَائِكَتِي؟ أَلَمْ تَكُ جَارِي فِي بَحْبُوحَةِ جَنَّتِي، تَتَبَوَّأُ حَيْثُ تَشَاءُ مِنْ كِرَامَتِي؟ فَعَصَيْتُ أَمْرِي، وَنَسِيتُ عَهْدِي، وَضَيَّعْتُ وَصِيَّتِي؟ فَكَيْفَ تَسْتَنْكِرُ نَقْمَتِي، فَوْعَزْتَنِي وَجَلَالِي لَوْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ رِجَالًا كُلَّهُمْ مِثْلَكَ: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٢) ثُمَّ عَصَوْنِي لِأَنْزَلْتَهُمْ مَنَازِلَ الْعَاصِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَحِمْتُ ضَعْفَكَ، وَأَقْلَلْتُكَ عَشْرَتَكَ، وَقَبِلْتُ تَوْبَتَكَ، وَسَمِعْتُ تَضَرَّعَكَ، وَغَفَرْتُ ذَنْبَكَ. فَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَعَمِلْتُ السَّوْءَ، فَتُبَّ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. فَقَالَهَا آدَمُ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَعَمِلْتُ السَّوْءَ، فَاعْفُ رَحْمَةً لِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. فَقَالَهَا آدَمُ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ رَبُّهُ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي،

= وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، فإنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ، وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام.

وكان ثقة واسع العلم، يُنظر بكعب الأخبار في زمانه.

قال العجلي: كان ثقة تابعياً على قضاء صنعاء.

وعن وهب قال: يقولون: عبدالله بن سلام أعلم أهل زمانه، وكعب أعلم أهل زمانه، أفرأيت من جمع علمهما؟ يعني نفسه.

أنظر تذكرة الحفاظ ١٠٠/١ - ١٠١.

(١) أي ذهب بك، واستأصلك بلاؤها وشقاؤها.

(٢) سورة الأنبياء، آية رقم ٢٠.

وعملت السوء، فارحمني إنك أرحم الراحمين^(١).

قال: وكان آدم قد اشتد بكأوه وحُزنه لما كان من عظم المصيبة، حتى إن كانت الملائكة لتحزن لحزنه، وتبكي لبكائه. فبكى على الجنة مائتي سنة، فبعث الله إليه بخيمة من خيام الجنة، فوضعها له في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة^(٢).

٣ - توبة نوح عليه السلام^(٣)

أخبرنا أبو الحسن علي بن عساكر، أنا عبد القادر بن محمد، أخبرنا الحسن بن

(١) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ٨١/١، وفي البداية والنهاية ٧٥/١ نحو هذا الدعاء عن ابن أبي نجيج، عن مجاهد.

وابن أبي نجيج، اسمه: عبدالله، وهو ثقة، رمي بالقدر، أكثر عن مجاهد، وكان يدلّس عنه، وصفه بذلك النسائي، أنظر تقريب التهذيب ٤٥٦/١، وطبقات المدلسين ص ٩٠.

(٢) لا تخلو هذه القصة وسابقتها، وكل ما سيذكره المصنف من قصص الأنبياء من زيادات ومبالغات، وقد تقدّم ذكر قصة آدم - عليه السلام - كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، فنحن نؤمن بما جاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا حاجة بنا إلى روايات أهل الكتاب وقصصهم.

وأنظر مقدمتي على هذا الكتاب، فقد ذكرت فيها حكم رواية الإسرائيليات.

(٣) ذكر المصنف هنا توبة نوح - عليه السلام - من سؤاله الله تعالى في ابنه وأنه من أهله وهذه القصة كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز.

في سورة هود، الآيات (٤٠ - ٤٧)، هكذا، قال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا: أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، وَأَهْلِكَ إِلَّا مِنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ، وَمَنْ آمَنَ، بِمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ.﴾

وقال: اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إني ربي لغفور رحيم. وهي تجري بهم في موج كالجبال، ونادى نوح ابنه، وكان في معزل: يا بُنَيَّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، قال: سأوي إلى جبل يعصمني من الماء، قل: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رَجِمَ، وخال بينهما الموج فكان من المُغْرَقِينَ.

وقيل: يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، وغِيضَ الماء، وقُضِيَ الأمر، واستوت على الجودي. وقيل: بُعِدَ للقوم الظالمين.

ونادى نوح ربه، فقال ربّ إني ابني وإني وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال: يا نوح إنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح، فلا تسألني ما ليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين، قال: ربّ إني أعوذ بك أن أسألك، ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين.

وقال تعالى في سورة المؤمنون، آية رقم (٢٨): ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا، فإِذَا =

علي، أنا أبو بكر القطيعي، ثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الرزاق، ثنا وهيب بن
الورد، قال:

لما عاتب الله تعالى نوحاً في ابنه، فأنزل عليه: ﴿إِنِّي أُعْظِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْجَاهِلِينَ﴾^(١)، قال: فبكى ثلاثمائة عام، حتى صار تحت عينيه مثل الجداول من
البكاء^(٢).

= جاء أمرنا وفار التنور، فأسلك فيها من كل زوجين اثنين، وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم، ولا
تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون.

والشبهة الواقعة هنا والتي منها تاب عليه السلام، هي: كيف جازله - عليه السلام - أن يسأل نجاة
ابنه - الكافر - والله تعالى قال له: ﴿وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾، ثم قال تعالى
مؤبناً: ﴿لَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فسؤاله معصية؟! إذا
كانت الهاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، عائدة للسؤال، أي: إن سؤالك عمل غير
صالح.

والجواب على ذلك من وجهين:

١ - قال أبو محمد بن حزم: وهذا لا حجة فيه، لأن نوحاً - عليه السلام - تأول وعذ الله تعالى أن
يخلصه وأهله، فظن أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة، وهذا لو فعله أحد كان ماجوراً، ولم يسأل
نوح تخلص من أبين أنه ليس من أهله، فتفرع على ذلك نهى أن يكون من الجاهلين، فندم عليه
السلام وفرع، وليس ههنا عمد للمعصية البتة.

٢ - قال القرطبي: قال علماؤنا: وإنما سأل نوح ربّه ابنه لقوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾، وترك قوله: ﴿إِلَّا مِنْ
سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، فلما كان عنده من أهله قال: ﴿رَبِّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، يدل على ذلك قوله:
﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا تكن ممن لست منهم، لأنه كان عنده مؤمناً في ظنه، ولم يك نوح
يقول لربه: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ إلا وذلك عنده كذلك، إذ مُحال أن يسأل هلاك الكفار، ثم يسأل
في إنجاء بعضهم، أو أن يسأل نجاة الكافر الظالم بعد نهى الله تعالى: ﴿وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ
ظَلَمُوا﴾، وكان ابنه يُسر الكفر ويظهر الإيمان، فأخبر الله تعالى نوحاً بما هو منفرد به من علم
الغيوب، أي: علمت من حال ابنك ما لم تعلمه أنت.

وقال الحسن: كان منافقاً، ولذلك استحل نوح أن يناده.

والله تعالى أعلم.

نقلًا - وبصرف - عن رسالة (النوبة والعصمة) للشيخ المفضل: فواز أحمد زمرلي حفظه الله تعالى،
ويسر الله طبعها.

وانظر (عصمة الأنبياء) للرازي ص ٣٧ - ٤٢.

(١) سورة هود، آية رقم ٤٦.

(٢) هذا الأثر رواه الإمام أحمد في الزهد ص ٦٦، قلت: وهذا إسناد صحيح عن وهيب بن الورد.

وهيب بن الورد: ثقة عابد، وهو من تابع التابعين انظر التريب ٣٣٩/٢. فلعله أخذ الحديث عن
الحسن أو غيره ممن يروي عن أهل الكتاب، والله تعالى أعلم.

٤ - تَوْبَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (*)

أخبرنا أحمد بن المبارك، أنا جدِّي ثابت، أنا أبو عليّ بن دوما، أنا مخلد بن

(*) ذكر المصنف هنا توبة موسى - عليه السلام - في طلبه رؤية الله تعالى .

وهذه القصة كما أخبر بها الله تعالى في سورة الأعراف، آية رقم (١٤٣) هكذا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قَالَ: لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: سُبْحَانَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وقد تأوّل الزمخشريّ طلب موسى - عليه السلام - الرؤية بوجهين:

١ - أنه إنما سأل ذلك تبكيّاً لمن خرج معه من بني إسرائيل الذين طلبوا لرؤية، فقالوا: أَرِنَا الله جهرة، فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع .

٢ - أن معنى ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً .

قال القرطبي: «وعند المبتدعة: سأل لأجل القوم، ليبين لهم أنها غير جائزة . . وهذا لا يقتضي التوبة، أ هـ .

والبعض ذكر كلام الزمخشري بشكل آخر، فقالوا: إن موسى كان عالماً بأن الله لا يُرى، ولكن طلب قومه أن يريهم ربّه، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿لَنْ تَوْمَنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ . فطلب الرؤية ليبين الله تعالى لهم أنه ليس بمرئي .

وهذا باطل، إذ لو كان كما زعموا لقال موسى: أَرِهِمْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ، ثم يقول له: لن يروني .

- وأما التأويل الثاني للزمخشري في طلب الرؤية، بأن المقصود عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً .

فهذا أضعف وأبعد، فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له تعالى: ﴿انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ . . الآية﴾ .

والصواب - والله تعالى أعلم - أن موسى - عليه السلام - في لقائه في الموعد المحدد، وفي كلام الله إياه، لم يكتفِ بأن يكلمه الله تعالى، بل أراد أن يستكثر من الخير، كعادة الإنسان الذي لا يقف عن طلب المزيد من النعم، إذا أعطي بعضاً منها فسأل ربه في أن يظهر عليه بجلاله، وأن يمكنه من أن يراه رؤية بصرية .

فموسى - عليه السلام - في خُضْمٍ تلقّيه كلام الله تعالى، وتشوق روحه واستشراقها، ينسى من هو، وينسى ما هو ويطلب ما لا يكون لبشر في هذه الأرض، وما لا يطيقه بشر في هذه الأرض . . يطلب الرؤية .

ولم يدر موسى - عليه السلام - : أنه تجاوز بهذا السؤال الحدود التي يجب أن يبقى فيها مع الله تعالى جل في علاه، فليس هو مع إنسان مثله، إنما هو مع موجود متفوق في وجوده وكماله . . هو مع ربّه، ربّ العالمين سبحانه وتعالى . ومهما قرّبه ربه إليه فسيظل الفرق قائماً بين طبيعة الإنسان المقرب، وخصائص الإله المعبود الأعلى .

ولذا كان ردّ المولى سبحانه على سؤال موسى هو النفي المؤكّد بقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ . ثم قال:

﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ . . الآية﴾ . فحدث مع موسى ما حدث - كما ذكر الله تعالى - إلى أن أفاق

فقال: ﴿سُبْحَانَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

قيل: ثبت عن تجاوزي للمدى في سؤالك .

جعفر، أنا الحسن بن عَلَوِيَّة، أنا إسماعيل بن عيسى، أنا إسحاق بن بشر، أنا أبو إلياس،
عن وَهْب بن مُنْبِه^(١)، قال:

لما سمع موسى - عليه السلام - كلام ربّه - عزّ وجلّ - طَمِعَ في رؤيته، فقال: ﴿رَبِّ
أُرْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قال لن تراني لكنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾^(٢).

قال محمد بن إسحاق^(٣): حَدَّثَنِي بعض من لا أَتَّهِمُ قال: قال الله تعالى: يا ابن
عمران! إنه لا يراني أحدٌ فحيّا. قال موسى: رب لا شريك لك، إني أن أراك وأموت
أحبّ إليّ من أن لا أراك وأحيا، ربّ أَتَمِّمْ عَلَيَّ نِعْمَاكَ وَفَضْلَكَ وإِحْسَانَكَ بهذا الذي
أَسْأَلُكَ، وأموت على أثر ذلك.

قال: وأخبرنا جُوَيْرِ، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس^(٤)، قال: لما رأى الله - الرَّحِيمُ
بخلقه - من جِرْصِ موسى على أن يعطيه سؤله، قال: انطلق فانظر الحَجَرَ الذي في رأس
الجبل، فاجلس عليه، فَإِنِّي مهبط عليك جندي، ففعل موسى.

فلما استوى عليه، عرض الله تعالى عليه جنود سبع سماوات، فأمر ملائكة سماء

= وقيل: عن مسألة الرؤية في الدنيا، قاله مجاهد.

وقيل: سأل من غير استئذان، فلذلك تاب

وقيل: على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له وعند ظهور الآيات.

وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. قال ابن كثير في تفسيره ٢/٢٤٥: «أي أنه لا يراك أحد، وكذا قال أبو
العالية، قد كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم
القيامة.

وهذا قول حسنٌ له اتجاهه أ هـ.

والله تعالى أعلم.

نقلًا - بتصرف - عن رسالة: (النبوة والعصمة) للشيخ فواز أحمد زمرلي حفظه الله تعالى.

وأنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٤٤ - ٢٤٥، والبداية والنهاية له ١/٢٦٤ - ٢٦٦ للأهمية.

(١) هذا إسناد ضعيف جداً عن وَهْب فيه: إسحاق بن بشر، أبو حذيفة البخاري، صاحب كتاب المبتدأ،
قال عنه الذهبي في المغني ١/٦٩: «مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال ابن المديني:
كذاب» أ هـ. وقد تقدمت ترجمة إضافية له أول الكتاب.

(٢) سورة الأعراف، آية رقم ١٤٣.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير ٢/٢٤٥: «وقد ذكر محمد بن جرير - أي الطبري - في تفسيره
ههنا - أي: في تفسير هذه الآية: ربّ أُرْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ... - أثراً طويلاً فيه غرائب وعجائب عن
محمد بن إسحاق بن يسار، وكأنه تلقاه من الإسرائيليات، والله أعلم» أ هـ.

(٤) هذا إسناد ضعيف جداً عن ابن عباس، وفيه: جويسر، وهو ابن سعيد الأزدي، نزل الكوفة، راوي
التفسير، ضعيف جداً، كذا في التقريب ١/١٣٦، وقد تقدمت ترجمة ضافية له أول الكتاب.

الدنيا أن يعرضوا عليه. فمروا بموسى - عليه السلام - ولهم أصوات مرتفعة بالتسبيح والتهليل كصوت الرعد الشديد ثم أمر ملائكة السماء الثانية أن يعرضوا عليه ففعلوا، فمروا به على ألوان شتى، ذوو وجوه وأجنحة، منهم ألوان الأسد، رافعي أصواتهم بالتسبيح. ففرع موسى منهم، وقال: أي رب! إني ندمت على مسألتي، رب! هل أنت منجي من مكاني الذي أنا فيه؟

قال له رأس الملائكة: يا موسى، اصبر على ما سألت، فقليل من كثير ما رأيت. ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى، فأقبل ما لا يحصى عددهم على ألوان شتى، ألوانهم كلهب النار، لهم بالتسبيح والتهليل رَجَلٌ^(١). فاشتد فرع موسى - عليه السلام -، وساء ظنه، ويثس من الحياة.

فقال له رأس الملائكة: يا ابن عمران، اصبر حتى ترى ما لا تصبر عليه. ثم أوحى الله تعالى إلى ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا إلى موسى بالتسبيح، فهبطوا، ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج، لهم أصوات عالية بالتسبيح والتقديس، لا تشبه أصوات الذين مروا به.

فقال له رأس الملائكة: يا موسى، اصبر على ما سألت. فكَذلك أهل كل سماء إلى السماء السابعة ينزلون إليه بألوان مختلفة، وأبدان مختلفة، وأقبلت ملائكة يَخْطَفُ نورهم الأبصار ومعهم جَرَاب، الحَرَبَةُ: كالنخلة الطويلة العظيمة، كأنها نار، أشدَّ ضوءاً من الشَّمْس. وموسى - عليه السلام - يبكي رافعاً صوته، يقول: يا رب، اذكرني ولا تنسني أنا عبدك، ما أظن أن أنجو ممّا أنا فيه، إن خرجت احترقت، وإن مكثت متّ.

قال له رأس الملائكة: قد أوشتك أن تَمْتَلِئَ خوفاً وينخلع قلبك، هذا الذي جلست لتنظر إليه.

قال: ونزل جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومن في سبع سماوات، وحملة العرش والكرسي، وأقبلوا عليه، يقولون: يا خاطيء ابن الخاطيء، ما الذي رفاك إلى ها هنا! وكيف اجترأت أن تسأل ربك أن تنظر إليه؟ وموسى - عليه السلام - يبكي، وقد اصطكَّت ركبته^(٢)، وتخلّعت مفاصله.

(١) رَجَلٌ: بفتحين: الصوت، كذا في مختار الصحاح ص ٣٦٣، وانظر أساس البلاغة ص ١٨٩.
(٢) اصطكَّت ركبته، أي: ضربت أحدهما بالأخرى من شدة الخوف.

فلما رأى الله - عز وجل - ذلك من عبده، أراه قائمة عرشه، فتعلق فاطمأن قلبه.

فقال له إسرافيل: يا موسى! والله - إنا لنحن رؤساء الملائكة - لم نرفع أبصارنا نحو العرش منذ خُلِقْنَا خوفاً وُفَرَقاً^(١)، فما حملك أيها العبد الضَّعيف على هذا؟

فقال موسى: يا إسرافيل، - وقد اطمأن - أحببت أن أعرف من عظمة ربِّي ما عرفت.

ثم أوحى الله - عز وجل - للسموات: إني متجلِّ للجبل. فارتعدت السماوات والأرض والجبال والشمس والقمر والنجوم والسحاب والجنة والنار والملائكة والبحار، وخرُّوا كلهم سجداً، وموسى ينظر إلى الجبل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾^(٢) مَيِّتاً من نور رَبِّ العِزَّةِ جَلٍّ وعلا، فوقع عن الحجر، والقلب عليه، فصار عليه مثل القبة لثلا يحترق.

قال الحسن: فبعث الله تعالى جبريل - عليه السلام -، فقلب الحجر عن موسى وأقامه. فقام موسى - عليه السلام -، فقال: ﴿سُبْحَانَكَ! تَبَّتْ إِلَيْكَ﴾^(٣) مِمَّا سَأَلْتُ، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنا أوَّل من آمَن أنه لا يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَحَدٌ إلا مات، وقيل: أنا أوَّل من آمَن أنه لا يراك أَحَدٌ في الدنيا^(٤).

٥ - توبة داود عليه السَّلام^(*)

أخبرنا أحمد بن المبارك، قال: أنبأ ثابت، أنا أبو علي، أنا مَخْلَدٌ، أنا الحسن بن

(١) الفرق: الخوف، مختار الصحاح ص ٣٢٩.

(٢) سورة الأعراف، آية رقم ١٤٣.

(٣) سورة الأعراف، آية رقم ١٤٣.

(٤) أنظر تفسير ابن كثير ٢/٢٤٥. وقد تقدَّم الكلام على هذا فيما ذكرته في الكلام على توبة موسى - عليه السلام -.

(*) ذكر المصنف هنا، قصتان عن داود - عليه السلام -.

أما الأولى: فظاهرة البطلان، لا يجوز نسبتها إلى نبيٍّ أبداً، إذ فيها أنه أحبَّ امرأة، رجل، ثم سعى في قتله، ثم تزوجها بعد ذلك، وهذا مما لا يجوز نسبته لأحد المسلمين، فكيف لنبيٍّ؟! أما الثانية: فذكر فيها قصته - عليه السلام - مع الخصمين الذَّيْنِ تَسَوَّرَا عليه المحراب، وذكر فيها أن الخصمين ملكان وإنما أتوا لابتلائه وغير ذلك.

والقصة وكما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ذكرها المصنف. فلا حاجة إلى ذكرها هنا.

ويكفي أن نذكر قول الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية له ١٢/٢: «وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليّات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا أيرادها في كتابنا قصداً، إكتفاءً واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة في القرآن العظيم، والله يهدي من =

عليّ، أنا إسماعيل، أنا إسحاق، قال: وأنبأ الأوزاعي^(١)، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال:

كان داود - عليه السلام - قد قَسَمَ الدَّهْرَ على أربعة أقسام، فيوم لبني إسرائيل يُدَارِسُهُم العلم ويدارسونه، ويوم للمحارب، ويوم للقضاء، ويوم للنساء.

فبينا هو مع بني إسرائيل يدارسهم، إذ قال بعضهم: لا يأتي على ابن آدم يومٌ إلا يصيب فيه ذنباً.

فقال داود في نفسه: اليوم الذي أخلف فيه للمحارب تتنحى عني الخطيئة. فأوحى الله إليه: يا داود! خذ حَذْرَكَ حتى ترى بلاءك.

قال إسحاق: وأخبرنا ابن بشر، عن قتادة، عن الحسن^(٢)، قال: فبينا هو في محرابه مُنَكَّبٌ على الزُّبُور^(٣) يقرؤها، إذ دخل عليه طائر من الكُوءِ فوقع بين يديه، جسده من

= يشاء إلى صراط مستقيم» أ.هـ.

وسياي مزيد بيان لذلك ضمن تعليقنا على القصة.

(١) كذا في المطبوعة: أنا إسحاق، قال وأنبأ الأوزاعي - هكذا بالواو: وأنبأ - فلعل إسحاق كان يحدث،

فيقول: أنبا فلان كذا، وأنبا فلان كذا، وأنبأ الأوزاعي عن يحيى كذا.

أو كان يحدث عن الأوزاعي نفسه، فكان يقول: أنبا الأوزاعي عن فلان كذا، وأنبأ الأوزاعي عن فلان كذا، وأنبأ الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كذا.

والله تعالى أعلم.

والأوزاعي هو: عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو: فقيه، ثقة، جليل. مات سنة سبع وخمسين ومائة التقريب ٤٩٣/١.

(٢) قلت: هذا إسناد ضعيف جداً - متروك - عن رسول الله ﷺ - هذا إن لم يكن موضوعاً، فيه:

١ - إسحاق، وهو ابن بشر، قال عنه الذهبي في المغني ٦٩/١: «مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال: ابن المديني كذاب» أ.هـ.

وقد تقدّمت ترجمة ضافية له أول الكتاب، باب ذكر التّوابين من الملائكة.

٢ - الإنقطاع بين يحيى بن أبي كثير، وأبي هريرة، فإنه - أي يحيى - لم يدرك أبا هريرة.

قال أبو حاتم الرازي: يحيى بن أبي كثير لم يدرك أبا هريرة. وقال مرة أخرى: يحيى بن أبي كثير لم يدرك أحداً من أصحاب النبي - ﷺ -، إلا أنساً فإنه رآه رؤية، ولم يسمع منه.

أنظر المراسيل لابن أبي داود ص ٢٤٠ - ٢٤٤.

(٣) هذا إسناد ضعيف جداً - متروك - عن الحسن، فيه:

١ - إسحاق، وهو ابن بشر: مجمع على تركه، كما تقدّم.

٢ - ابن بشر، واسمه: محمد: قال عنه الحاكم أبو عبد الله: ليس بالقوي. ميزان الإعتدال ٤٩١/٣.

(٤) أي ملازمٌ للزُّبُور لا يفارقه يقرؤه، أنظر أساس البلاغة ص ٣٨٤.

والزُّبُور: هو الكتاب الذي أنزل على داود عليه السلام، قال تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٥٥): =

ذهب، وجناحاه من ديباج مُكَلَّل بالدرّ، ومنقاره زَبْرَجَد، وقوائمه فيروزج.

فوقع بين يديه، فنظر إليه، فحسب أنه من طير الجنة، فجعل يتعجب من حُسنه، وكان له ابن صغير - ، فقال: لو أخذتُ هذا فنظر إليه ابني. فأهوى إليه فتباعد منه، ويُطَمِّعه أحياناً من نفسه حتى تكاد تقع يده عليه، فتباعد منه أيضاً. فما زال كذلك يَدْنُو ويتباعد حتى قام من مجلسه وأطبق الزُّبور.

فطلبه^(١) فوق في الكوة، فطلبه في الكوة، فرمى بنفسه في بستان، فاطلع داود فإذا بامرأة تغتسل.

قال قتادة^(٢)، عن بلال بن حسان: فأخرج رأسه من الكوة، فإذا هو بامرأة تغتسل، فنظر إلى أَحْسَنَ خَلْقٍ الله. ونظرت المرأة وإذا وجه رجل، فنشرت شعرها فغَطَّت جسدها.

رجع إلى حديث الحسن قال: فزاده ذلك بها إعجاباً. فرجع إلى مكانه وفي نفسه منها ما في نفسه.

فبعث لينظر من هي؟ فرجع إليه الرسول فقال: هي تَشَايع ابنة حَنَانًا، وزوجها أوريا ابن صوراء - وهو في البلقاء، مع ابن أخت داود محاصرين قلعة - .

فكتب داود إلى ابن أخته كتاباً: إذا جاءك كتابي هذا فَمُرْ أوريا بن صوراء فليحمل التابوت وليتقدّم أمام الجيش، - وكان الذي يتقدّم لا يرجع حتى يُقْتَلَ أو يفتح الله عليه - .

فدعا صاحب الجيش أوريا فقرأ عليه الكتاب، فقال: سمعاً وطاعة، فحمل التابوت وسار أمام أصحابه فُقُتِل.

وكتب ابن أخت داود بذلك إلى داود.

فلما انقضت عدّة المرأة أرسل إليها داود فخطبها فترَوَّجها^(٣).

= ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾.

(١) أي: طلب الطير.

(٢) هو موصول بالإسناد السابق، أي عن إسحاق بن بشر، عن محمد بن بشر، عنه، وهذا إسناد ضعيف جداً كما تقدّم.

(٣) هذه القصة - وكما تقدم - ظاهرة البطلان، ويكفيها ردّاً لها، أنها لم تثبت من ناحية الإسناد، فهي كلها تعود إلى إسحاق بن بشر، وفيه من الكلام ما قد عرفت.

قال الإمام ابن الجوزي في زاد المسير ١١٥/١.

وما رُوي من أنه نظر إلى المرأة فهويها، وقَدِّم زوجها للقتل، فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء، لأن =

قال^(١): وأخبرنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: إن داود لما تزوج تشايح بنت حنانا، وكان يخلو للعبادة في المحراب، فبينما هو في الحراب، إذ سمع صوتاً عالياً، ثم تسوّر عليه رجلان حتى اقتحما عليه، فلما رآهما فرغ منهما قالا: ﴿لا تخف، خَصْمَانِ بَقِيَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني، اعتدى بعضنا على بعض فظلمه، ﴿فاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ يعني: لا تجر، ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾^(٢) - يعني إلى قصد السبيل.

فقال داود: قِصَا عَلَيَّ قِصَّتُكُمَا قَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً، وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ، فَقَالَ: أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ يعني: قهرني وظلمني، وأخذ نعجتي فضمها إلى نعاجه ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾^(٣) يعني: إذا تكلم كان أبلغ في المخاطبة مني، وإذا دعا كان أسرع إجابة مني، وإذا خرج كان، - يعني: أكثر تبعاً مني - .

فقال داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤْلِ نَعْجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾^(٤).

قال: فضحك المدعى عليه. فقال داود. تظلم وتضحك؟ ما أحوجك إلى قدوم يرض^(٥) منك هذه وهذه، يعني: جبهته وفاه.

قال الملك: بل أنت أحوج إلى ذلك منه، وارتفعاً.

وفي رواية قال: فتحولاً في صورتهم، وعرجاً وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه^(٦).

= الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها» أ.هـ.

وقال الرازي في (عصمة الأنبياء) ص ١٠٠: «إن الذي حكاه المفسرون عن داود، وهو انه عشق امرأة أوريا، فاحتال حتى قتل زوجها، لا يليق بالأنبياء، بل لو وصف به أفسق الملوك لكان منكرًا» أ.هـ. وقد تقدم قول الحافظ ابن كثير الذي ذكره في البداية والنهاية ١٢/٢ أنه «قد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليّات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة. .» أ.هـ.

(١) أي: إسحاق بن بشر، وهو متروك، كما تقدّم فالإسناد ضعيف جداً عن الحسن.

(٢) سورة ص، آية رقم /٢٢، وتمام هذه الآية، مع سابقتها - آية رقم /٢١ - : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفَى إِذْ تُسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ، قَالُوا: لَا تَخَفْ خَصْمَانِ.﴾ الآيات.

(٣) سورة ص، آية رقم /٢٣.

(٤) سورة ص، آية رقم /٢٤. وتمام هذه الآية مع ما بعدها - آية رقم /٢٥ - : ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَ رُفْقًا وَحُسْنَ مَآبٍ.﴾

(٥) أي: يكسر ويقطع منك هذه وهذه، أنظر مختار الصحاح ص ٢٣٤.

(٦) ممّا تقدم يظهر أن الخصمين هما ملكان. وقد ردّ الإمام ابن حزم هذا، فيما ذكره في كتابه الفصل . =

= فقال - رحمه الله - بعد أن ذكر الآيات: وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزؤون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولأدائها اليهود - وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نص الآية.

ومن قال أنهم كانوا ملائكة مُعرَّضين بأمر النساء.

- (قلت: هناك قصة أخرى غير التي ذكرها المصنف من زواج داود بزوجة أوريا، وهي باختصار؛ أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبت، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها. فاتفقت أن وقعت عين داود عليه السلام على امرأة رجل فأعجبت، فسأله النزول عنها، ففعل، وتزوجها داود عليه السلام وكان لداود عليه السلام تسع وتسعون زوجة غيرها فأنزله الله ملكاً بصورة رجلين يسألانه عن النعاج، بشكل تعريض لما حدث معه، أي: أن تسع وتسعون نعجة إشارة تسع وتسعون زوجة التي لداود عليه السلام، والنعجة الأخرى إشارة إلى زوجة الرجل الذي لم يكن عنده غيرها... وبالتالي فحكمه لصالح صاحب النعجة الواحدة، على صاحب النعاج التسع والتسعون، كان حكماً على نفسه بأنه قد ظلم الزوجة الواحدة.

فعلم داود عليه السلام، فخر راعياً وأتاب.

هذه هي القصة. وهي من الروايات الإسرائيلية التي لا يثبت فيها شيء عن النبي - ﷺ - وسيأتي نقضها من الإمام ابن حزم).

يعود الكلام إلى الإمام ابن حزم: ومن قال أنهم كانوا ملائكة مُعرَّضين، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب الله عز وجل، وقر على نفسه الخبيثة أنه كذب على الملائكة. لأن الله تعالى يقول: ﴿هل أتاك نيا الخصم...﴾، فقال هو: لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له أكفئنيها.

فأعجب لما يقيمون فيه أهل الباطل أنفسهم، ونعوذ بالله من الخذلان، ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردة.

ثم قال: وأما استغفاره وخروره ساجداً ومغفرة الله تعالى له، فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة، والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا نبي ولا من مذنّب ولا من غير مذنّب، فالنبي يستغفر الله لمذنب أهل الأرض والملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾.

ويحتمل أنه حصل منه على سبيل الإنقطاع إلى الله تعالى والخضوع والتذلل بالعبادة والسجود:

كما حكى الله سبحانه عن إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿فغفرنا له ذلك﴾، فالمعنى إننا قبلناه منه وأثبتناه عليه، فأخرجه على لفظ الجزاء.

وتابع ابن حزم فقال: وأما قوله تعالى عن داود - عليه السلام - : ﴿وظن داود أنما فتناه﴾، وقوله ﴿فغفرنا له ذلك﴾، فقد، ظن داود عليه السلام أن يكون ما أتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة.

- فقد كان يدعو رسول الله ﷺ في أن يثبت الله قلبه على دينه - فاستغفر الله تعالى في هذا الظن، =

وَعَلِمَ دَاوُدَ أَنَّهُ إِنَّمَا عُني بِهِ هُوَ. فَخَرَّ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ لَا
بَدَّ مِنْهَا، ثُمَّ يَعُودُ فَيَسْجُدُ، لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَهُوَ يَكِي حَتَّى نَبْتَ الْعُشْبِ حَوْلَ رَأْسِهِ،
وَهُوَ يَنَادِي رَبَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ^(١).

وكان يقول في سجوده: سبحان خالق النور الحائل بين القلوب، سبحان خالق
النور؛ إلهي خلّيت بيني وبين عدوّي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي، سبحان خالق
النور؛ إلهي لم أفارق الزُّبُور، ولم أتعظ بما وعظت به غيري. إلهي أمرتني أن أكون
لليّتم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزَّوج الرَّحيم، فنسيْتُ عهدك، سبحان خالق النور،
إلهي! بأيّ عين أنظر إليك يوم القيامة، وإِنَّمَا ينظر الظَّالِمون من طرف خفيّ، سبحان
خالق النور، إلهي! الوَيْلُ لداود من الذَّنْبِ العظيم الذي أصاب، سبحان خالق النور،
إلهي الويل لداود إذا كُشِفَ عنه الغطاء، فيقال: هذا داود الخاطيء سبحان خالق النور،
إلهي أنت المغيث وأنا المستغيث، فمن يدعوا المستغيث إلا المغيث؟ سبحان خالق
النور؛ إلهي إليك فَرَزْتُ بذنوبي، واعترفت بخطيئتي، فلا تجعلني من القَانِطِينَ، ولا
تُخزني يوم الدِّين - في مناجاة كثيرة.

قال: فاتاه نداء: أجاجع أنت فتطعم؟ أظمان أنت فتسقي؟ أمظلم أنت فتنصر؟ ولم
يجبه في ذكر خطيئته.

قال: فصاح صيحة هاج ما حوله، ثم نادى: يا ربّ! الذنب الذي أصبت؟
فَنُودِيَ: يا داود! ارفع رأسك فقد غفرتُ لك.

= فغفر الله تعالى له هذا الظن. إذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة أهد.
نقلًا عن رسالة (النوبة والعصمة) لشيخ المفضل، فَوَازَ أحمد زمري حفظه الله تعالى، وسر الله
طبعها.

وقال الحافظ بن كثير في تفسير ٣١/٤: «قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ أي: ما كان منه، مما يقال
فيه: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين» أهد.

وكان قد قال - رحمه الله تعالى - : «قد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم
يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب إتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده،
لأنه من رواية يزيد الرقاشي، عن أنس رضي الله عنه - ، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف
عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرَدَّ علمها إلى الله - عزَّ وجلَّ - فإن
القرآن حقّ، وما تضمن فهو حقّ أيضاً» أهد.

وقد تقدّم ذكر ما قاله - رحمه الله تعالى - في البداية والنهاية.

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣١/٤: «وقد ذكر - بصيغة المجهول - أنه استمر ساجداً أربعين
صباحاً» أهد.

وأنظر الزهد للإمام أحمد ص ٩٠ - ٩١.

قال^(١): وأخبرنا أبو إلياس، عن وهب بن مُنبّه. أن داود أتى قبر أوريا، فقام عنده وجعل التراب على رأسه، ثم نادى فقال: الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثم الويل لداود إذا نصبت الموازين، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود يوم يُقْتَصُّ للمظلوم من الظالم، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود يوم يُسْحَب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود!.

قال: فاتاه نداء من السماء: يا داود! قد غفرت لك ذنبك، ورحمت بكاءك، وأقلت عثرتك.

قال: يا رب! كيف تغفو عني وصاحبي لم يعف عني؟

قال: يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه، فأقول: رضي عبدي؟ فيقول: يا رب! من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول له: هذا عوض من عبدي داود، فأستوهبك منه، فيهبك لي.

قال: يا رب! الآن عرفت أنك قد غفرت لي^(٢).

(١) أي: إسحاق بن بشر، وهو: مجمع على تركه، فالإسناد ضعيف جداً عن وهب.

(٢) أنظر الزهد للإمام أحمد ص ٩٠ - ٩١.

ويكفي في هذه القصة أن نقرأ القرآن، ونردّ علمها إلى الله تعالى، إذ أن القرآن حقّ وما تضمنَ فهو حقّ، كما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره.

وقال - رحمه الله - في البداية والنهاية ١٢/٢. وكما تقدّم -: «وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيلية، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا إيرادها في كتابنا قصداً، إكتفاءً واقتصاداً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» أهـ.

[٦] توبة سليمان عليه السّلام*

قال إسحاق: وأخبرنا جُوَيْر، عن الضّحّاك، عن ابن عبّاس^(١)، قال: كان سليمان - عليه السّلام - رجلاً غَزَاءً، يغزو في البرّ والبحر، فسمع بملك في جزيرة من جزائر البحر، فركب سليمان الرّيح وجنوده من الجنّ والإنس، حتى نزل تلك الجزيرة، فقتل ملكها، وسبى من فيها، وأصاب جارية لم يرَ مثلها حُسناً وجمالاً، وكانت ابنة ذلك الملك، فاصطفّاها لنفسه. فكان يجد بها ما لا يجد بأحد، وكان يؤثّرهما على جميع نسائه.

فدخل عليها يوماً، فقالت: إني أذكر أبي وملكه، وما أصابه، فيحزنني ذلك، فإن رأيت أن تأمر بعض الشّياطين فيصوّرون لي صورة أبي في داري فأراه بُكْرَةً وَعَشِيّاً، رَجَوْتُ أن يذهب عني حزني، ويسلي عني بعض ما أجد في نفسي.

فأمر سليمان صَخْرًا المارد، فمثّل لها أباهما في هيئته في ناحية دارها، لا تنكر منه شيئاً، إلّا أنه لا روح فيه.

فعمدت إليه فزيّنته وألبسته حتى تركته في هيئة أبيها ولباسه. فإذا خرج سليمان - عليه السّلام - من دارها تغدو عليه كلّ غدوة مع جواريتها فتطّيبه، وتُسجّد له،

(*) ذكر المصنف هنا قصة سليمان عليه السّلام. مع إحدى زوجاته التي عبدت الأصنام في داره دون علمه، وذكر قصته كذلك مع صَخْر، ذلك المارد الذي أخذ منه الخاتم، فسلب بذلك سليمان مُلْكُهُ.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٦/٤: «وقد رويت هذه القصة مطوّلة عن جماعة من السلف - رضي الله عنهم - كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم، وجماعة أخرى، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب» أ.هـ.

وقال في البداية والنهاية ٢٤/٢: «ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات. وفي كثير منها نكارة شديدة...» أ.هـ.

وقال الرازي في (عصمة الأنبياء) ص ١١٨: «فأما الذي يذكره الأكثر من القصص من حديث الخاتم وأصف، فتلك الحكاية باطلة لم يدل على صحتها شيء، فلا يجوز الإلفات إليها» أ.هـ.

وقال النسفي في تفسيره ٤٢/٤٥: «وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان، وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السّلام - فمن أباطيل اليهود» أ.هـ.

(١) هذا إسناد ضعيف جداً عن ابن عباس، وفيه:

١ - إسحاق، هو: ابن بشر، أبو حذيفة البخاري، قال عنه في المغني ٦٩/١: «مُجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال ابن المديني: كذاب» أ.هـ.

٢ - جُوَيْر وهو: ابن سحيد الأزدي: راوي التفسير، ضعيف جداً، التقريب ١٣٦/١.

وقد تقدمت ترجمة صافية له وإسحاق أول هذا الكتاب، باب ذكر التوابين من الملائكة

وَتُسَجِّدُ جَوَارِيهَا، وَتَرُوحُ بِمِثْلِهِ، - وسليمان لا علم له بذلك - .

حتى أتى لذلك أربعون يوماً، وبلغ النَّاسُ، وبلغ آصف بن برخيا - وكان صديقاً له - ، فدخل عليه، فقال: يا نبيَّ الله! قد أحببت أن أقوم مقاماً أذكر فيه من مَضَى من أنبياء الله، وأُثني عليهم بعلمي فيهم.

قال: فجمع سليمان النَّاسَ، فقام فيهم فذكر من مَضَى من أنبياء الله، وأُثني على كلِّ نبيٍّ بما فيه، وذكر ما فضَّلهم الله به، حتى انتهى إلى سليمان، فذكر فضله وما أعطاه الله في حداثَةِ سنِّه وصِغَرِهِ ثُمَّ سَكَتَ. فامتلاً سليمان غيظاً. فلما دخل، أرسل إليه فاتاه. فقال: يا آصف! ذكرتَ من مَضَى من أنبياء الله، فأثَّنت عليهم بما كانوا عليه في زمانهم كلِّه، فلما ذكرتني جعلت تثني عليَّ بخير في صِغَرِي وسَكَتَ عما سوى ذلك من أمري في كِبَرِي، فما الذي أحدثت في كِبَرِي؟.

قال: أَحَدْتُ أَنْ غَيَّرَ اللهُ يُعْبَذُ في دارك منذ أربعين يوماً في هوى امرأة.
قال: في داري؟ قال: في دارك.

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عرفتُ، ما قلتَ هذا إلَّا عن شيء بَلَغَكَ. ثم رجع إلى داره، وكسر ذلك الصَّنَمَ، وعاقب تلك المرأة وولادها. ثم دعا بثياب الطُّهَر فلبسها، ثم خرج إلى فلاة من الأرض، ففرش له الرماد. ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى، فجلس على ذلك الرَّمَادِ يَتَمَعَّك فيه^(١) متذللاً متضرَّعاً، يبكي ويستغفر الله ويقول: يا ربِّ! ما هذا بلاؤك عند آل داود أن يعبدوا غيرك، وأن يقرَّوا في دارهم وأهلهم عبادة غيرك؟! فلم يزل كذلك حتى أمسى. ثم رجع.

وكانت له جارية سمَّاهَا: الأمانة. وكان إذا أتى الخلاء، أو أراد إثبات امرأة، وضع خاتمه عندها، وكان لا يمسه إلَّا وهو طاهر، وكان الله تعالى جعل ملكه في خاتمه.

قال وهب: فجاء يوماً يريد الوضوء، فدفع الخاتم إليها. وجاء صخر المارد، فسبق سليمان فدخل المتوضَّأ، فدخل سليمان لحاجته، وخرج الشيطان على صورة سليمان ينفض لحينه من الوضوء، لا تنكر من سليمان شيئاً. فقال: خاتمي يا أمانة! فناولته إياه. لا تحسب إلَّا أنه سليمان، فجعله في يده. ثم جاء حتَّى جلس على سرير سليمان. وعَكَفَ عليه^(٢) الطير والجن والإنس.

(١) يتَمَعَّك فيه، أي: يتمرغ فيه. مختار الصحاح ص ٣٤٢.

(٢) وعَكَفَ عليه، أي: أقبل عليه مواظباً، وبابه: دخل وجلس: قال الله تعالى: ﴿وَيَمَكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ﴾.

وخرج سليمان، فقال للأمانة: خاتمي، قالت: ومن أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود. - وقد تغيّر عن حاله، وذهب عنه بهاؤه. - قالت: كذبت، إنّ سليمان قد أخذ خاتمه، وهو جالس على سريريه في ملكه. فعرف سليمان أنّ خطيئته قد أدركته.

قال الحسن: فخرج سليمان هارباً مخافاً على نفسه. فمضى على وجهه بغير خذاء ولا قلنسوة، في قميص وإزار.

فمرّ بباب شارع على الطريق^(١)، - وقد جهده الجوع والعطش والحرّ - ، فأتى الباب فقرعه، فخرجت امرأة، فقالت: ما حاجتك؟ فقال: ضيافة ساعة، فقد ترين ما أصابني من الحرّ والرّمضاء^(٢)، قد احترقت رجلاي، وبلغ مجهودي من الجوع والعطش.

قالت المرأة: زوجي غائب، وليس يسعني أن أدخل رجلاً غريباً عليّ، فأدخل البستان، فإنّ فيه ماءً وثماراً، فأصّب من ثماره، وتبرّد فيه، فإذا جاء زوجي استأذنته في ضيافتك، فإن أذن لي فذاك، وإن أبى أصبت ما رزق الله ومضيت.

فدخل البستان فاغتسل، ووضع رأسه فنام، - فأذاه الذباب - ، فجاءت حيّة سوداء، فأخذت ريحانة من البستان بفيها، وجاءت سليمان، فجعلت تذبّ عنه الذباب^(٣)، حتّى جاء زوج المرأة، فقصّت عليه القصة، فدخل إلى سليمان، فلما رأى الحيّة وصنيعها، دعا امرأته فقال لها: تعالي فانظري إلى العجب! فنظرت، ثمّ مشيا إليه فأيقظاه، ثمّ قالا له: يا فتى! هذا منزلنا، لا يسعنا شيء يعجزك، وهذه ابنتي قد زوجتكها، - وكانت من أجمل نساء زمانها - ، فتزوجها، وأقام عندهم ثلاثاً، ثمّ قال: لا يسعني إلا طلب المعيشة لي ولأهلي.

فانطلق إلى الصيادين، فقال لهم: هل لكم في رجل يكون معكم يعينكم، وترضخون له^(٤) من صيدكم، وكلّ يأتيه الله برزقه؟.

= لهم.

مختار الصحاح ص ٣٠٢.

(١) أي: مفتوح على الطريق، أنظر مختار الصحاح ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) الرّمض: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره، والأرض رمضاء بوزن حمراء وقد رمض يوماً اشتدّ حرّه. - ورمضت قدمه أيضاً من الرّمضاء، أي: احترقت.

كذا في مختار الصحاح ص ٢٣٥.

(٣) تذبّ عنه الذباب، أي: تدفعه عنه.

(٤) ترضخون له، أي: تعطونه قليلاً. أنظر مختار الصحاح ص ٨٤.

فقالوا: قد انقطع عنا الصيد، وليس عندنا فضل نعطيكه.

فمضى إلى غيرهم، فقال لهم مثل هذه المقالة. فقالوا له: نعم، وكرامة^(١):
نواسيك بما عندنا.

فأقام عندهم يختلف كل ليلة إلى أهله بما أصاب من الصيد حتى أنكر الناس قضاء سليمان وفعاله. فلما رأى الخبيث أن الناس قد فطنوا له، انطلق بالخاتم فألقاه في البحر. قال الحسن: أمسك الخاتم أربعين يوماً. ورؤي أنه قعد على كرسي سليمان، فاجتمع له الجن والإنس والشياطين. ومثل كل شيء كان يملكه سليمان - عليه السلام -، إلا أنه لم يسلط على نسائه.

وخرج سليمان يسأل الناس ويتضيّفهم، ويقوم على باب الرجل والمرأة، ويقول: أظعموني فأني سليمان بن داود. فيطردونه، ويقولون له: ما يكفيك ما أنت فيه حتى تكذب على سليمان، وهذا سليمان على ملكه حتى أصابه الجهد واشتد عليه البلاء.

فلما تم عليه أربعون يوماً، قال آصف: يا معشر بني إسرائيل! هل رأيتم من خلاف حكم ابن داود ما رأيتم؟ قالوا: نعم فعمد عند ذلك الخبيث فألقى الخاتم في البحر.

فاستقبله جرّي^(٢) فابتلع الخاتم، فصار في جوفه مثل الحريق من نور الخاتم. فاستقبل جرّية^(٣) الماء، فوقع في شبك الصيادين الذين كان سليمان معهم. فلما أمسوا قسموا السمك، فأسقطوا الجرّي فجعلوه لسليمان. فذهب به إلى أهله، فأمرهم أن يصنعوه. فلما شقوا بطنه أضاء البيت نوراً من خاتمه. فدعت المرأة سليمان، فأرته الخاتم، فتختم به، وخرّ لله ساجداً، وقال: إلهي! لك الحمد على قدبم بلائك، وحسن صنيعك إلى آل داود. إلهي! أنت ابتدأتهم بالنعم، وأورثتهم الكتاب والحكم والنبوّة، فلك الحمد. إلهي! تجود بالكبير، وتلطف بالصغير، فلك الحمد؛ نعمائك ظهرت فلا تخفى، وبطنت^(٤) فلا تحصى، فلك الحمد. إلهي! لم تسلمني بذنوبي، فلك الحمد تغفر الذنوب، وتستجيب الدعاء، فلك الحمد إلهي! لم تسلمني بجريرتي، فلك الحمد

(١) أي: قالوا: نعم، وزيادة على ذلك كرامة، وهي نواسيك بما عندنا.

(٢) هو: ضرب من السمك.

(٣) في المطبوعة: جرّية الماء - بفتح الميم - وهو حوض. والنصب بجرية، بالكسر، قال الرازي في مختار الصحاح ص ٢٩٤.

ما أشد جرّية هذا الماء. بالكسر. أهـ

والمقصود وجهة الماء.

(٤) أي كثرة وعظمت فلا تحصى. أنظر معجم الصحاح ص ١١٢ - ١١٣.

ولم تخذلني بخطيئتي، فلك الحمد. إلهي فأتّم نعمتك عليّ، واغفر لي ما سَلَف، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فُتِنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾^(١).

وَرُوي عن عكرمة، أن سليمان، لما أصاب المُلك، أمر بحمل أهل ذلك البيت، فوضعهم في وسط المملكة، ولم يكن سليمان - عليه السلام - نال تلك المرأة حتى ردّ الله عليه ملكه^(٢).

(١) سورة ص، آية رقم ٣٤.

(٢) روى هذه القصة بنحوها ابن كثير في تنسيه ٣٤/٤ - ٣٦. من وجوه وطرق.

وقد تقدم ذكر أقوال العلماء في هذه القصة، وأن مآلها إلى بني إسرائيل، قال الحافظ ابن كثير ٣٥/٤: «وأرى هذه كلها من الإسرائيليات» أ هـ.

وهنا نذكر الردّ على بعض ما جاء في هذه القصة من الإفتراءات.

قال عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص الأنبياء) بعدما ذكر شيئاً من هذه القصص:

«هذه أقوال لم يرد بها قرآن، ولا نقل صحيح عن رسول الله - ﷺ - ولا تنطبق على عقل ولا على حكمة، فهي حرّية بالردّ، وقد ردّ عليها العلماء بوجوه:

الأول: إن الشيطان لو قدر على التشبه في الصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع، فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة محمد وموسى وعيسى - عليهم الصلاة والسلام - ما كانوا أولئك، بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة، لأجل إغواء الناس وإضلالهم. ولما كان ذلك باطلاً لأنه يؤدي إلى إبطال الدّين بالكلية كان ما أدّى إليه باطلاً بالكلية.

الثاني: لو قدر - الشيطان - على سليمان أن يعامله هذه المعاملة، لقدّر على مثلها من العلماء والزهاد، فيقتلهم، ويمزّق كتبهم ويمحوها، ويثبت فيها، شيئاً آخر، ولما كان المُشاهد خلاف ذلك، وإنه لم يقدر من أحد منهم على هذا، فوجب أن يكون سليمان ممن لا يقدر عليهم بالأولى.

الثالث: لو قلنا أن المرأة عبدت صورة أبيها، فلا يخلو الأمر إمّا أن يكون ذلك بأمر سليمان، وحينئذ يكون كافراً، وهذا محال.

ولما أن يكون بدون أمره وعلمه، وحينئذ لا جريرة صدرت منه، ولا عقاب عليه.

الرابع: يقولون أن الشيطان لما جلس على كرسي سليمان اجتمعت عليه الطير والإنس والجن. وقائل هذا في غفلة عمّا جاء في كتاب الله الكريم من أنّ تسخير الجن لسليمان إنما كان بعد الفتنة لا قبلها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فُتِنَّا سُلَيْمَانَ، وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ، قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ، وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾، أ هـ.

وقد ذكر المفسرون في تفسير آية توبته عليه السلام غير ذلك، ليس هنا موضع ذكرها. فليُنظر في التفاسير وغيرها من الكتب التي تكلمت على حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

[٧] تَوْبَةُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ*

قال إسحاق بن بشر: وأخبرنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن^(١) أن يونس - عليه السلام - كان مع نبي من أنبياء بني إسرائيل، فأوحى الله إليه أن أبعث يونس إلى أهل نينوى يحذّرهم عقوبيتي.

قال: فمضى يونس على كَرِهٍ منه، وكان رجلاً حديدًا شديد الغضب.

قال: فأتاهم فحذّرهم وأنذرهم، فكذبوه وردّوا عليه نصيحته، ورمّوه بالحجارة وأخرجوه، فانصرف عنهم.

فقال له نبيّ بني إسرائيل: إرجع إلى قومك. فرجع إليهم، فرمّوه بالحجارة وأخرجوه. فقال له النبي: إرجع إلى قومك، فرجع فكذبوه، وأوعدهم العذاب، فقالوا: كَذَبْتَ. فلما كَذَّبُوهُ وكفروا بالله وجحدوا كتابه، دعا عند ذلك ربّه على قومه، فقال: يا رب! إنّ قومي أبوا إلّا الكفر، فَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ نَقْمَتَكَ. فأوحى الله تعالى إليه: إِنِّي أَنْزِلُ بِقَوْمِكَ الْعَذَابَ.

قال^(٢): فخرج عنهم يونس، وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام. وأخرج أهله وانطلق، فَصَعِدَ جبلاً ينظر إلى أهل نينوى، ویتَرَقَّبُ العذاب.

(*) ذكر المصنف هنا قصة يونس - عليه السلام - في دعوته للقوم الذين أرسله الله إليهم، ثم دعائه عليهم، ثم سفره في السفينة والتقام الحوت له. . . وهذه القصة مما اتفق عليها المفسرون، وقد أوردها الحافظ ابن كثير في تفسيره من غير تعليق عليها، وتنقضي لها كالمواقف لها، لكن في قصة المصنف هنا الكثير الكثير من الزيادات والتوسعات ويكفيها ردّها عليها ضعف سندها كما سيأتي. وأنظر هذه القصة على الشكل الصحيح في تفسير الحافظ ابن كثير ١٩١/٣ - ١٩٣، و٢٠/٤ - ٢٢، والبداية والنهاية له ٢١٦/١ - ٢٢١.

وهذه القصة كما ذكرها الله تعالى في كتابه - سورة الأنبياء آية رقم (٨٧ - ٨٨) - : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾. وقال تعالى في سورة الصافات، آية رقم (١٣٩ - ١٤٧):

﴿وَإِنْ يُونُسَ لَمَنْ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ، فَالْتَقَمَهُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ، وَأَبْنَيْنَاهُ عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ الْقَبِّ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

(١) هذا إسناد ضعيف جداً عن الحسن، فيه إسحاق بن بشر: مجمع على تركه وبعضهم اتهمه بالكذب، كما سبق مراراً.

(٢) أي: الحسن.

فجاءهم العذاب وعاینوه، فتأبوا إلى الله تعالى، فكشف عنهم العذاب.
فلما رأى ذلك، جاءه إبليس، فقال: يا يونس! إنك إن رجعت إلى قومك آتَهُمْوَك
وكذبوك. فذهب مغاضباً لقومه.

فانطلق حتى أتى شاطئ دجلة، فركب سفينة، فلما توسطت به الماء، أوحى الله
إليها أن أركدي، فركدت السفينة، والسفن تمرّ يميناً وشمالاً. فقالوا: ما بال سفيتكم؟
فقالوا: لا ندرې. قال يونس: أنا أدري. قالوا: فما حالها؟ قال: فيها عبدٌ أبق من ربّه،
فلا تسير حتى تلقوه في الماء. قالوا: ومن هو؟ قال: أنا. وعرفوه. قالوا: أما أنت فليس
نُلقيك، والله ما نرجو النجاة منها إلا بك. قال: فاقترعوا، فمن قرع فألقوه في الماء.
قال: فاقترعوا، فقرعهم يونس. فأبوا أن يلقوه، قال: فاقترعوا الثانية، فقرعهم. فقال:
فاقترعوا الثالثة، فقرعهم. قال: القوني في الماء.

وفي رواية قال: يا قوم! اطرحوني في الماء وانجوا. فقام القوم، فاحتملوه شبه
المشفقين عليه. فقال: اتئوا بي صدر السفينة. ففعلوا، فلما أشرفوا ليلقوه، فإذا الحوت
فاتح فاه. فلما رأى ذلك، قال: يا قوم! ردوني إلى مؤخر السفينة. ففعلوا، فلما أشرفوا،
ذهبوا يطرحونه، فاستقبله الحوت فاتحاً فاه. فلما رأى جوفه وهولهُ، قال: يا قوم! ردوني
إلى وسط السفينة. ففعلوا، فاستقبله، فقال: ردوني إلى الجانب الآخر. فاستقبله فانجأ
فاه ليأخذه. فقال: اطرحوني وانجوا، فلا منجاً من الله. فطرحوه، والتقمه الحوت قبل أن
يلبغ الماء، وتَصَوَّب به^(١).

رجع الحديث إلى الحسن، قال: فانطلق به الحوت إلى مسكنه من البحر، ثم
انطلق به إلى قرار الأرض، فطاف به البحار أربعين يوماً. فسمع يونس تسبيح الحصى
وتسبيح الحيتان.

قال: فجعل يسبح ويهلل ويقدس؛ وكان يقول في دعائه: سيدي! في السماء
مسكنك، وفي الأرض قدرتك وعجائبك. سيدي! من الجبال أهبطتني، وفي البلاد
سيرتني، وفي الظلمات الثلاث حبستني. إلهي سجتني بسجن لم تسجن به أحداً قبلي.
إلهي! عاقبتني بعقوبة لم تعاقب بها أحداً قبلي. فلما كان تمام أربعين يوماً وأصابه الغم:
﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) قال: فسُمِّت

(١) الصُّوب، في الأصل: نزول المطر، كما في مختار الصحاح ص ٣٠، والمقصود هنا، نزل به إلى
قعر الماء.

(٢) سورة الأنبياء، آية رقم ٨٧.

الملائكة بكاءً وعرفوا صوته، وبكت الملائكة لبكاء يونس، وبكت السماء والأرض والحيتان.

فقال الجبار: يا ملائكتي! مالي أراكم تبكون؟ قالوا: ربنا! صوت ضعيف حزين نعرفه في مكان غريب. قال: ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر. فقالوا: يا رب! العبد الصالح الذي كان يصعد له في كل يوم وليلة العمل الصالح الكثير؟.

قال ابن عباس: قال الله تعالى: نعم. قال: فشفت له الملائكة والسموات والأرض. فبعث الله تعالى جبريل - عليه السلام - ، فقال: إنطلق إلى الحوت الذي حبست يونس في بطنه، فقل له: إن لي في عبدي حاجة، فانطلق به إلى الموضع الذي ابتلغته فيه فاقدفه به.

فانطلق جبريل إلى الحوت فأخبره. فانطلق الحوت بيونس، وهو يقول: يا رب! استأنست في البحر يستبيح عبدك، واستأنست به دواب البحر، وكنت أركى شيء به، وجعلت بطني له مصلى يقدسك فيه، فقدست به وما حولي من البحار. فتخرجه عني بعد أنس كان به؟

قال الله تعالى: إني أقلته عثرته، ورجمته، فألقيه.

قال: فجاء به إلى حيث أبتلعه ببلد على شاطئ دجلة. فدنا جبريل من الحوت وقرب فاه من فم الحوت، فقال: السلام عليك يا يونس، رب العزة يقرئك السلام. فقال يونس: مرحباً بصوت كنت خشيت أن لا أسمعه أبداً، مرحباً بصوت كنت أرجوه قريباً من سيدي.

ثم قال جبريل للحوت: إقذف يونس بإذن الله الرحمن، فقدفه مثل الفرخ الممعوط^(١) الذي ليس عليه ريش، فاحتضنه جبريل - عليه السلام - .

قال الحسن: فأنبث الله عليه شجرة من يقطين، وهو الدُّبَّاء^(٢)، فكان لها ظل واسع

(١) يقال: اسقط شعره. أي تساقط. أنظر مختار الصحاح ص ٢٥٢. والمقصود هنا - وكما في القصة - : قذفه مثل الفرخ الذي ليس عليه ريش.

(٢) الدُّبَّاء، هو: القرع، والقرع: حمل - أي: ثمر - اليقطين. أنظر مختار الصحاح ص ٢٧٤، وأساس البلاغة ص ١٢٥.

وقد فسر اليقطين بالدُّبَّاء الذي هو القرع غير واحد، قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢٢/١ عن قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقِطِينَ﴾. قال: «قال ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ووهب بن منبه، وهلال بن يساف، وعبدالله بن طاووس، والسدي، =

يستظل به، وأمرت أن تُرَضِعَهُ أَغْصَانَهَا، فكان يرضع منها كما يرضع الصَّبِيُّ .

وعن الحسن، قال: بعث الله إلى يونس وعِلاًَّ من وُغُول^(١) الجبل، يدرّ ضرعها لبناً، حتى جاءت إلى يونس، وهو مثل الفرخ، ثم رَبَضَتْ^(٢)، وجعلت تُذْيِها في يونس. فكان يمصّه كما يمصُّ الصَّبِيُّ، فإذا شبع انصُرَفَتْ. فكانت تختلف إليه حتى اشتدّ، ونبت عليه شعره خلقاً جديداً، ورجع إلى حاله قبل أن يقع في بطن الحوت.

فمرّت به مارة فكسوه كساء. فبينما هو ذات يوم نائم، إذ أوحى الله إلى الشمس أن احرقني شجرة يونس، فأحرقتها. فأصابَت الشَّمْسُ جلده فأحرقته، فقال: يا رب! نجّيتني من الظُّلمات، ورزقتني ظلَّ شجرة كنت أستظلُّ بها، فأحرقتها، أفتحرقني^(٣) يا رب؟ وبكى.

فأتاه جبريل - عليه السلام -، فقال: يا يونس! إنّ الله تعالى يقول: أنتَ زرعتها أم أنتَ أنبتها؟ قال: لا. قال: فبكاؤك حين تعلم أنّ الله قد أعطاكها، فكيف دعوت على مائة ألف وزيادة عشرين ألفاً أردت أن تهلكهم؟.

وقال ابن عباس: قال نه جبريل: أتبكي على شجرة أنبتها الله لك، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم في غداة واحدة؟! . فعند ذلك عرف يونس ذنبه، واستغفر ربّه فغفر له .

وعن الزهري، قال: لمّا قوي يونس، كان يخرج من الشَّجرة يميناً وشمالاً، فأتى

= وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني: وغير واحد: هو القرع.

ثم تابع الحافظ قوله، فقال: قال بعض العلماء: في إنبات القرع عليه حكم جمه، منها: إن ورقه في غاية النعومة، وكثير، وظليل، ولا يقربه ذباب، ويؤكل ثمره من أوّل طلوعه إلى آخره نيّاً ومطبوخاً، وبقره وبزره أيضاً، وفيه نفع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك» أ.هـ. وأنظر التفسير له - رحمه الله - ٢١/٤ - ٢٢.

(١) قال في مختار الصحاح ص ٣٩٢: «الْوَعْل - بكسر العين - : الأرويّ - قلت: وهو نوع من الحيوانات الثديية، أي: ذات الثدي، وجمعه: وُغُول وأوعال» أ.هـ. وأنظر مختار الصحاح أيضاً ص ٥١٠.

وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢١٩/١ نحو هذه القصة عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، حيث ذكر عنه أنه قال: طُرح بالعراء، وأنبت الله عليه اليقطيّة، قال شجرة الدّباء. قال أبو هريرة. وهيا الله له أروية وحشية تأكل من حشاش الأرض، أو قال: هشاش الأرض. قال: فتنفّس عليه، فثرويه من لبنها كل عشية وبكرة، حتى نَبَتَ.

ثم قال الحافظ بن كثير ٢٢٠/١: «وهذا غريب - أيضاً - من هذا الوجه...» أ.هـ.

(٢) أي: برّكت، أنظر مختار الصحاح ص ٢٣٤.

(٣) في المطبوعة: أفتحرمني، وهو خطأ، والمثبت هو الموافق لسياق الكلام، والله تعالى أعلم.

على رجل يصنع الجرار، فقال يونس: يا عبد الله ما عملك؟ قال: أصنع الجرار وأبيعها وأطلب فيها فضل الله. فأوحى الله إلى يونس: أن قل له يكسر جراره، فقال يونس ذلك له، فغضب الجرار، وقال: إنك رجل سوء تأمرني بالفساد، وتأمرني أن أكسر شيئاً صنعته، وعملت، ورجوت خيره.

فأوحى الله إلى يونس: ألا ترى إلى هذا الجرار كيف غَضِبَ حين أمرته بكسر ما صنع؟ وأنت تأمرني بهلاك قومك! فما الذي عليك أن يصلح من قومك مائة ألف أو يزيدون! قال الله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ يعني من المصلين من قبل أن تنزل البلية^(١)، ﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢)،

قال ابن عباس: من كان ذاكرًا لله في الرخاء. ذكره الله في الشدة واستجاب له، ومن يغفل عن الله في الرخاء وذكره في الشدة، لم يستجب له. وقال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣). فقال الله - عز وجل -: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤). يقول الله تعالى: كذلك نفعل بالصالحين، إذا وقعوا في الخطيئة، ثم تابوا إلينا، قبلت منهم.

قال ابن عباس: قال رسول الله - ﷺ -: «دعا أخى يونس بهذه الدعوة في الظلمات،

(١) قال الحافظ ابن كثير ٢١/٤ في تفسير الآية: «قيل: لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء، قاله الضحاك بن قيس، وأبو العالية، وهب بن منبه وقتادة وغير واحد، واختاره ابن جرير. وقد ورد في الحديث: ما يذل على ذلك إن صحَّ الخبر، وفي حديث ابن عباس: تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -، وسعيد بن جبير، وعطاء بن السائب، والسدي، وقتادة: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ يعني: المصلين.

وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك.

وقال بعضهم: كان من المصلين في جوف أبويه.

وقيل: المراد ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ هو قوله - عز وجل -: ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم، كذلك تنجي المؤمنين﴾، قاله سعيد بن جبير وغيره، أ هـ.

(٢) سورة الصافات، آية رقم ١٤٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية، رقم ٨٧.

(٤) سورة الأنبياء، آية رقم ٨٨.

فأنجاه الله . فلا يدعو بها مؤمن مكروب إلا كشف الله - عز وجل - ذلك عنه . إنها عدة من الله لا خُلف لها»^(١).

(١) رواه عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - مرفوعاً بلفظ: دعوة ذي النون إذا دعا، هو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ . فإنه لم يدعُ بها رجلٌ مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له .

الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٨٢)، حديث رقم (٣٥٠٥) ٥/٥٢٩ . واللفظ له .
والنسائي في كتاب (عمل اليوم والليلة)، باب ذكر دعوة ذي النون، حديث رقم (٦٥٦) ص ٤١٦ .
وأحمد في المسند ١/١٧٠ ضمن حديث طويل :
والحاكم في المستدرک ١/٥٥٥ و ٢/٣٨٣ .

قال الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/١٦٩ : «صحيح» أ.هـ .

ورواه عن سعيد بن أبي وقاص - أيضاً - مرفوعاً بلفظ: كنا جلوساً عند رسول الله - ﷺ - قال: ألا أخبركم أو أحدثكم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلاء الدنيا دعابه فُرَج عنه؟ فقليل له: بلى، قال: دعاء ذي النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .
النسائي في (عمل اليوم والليلة) . باب دعوة ذي النون، حديث رقم (٦٥٥) ص ٤١٥ . وإسناده ضعيف .

ورواه ابن السني أيضاً بهذا اللفظ في (عمل اليوم والليلة) له رقم (٣٤٥)، وإسناده ضعيف جداً، فيه عمرو بن الحُضَيْن: متروك، كما في التقريب ٢٠/٦٨ .

ذكر التوابين من ملوك الأمم الماضية

٨ - [توبة طالوت]

أخبرنا أحمد بن المبارك، أنا ثابت، أنا أبو علي بن دوما، أخبرنا مَخْلَد بن جعفر، أنا الحسن بن علويه، أنا إسماعيل بن عيسى، أنا إسحاق بن بشر، أنا أبو إلياس، عن وهب بن مُنَبِّه^(١): أن داود - عليه السلام - لَمَّا قَتَلَ جالوت، وانصرف طالوت بني إسرائيل مظفرًا، فزَوَّج ابنته من داود، وقاسمه نصف ملكه، واجتمعت بنو إسرائيل، وقالوا: نخلع طالوت ونجعل علينا داود، فإنه من آل يهوذا وهو أحق بالملك. فلَمَّا أَحَسَّ طالوت بذلك، وخاف على ملكه، أراد أن يقتل داود فيقتله.

فأشار عليه بعض وزرائه: إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ إِلَّا أَنْ تَسَاعِدَكَ ابْنَتُكَ. فدخل طالوت على ابنته، فقال لها: يَا بِنْتِي! إِنِّي أُرِيدُ أَمْرًا وَأَحَبُّ أَنْ تَسَاعِدِي عَلَى. قالت: وما ذاك؟ قال: أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ دَاوُدَ، فَإِنَّهُ قَدْ فَرَّقَ عَلَيَّ النَّاسَ.

فقالت: يَا أَبَتِ! إِنَّ دَاوُدَ لَهُ صَوْلَةٌ، شَدِيدُ الْغَضَبِ، فَلَسْتُ آمِنٌ عَلَيْكَ إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ

(١) هذا إسناد ضعيف جداً، عن وهب بن منبه، فيه: إسحاق بن بشر، قال عنه الذهبي في المعني ٦٩/١: «مجمع على تركه، وقداتهم بالكذب، وقال ابن المديني: كَذَابٌ» أ.هـ. وقد تقدمت ترجمة ضافية له أول هذا الكتاب، باب ذكر التوابين من الملائكة.

وذكر هذه القصة الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٢ - ٩. مختصرة، وعزاها لابن جرير في تاريخه، من طريق السدي بإسناده.

قلت: والسدي، واسمه محمد بن مروان: متهم بالكذب، كما في التقريب ٢٠٦/٢ فلا تقوم به حجة.

قلت: فعدم ثبوت إسناد هذه القصة يرد ما جاء فيها من غير تكلف. وهذا حَرِيٌّ بِهَا، إذ أن فيها إتهام لملك اختاره الله تعالى ليكون على رأس بني إسرائيل في قتال جالوت، بالحق والسعي في قتل نبي الله داود وغير ذلك.

ولهذا قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٩/٢: «... وفي بعض هذا نظر ونكارة، والله أعلم» أ.هـ.

وأنظر التفسير له ٣٠٣/١ حيث ذكر أول هذه القصة، وابتدأ كلامه - رحمه الله - بقوله: ذكروا في الإسرائيليات..

قتله أن يظفر بك فيقتلك، فإذا أنت قد لقيت الله قاتلاً لنفسك مستحلاً لداود، وعجبُ منك ومما أعرف من حلمك، وسَدَاد رأيك، كيف أسلمك إلى هذا الرأي القصير، وهذه الحيلة الضعيفة بالتقدم إلى داود، وأنت تعلم أنه أشدُّ أهل الأرض نفساً، وأبسلهم عند الموت؟! .

فقال طالوت: إني لا أسمع قول مفتونة بزواج، قد منعها حبها إياه أن تقبل من أبيها وتُنَاصِحَه، وأعلمي إني لم أدْعُك إلى ما دعوتك إليه إلا وقد وُطئت نفسي على قطع صهري^(١). إِمَّا أن أقتلك، وإِمَّا أن تقتليه .
قالت: فأَمْهَلْني حتى إذا وجدت فرصة أعلمتك .

قال^(٢): وأخبرنا جوير، عن الضحَّاك، عن ابن عباس، أنها انطلقت فأخذت زَقاً^(٣)، ثم ملأته خمرًا، ثم طَيَّبته بالمسك والعنبر وأنواع الطيب، ثم أَضْجَعَت الزَّقَ على سرير داود، ولَحَفْتَه بلحاف داود، وَأَفْشَتْ^(٤) إلى داود ذلك، وأدخلته المُوْخِدِغَ^(٥)، وأعلمت طالوت، وقالت: هلَمْ إلى داود فاقتله .

فجاء حتَّى دخل البيت ومعه السيف . ثم قالت: هو ذلك، فشأنك وشأنه . فوضع السيف على قلبه، ثم اتكأ عليه حتَّى أنفذه، فانتضح الخمر، ونفخ منه ريح المسك والطيب .

وقال: يا داود! ما أطيبك ميتاً، وكنت وأنت حي أطيب منك ميتاً، وكنت طاهراً نقيّاً .

وَنَدِمَ، فبَكَى، وأخذ السَّيْفَ فأهوى به إلى نفسه ليقتلها، فأحتضته ابنته، وقالت: يا أبتِ مالك؟ قد ظفرتَ بعدوكَ وقتلته، وأراحك الله منه، وصفا لك المُلْك . قال: يا بنية! قد علمتِ أَنَّ الحسد والغيرة حملاني على قتله، وصِرتُ من أهل النار، وإن بني

(١) في المطبوعة: على قطع صهره، وهو خطأ، والمقصود هنا: إلا وقد وُطئت نفسي على قتل داود صهري .

والصهر والصهورة، هو: حُرمة الزواج، وفلان صَهر فلان: لمن يتزوج إليه، وهم أصهار بني فلان: لأهل بيتٍ مَن تزوج إليهم، وقد يقال لأهل بيت الزوجين جميعاً . أنظر أساس البلاغة ص ٢٦٠ .

(٢) أي: إسحاق بن بشر، وهو مجمع على تركه، كما تقدم . وفي الإسناد أيضاً -: جوير، وهو: ابن سعيد: ضعيف جداً، كما في التقرير ١٣٦/١ .

فهذا إسناد لا يصح عن ابن عباس - رضي الله عنه .

(٣) الزَّق، هو: السَّقاء، وهو المعروف اليوم بالجرّة . أنظر مختار الصحاح ص ٣١٩ و ص ٥١٤ .

(٤) أي: أخبرته بالأمر .

(٥) المُوْخِدِغ: بضم الميم، وكسرهما: الخزانة . وأصله الضم إلا أنهم كسروه استقلاً .

إسرائيل لا يرضون بذلك، فأنا قاتل نفسي. قالت: يا أبت أفكان يسرك أن لم تكن قتلت؟ قال: نعم. قال: فأخرجت داود من البيت، فقالت: يا أبت! إنك لم تقتله، وهذا داود. قال: ونَدِم طالوت.

قال إسحاق^(١): وأخبرنا ابن سمعان، عن مكحول، قال: زعم أهل الكتاب أن طالوت طلب التوبة إلى الله تبارك وتعالى، وجعل يلتمس التَّصَلُّ من ذنوبه، وإنه أتى عجوزاً من عجائز بني إسرائيل كانت تحسن الإسم الذي به يدعى الله فيجيب. فقال لها: إني قد أخطأت خطيئة لا يخبرني عن كفارتها إلا إِلِيسَع^(٢)، فهل أنت منطلقة بي إلى قبره فتدعين الله - عز وجل - ليُغفِرَ حتى أسأله عن خطيئتي ما كفارتها؟ قالت: نعم. فانطلق بها حتى أتى قبره. قال: فصَلَّت ركعتين، ثم دعت الله - عز وجل -، فخرج إليه إِلِيسَع، فقال: يا طالوت! ما بلغت خطيئتك أن أخرجتني من مضجعي الذي أنا فيه؟!.

قال: يا نبي الله، ضاق عليّ أمري فلم يكن لي بدّ من مسألتك عنه. قال: فإنّ كفارة خطيئتك أن تحاهد بنفسك، وأهل بيتك، حتى لا يبقى منكم أحد. ثم رجع إِلِيسَع إلى مضجعه، وفعل ذلك طالوت حتى قُتِل هو وأهل بيته.

٩ - [توبة ابن ملك من ملوك بني اسرائيل]

أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن صابر السلمي، أنا أبو القاسم عليّ بن إبراهيم بن العباس الحسيني^(٣)، أنا أبو الحسن رشأ بن نظيف المقرئ، أنا أبو

(١) هو ابن بشر - المُجمع على تركه. كما تقدم.

(٢) كذا في رواية إسحاق بن بشر أنه إيسع، وكذا في رواية السدي، ورواية محمد بن إسحاق، كما في البداية والنهاية ٩/٢، لكن ذكر الثعلبي: أنها أتت به إلى قبر أشمويل، فعاتبه على ما صنع بعده من الأمور ذمّه في البداية والنهاية ٩/٢، ثم قال: «وهذا أنسب، ولعله إنما رآه في النوم لا أنه قام من القبر حيّاً. وقد هُدّ إما يكون معجزة لنبي، وتلك المرأة لم تكن نبيّة، والله أعلم» أ.هـ.

(٣) الحسيني. رفتح الحاء والسين المهملتين، وفي آخره نون.

وهذه النسبة إلى جليل وامرأة وقرية.

أما الرجال، فلهما: الحسن بن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهما -، ينسب إليه خلق كثير من العلويين.

والثاني: حمزة بن عيسى بن عبد الله بن الحسن بن أبي الحسن البصري، نُسب إلى جده الحسن البصري.

وأما المرأة، فهي: حسنة أم شرحبيل بن حسنة، وينسب إليها جماعة..

وأما القرية، فهي: حسنة، من أعمال البيضاء في بلاد فارس..

كذا في الباب في تهذيب الإساب ٣٦٦/١.

محمد الحسن بن إسماعيل الضَّرَاب^(١)، أنا أبو بكر أحمد بن مروان المالكي، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، ثنا مروان بن معاوية بن عمرو، ثنا أبو بكر العَجَلِي، ثنا أبو عَقِيل الدُّورَقِي^(٢)، عن بكر بن عبد الله المزني، قال:

كان رجل من ملوك بني إسرائيل، قد أُعْطِيَ طولَ عمرٍ، وكثرةَ أموال، وكثرةَ أولاد. وكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس ثياب الشَّعْر^(٣)، ولحقَ بالجبال، وأكل من الشَّجَر، وساح في الأرض حتى يأتيه الموت. ففعل ذلك جماعتهم رجل بعد رجل، ثم تتابع بنوه على ذلك.

وأصاب ولدًا بعد كِبَر، فدعا قومه، فقال: إِنِّي قد أَصَبْتُ ولدًا بعد ما كِبَرْتُ، وتَرَوْنَ شفقتي عليكم، وإِنِّي أخاف أن يتبع هذا سُنَّةُ إخوته. وأنا أخاف عليكم إن لم يكن عليكم أحد من ولدي بعدي أن تهلكوا، فخذوه الآن في صِغَرِ سِنِّه، فحبِّبُوا إليه الدنيا، فعسى أن يبقى من بعدي عليكم. فبنوا له حائطًا فَرَسَخًا في فَرَسَخ، فكان فيه دَهْرًا من دَهْرِهِ.

ثم ركب يوماً، فإذا عليه حائطٌ مُضْمَتٌ^(٤)، فقال: إِنِّي أَحْسَبُ أن خلف هذا الحائط ناسًا وعالمًا آخر، فأخْرِجُونِي أَرُدِّدُ علماً وألقى الناس.

فقل ذلك لأبيه، ففزع، وَخَشِيَ أن يتبع سُنَّةَ إخوته، فقال: اجتمعوا عليه كل لهو ولعب، ففعلوا ذلك.

ثم ركب في السَّنَةِ الثانية، فقال: لا بَدَّ من الخروج. فأخبر بذلك الشَّيْخ، فقال: أخرجوه.

فَجُعِلَ على عَجَلَةٍ^(٥) وكلَّلَ بالزَّبَرْجَدِ والذَّهَبِ، وصار حوله حافَتان من الناس. فبينما هو يسير إذا هو برجل مبتلى. فقال: ما هذا؟ قالوا: رجلٌ مبتلى. فقال: أَيْصِيبُ ناسًا دون ناس، أو كُلُّ خائفٍ له؟ قالوا: كل خائفٍ له. قال: وأنا فيما أنا فيه من السُّلْطَانِ؟ قالوا:

(١) الضَّرَاب، قال في اللباب ٢/٢٦٢: «بفتح الصاد، وتشديد الراء، وفي آخرها الباء الموحدة؛ هذه النسبة إلى ضرب الدنانير والدراهم؛ أ.هـ.

(٢) الدُّورَقِي: بفتح الدال، وسكون الواو، وفتح الراء وفي آخرها قاف. وقد تقدَّم التعريف بهذا النسب وأبو عَقِيل اسمه: بشير بن عَقِبَة؛ ثقة. كما في التقريب ١/١٠٣.

(٣) أي: المصنوع من الشعر. أنظر أساس البلاغة ص ٢٣٦، وهذا إشعاراً بالزهد، والتخلِّي عن زخارف الدنيا وزينتها.

(٤) حائطٌ مُضْمَتٌ، أي: لا جوف له، كذا في أساس البلاغة ص ٢٥٨. والحائط البستان.

(٥) المقصود هنا: أنه علا يوماً، وأطلَّ من مكانه فوجد حوله بستاناً خالياً لا أحد فيه، فقال: ...

(٥) قال في مختار الصحاح ص ٣٧١: «العَجَلَة - بفتحين - : التي يجرها الثور» أ.هـ. أي مركبة يجريها الثور.

نعم. قال: أَفْ لِعَيْشِكُمْ هَذَا، هَذَا عَيْشُ كَدَرٍ^(١). فرجع مغموماً محزوناً.

فَقِيلَ لِأَبِيهِ، فَقَالَ: انْشَرُوا عَلَيْهِ كُلَّ لَهْوٍ وَبَاطِلٍ حَتَّى تَنْزَعُوا مِنْ قَلْبِهِ هَذَا الْحُزْنَ وَالْغَمَّ.

فَلَبِثَ حَوْلًا، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجُونِي. فَأُخْرِجَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأَوَّلِ. فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ هَرَمَ، وَلِعَابُهُ يَسِيلُ مِنْ فِيهِ^(٢). فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: رَجُلٌ قَدْ هَرَمَ. قَالَ: يَصِيبُ نَاسًا دُونَ نَاسٍ، أَوْ كُلِّ خَائِفٍ لَهُ إِنْ هُوَ عُمَرُ؟ قَالُوا: كُلُّ خَائِفٍ لَهُ. قَالَ: أَفْ لِعَيْشِكُمْ هَذَا، هَذَا عَيْشٌ لَا يَصْفُو لِأَحَدٍ.

فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَبَوْهُ، فَقَالَ: أَحْشَرُوا عَلَيْهِ كُلَّ لَهْوٍ وَبَاطِلٍ. فَحَشَرُوا عَلَيْهِ.

فَمَكَثَ حَوْلًا، ثُمَّ رَكِبَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ. فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ إِذَا هُوَ بِسَرِيرٍ تَحْمِلُهُ الرِّجَالُ عَلَى عَوَاتِقِهَا. فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: رَجُلٌ مَاتَ.

قَالَ لَهُمْ: وَمَا الْمَوْتُ؟ إِيْتُونِي بِهِ^(٣): فَأَتَوْهُ بِهِ. فَقَالَ: أَجْلِسُوهُ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَجْلِسُ. قَالَ: كَلِّمُوهُ. قَالُوا: إِنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ. قَالَ: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهِ؟ قَالُوا: نَدْفِنُهُ تَحْتَ الثَّرَى.

قَالَ: فَيَكُونُ مَاذَا بَعْدَ هَذَا؟ قَالُوا: الْحَشَرُ. قَالَ لَهُمْ: وَمَا الْحَشَرُ؟ قَالُوا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤)، فَيَجْزِي كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى قَدَرِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ.

قَالَ: وَلَكُمْ دَارٌ غَيْرُ هَذِهِ تُجَاوِزُونَ فِيهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَرَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ الْفَرَسِ، وَجَعَلَ يُعْفَرُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ^(٥)، وَقَالَ لَهُمْ: مِنْ هَذَا كُنْتُ أَحْشَى، كَادَ هَذَا يَأْتِي عَلَيَّ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ بِهِ، أَمَّا رَبٌّ يُعْطِي وَيَحْشُرُ وَيُجَازِي، إِنَّ هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَلَا سَبِيلَ لَكُمْ عَلَيَّ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ.

فَقَالُوا: لَا تَدْعُكَ حَتَّى نَرُدَّكَ إِلَى أَبِيكَ.

قَالَ: فَرَدَّوهُ إِلَى أَبِيهِ، وَكَادَ يَنْزِفُ دَمَهُ. فَقَالَ: يَا بَنِيَّ! مَا هَذَا الْجَزَعُ^(٦)؟ قَالَ: جَزَعِي

(١) الكدر: ضدّ الصفو، أي: هذا عيش حزن ويؤس وشقاء. أنظر مختار الصحاح ص ١٧٨.

(٢) أي: من فمه.

(٣) أي: بالميت.

(٤) سورة المطففين، آية رقم ٦/.

(٥) أي: يُمرغ وجهه بالتُّراب، قال في مختار الصحاح ص ١٦٦: «غفره في التُّراب تعفيراً، أي: مرغته».

(٦) أي: الخوف.

ليومٍ يعطى فيه الصغير والكبير مجازاتهما ما عملا من الخير والشر.

فدعا بشباب فلبسها، وقال: إني عازمٌ في الليل أن أخرج. فلما كان في نصف الليل، أو قريباً منه، خرج. فلما خرج من باب القصر، قال: اللهم! إني أسألك أمراً ليس لي منه قليل ولا كثير، قد سبقت فيه المقادير: إلهي! لَوَدَدْتُ أَنَّ الماء كان في الماء، وَأَنَّ الطين كان في الطين، ولم أنظر بعيني إلى الدنيا نظرة واحدة.

قال بكر بن عبد الله: فهذا رجلٌ خرج من ذَنْبٍ واحد لا يعلم ماذا عليه، فكيف بمن يذنب وهو يعلم ما عليه فيه، ولا يتحرّج ولا يَجْزَعُ ولا يتوب؟!!

١٠ - [توبة صاحب الخورنق]^(١)

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن، أنا علي بن إبراهيم، أنا رشأ، أنا الحسن بن إسماعيل، أنا أحمد بن مروان، قال: ثنا محمد بن عبد العزيز، ثنا أبي، عن يَهْلُول بن حَسَّان، عن إسحاق بن زياد، عن شبيب بن شبة، عن خالد بن صفوان بن الأهم، قال:
إِنَّ مَلِكاً من الملوك خرج إلى الْخَوْرَنْقِ وَالسَّيْدِيرِ^(٢) في عامٍ قد بَكَرَ وَسَمِيَهُ وَتَتَابَعَ وَلِيَهُ^(٣)، وأخذت الأرض فيه زخرفها وزينتها. وكان قد أُعْطِيَ بَسْطَةً في الملك مع الكثرة والغلبة والقهر.

فَنَظَرَ فَأَبْعَدَ النَظَرَ، فقال لجلسائه: لمن هذا؟ قالوا: للملك. قال: فهل رأيتم أحداً أُعْطِيَ مثل ما أُعْطِيَ؟

قال: وكان عنده رجل من بقايا حَمَلَةِ الْحِجَّةِ، ولم تخل الأرض من قائم لله بِحُجَّتِهِ في عباده، فقال: أَيُّهَا الْمَلِكُ! إِنَّكَ قَدْ سَأَلْتَ عَنْ أَمْرٍ، أَفَتَأْذُنُ لِي بِالْجَوَابِ عَنْهُ؟ قال: نَعَمْ.

قال: أَرَأَيْتَ مَا أَنْتَ فِيهِ، أَمِ شَيْءٌ لَمْ تَزَلْ فِيهِ، أَمْ شَيْءٌ صَارَ إِلَيْكَ مِيراثاً، وهو زَائِلٌ عَنْكَ، وَصَائِرٌ إِلَى غَيْرِكَ كَمَا صَارَ إِلَيْكَ؟ قال: كذلك هو.

(١) الخورنق: اسم قصر بالعراق، بناه النعمان الأكبر وهو فارسيّ معرّب. كذا في مختار الصحاح ص ٣١٤.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ١٤٨: «السدير: نهر، وقيل: قصر» أ.هـ. وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «السدير: نهر، وقيل: قصر قريب من الخورنق، كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك الأعاجم» أ.هـ.

(٣) الوَسْبِيُّ: مطر الربيع الأول، سُمِّيَ بذلك لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات، أنظر مختار الصحاح ص ٤٣٥. قوله: وتتابع وليه: أي الذي يليه ويأتي بعده.

قال: فلا أراك إلا أُعْجِبْتَ بشيء يسير، لا تكون فيه إلا قليلاً، وتُنْقَل عنه طويلاً، فيكون غداً عليك حساباً. قال: وَيَحْك! فأين المهرب وأين المطلوب؟ وأخذته القَشْعَرِيَّة.
قال: إِمَّا أَنْ تَقِيمَ في ملكك، فتعمل فيه بطاعة الله على ما ساءك وسرَّك وَأَمْضُكَ^(١) وَأَرْمَضُكَ^(٢)، وإِمَّا أَنْ تَنْخَلِعَ عن مُلْكِكَ وتضع تاجك وتلقي عليك أَطْمَارَكَ^(٣)، وتعبد ربك في هذا الجبل، حتى يأتيك أجلك.

فقال: إِنِّي مَفْكَّرُ اللَّيْلَةِ، وأوافيك في السَّحَر، فأخبرك بإخْدَى المنزلتين.
فلَمَّا كان في السَّحَر قَرَعَ عليه بابه، فقال: إِنِّي اخترت هذا الجبل، وفَلَوَات الأرض، وقَفَر البلاد، وقد لبستُ عليَّ أَمْسَاحِي^(٤)، ووضعت تاجي، فإن كنت رفيقاً فلا تخالف.

فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما جميعاً.

وهو الذي يقول فيه أخو بني تميم: عدي بن زيد العبادي^(٥):

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالذَّهْرِ	رَأَيْتَ الْمُبَرَءَ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْإِيْدِ	أَمْ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونِ خَلْدُنَ أَمْ مَنْ	ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ
أَيْنَ كَسَرَى كَسَرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِرَ	وَأَنْ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الدِّ	رُومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ

(١) أي: أوجعك، تقول: أمضه الجرح: أوجعه. والمضض: وجع المصيبة. أنظر مختار الصحاح ص ٢٤١.

(٢) أي: أحرقك، وأذاك، والرَّمَضُ - بفتحين - : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره. تقول: رمض يومنا: اشتد حره، ورمضت قدمه: أي احترقت. أنظر مختار الصحاح ص ٢٣٥.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ١٥٩: ... الطمر - بالكسر - : الثوب الخلق. والجمع أطمار» أهـ.

(٤) أي لباسي وثيابي. أنظر مختار الصحاح ص ٨٠ - ٨١.

(٥) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن مناة بن تميم، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية، ولا يُعَد من الفحول، قال ابن قتيبة: وكان يسكن الحيرة، ويدخل الأرياف، فثقل لسانه، واحتمل عنه شيء كثير جداً. وعلمائونا لا يروون شعره حجة. وله أربع قصائد غرر.

أنظر ترجمته في الأغاني ٩٧/٢ - ١٥٦.

والشعر والشعراء ١٧٦/١ - ١٨٠. والأبيات المذكورة موجودة في الأغاني ١٣٨/٢ - ١٣٩، وفي الشعر والشعراء ١٧٦/١ - ١٧٧.

نقلًا عن هامش المطبوعة، وغالب ما سيأتي من تعليق على الأشعار والشعراء مأخوذ من هامش المطبوعة.

وَأَخُو الْحَضْرَةِ^(١) إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِدًّا
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَ آلَ
وَتَذَكَّرَ رَبَّ الْخَوَرَنْقِ إِذْ أَشَدَّ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُ
فَارَعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ وَمَا غِبُّ

لَهُ تُجَبِّي إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ^(٢)
سَاءَ فَلَلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
مُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ
رَفَّ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
مِلْكُ وَالْبَحْرُ مُغْرَضًا وَالسُّدِيرُ
طَةُ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

قال أحمد بن مروان: وحدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا محمد بن سلام الجُمَحي^(٣)،
عن الأَصْمَعي^(٤)، أَنَّ النِّعْمَانَ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْخَوَرَنْقَ، رَكِبَ
يَوْمًا، فَأَشْرَفَ عَلَى الْخَوَرَنْقِ، فَنَظَرَ إِلَى مَا حَوْلَهُ فَقَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ: هَلْ عَلِمْتُمْ أَحَدًا أُوتِيَ
مِثْلَ مَا أُوتِيْتُ؟ فَقَالُوا: لَا. إِلَّا رَجُلٌ مِنْهُمْ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، وَكَانَ مِنْ حُكَمَائِهِمْ. فَقَالَ لَهُ:
مَالِكَ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنْ أَذِنْتَ لِي تَكَلَّمْتُ. فَقَالَ: تَكَلَّمْ.

قال: أَرَأَيْتَ مَا جُمِعَتْ، أَسْهَى هُوَ لَكَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ، أَمْ هُوَ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ كَانَ
قَبْلَكَ وَزَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ، وَكَذَلِكَ يَزُولُ عَنْكَ؟ قَالَ: لَا بَلْ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي فَزَالَ عَنْهُ
وَصَارَ إِلَيَّ، وَكَذَلِكَ يَزُولُ عَنِّي.

قال: فَسَرَرْتُ بِشَيْءٍ تَزُولُ عَنْكَ لَدُنْهُ غَدَاً، وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ عَلَيْكَ، تَكُونُ فِيهِ قَلِيلًا،
وَتُرْتَهَنُ فِيهِ كَثِيرًا طَوِيلًا!

قال: فَبَكَى. وَقَالَ لَهُ: أَيْنَ الْمَهْرَبُ؟

قال: إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَقِيمَ فَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ رَبِّكَ، وَإِمَّا أَنْ تَلْقَى عَلَيْكَ
أَمْسَاحًا، ثُمَّ تَلْحَقَ بِجَبَلٍ، وَتَفِرَ مِنَ النَّاسِ، وَتَقِيمَ وَحْدَكَ، وَتَعْبُدَ رَبِّكَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ
أَجَلُكَ.

(١) الْحَضْر، بفتح الحاء، وسكون الضاد: مدينة بازاء تكريت، كانت مبنية بالحجارة المهندمة المزخرشة.

(٢) الخابور. اسم لنهر كبير في أرض الجزيرة.

(٣) الجُمَحي. قال في اللباب ٢٩١/١: «بضم الجيم، وفتح الميم، وفي آخرها الحاء المهملة. هذه النسبة إلى بني جُمَحٍ وهم بطن من قريش».

واشتهر بهذه النسبة: محمد بن سلام بن سالم، - قلت: وهو الراوي هنا -، أبو عبدالله الجُحمي،
الأخباري الأدب... كان صدوقًا، قيل: إنه كان قدرياً. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين» أ.هـ.

(٤) هو عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع أبو سعيد، الباهلي، الأَصْمَعي البصري،
صدوق سني، مات سنة ست عشرة بعد المائتين، وقيل غير ذلك، وقد قارب التسعين، كذا في
التقريب ٥٢١/١ - ٥٢٢. وانظر اللباب في تهذيب الأنساب ٧٠/١.

قال: فإذا فعلت ذلك فما لي؟ فقال: حياة لا تموت، وشباب لا يهرم، وصحة لا تنقسم، ومُلْكٌ جديد لا يلى.

فقال له: أيها الحكيم! فكل ما أرى إلى فناء وزوال؟ قال: نعم. قال: فأني خير فيما يفنى؟ والله لأطلبن عيشاً لا يزول أبداً.

قال: فأنخلع من ملكة، ولبس الأَمْسَاح، وسار في الأرض، وتبعه الحكيم. فعبداً الله جميعاً حتى ماتا.

وهو الذي يقول فيه عدي بن زيد الشاعر:

وَتَذَكَّرْ رَبَّ الْخَوَزْنِقِ إِذْ أَشْهَرُهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْدُ
فَارْعَوِي قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غِبْ
وَفِيهِمْ يَقُولُ الْأَسْوَدُ بْنُ يَغْفَرُ^(١):

مَاذَا أَوَّمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ
أَهْلَ الْخَوَزْنِقِ وَالسَّيْدِيرِ وَبَارِقٍ
نَزَلُوا بِأَنْقَرَةَ^(٢) يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
أَرْضُ تَخِيرَهَا لِطَيْبِ مَقِيلِهَا
جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ
فَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ
تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ^(٣)
مَاءِ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ^(٤)
كَعْبِ بْنِ مَامَةَ وَابْنِ أُمِّ دُوَادِ^(٥)
فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَفَادِ

١١ - [توبة ملك من الملوك]

وذكر محمد بن أحمد بن البراء - في كتاب: الرُّوضَة - قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ

(١) هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل، التميمي، وهو أحد العشى، هو أعشى بني نهشل، يكنى أبا الجراح، شاعر جاهلي مقدّم، فصيح فحل، كان يشاد النعمان بن المنذر، ولما أسن كف بصره.

والأبيات من قصيدة طويلة رائعة، معدودة من مختار أشعار العرب وحكمها، وهي في المفضليات ص ٢١٦ - ٢٢٠، ومنتهى الطلب ١ / ٨١ - ٨٢ وشعراء الجاهلية ص ٤٨٠ - ٤٨٣.

(٢) سنداد: نهر أسفل الحيرة.

(٣) أنقرة: بكسر القاف وضمها: بلد بالحيرة، بالقرب من الشام، وهي غير أنقرة التي في بلاد الروم.

(٤) الأطواد: الجبال.

(٥) كعب بن مامة، هو: الإيادي، أحد أجواد العرب في الجاهلية.

وابن أم دؤاد. نقل الإنباري عن أحمد بن عبيد أنه يعني به أبا دؤاد الإيادي، وهو الشاعر المعروف.

إبراهيم، جَوَيْرِيَّةُ بن^(١) أسماء، عن أبي معدان، عن عون بن عبد الله بن عتبة^(٢)، قال: حَدَّثْتُ عمر بن عبد العزيز بحديث - فكأن معناه وقع منه.

حَدَّثْتُ أَنَّ ملكاً مَمَّنْ كان قبلنا ابْتَنَى بُنْيَةً فَتَنَّقَوْا^(٣) فِي بُنَائِهَا، ثُمَّ صَنَعَ طَعَاماً وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ، وَأَقْعَدَ عَلَى أَبْوَابِهَا نَاساً يَسْأَلُونَ كُلَّ مَنْ خَرَجَ: هَلْ رَأَيْتُمْ عِيَّاءً؟ فَيَقُولُونَ: لَا. حَتَّى جَاءَ نَاسٌ فِي آخِرِ مَا جَاءَ، - عَلَيْهِمْ أَكْسِيَّةٌ -، فَسَأَلُوهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ عِيَّاءً؟ قَالُوا: عَيَّيْنِ اثْنَيْنِ.

قال: فَجَبَسُوهُمْ، وَدَخَلُوا عَلَى الْمَلِكِ فَقَالُوا: قَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَسَأَلْنَاهُمْ، فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا عِيَّاءً، حَتَّى جَاءَ قَوْمٌ عَلَيْهِمْ أَكْسِيَّةٌ - أَظَنَّهُ قَالَ: شَبَابٌ - فَسَأَلْنَاهُمْ، فَقَالُوا: رَأَيْنَا عَيَّيْنِ اثْنَيْنِ. قال: مَا كُنْتَ أَرْضَى بِوَاحِدٍ، فَاتَّوْنِي بِهِمْ.

قال: فَادْخُلُوهُمْ عَلَيْهِ، قال: هَلْ رَأَيْتُمْ عِيَّاءً؟ قَالُوا: عَيَّيْنِ اثْنَيْنِ. قال: وَمَا هُمَا؟ قَالُوا: تَخَرَّبٌ، وَيَمُوتٌ صَاحِبُهَا.

قال: وَهَلْ تَعْلَمُونَ دَاراً لَا تَخْرُبُ وَلَا يَمُوتُ صَاحِبُهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالُوا: دَارُ الْآخِرَةِ، قال: فَدَعُوهُ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ.

قال: فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ جِئْتُ مَعَكُمْ عِلَانِيَةً لَمْ يَدْعُنِي أَهْلُ مَمْلَكَتِي، وَلَكِنْ مِيعَادَكُمْ مَوْضِعٌ كَذَا وَكَذَا.

قال: فَكَانَ مَعَهُمْ زَمَانًا. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ: عَلَيْكُمْ السَّلَامُ. قال: فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ أَرَأَيْتَ مِنَّا شَيْئاً تَكْرَهُهُ؟ قال: لَا، قَالُوا: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قال: أَنْتُمْ تَعْرِفُونِي، فَأَنْتُمْ تَكْرُمُونِي لِحَالِي الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا.

قال: فَكَأَنَّ مَعْنَاهُ وَقَعَ مِنْ عَمْرِ مَوْقِعاً، فَذَهَبَتْ إِلَى مُسْلِمَةَ^(٤) فَأَخْبَرَتْهُ.

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ: جَوِير، وَهُوَ خَطَأٌ إِنَّمَا هُوَ جَوَيْرِيَّةُ بِنِ اسْمَاءَ بِنِ عُبَيْدٍ، الضُّبُعِيُّ، الْبَصْرِيُّ، صَدُوقٌ، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ التَّقْرِيبِ ١٣٦/١.

وَانْظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ١٧٢/٥، وَتَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ ١٢٤/٢ - ١٢٥، وَالْكَاشِفُ ١٥٠/١.

وَهُوَ عَلَى الصَّوَابِ: أَيُّ جَوِيرَةٍ، فِي مَخْطُوطَةٍ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مُحَقِّقُ الْمَطْبُوعَةِ.

(٢) هُوَ: عَوْنُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ عُتْبَةَ بِنِ مَسْعُودِ الْهُذَلِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْكُوفِيُّ، ثَقَّةٌ عَابِدٌ، مِنَ التَّابِعِينَ، مَاتَ قَبْلَ سَنَةِ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، التَّقْرِيبُ ٩٠/٢.

(٣) بُنْيَةٌ - بَضْمٌ وَكَسْرُ الْبَاءِ - : بِنَاءٌ - فَتَنَّقَوْا، أَيُّ: فَتَاتَّقُوا.

انْظُرْ أَسَاسَ الْبَلَاغَةِ ص ٣١، وَمَخْتَارَ الصَّحَاحِ ٣٣٣.

(٤) هُوَ مُسْلِمَةُ بِنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِنِ مَرْوَانَ بِنِ الْحَكَمِ الْأُمَوِيِّ، ابْنُ عَمِّ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. ذَكَرَهُ ابْنُ سَمِيعٍ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ تَابِعِي أَهْلِ الشَّامِ. وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: وَكَانَ مِنْ رِجَالِهِمْ - أَيُّ الْإِشْدَاءِ =

قال: فدخل مسلمة على عمر وقد كان حدّته بهذا الحديث.

قال: فقال: ويحك يا مسلمة! أرايت رجلاً حُمِلَ مالا يطيق ففرّ إلى ربّه - عز وجل - ، فهل ترى عليه بذلك بأساً؟.

قال: فاتق الله يا أمير المؤمنين في أمة محمد ﷺ ، فوالله لئن فعلت ليقْتُلُنَ بأسيا فهم.

قال: ويحك يا مسلمة! حُمِلت مالا أطيق! فردّها وجعل مسلمة يناشده حتى سكن.

١٢ - [توبة امرئ القيس الكندي]^(١)

وروى المَرْزُبَانِي^(٢)، عن الْأَزْدِيِّ، قال: كان امرؤ القيس الكندي، وهو مخرق الأول، طويل المصاحبة للهو واللذات، كثير العكوف على اللعب، فركب يوماً إِمَاماً مُتَبَدِّئاً^(٣)

المعروفين - وكان يلقب: الجراداة الصفراء، وله آثار كثيرة في الحروب، ومكانة في الروم، وقال غيره: ولّاه أخوه يزيد إمرة العراقين، ثم أرمينية. مات سنة عشرين ومائة في المحرم، وقيل: سنة إحدى وعشرين ومائة. تهذيب التهذيب ١٠/١٤٤.

(١) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار. الشاعر الجاهلي المعروف، يمني الأصل، وُلِدَ بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، واشتهر بلقبه، واختلفَ النسابون في اسمه، وقيل: لقبه اسمه، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمّه أخت المهلهل الشاعر، وعنه أخذ الشعر، ثم ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، وثأر لأبيه من بني أسد وقال في ذلك شعراً كثيراً، وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل الدار، فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس فطلبه، فأبتعد، وانتهى إلى السموأل، فأجاره، ثم رأى. أن يستعين بالروم على الفرس، فسار إلى قيصر الروم يوستينياس في القسطنطينية، فوعده ومطله. ثم ولّاه إمرة فلسطين، فرحل يريدّها، فراه. أجله بأنقرة، مسموماً على الأرجح، وقد جُمع بعض ما ينسب إليه من الشعر في ديوان صغير.

أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ١/٣٥١-٣٥٢، والأغاني للأصفهاني ٧٧/٩-١٠٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص ٧٧٦، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٠٣. ومعجم المؤلفين ٢/٣٢٠.

(٢) المَرْزُبَانِي: قال في اللباب ٣/١٩٥: «يفتح الميم وسكون الراء، وضم الزاي، وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى المَرْزُبَان، وهو جدّ المتسبب إليه وفيهم كثرة منهم... وأبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد - قلت: وأظن أنه الراوي هنا -، الكاتب المَرْزُبَانِي، بغدادِي، صاحب أخبار ورواية للأدب، وله تصانيف كثيرة حسنة... ولد سنة ست وتسعين ومائتين، ومات سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شوال» أ.هـ.

(٣) مُتَبَدِّئاً، أي: ذاهباً إلى البادية، قاصداً لها، أنظر مختار الصحاح ص ٤٨٩.

وإِذَا متصيّداً، فانقطع عن أصحابه، فإذا هو برجل جالس قد جمع عظاماً من عظام الموتى وهي بين يديه يقلّبها.

فقال: ما قصّتْك أيّها الرجل، وما بلغ بك إلى ما أرى من سوء الحال، وشُؤف الجسم^(١)، وتلويع اللون، والإنفراد في هذه الفلاة؟.

فقال: أمّا ذلك فلأنّي على جناح سفر بعيد، وبني موكلّان مزعجان يَحْدُوَان^(٢) بي إلى منزلٍ ضنكٍ المحلّ، مظلم القعر، كَرِيه المقرّ. ثمّ يسلماني إلى مصاحبة البلى، ومجاورة الهلكى، تحت أطباق الثرى، فلو تُركتُ بذلك المنزل مع جفائه وضيقه ووحشته، وآرتعَاء خشاش^(٣) الأرض في لحمي وعصبي، حتى أعود رُفَاتاً، وتصير أعظمي رَمَماً، كان للبلاء انقضاء، وللشقاء نهاية؛ ولكنّي أدفع بعد ذلك إلى صبيحة الحشر وارد لهول مواقف الجزاء، ثم لا أدري إلى أيّ الدّارين يؤمّر بي، فأني حال يلتذّ به من يكون إلى هذا الأمر مصيره.

فلما سمع الملك كلامه ألقي نفسه عن فرسه وجلس بين يديه، وقال: أيّها الرجل! لقد كدّر مقالك عليّ صفو عيشي، وملك الإشفاق قلبي، فأعدّ عليّ بعض قولك، واشرح لي دينك.

فقال له: أما ترى هذه التي بين يديّ؟ قال: بلى. قال: هذه عظام ملوك غرّتهم الدنيا بزخرفها، واستحوذت على قلوبهم بغرورها، فألّتهم عن التّأهّب لهذه المصارع، حتى فاجأتهم الأجال، وخذلتهم الآمال، وسلبتهم بهاء النعمة. وستُنشَرُ هذه العظام فتعود أجساداً، ثم تجازى بأعمالها، فإمّا إلى دار القرار، وإمّا إلى محلّ البوار.

ثمّ اختلّس الرجل^(٤) فلم يُرَ له أثر، وتلاحق أصحاب المَلِك، وقد امتّقع لونه، وتواصلت عبراته، وركب وقيداً^(٥)؛ فلما جنّ عليه الليل، نزع ما عليه من لباس المَلِك،

(١) شُؤف، أي، نحل وهزل، أنظر أساس البلاغة ص ٢٣٥.

(٢) أصل الحدو: الغناء للإبل لكي تسير سريعاً، واستعمالها هنا في المجاز، والمقصود: يبعثان بي، قال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٧٧: «ومن المجاز: ... وحدوته على كذا: بعثه» أ.هـ.

(٣) الارتعاء: من الرعي.

وخشاش الأرض هي: صغار الطير والدواب أنظر أساس البلاغة ص ١١١. والمقصود: تأكل من حشرات الأرض وديدانها.

(٤) أصل الإختلاس: الإستلاب، تقول: فلان اختلس فلان: أي استلبه. أنظر مختار الصحاح ص ٢٠٣، وأساس البلاغة ص ١١٨. والمقصود هنا: أن الرجل اختلّس غفلةً أمرؤ القيس عنه، فذهب، فلم يُرَ له أثر.

(٥) أي: مريضاً عليلاً، وذلك من أثر كلام الرجل.

ولبس طُمْرَيْنَ^(١)، وخرج تحت الليل، فكان آخر العهد به^(٢).

١٣ - [توبه ملك من ملوك اليمن]

وروي أنه احترب مَلِيكان من ملوك اليمن، فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرّد أصحابه، ورُئيت له السرر ودارُ المُلْك، وتلقاه الناس لِيَدْخُل، فبينما هو في بعض السكك يقصد دار الإمارة بها، وقف له رجل - كان يُنسب للجنون - ، فأنشده:

تَسْمَعُ مِنَ الْأَيَّامِ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا فَإِنَّكَ فِيهَا بَيْنَ نَاهٍ وَأَمِيرٍ
فَكَمْ مَلِكٍ قَدْ رُكِمَ التُّرْبُ فَوْقَهُ وَعَهْدِي بِهِ بِالْأَمْسِ فَوْقَ الْمُنَابِرِ
إِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّمَا بَلَغَكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الْمُسَافِرِ
إِذَا أَبْقَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ

فقال له: صَدَقْتَ، ونزل عن فرسه، وفارق أصحابه، ورَفِيَ الجبل، وأقسم على أصحابه أن لا يتبعه أحد، فكان آخر العهد به.

وبقيت اليمن شَاغِرَةً^(٣) أَيَّامًا حتى اختير لها من عقدوا له المُلْك عليها.

١٤ - [توبه ملك من ملوك بني إسرائيل]

وقرأت في «الملتقط» عن عبد الواحد بن زيد، قال: كان في بني إسرائيل عابد لم يكن له إلا جبة صوف، وقربة يستقي فيها الماء للناس.

فلما حضره الموت، قال لأصحابه: إِنِّي لَمْ أَدْعُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا إِلَّا جَبْتِي فِي هَذِهِ الْقُرْبَةِ [و] ما أطيق حملها يوم القيامة، فإذا مت فادفعوها إلى فلان المَلِك ليحملهما مع ما تحمّل من دنياه^(٤).

فلما مات العابد أخبروا المَلِك بما قاله.

فقال الملك: هذا العابد عجز عن حمل جبة وقربة، وأنا تحمّلت من الدنيا ما

= والوقد: هو الضرب حتى الاسترخاء، والإشراف على الموت، أنظر مختار الصحاح ص ١٢٠، وأساس البلاغة ص ٥٠٦.

(١) قال في مختار الصحاح ص ١٥٩: «الطمر - بالكسر - : الثوب الخلق. والجمع أطمار» أ.هـ.

(٢) كذا ذكر هنا في وفاته، أنه ذهب تائباً ولم يُعرَف عنه شيئاً بعد ذلك، وقد تقدم في ترجمته كيف مات، وهو الأرجح. والله أعلم.

(٣) أي: خالية. مختار الصحاح ص ١٥٤.

(٤) في المطبوعة: حملها. فادفعوها، ليحملها، هكذا بالإنفراد والمثبت هو الموافق لسياق الكلام، حيث أن الكلام عن جبة وقربة، وهما مثني، والله تعالى أعلم.

تَحَمَّلْتَهُ! فَأَخَذَ الْعِجَّةَ فَلَبِسَهَا وَأَخَذَ الْقِرْبَةَ، وَخَرَجَ مِنْ مُلْكِهِ، فَجَعَلَ يَسْتَقِي لِلنَّاسِ الْمَاءَ.

* * *

١٥ - [توبة ملك من ملوك بني إسرائيل]

أخبرنا شيخ الإسلام محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار، أنا أبو علي بن شاذان، أنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيج البزاز، ثنا يعقوب بن يوسف القزويني، ثنا محمد بن سعيد، ثنا عمرو بن أبي قيس، عن سَمَاك، عن عبد الرحمن بن زيد، عن أبي، عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ^(١)، قال:

(١) قلت: هذه قصة لا تصح عن رسول الله ﷺ - ، وهذا إسناد ضعيف جداً، فيه:

١ - يزيد - والد عبد الرحمن - ، وهو ابن معاوية بن أبي سفيان.

قال عنه الحافظ بن حجر في التقریب ٣٧١/٢: «ولي الخلافة سنة ستين، ومات سنة أربع وستين، ولم يكمل الأربعين، وليس بأهل أن يروى عنه» أ.هـ.

٢ - وفيه أيضاً عمرو بن أبي قيس، قال عنه في التقریب ٧٧/١: «صدوق له أوهام» أ.هـ. وقال الذهبي في الكاشف ٢٩٣/٢: «وثق، وله أوهام» أ.هـ.

فعل رفع الحديث إلى النبي ﷺ - من أوهام عمرو، أو من ضعف يزيد، إذ أن الحديث يروى عن عبد الله بن مسعود من قوله. رواه الإمام أحمد في المسند ٤٥١/١.

قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أنا المَسْعُودِي، عن سَمَاك بن حرب، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن مسعود، قال: بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته فتفكر، فعلم أن ذلك منقطع عنه، وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربه، فتسرّب فانساب ذات ليلة من قصره، فاصبح في مملكة غيره، وأتى ساحل البحر، وكان به يضرب اللبن بالأجر، فيأكل ويتصدق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى رقي أمره إلى ملكهم وعبادته، وفضله، فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه، فأبى أن يأتيه، فأعاد، ثم أعاد إليه، فأبى أن يأتيه، وقال: ماله ومالي، قال: فركب الملك، فلما رآه الرجل ولّى هارباً، فلما رأى ذلك الملك ركض في إثره، فلم يدركه، قال: فناداه، يا عبد الله إنه ليس عليك مني بأس، فأقام - حتى أدركه، فقال له: مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ؟ قال: أنا فلان بن فلان صاحب مُلْكٍ كَذَا وَكَذَا، تفكّرت في أمري فعلمتُ أن ما أنا فيه منقطع، فإني قد شغلني عن عبادة ربي، فتركته وجئت ههنا أعبد ربي - عز وجل - ، فقال: ما أنت أحوج إلى ما صنعت مني. قال: ثم نزل عن دابته، فسبّحها، ثم تبعه، فكانا جميعاً يعبدان الله عز وجل - ، فدعوا الله أن يميتهما جميعاً، قال: فماتا، قال عبد الله: لو كنت برميلة مصر لأريتكم قبورهما بالنعث الذي نعت لنا رسول الله ﷺ - .

قلت: وهذا سياق أحسن من سياق المصنف.

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا إنه منقطع، إذ أن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه إلا أربعة أحاديث فقط نصّ عليها العلماء، وهذا ليس منها.

«إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَخْلَفُوا خَلِيفَةً عَلَيْهِمْ بَعْدَ مُوسَى، فَقَامَ يَصْلِي فِي الْقَمَرِ فَوْقَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ: فَذَكَرَ أُمُورًا كَانَ يَصْنَعُهَا. قَالَ فَخَرَجَ فَتَدَلَّى بِسَبَبٍ، فَأَصْبَحَ السَّبَبُ مَتَعَلِّقًا فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ ذَهَبَ.

قَالَ: فَاَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَوْمًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ بِدْيَارِ مِصْرَ، فَوَجَدَهُمْ يَصْنَعُونَ لِبْنًا، فَسَأَلَهُمْ كَيْفَ يَأْخُذُونَ هَذَا اللَّبْنَ؟ قَالَ: فَأَخْبَرُوهُ، فَلَبَّنَ مَعَهُمْ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، فَإِذَا كَانَ حِينَ الصَّلَاةِ تَطَهَّرَ فَصَلَّى، فَزَفَعَ ذَلِكَ الْعَمَالُ إِلَى قَهْرَمَانِهِمْ^(١) أَنْ فِينَا رَجُلًا يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَهُ بِنَفْسِهِ، يَسِيرُ عَلَى دَابَّتِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ فَرَّ، وَاتَّبَعَهُ فَسَبَقَهُ، فَقَالَ: أَنْظِرْنِي أَكَلِّمُكَ، قَالَ: فَقَامَ حَتَّى كَلَّمَهُ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ مُلَكًا، وَأَنَّهُ فَرَّ مِنْ رَهْبَةِ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، قَالَ: إِنِّي لَاظُنُّ أَنِّي لَأَحِقُّ بِكَ.

قَالَ: فَلَحَقَهُ فَعَبِدَا اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّى مَاتَا بِ- «رَمِيلَةَ» مِصْرَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنِّي لَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَاهْتَدَيْتُ إِلَى قَبْرَيْهِمَا، مِنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي وَصَفَ.

١٦ - [توبة حفيده نبي هو ولد عابد]

أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُعَالِي بْنِ بِنْدَارٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ النَّعَالِيُّ^(١)، أَخْبَرَنَا مُخْلَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ حَيٍّ، أَنَا الْحَسَنُ، أَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيسَى، أَنَا إِسْحَاقُ بْنُ بَشَرَ، أَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، قَالَ:

كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدٌ قَدْ أُعْجِبُوا بِهِ، فَذَكَرُوهُ يَوْمًا عِنْدَ نَبِيِّهِمْ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ،

= أَنْظَرَ تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ ٢١٥/٦ - ٢١٦، وَالتَّقْرِيبَ ٤٨٨/١، وَطَبَقَاتِ الْمَدْلِسِينَ ص ٩١ - ٩٢.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَأَنْظَرَ الْبَدَايَةَ وَالنِّهَايَةَ ١٣١/٢

(١) أَي: إِلَى رَأْسِهِمْ.

(٢) النَّعَالِيُّ: بِكسر النون، وَفَتْح العين، نَسْبَةٌ إِلَى عَمَلِ النَّعَالِ، وَاشْتَهَرَ بِهَا جَمَاعَةٌ. أَنْظَرَ اللَّبَابَ ٣١٦/٣.

(٣) هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ جَدًّا - مَتْرُوكٌ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فِيهِ:

١ - إِسْحَاقُ بْنُ بَشَرَ: قَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ فِي الْمَغْنِيِّ فِي الضَّعْفَاءِ ٦٩/١: ١١ مَجْمَعٌ عَلَى تَرْكِهِ، وَقَدْ أَثْنَمَ بِالْكَذِبِ: وَقَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ: «كَذَّابٌ» أَه.

٢ - عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، قَالَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي التَّقْرِيبِ ٣٩/٢: «صَدُوقٌ يَخْطِئُ وَيَصْرُّ» أَه.

أَي: وَيَصْرُّ عَلَى خَطَايَاهُ إِذَا نَصَحَ.

فقال: إِنَّهُ لَكَمَا تَقُولُونَ، لَكِنَّهُ تَارَكَ لَشَيْءٍ مِنَ السَّنَةِ.

فبلغ العابد، فقال: فَعَلَامُ أَذُئِبَ^(١) نَفْسِي؟!.

قال: فَهَبْطُ مِنْ مَكَانِهِ، فَأَتَى النَّبِيَّ وَعِنْدَهُ النَّاسُ، وَالنَّبِيُّ لَا يَعْرِفُهُ بِوَجْهِهِ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! بَلَّغْنِي أَنِّي ذُكِرْتُ عِنْدَكَ، فَقُلْتَ: إِنَّهُ لَكَذَلِكَ، لَوْلَا أَنَّهُ تَارَكَ لَشَيْءٍ مِنَ السَّنَةِ، فَفِيمَ أَذُئِبَ نَفْسِي بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَعْتَزَلُ النَّاسَ، وَإِنَّمَا أَطْلُبُ سُنَّةَ الرَّبِّ - عَزَّ وَجَلَّ - .

قال: أَنْتَ فُلَانٌ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قال: أَمَّا وَاللَّهِ مَا هُوَ شَيْءٌ أَحَدُثْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَتَزَوَّجْ، قَالَ لَهُ الْعَابِدُ: وَلَيْسَ إِلَّا هَذَا؟ قَالَ: لَا.

قال فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ اسْتَهَانَتْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ لَوْ فَعَلَ النَّاسُ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مِنْ كَانَ يَتَّقِي الْعَدُوَّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ كَانَ يَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؟ قَالَ: وَذَكَرَ الصَّلَاةَ.

قال له العابد: صَدَقْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا أَحْرَمَهُ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَتَزَوَّجَ إِمْرَأَةً مُسْلِمَةً وَأَنَا فَقِيرٌ فَأَعْضِلُهَا^(٢)، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَنْفَقَ عَلَيْهَا، وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ فَلَا يَزَوِّجُونِي.

فقال له النبي: مَا بِكَ إِلَّا هَذَا؟ قَالَ: فَمَا بِي إِلَّا هَذَا، قَالَ: أَنَا أَزَوَّجُكَ ابْنَتِي، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ. قَالَ: فَزَوِّجْهُ، فَوُلِدَتْ لَهُ غَلَامًا.

قال ابن عباس: فَوَاللَّهِ مَا وُلِدَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَوْلُودٌ ذَكَرَ قَطُّ كَانُوا أَشَدَّ فَرَحًا بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْغَلَامِ.

قال: قالوا: ابْنِ نَبِيَّنَا وَابْنِ عَابِدِنَا! إِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يَبْلُغَ بِنَا مَا بَلَغَ رَجُلٌ.

قال: فَلَمَّا بَلَغَ الْغَلَامُ انْقَطَعَ إِلَى عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ، وَانْقَطَعُوا إِلَيْهِ، وَكَثُرُوا عِنْدَهُ، قَالَ: فَبَيْنَاهُمْ عِنْدَهُ يَوْمًا، إِذْ قَالَ: إِنِّي أَرَاكُمْ كَثِيرًا، فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ انْقُومَ قَاهِرِينَ لَكُمْ.

فقالوا: إِنَّ لَهُمْ رَأْسًا يَجْمَعُهُمْ وَلَيْسَ لَنَا رَأْسٌ. قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكُمْ إِلَّا هَذَا؟ قالوا: نَعَمْ. قَالَ: فَأَنَا رَأْسُكُمْ. قالوا: وَتَفْعَلُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَخُجَّ وَخَرَجُوا مَعَهُ.

قال: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ، وَبَلَغَ أَبَاهُ، فَاجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى النَّبِيِّ وَأَبَوِهِ مَعَهُمُ،

(١) أي: أتعبها، قال في مختار الصحاح ص ٢٣: «دَابَّ فِي عَمَلِهِ: جَدَّ وَتَعَبَ» أ.هـ.

(٢) أي: فأضيق عليها، قال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٢٠٥: «عَضَلْتُ عَلَى فُلَانٍ: ضَيَّقْتُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَخَلْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ. وَمِنْهُ: ﴿وَلَا تَعْضَلُوهُمْ﴾» أ.هـ.

وأنظر مختار الصحاح ص ٣٧٣.

فأرسل إليه يذكره بالله، وأن يرجع إلى الإسلام، فأبى.

فخرج إليه النبي، وخرج أبوه معه، فالتقى القوم واقتتلوا حتى كثرت الدماء فيهم، وقُتل النبي وقُتل أبوه مع النبي. وانهزم بنو إسرائيل، واتبعهم يفنيهم ويبعث في آثارهم يقتلهم.

قال: فلحق أحبارهم بالجبال، واستقام له الناس. قال: فجعلت نفسه لا تدعه، وظن أن ذلك الملك لا يستقيم له حتى يفني بني إسرائيل. قال: فجعل يبعث في طلبهم في الجبال يقتلهم، فاستقام له الناس، واشتد ملكه.

فلما رأى أحبار بني إسرائيل ما يفعل لهم، قالوا: خلينا عن هذا الرجل وعن ملكه، وليس يدعنا، لقد بؤنا^(١) بغضب من الله، فررنا عن نبينا وعابدنا حتى قُتلا وليس يدعنا، فتعالوا نتوب إلى الله - عز وجل -، ونلقى هذا الرجل فنقاتل ونحن ناثبون.

قال: فولوا رجلاً منهم أمرهم، وباعوا له، وهبطوا وقد وطئوا أنفسهم على الموت، وتابوا إلى الله - عز وجل -.

قال: فخرج إليهم، فاقتلوا أول يوم من أول النهار حتى حال بينهم الليل، ثم غدوا فاقتلوا حتى كثرت الدماء في الفريقين، حتى حال بينهم الليل.

قال ابن عباس: فغدوا اليوم الثالث وقد صبروا أنفسهم لله فاقتلوا قتالاً شديداً، وقال لهم صاحبهم: إني لأرجو أن يكون الله قد تاب عليكم وقيل توبتنا، فإني أرى الصبر قد أنزل علينا، وصارت الرّيح لنا، فإن ظفّرتم به، فإن استطعتم أن تأخذوه سليماً فلا تقتلوه.

قال: فاقتلوا إلى قريب من الليل، لا هؤلاء يفرّون ولا هؤلاء يهربون. فلما كان في آخر النهار، وعرف الله منهم الصدق، أنزل عليهم النصر، فهزموهم بإذن الله، وقتلهم، وأخذوه سليماً، فأتوا به.

قال: فاجتمع بنو إسرائيل إلى صاحبهم، فقال لهم: ما جزاء رجل من أنفسنا قتل نبياً، وقتل والده، وأدخل علينا عبدة الأوثان حتى قتلونا، وشرّدونا في البلاد؟ فقاتل يقول: أحرّقه. وقاتل يقول: قطعوه. وقاتل يقول: عذبوه. فكلما قالوا له شيئاً من هذا قال: هذا يأتي على نفسه. قالوا: فأنت أعلم.

قال: فإني أرى أن تأخذه فنصلبه حيّاً، ولا نطعمه، ولا نسقيه، ولا نقتله. ونُدّعه

(١) أي: رجعنا. أنظر مختار الصحاح ص ٧ - ٨.

حَتَّى يَمُوت. قالوا له: إِفْعَل، فَصُلب حَيًّا وجعلوا عليه الحَرَس.

قال: فمكث يومه، ومن الغد، واليوم الثالث، حَتَّى أَمْسَى، فَلَمَّا أَمْسَى رَأَى الموت. فدعا آلَهته التي كان يعبد من دون الله - عَزَّ وَجَلَّ - . قال: فبدأ بأفضلها في نفسه، فيدعوه، فإذا لم يجبه، جاوزه ودعا الآخر فَأَتَى على آلَهته جميعاً يدعُوهم فلا يجيبونه، وذلك في جوف الليل.

قال: اللَّهُمَّ إله جَدِّي وَأَبِي! إِنِّي قد ظلمت نفسي، ودعوتُ هذه الآلهة التي كنت أعبدُها من دونك، فلو كان عندها خير لإجابتي، فاغْفِرْ لي، وخلصني مما أنا فيه، فتحلَّلت عنه العَقْدَ فإذا هو في أسفل الجذع.

وفي حديث آخر، قال: فجعل يدعو صنماً صنماً، فلا يجيبه أحد، قال: فنظر إلى السماء، وقال: يا حَنَّان! يا مَنَّان! أشهد أَنَّ كُلَّ معبود من لَدُنْ عرشك إلى قرار أرضك باطل إلا وجهك الكريم أنت فأغثني.

قال: فبعث الله - عَزَّ وَجَلَّ - ملكاً، فحلَّه عن خشبته فأنزله.

قال ابن عباس: فأخذه الحَرَس فَأَتَوْا به أصحابهم، واجتمع بنو إسرائيل، فقال: ما تأمرون في هذا؟ قالوا: ما ترى فيه، الله - عَزَّ وَجَلَّ - حلَّه، وتقول لنا: ما تأمرون فيه؟! قال: صدقتم، ولكن أحببت أن أستمركم. قال: فخلُّوا عنه.

قال سعيد بن جبیر: سمعت ابن عَبَّاس يقول: والله ما كان في بني إسرائيل بعده رجل خيراً منه ولا أفضل.

١٧ - [توبة ملك من الملوك وقوم لا يعبدون الله].

أخبرنا الإمام أبو الحسين عليّ بن عساكر بن المَرْحَب البطائحي المقرئ^(١)، أنبأ أبو طالب اليُوسُفي^(٢)، أنبأ أبو بكر القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد، ثنا هُدْبَة، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت وحמיד، عن بكر بن عبدالله المزني^(٣)، قال:

(١) هو عليّ بن عساكر بن المرحب بن العوّام البطائحي، أبو الحسن، ضريحه، عارف بالعربية، من أهل العراق، توفي سنة (٥٧٢) هـ. في شعبان، له كتاب في القراءات. أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (ج ١٢، ق ٢٧٦ - ٢٧٧)، وطبقات القراء لابن الجزري ٥٥٦/١. ومعجم المؤلفين ١٥٠/٧.

(٢) اليُوسُفي: بضم الياء، وسكون الواو، وضَمّ السين المهملة، وبعدها فاء، هذه النسبة إلى أبي يوسف الإسفراييني، خازن دار العلم ببغداد. الباب ٤٢٠/٣.

(٣) هذا اسناد صحيح عن بكر بن عبدالله المزني، ولعله تلقى هذه القصة عن بعض أهل الكتاب، أو عن =

كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان متمرّداً على ربّه - عزّ وجلّ - ، فغزاه المسلمون، فأخذوه سليماً، فقالوا: بأيّ قُتْلَةٍ نقتله؟ فأجمع رأيهم على أن يجعلوا قُتْمَماً عظيماً، ويؤجّجوا تحته النار، ولا يقتلوه حتى يذيقوه طعم العذاب، ففعلوا ذلك به .

قال: فجعل يدعو آلهته واحداً واحداً: يا فلان! بما كنت أعبدك به، وأصليّ لك، وأمسخ وجهك، فأنيقذني مما أنا فيه، فلمّا رأهم لا يغنون عنه شيئاً، رفع رأسه إلى السماء، وقال: لا إله إلا الله؛ ودعا مخلصاً فصَبَّ الله عليه مَنَعَباً^(١) من السماء، فأطفأ تلك النار.

وجاءت ريح فاحتملت ذلك القُتْمَ، فجعلت تدور بين السّماء والأرض، وهو يقول: لا إله إلا الله، فقدّفه الله إلى قوم لا يعبدون الله - عزّ وجلّ، وهو يقول: لا إله إلا الله؛ فاستخرجوه، فقالوا: ويحك، ما لك؟ فقال: أنا ملك بني فلان، كان من أمري، وكان من أمري... ، فقصّ عليهم القصّة، فأمنوا.

١٨ - [توبة ملك يقال له: كنعان، وقومه من بعده].

أخبرنا أحمد بن المبارك، أنا ثابت، أنا أبو عليّ بن دوما، أنا مَخْلَد، أنا الحسن، ثنا إسماعيل بن عيسى، أنا إسحاق بن بشر قال: وحُدِّث عن ابن سمعان، عن بعض أهل العلم بالكتب^(٢):

أنّ ذا الكفل كان إليّسع بن خطوب الذي كان مع إليّاس، وليس باليَّسع الذي ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن، وإليّسع ذو الكفل كان قبل داود^(٣).

= بعض من اطلع على كتبهم، والله أعلم.

(١) أي: ماء غزيراً مَسِيلاً من السماء، تقول: ثعبت الماء: فجّرتّه، والثعب سبيل الماء. أنظر مختار الصحاح ص ١٨، وأساس البلاغة ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) هذا إسناد ضعيف جداً، فيه:

١ - إسحاق بن بشر، قال في المغني ٦٩/١: «مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال ابن المديني كذاب» أ. هـ. وقد تقدّمت ترجمة ضافية له أول الكتاب، باب ذكر التوابين من الملائكة.

٢ - الإنقطاع بينه وبين ابن سمعان، وهذا ظاهر من سياق النص، وحُدِّث عن ابن سمعان. وهو في روايات أهل الكتاب كما هو ظاهر جلياً من قوله: عن بعض أهل العلم بالكتب، أي بالكتب القديمة.

(٣) كذا قال: ومقتضاه أن ذا الكفل كان اسمه إليّسع بن خطوب، وهو الذي كان مع إليّاس وليس هو باليَّسع الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، وأن ذا الكفل كان قبل داود.

وقد روى إسحاق بن بشر بإسناد عن الحسن البصري ما يخالف هذا، كما في البداية والنهاية ٥/٢. حيث ذكر عنه أنه قال: كان بعد إليّاس اليّسع عليهما السلام - ، فمكث ما شاء الله أن يمكث، =

وذلك أن ملكاً جباراً يقال له: كنعان، وكان لا يُطاق في زمانه لظلمه وطغيانه، وكان ذو الكفل يعبد الله سرّاً منه، ويكتُم إيمانه وهو في مملكته، فقبل للملك: إن في مملكتك رجلاً يُفسد عليك أمرك، يدعو الناس إلى غير عبادتك، فبعث إليه ليقته، فأتى به، فلما دخل عليه، قال له الملك: ما هذا الذي بلغني عنك أنك تعبد غيري؟

فقال له ذو الكفل: إسمع مني وتَفَهَّم ولا تغضب، فإنَّ الغضب عدوٌ للنفس، يحول بينها وبين الحق، ويدعوها إلى هواها، وينبغي لمن قدر ألا يغضب، فإنه قادر على ما يريد.

قال: تكلم.

قال: فبدأ ذو الكفل وافتتح الكلام بذكر الله - عز وجل -، والحمد لله، ثم قال ذو الكفل: أترعم أنك إله؟ فإنه من تملك؟ أو إله جميع الخلق؟ فإن كنت إله من تملك، فإن لك شريكاً فيما لا تملك، وإن كنت إله الخلق، فمن إلهك؟

قال له: ويحك، فمن إلهي؟

قال: إله السماء والأرض، وهو خالقهما، وهذه الشمس والقمر والنجوم، فأتى الله، واحذر عقوبته، فإن أنت عبدته ووحدته، رجوت لك ثواباً، والخلود في جواره.

قال له الملك: أخبرني، من عبد إلهك فما جزاؤه؟ قال: الجنة إذا مات.

قال: وما الجنة؟ قال: دار خلقها الله - تبارك وتعالى - بيده، فجعلها مسكناً لأوليائه، يبعثهم يوم القيامة شباباً مُرداً أبناء ثلاث وثلاثين سنة، فيدخلهم الجنة في نعيم وخلود شباب لا يهرمون، مقيمون لا يظعنون^(١)، أحياء لا يموتون، في نعيم وسرور وبهجة.

قال: فما جزاء من لم يعبد وعصاه؟

قال: النار؛ مقرونين مع الشياطين، مُغلغلين بالأصفاد^(٢)، لا يموتون أبداً، في

= يدعوهم إلى الله متمسكاً بمنهاج الياس وشريعته حتى قبضه الله - عز وجل - ثم خلف فيهم الخلو، وعظمت فيهم الأحداث والخطايا، وكثرت الجبارة، وقتلوا الأنبياء، وكان فيهم ملك غير طاع، ويقال: إنه الذي تكفل له ذو الكفل أن هو تاب ورجع دخل الجنة، فسَمي ذا الكفل. وهذا إسناد ضعيف جداً أيضاً بسبب إسحاق لكن المقصود أنه ذكر هنا أن اليسع النبي جاء بعد الياس، وذا الكفل جاء بعدهما، وليس كما ذكر في القصة الأولى، والله تعالى أعلم.

وأنظر البداية والنهاية ٢١٠/١ - ٢١٢، و٤/٢ - ٥

(١) ظعن: سار، كذا في مختار الصحاح ص ٤٦٠، والمقصود هنا: لا يخرجون منها.

(٢) أي: بالقيود: مختار الصحاح ص ١٠٢.

عذاب مقيم، وهَوَانٌ^(١) طويل، تضربهم الزَّبَانِيَّةُ^(٢) بِمَقَامِعٍ^(٣) من حديد، طعامهم الزُّقُومُ^(٤) والضَّرِيعُ^(٥) وشرابهم الحَمِيمُ^(٦).

فَرَّقَ الملك وبكى لما كان قد سَبَقَ له. فقال له: إِنْ أَنَا آمَنْتُ بِاللَّهِ فَمَا لِي؟ قَالَ: الْجَنَّةُ. قَالَ: فَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: أَنَا لَكَ الْكَفِيلُ، وَأَكْتُبُ لَكَ عَلَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كِتَابًا، فَإِذَا أَتَيْتَهُ تَقَاضَيْتَهُ بِمَا فِي كِتَابِكَ، وَفِي لَكَ، فَإِنَّهُ قَادِرٌ قَاهِرٌ يُوَفِّيكَ وَيَزِيدُكَ.

فَفَكَّرَ الْمَلِكُ فِي ذَلِكَ، - فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ - فَقَالَ لَهُ: أَكْتُبْ لِي عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - كِتَابًا.

فَكَتَبَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابُ كِتْبِهِ فَلَانَ الْكَفِيلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِكُنْعَانِ الْمَلِكِ، ثِقَةٌ مِنْهُ بِاللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، إِنْ اللَّهُ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا^(٧)، وَلِكُنْعَانِ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِكَفَالَةِ فَلَانَ، إِنْ تَابَ وَرَجَعَ عَبْدَ اللَّهِ، أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةُ، يَبُوءُهُ^(٨) مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ، وَإِنْ لَهُ عَلَى اللَّهِ مَا لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَنْ يَجِيرَهُ مِنْ عَذَابِهِ، فَإِنَّهُ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَاسِعٌ الرَّحْمَةِ، سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ. ثُمَّ خَتَمَ الْكِتَابَ، وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَرَشَدْنِي كَيْفَ أَصْنَعُ، قَالَ: قُمْ فَاغْتَسِلْ، وَابْسُ ثِيَابًا جُدْدًا، فَفَعَلَ. ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَتَشَهَّدَ، بِشَهَادَةِ الْحَقِّ، وَأَنْ يَبْرَأَ مِنَ الشَّرِكِ، فَفَعَلَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَيْفَ أَعْبُدُ رَبِّي؟ فَعَلَّمَهُ الشَّرَائِعَ وَالصَّلَاةَ، فَقَالَ لَهُ: يَا ذَا الْكَفْلِ! اسْتَرِ هَذَا الْأَمْرَ وَلَا تَظْهَرْهُ حَتَّى الْحَقُّ بِالنُّسَاكِ.

قَالَ: فَخَلَعَ الْمُلْكُ، وَخَرَجَ سَرًّا، فَلَحِقَ بِالنُّسَّاكِ، فَجَعَلَ يَسِيحُ فِي الْأَرْضِ.

(١) أَي: ذَلَّ وَضَعُفَ وَاسْتَخْفَفَ، مختار الصحاح ص ٤٧٥.

(٢) الزَّبَانِيَّةُ: سَمِّيَ بِذَلِكَ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ لِدَفْعِهِمْ أَهْلَ النَّارِ، وَأَصْلُ الزَّبَنِ الدَّفْعُ، كَذَا فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ٤٥٣.

(٣) قَالَ فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ٢٧٥: «الْمَقْمَعَةُ - بِالْكَسْرِ، وَاحِدَةُ الْمَقَامِعِ - مِنْ حَدِيدٍ، كَالْمَحْجَنِّ، يَضْرِبُ بِهَا عَلَى رَأْسِ الْفِيلِ» أ هـ.

(٤) قَالَ فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ٤١٠: «الزُّقُومُ: اسْمُ طَعَامٍ لَهُمْ، فِيهِ: تَمْرٌ وَزَبْدٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَنْيَمِ﴾، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: التَّمْرُ بِالزَّبْدِ نَتْرَقْمُهُ، أَيْ نَتَلَقَّمُهُ - فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْحَجِيمِ﴾» أ هـ.

(٥) أَي: الشُّوكُ. قَالَ فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ٢٧١: «الضَّرِيعُ بَيْيسُ الشُّبْرُقِ» أ هـ.

(٦) أَي: الْمَاءُ الْحَارُّ. أَنْظَرَ مَخْتَارُ الصَّحَاحِ ص ٤٠٣.

(٧) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ، آيَةُ رَقْمِ / ٣٠: ﴿إِنَّا لَا نُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

(٨) قَالَ فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ ص ٨: «تَبَوَّأَ مَنْزِلًا نَزَلَهُ. وَبَوَّأَ لَهُ مَنْزِلًا، وَبَوَّأَهُ مَنْزِلًا هَيَّاهُ وَمَكَنَ لَهُ فِيهِ» أ هـ.

وفقده أهل مملكته فطلبوه، فلمّا لم يقدروا عليه، قالوا: اُطْلُبُوا ذَا الْكِفْلِ! فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي غَرَّ إِلَهَنَا. قال: فذهب قوم في طلب الْمَلِكِ، وتوارى ذو الكفل. ففقدوا على الملك على مسيرة شهر من بلادهم، فلمّا نظروا إليه قائماً يصلي خرواً له سجداً، فانصرف إليهم، فقال: اُسْجُدُوا لِلَّهِ، وَلَا تَسْجُدُوا لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ؛ فَإِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَوَعَّظْتُهُمْ وَخَوَّفْتُهُمْ.

قال: فعرض له وَجَعٌ، وحضره الْمَوْتُ. فقال لأصحابه: لَا تَبْرَحُوا، فَإِنْ هَذَا آخِرُ عَهْدِي بِالدُّنْيَا، فَإِذَا مِتَّ فادفوني.

وأخرج كتابه فقرأه عليهم حتّى حفظوه، وعَلِمُوا مَا فِيهِ، وقال لهم: هَذَا كِتَابُ كِتْبَةِ لِي عَلَى رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ -، أَسْتَوْفِي مِنْهُ مَا فِيهِ، فادفنوا هَذَا الْكِتَابَ مَعِي. فلمّا مات جَهَّزُوهُ، ووضَعُوا الْكِتَابَ عَلَى صَدْرِهِ، ودفنوه، فبعث الله - تبارك وتعالى - ملكاً، فجاء به إِلَى ذَا الْكِفْلِ، فقال: يَا ذَا الْكِفْلِ! إِنَّ رَبَّكَ قَدْ وَفَى لَكُنْعَانُ بِكَفَالَتِكَ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبْتَهُ لَكَ، وَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: هَكَذَا أَفْعَلُ بِأَهْلِ طَاعَتِي.

فلمّا أَنْ جَاءَهُ الْمَلِكُ بِالْكِتَابِ، ظَهَرَ لِلنَّاسِ، فَأَخَذُوهُ، فقالوا له: أَنْتَ الَّذِي غَرَّرْتَ^(١) مَلِكَنَا وَخَدَعْتَهُ؟ فَقَالَمُ لَهُمْ: لَمْ أَغَرَّهُ وَلَمْ أَخْدَعْهُ، وَلَكِنْ دَعَوْتُهُ إِلَى اللَّهِ، وَتَكَلَّمْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ، وَقَدْ مَاتَ مِلْكُكُمْ الْيَوْمَ فِي سَاعَةِ كَذَا وَكَذَا، وَدَفَنَهُ أَصْحَابُكُمْ. وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي كُنْتُ كَتَبْتُهُ لَكَ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِالْوَفَاءِ، وَقَدْ وَفَّاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - حَقَّهُ. وَهَذَا الْكِتَابُ تَصَدِيقٌ لِمَا أَقُولُ لَكُمْ. فانتظروا حتّى يرجع أصحابكم.

فحبسوه حتّى قدم أصحابهم فسألوهم، فقصّوا عليهم القصة.

فقالوا لهم: تعرفون الكتاب الذي دفتتموه معه؟ قالوا: نعم. فأخرجوه إليه، ففروّوه، فقالوا: هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي كَانَ مَعَهُ، وَدَفَنَاهُ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا. فنظروا وحسبوا، فإذا ذَا الْكِفْلِ كَانَ قَدْ قَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ وَأَعْلَمَهُمْ بِمَوْتِ الْمَلِكِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ. فآمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، فبلغ من آمن به مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً.

وتكفل لهم مثل الذي تكفل لملكهم على الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فسماه الله: ذَا الْكِفْلِ^(٢).

(١) أي: خدعت. تقول: منه اغتر الرجل، واغتر بالشيء: خدع به مختار الصحاح ص ١٧٠.

(٢) سبق أن هذا الإسناد ضعيف جداً، فلا تقوم فيه حجة على ما ذكر هنا. وقد ذكر الحافظ ابن كثير البداية والنهاية ١/ ٢١٠ - ٢١١ أسباباً أخرى لتسميته بذي الكفل.

ذكر التّوّابين من الأهم

١٩ - [توبة قوم موسى عليه السلام]

وبه^(١) عن إسحاق بن بشر، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن^(٢)، قال:

أقبل موسى - عليه السّلام - يسأل ربّه - عزّ وجلّ - أن يتوب على قومه من عبادة العِجَل، فقال: يا موسى! لا توبة لهم إلّا أن يقتلوا أنفسهم.

فرجع موسى - عليه السّلام - إلى قومه، فقال: يا قوم! إنّ الله أبى أن يقبل منكم توبتكم إلّا أن تقتلوا أنفسكم، فتلّك توبتكم: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾^(٣) - يعني: خالقتكم.

قالوا: يا موسى، نصبر لأمر الله - عزّ وجلّ - ونَدِمَ القوم على ما صنعوا.

فأخذ موسى - عليه السّلام - منهم الميثاق لِيَصْبِرُنَّ للقتل والقضاء. فقالوا نعم.

فأصبحوا غدوة^(٤) بأفنية البيوت، كل بني أبٍ على حيّالهم^(٥).

(١) وبه: أي بالإسناد السابق في القصة السابقة.

(٢) هذا إسناد ضعيف جداً عن الحسن، فيه:

١ - إسحاق بن بشر، مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال ابن المديني: كذاب، كذا في المغني في الضعفاء للذهبي ٦٩/١.

جوير، وهو: ابن سعيد: ضعيف جداً، كذا في التقريب ١٣٦/١.

لكن ورد نحو هذه القصة عن غير واحد من التابعين.

أنظر نفس ابن كثير ٩٢/١ - ٩٣، والبداية والنهاية ٢٦٩/١ - ٢٧١. وهي من باب الرواية عن أهل الكتاب وكتبهم.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٥٤، وتتمام هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ، فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٥٣٠: «الغدوة: ما بين صلاة الغداة - أي: الفجر - وطلوع الشمس» أ.هـ.

(٥) قال في مختار الصحاح ص ٣٥٦: «قعد حيا له وبحياله، أي: بإزائه» أ.هـ. والمقصود: أن أهل كل =

فأمر موسى الذين لم يكونوا عبدوا العجل من بني إسرائيل أن يأخذوا السيوف فيقتلوا من لقوا. فَمَشَوْا فِي الْعَسْكَرِ، فَقَالُوا: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ يَحُلُّ حَبَوْتَهُ^(١)، ولم يرفع بصره، ولم يمتنع بيده ولا رجله، ولم يقم من مجلسه حتى يقضي الله قضاءه.

قال: فَقُتِّلُوا، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَأْتِيَ قَوْمَهُ وَهُمْ بِأَفْيَئَةِ بَيْتِهِمْ جُلُوسٍ، فيقول: إِنْ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكُمْ أَتَوْكُمْ شَاهِرِينَ السُّيُوفَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْبِرُوا، فَإِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتَهُ عَلَى رَجُلٍ حَلَّ حَبَوْتَهُ، أَوْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ، أَوْ حَدَّدَ إِلَيْهِمْ طَرَفَهُ، أَوْ اتَّقَاهُمْ بِيَدٍ أَوْ رِجْلٍ، فيقولون: آمِينَ.

وعن ابن عباس^(٢)، قال: قال القوم حين أمروا أن يَقْتُلَ بعضهم بعضاً: يا رسول الله، كيف نقتل الآباء والأبناء والإخوة؟ قال: فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً فقتلوههم.

فقالوا: يا موسى! ما آية توبتنا؟ قال: أن تقوم السيوف والسلاح فلا تَقْتُلَ، وتُرفَعِ عنكم الظُّلْمَةُ.

قال: فقتلوا حَتَّى بَلَغَتِ الدِّمَاءُ الْمَثَرَةَ، وخاضوا فيها، وصاح الصبيان إلى موسى يقولون: يا موسى! الْعَفْوُ الْعَفْوُ! وبكى موسى إلى الله - عز وجل - ، فأنزل الله عز وجل الرَّحْمَةَ وقام السلاح.

ونادى موسى أن ارفعوا عن إخوانكم، فقد نزلت الرَّحْمَةُ، وارتفعت عنهم الظلمة، فتكشفت عن القتلى.

قال ابن عباس: فقتلهم شهداء، وأحيائهم مغفور لهم^(٣).

٢٠ - [توبة قوم يونس عليه السلام].

قال إسحاق: وأخبرنا جوير ومقاتل، عن الضحَّاك، عن ابن عباس^(٤)، قال:

= بيت اجتمعوا قرب بعضهم.

(١) الْحَبْوُ: الرَّحْفُ. تقول: حبا الصبيُّ يحبو: إذا زحف. إساس البلاغة ص ٧٢-٧٣، ومختار الصحاح ص ٤٩٦ والمقصود هنا: من لم يحاول الهرب.

(٢) أنظر تفسير ابن كثير ٩٢/١.

(٣) وذكر هذا القول عن قتادة أيضاً - ، أنظر تفسير ابن كثير ٩٢/١.

(٤) هذا إسناد ضعيف جداً عن ابن عباس، فيه:

١ - إسحاق، وهو: ابن بشر، مجمع على تركه ومنهم من اتهمه بالكذب، كما تقدّم مراراً.

٢ - جوير، وهو ابن سعيد: ضعيف جداً. كما تقدم مراراً كذلك، لكن تابعه عليه مقاتل، فيغني

عنه، إلا أن يكون وهو مقاتل بن سليمان - وهو الأرجح - فقد كذّبوه وهجروه، التقريب ٢٧٢/٢. =

لَمَّا أَيْسَ يونس - عليه السلام - من إيمان قومه دعا رَبَّهُ عليهم، فقال: يا رَبُّ! إِنَّ قومي أَبَوْا إِلَّا الكفر، فَأَنْزِلْ عليهم نَقْمَتَكَ^(١).

فأوحى الله - عزَّ وجلَّ - إليه: إِنِّي أَنْزِلُ بِقَوْمِكَ العذاب. قال: فخرج عنهم يونس وأوعَدَهم العذاب بعد ثلاثة أيام، وأخرج أهله ومعه ابناه صغيран، فانطلق حتى خرج عنهم، فَصَعِدَ جبلاً ينظر إلى أهل «نينوى» ويتربَّع العذاب.

وبعث الله - عزَّ وجلَّ - جبريل، فقال: انطلق إليَّ مالك - خازن النار - فقل له يُخْرِج من سموم جهنم على قَدَرٍ مثقال شعيرة، ثُمَّ انطلق به فَاحْطُ به أهل مدينة «نينوى».

قال: فانطلق جبريل ففعل ما أمره رَبُّه - عزَّ وجلَّ - وعاین قوم يونس العذاب لما هبط للوقتِ لهم يونس.

قال أبو الجَلْد^(٢): إِنَّ العذابَ لَمَّا هبط على قوم يونس فجعل يحوم على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم.

قال ابن عَبَّاس: فَلَمَّا استيقنوا بالعذاب، سَقِطَ في أيديهم^(٣)، وعلموا أَنَّ يونس قد صَدَقَهُمْ، فطلبوه فلم يقدرُوا عليه. فقالوا: نجتمع إلى الله ونتوب إليه.

قال: فخرجوا إلى موضع يُقال له: تَلَّ الرَّمَاد، وتَلَّ التَّوْبَة.

= وقصة توبة قوم يونس - عليه السلام - ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وسيذكرها المصنف قريباً فلا داعي إلى ذكرها هنا.

(١) أي: عقابك. أنظر مختار الصحاح ص ٤٣٤.

(٢) بفتح الجيم وسكون اللام، وهو: جيلان بن أبي فروة الأسدي البصري، ويقال: ابن فروة، ذكره الإمام البخاري في التاريخ الكبير ٢٥١/٢/١ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وذكره ابن حبان في الثقات ١١٩/٤. وقال: «كان يقرأ الكتب، روى عنه أبو عمران الجوني» أ.هـ.

وذكره أبو حاتم في الجرح والتعديل ٥٤٧/٢، وقال: «صاحب كتب التوراة ونحوها، روى عن قتادة وأبو عمران الجوني».

ثم نقل بإسناده عن أحمد أنه قال عنه: ثقة» أ.هـ.

وأنظر لسان الميزان ١٤٤/٢.

قلت: فهو كما تقدّم يعرف بالأخذ عن كتب أهل الكتاب.

(٣) أي: ندموا، وهذا من المجاز، إذ أن السقوط: الوقوع ونحوها وليس الندم. قال الزمخشري في

أساس البلاغة ص ٢١٤: «ومن المجاز... وسُقِطَ في يده، وأسْقِطَ وسَقَطَ - على المبني للفاعل -:

ندم، وهو مسقوط في يده، وساقط في يده: نادم» أ.هـ.

وَأَمَّا سُمَيٌّ: تَلَّ الرَّمَادَ، لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا جَمِيعًا: الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْعَوَاتِقُ^(١)،
وَأَخْرَجُوا مَعَهُمْ أَنْعَامَهُمْ وَبِهَائِمَهُمْ، فَمَيَّزُوا بَيْنَ الْمَرَاضِعِ وَأَوْلَادِهَا، وَالبَهَائِمِ وَأَوْلَادِهَا،
وَجَعَلُوا الرَّمَادَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَوَضَعُوا الشُّوكَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، وَلَبَسُوا الْمُسُوحَ
وَالصُّوفَ، ثُمَّ اسْتَجَارُوا بِاللَّهِ، وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالْبُكَاءِ وَالذُّعَاءِ، فَعَلِمَ اللَّهُ - عَزَّ
وَجَلَّ - مِنْهُمْ الصَّدَقَ.

فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ! رَحِمَتِكَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَهَؤُلَاءِ الْأَكَابِرُ مِنْ وَلَدِ آدَمَ
تَعَذَّبُوهُمْ، فَمَا بِالْأَصَاغِرِ وَالبَهَائِمِ؟ فَقَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : يَا جَبْرِيلُ! ارْفَعْ عَنْهُمْ
العَذَابَ، فَقَدْ قَبِلْتَ تَوْبَتَهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا
إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى
حِينٍ﴾^(٢).

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَسَاكِرَ، أَنَا أَبُو طَالِبٍ، أَنَا أَبُو عَلِيٍّ التِّمِيمِيُّ، أَنَا أَبُو بَكْرٍ الْقَطِيعِيُّ،

(١) قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ ص ٢٩٣: «هِيَ عَاتِقٌ مِنَ الْعَوَاتِقِ: لِلشَّابَّةِ أَوَّلُ مَا أَذْرَكَتْ» أ.هـ.

(٢) سُورَةُ يُونُسَ، آيَةُ رَقْمِ ٩٨.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٣٢/٢ - ٤٣٣: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فَهَلَّا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ بِكَمَالِهَا مِنْ
الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الَّذِينَ بَعَثْنَا إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ بَلَّ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَذَبَهُ قَوْمُهُ أَوْ
أَكْثَرُهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ﴾،
﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ﴾، ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفِّهُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أَمَةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾.
وَفِي الْحَدِيثِ: عَرَضَ عَلِيُّ الْأَنْبِيَاءِ، فَجَعَلَ النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الْقَتَامُ مِنَ النَّاسِ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الرَّجُلُ،
وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ ثُمَّ ذَكَرَ كَثْرَةَ أَتْبَاعِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - ثُمَّ ذَكَرَ كَثْرَةَ
أُمَّتِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - سَدَّتِ الْخَافِقِينَ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ.

وَالْغَرَضُ أَنَّهُ لَمْ تَوْجَدْ قَرْيَةً آمَنَتْ بِكَمَالِهَا بَنِيهِمْ مِمَّنْ سَلَفَ مِنَ الْقُرَى إِلَّا قَوْمُ يُونُسَ، وَهُمْ أَهْلُ
نَيْنَوَى، وَمَا كَانَ إِيمَانُهُمْ إِلَّا خَوْفًا مِنْ وَصُولِ الْعَذَابِ الَّذِي أَنْذَرَهُمْ بِهِ رَسُولُهُمْ بَعْدَ مَا عَايَنُوا أَسْبَابَهُ
وَخَرَجَ رَسُولُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، فَعِنْدَهَا جَاءُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغَاثُوا بِهِ وَتَضَرَّعُوا لَهُ، وَاسْتَكَانُوا،
وَأَحْضَرُوا أَطْفَالَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ، وَسَلَّوْا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ الَّذِي أَنْذَرَهُمْ بِهِ
نَبِيِّهِمْ، فَعِنْدَهَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَكَشَفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَأَخْرَجَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا
آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾.

وَاخْتَلَفَ الْمَفْسُورُونَ هَلْ كُشِفَ عَنْهُمْ الْعَذَابُ الْآخِرُ، مَعَ الدُّنْيَوِيِّ، أَوْ إِنَّمَا كُشِفَ عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا
فَقَطُّ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ: .

أَحَدُهُمَا: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَمَا هُوَ مُقَيَّدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

وَالثَّانِي: فِيهِمَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾،
«فَاطْلُقْ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وَالْإِيمَانَ مُنْقَذٌ مِنَ الْعَذَابِ الْآخِرِيِّ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» أ.هـ.

ثنا عبدالله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا هاشم^(١)، ثنا صالح، عن أبي عمران الجَوْنِي^(٢)، عن أبي الجَلْد^(٣)، قال:

إِنَّ الْعَذَابَ لَمَّا هَبَطَ عَلَى قَوْمِ يُونُسَ فَجَعَلَ يَحُومُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ مِثْلَ قِطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، فَمَشَى ذُووُ الْعُقُولِ مِنْهُمْ إِلَى شَيْخٍ مِنْ بَقِيَّةِ عِلْمَائِهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا قَدْ نَزَلَ بِنَا مَا تَرَى، فَعَلَّمْنَا دَعَاءً نَدْعُو بِهِ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عَنَّا الْعُقُوبَةَ.

فَقَالَ: قُولُوا: يَا حَيَّ حِينَ لَا حَيَّ، وَيَا حَيَّ مَحْيِي الْمَوْتَى، وَيَا حَيَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.
قال: فكشف الله - عز وجل - عنهم.

وعن الحسن، أن يونس - عليه السَّلام - بعد ما أنجاه الله من بطن الحوت رجع فمرَّ بَرَاغٍ من رعاة قومه، وهو من بَرِيَّةٍ يرعى غنماً، فقال يونس للراعي: من أنت يا عبدالله؟ قال: أنا من قوم يونس بن مَتَّى. قال يونس: فما فعل يونس؟ قال: لا ندرى ما حاله، غير أنَّه كان خير النَّاسِ، وأصدق النَّاسِ، أخبرنا عن العذاب، فجاءنا على ما قال، فُتِّبْنَا إِلَى اللَّهِ فَرَحِمْنَا، فنحن نطلب يونس، ولا ندرى أين هو، ولا نسمع له بذكر.

(١) في المطبوعة: ثنا هُشَيْمٌ، وهو خطأ، والمثبت كما في كتاب الزهد للإمام أحمد ص ٤٤. ويؤكد أن الذي أثبتناه هو الصواب، أن الذي يروي عن صالح، وهو المَرِّي إنما هو هاشم، وليس هُشَيْمٌ. انظر تهذيب الكمال ١٦/١٣ - ١٧.

وهاشم، هو: ابن القاسم بن مسلم الليثي مولاهم، البغدادي، أبو النَّضَر، مشهور بكنيته، ولقبه: قيصر، ثقة ثبت، مات سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وسبعون. التقريب ٢/٣١٤.

(٢) هو: عبد الملك بن حبيب، مشهور بكنيته، تابعي ثقة، التقريب ١/٥١٨.

(٣) تقدم قريباً أنه كان يقرأ التَّوَارَةَ وكتب أهل الكتاب.

وروى هذا الأثر الإمام أحمد في الزهد ص ٤٤ - ٤٥ وإسناده ضعيف، فيه: صالح، وهو: ابن بشير بن وادع المَرِّي.

قال عنه يحيى بن معين: ليس به بأس، وقال مرة أخرى: ضعيف وقال ثالثة: ليس بشيء. وقال رابعة: كان قاصاً، وكان كل حديث يحدث به عن ثابت باطلاً.

وقال ابن المديني: ليس بشيء، ضعيف ضعيف.

وقال عمرو بن علي: ضعيف الحديث، يُمَدُّ بِأَحَادِيثٍ مَنَاقِيرَ عَنْ قَوْمِ ثَقَاتٍ..

وقال الجوزجاني: كان قاصاً، واهي الحديث.

وقال البخاري: منكر الحديث.

وقال أبو عبيد الأجرِّي: قلت لأبي داود: يُكْتَبُ حَدِيثُ صَالِحِ الْمَرِّي؟ قال: لا.

وقال النسائي: ضعيف الحديث، له أحاديث مناكير، وقال في موضع آخر: متروك الحديث.

انظر تهذيب الكمال ١٦/١٣ - ٢٣. وتهذيب التهذيب ٤/٣٨١، وقال عنه في التقريب ١/٣٥٨: زاهد، ضعيف، أهد.

قال يونس: هل عندك من لبن؟ قال: لا، والذي أكرم يونس ما مطرت السماء ولا أغشيت الأرض منذ فارقتنا يونس. قال: ألا أراكم تحلفون بإله يونس؟ قال: لا نحلف بغير إله يونس، من فعل في مدينتنا فحلف بغير إله يونس نُزع لسانه من قفاه. فقال له يونس: متى استحدثتم هذا؟ قال: لما كشف الله عنا العذاب.

قال يونس: انتني بنعجة، قال: فأتاه بنعجة مَسْلُوبَةً^(١)، فمسح يده على بطنها، ثم قال لها: دري ياذن الله، فدرت، فاحتلبها يونس، فشرب يونس والراعي.

فقال الراعي: إن كان يونس حيًّا فأنت هو.

قال: أنا يونس، فأب قومك فأقرتهم مِنِّي السَّلام. قال: إنَّ الملك قال: من أتاني فأعلمني أنه رأى يونس، وجاءني ذلك بِرُزْهَان، خلعت له ملكي، وجلعته مكاني، ولحفت بيونس، فلا أستطيع [أن] أبلغه ذلك إلا بحجَّة، فأني أخاف أن يُقال لي: إنما قلت هذا لقول الملك، وطمعت في ملكه وكذَّبت، وليس أحدٌ مِنَّا يكذب اليوم كذبة إلا قتلوه، وأنت أعظم في أعينهم من ذلك أن أجيئهم بما يكذبوني ويقتلونني.

قال يونس: تشهد لك الشاة التي شربنا منها لبناً، وهو مستند إلى صخرة، فقال للصخرة: اشهدي له.

قال ابن سمعان: إن يونس قال للراعي: إنطلق إلى قومك فبلغهم عني السَّلام، وأخبرهم أنك قد رأيتني، قال: فانطلق الراعي فأخبرهم، فكذبوه. فلما شهدت الصخرة والشاة، اجتمعوا فبكوا على ذكر يونس ولم يروه.

وقالوا للراعي: أنت خيرنا وسيّدنا حين رأيت يونس فملّكوه عليهم، وقالوا: لا ينبغي أن يكون فينا أحدٌ أرفع منك، ولا نعصى لك أمراً بعدما رأيت يونس رسول الله. فكان ذلك آخر العهد بيونس.

قال: وملكهم الراعي أربعين سنة.

٢١ - [توبة قوم نبي من الأنبياء]

أخبرنا عبد الرحمن بن جامع الفقيه، أنا أحمد بن أحمد المتوكلي، أنا أبو بكر الخطيب^(٢)، أنا محمد بن موسى بن الفضل، أنا محمد بن عبد الله الصفار، أنا ابن سمعان.

(١) أي: ضامرة، ليس فيها حليب.

(٢) هو الإمام أحمد بن حنبل بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي، مُحدث، مؤرخ، أصولي، وكبدر زيجان من قسرى العراق سنة (٣٩٢) هـ. وقيل: سنة (٣٩١). ونشأ في بغداد، ورحل سمعان.

الدنيا، أن^(١) سعيد بن سنان الحمصي، قال:

أوحى الله - عز وجل - إلى نبي من الأنبياء: إِنَّ الْعَذَابَ حَاقِقٌ^(٢) بقومك.

قال: فذكر ذلك النبي لقومه، وأمرهم أن يُخرجوا أفاضلهم فيتوبوا. قال: فخرجوا.

فأمرهم أن يُخرجوا ثلاثة من أفاضلهم وفداً إلى الله تعالى.

قال: فخرج^(٣) الثلاثة أمام القوم.

قال: فقال أحد الثلاثة: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِي التَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى عَبْدِكَ مُوسَى

أَنْ لَا نَرُدَّ السُّؤَالَ إِذَا قَامُوا بِأَبْوَابِنَا، وَإِنَّا سَوَّالٌ مِنْ سَوَّالِكَ قَمْنَا بِيَابَ مِنْ أَبْوَابِكَ فَلَا تَرُدُّ سَوَّالَكَ.

وقال الثاني: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِي التَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى عَبْدِكَ مُوسَى أَنْ نَعْفُو

عَمَّنْ ظَلَمْنَا، وَإِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاعْفُ عَنَّا.

وقال الثالث: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِي التَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى عَبْدِكَ مُوسَى أَنْ نَعْتَقَ

أَرْقَاءَنَا، وَإِنَّا عِبِيدُكَ وَأَرْقَاؤُكَ فَأَوْجِبْ لَنَا عَتَقَنَا.

فأوحى الله إلى نبيه أنه قبل منهم، وعفا عنهم.

= الحديث، وتوفي ببغداد سنة (٤٦٣) هـ.

له تصانيف كثيرة منها: تاريخ بغداد، الكفاية في معرفة علم الرواية، الفقيه والمتفقه، الجامع لأدب الراوي والسامع، وشرف أصحاب الحديث، وغيرهم كثير.

أنظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/٣١٢. ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/٣٢٠-٣٣٠، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/١٠١-١٠٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير ١٠/٢٣-٢٤، ومعجم المؤلفين ٣/٢-٤.

(١) في المطبوعة: أنا سعيد بن سنان، ومعناها أنبأنا أي: أن ابن أبي الدنيا سمع من سعيد بن سنان وهذا غير مسلم به، إذ أن سعيد بن سنان توفي سنة ثلاث أو ثمان وستين بعد المائة، كما في التقريب ١/٢٩٨.

وابن أبي الدنيا، واسمه عبدالله بن محمد بن عبيد، مات سنة إحدى وثمانين ومائتين، وله ثلاث وسبعون كما في التقريب ١/٤٤٧، فيكون مولده سنة ثمان ومائتين فأتى له أن يسمع منه، والله تعالى أعلم.

وسعيد بن سنان قال عنه في التقريب ١/٢٩٨: «الحنفي، أو الكندي، أبو مهدي الحمصي، متروك، ورماء الدارقطني وغيره بالوضع» أ هـ.

وابن أبي الدنيا، هو الحافظ المعروف صاحب التصانيف وقد سبقت ترجمته فيما مر.

(٢) أي: حائط بهم، ونازل بهم، مختار الصحاح ص ٣١٤.

(٣) في المطبوعة: فخرجت، والمثبت هو الموافق لسياق الكلام، والله أعلم.

ذكر التوابين من آحاد الأمم الماضية

٢٢ - [توبة أصحاب الغار]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي، أنا أبو الحسن بن العلاف، أنا أبو القاسم بن بشران، أنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي الكندي، أنا أبو بكر محمد بن جعفر السامري، ثنا نصر بن داود بن مهران، ثنا داود بن عبد الرحمن العطار، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ:

بينما ثلاثة نفر يمشون إذ أخذهم المَطَرُ، فأوَّأوا إلى غار في جبل، فاندحطَّت عليهم في غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم باب الغار.

فقال بعضهم لبعض: أنظروا أعمالاً عملتموها صالحة فادعوه بها. فدَعَوْا الله عَزَّ وَجَلَّ.

فقال بعضهم: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَةٌ وَسَبِيَّانِ، فَكَنتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ إِلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأَتْ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ. وَإِنَّهُ نَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ^(١)، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا. فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ فَقَمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصَّبِيِّ قَبْلَهُمَا. فَجَعَلُوا يَتَضَاغُونَ^(٢) عِنْدَ قَدَمِي. فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ ذَائِبِي وَدَائِبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ. فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ^(٣) عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَّجَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ فُرْجَةً.

وقال الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ فَأَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ

(١) أي: بُعِذَ بِي طَلَبُ الْمَرْعَى. أي: أنه استطرد مع غنمه في الرعي، ألى أن بعد عن مكانه زيادة على العادة، ولذلك أبطأ أنظر فتح الباري ٥٠٨/٦.

(٢) يتضاغون: أي: يصيحون ويبيكون، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٠٩/٦: «انصفاء - بالمد - : الصياح ببيكاء» أ.هـ.

(٣) قال في الفتح ٥٠٨/٦: «فافرج: بوضل - أي: بهمزة وصل - وضم الراء، من الثلاثي، وضبطه بعضهم بهمزة، وكسر الراء من الرباعي - أي فافرج» أ.هـ.

والفرجة: الفتحة؛ وافرج لنا: فافتح لنا.

فطلبتُ إليها نفسها، فأبَتْ عليَّ حتَّى آتيها بمائة دينار. فسعيت حتَّى جمعت مائة دينار، فجئتُها بها. فلمَّا قعدتُ بين رِجلَيْها، قالت: يا عبد الله! اتَّقِ الله، ولا تُفَضِّرْ الخاتمَ إلَّا بحِمِّه^(١). فَقُمْتُ عنها. فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فأفرُجْ لنا فُرْجَةً نرى منها السَّماءَ! ففرج الله لهم فرجة.

وقال الآخر: اللَّهُمَّ إِنِّي استأجرت أجيراً، فلمَّا قضى عمله قال: أعطني حَقِّي. فعرضته عليه فتركه ورغب عنه، فثُمِّرته. حتَّى اشتريت به بقراً ورعاءها. فجاءني بعد حين، فقال: اتَّقِ الله ولا تظلمني حَقِّي، فقلت: انطلق فخذ تلك ورعاءها، فقال: اتَّقِ الله ولا تستهزِء بي. فقلت: إِنِّي لا أستهزِء بك. فخذ تلك البقر ورعاءها. فأخذها وذهب. فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فأفرُجْ لنا ما بقي. ففرجها الله عنهم^(٢).

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٠٩/٦: «ولا تفَضِّرْ، أي: لا تكسر، والخاتم: كناية عن عذرتها، وكأنها كانت بكرًا، وكنت عن الإفضاء بالكسر، وعن الفرج بالخاتم، لأن في حديث النعمان - وهو أحد الصحابة الذين رواوا الحديث كما سيأتي بيانه - ما يدل على أنها لم تكن بكرًا.. وقولها: بحقه، أرادت به الحلال، أي: لا أحل لك أن تقربني إلَّا بتزويج صحيح...» أ.هـ.

(٢) للحديث طرق عن ابن عمر: - فرواه من طريق موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر نحوه: البخاري في كتاب البيوع، باب (٨ م) إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي، حديث رقم (٢٢١٥) ٤٠٨/٤ - ٤٠٩.

وفي كتاب الحرق والمزارعة، باب (١٣) إذا زرع بمال قوم بغير إذنه، وكان في ذلك صلاحٌ لهم، حديث رقم (٢٣٣٣) ١٦/٥.

ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب (٢٧) قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال، حديث رقم (٢٧٤٣) ٢٠٩٩/٤ - ٢١٠٠.

والنسائي في كتاب الرقائق، من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ٢٣٦/٦ للحافظ المزي.

- ورواه من طريق عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر نحوه: البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٣) حديث الغار، حديث رقم (٣٤٦٥) ٥٠٥/٦ - ٥٠٦. ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار باب (٢٧) قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال، حديث رقم (٢٧٤٣) ٢١٠٠/٤.

- ورواه من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر نحوه: البخاري في كتاب الأدب، باب (٥) إجابة دُعاء من برَّ والديه، حديث رقم (٥٩٧٤) ٤٠٤/١٠. - ورواه من طريق محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر نحوه:

= البخاري في كتاب الإجارة، باب (١٢) من استأجر أجيراً فترك أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره فاستفضل، حديث رقم (٢٢٧٢) ٤/٤٤٩ - ٤٥٠.

ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب (٢٧) قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الاعمال، حديث رقم (٢٧٤٣) ٤/٢١٠٠ - ٢١٠١.

* قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥١٠/٦: «تنبيه: لم يخرج الشيخان هذا الحديث إلا من رواية ابن عمر، وجاء بإسناد صحيح عن أنس أخرجه الطبراني في الدعاء من وجه آخر حسن. وبإسناد حسن عن أبي هريرة، وهو في صحيح ابن حبان، وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن أبي هريرة وعن النعمان بن بشير، من ثلاثة أوجه حسان، أحدها عند أحمد والبخاري، وكلها عند الطبراني. وعن عليّ، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وابن أبي أوفى بأسانيد ضعيفة. وقد استوعب طرقه أبو غوانه في صحيحه، والطبراني في الدعاء.

وافقت الروايات كلها على أن القصص الثلاثة في الأجير والمرأة والأبوين، إلا حديث عقبة بن عامر ففيه بدل الأجير أن الثالث قال: كنت في غنم أرهاها، فحضرت الصلاة فقامت أصلي، فجاء الذئب، فدخل الغنم فكرهت أن أقطع صلاتي، فصبرت حتى فرغت، فلو كان إسناده قوياً لحمل على تعدد القصة. - قلت: لكن إسناده ضعيف، كما سبق ذكره. -

ووقع في رواية الباب من طريق عبيدالله العمري - قلت: هو عبيدالله بن عمر، قد تقدم ذكر روايته، عن نافع، تقديم الأجير، ثم الأبوين، ثم المرأة، وخالفه موسى بن عقبة من الوجهين، فقدم الأبوين ثم المرأة، ثم الأجير، ووافقه رواية سالم.

وفي حديث أبي هريرة المرأة، ثم الأبوين، ثم الأجير.

وفي حديث أنس: الأبوين، ثم الأجير، ثم المرأة.

وفي حديث النعمان: الأجير، ثم المرأة، ثم الأبوين.

وفي حديث عليّ وابن أبي أوفى معاً: المرأة، ثم الأجير، ثم الأبوين.

وفي اختلافهم دلالة على أن الرواية بالمعنى عندهم سائغة شائعة، وأن لا أثر للتقديم والتأخير في مثل ذلك.

وأرجحها في نظري رواية موسى بن عقبة لموافقة سالم لها، فهي أصح طرق هذا الحديث، وهذا من حيث الإسناد.

وأما من حيث المعنى فينظر أيّ الثلاثة كان أنفع لأصحابه، والذي يظهر أنه الثالث، لأنه هو الذي أمكنهم أن يخرجوا بدعائه، وإلا فالأول أفاد أخرجهم من الظلمة.

والثاني أفاد الزيادة في ذلك وإسكان التوسل إلى الخروج بأن يمرّ مثلاً هناك من يعالج لهم. والثالث هو الذي تهياً لهم الخروج بسببه، فهو أنفعهم لهم، فينبغي أن يكون عمل الثالث أكثر فضلاً من عمل الآخرين.

يظهر ذلك من الأعمال الثلاثة:

فصاحب الأبوين فضيلته مقصورة على نفسه، لأنه أفاد أنه كان باراً بأبويه.

وصاحب الأجير نفعه متعدّد، وأفاد بأنه كان عظيم الأمانة.

وصاحب المرأة أفضلهم، لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربّه، وقد شهد الله لمن كان كذلك بأنّه

٢٣ - [توبة الكفل]

قال محمد بن جعفر: وأخبرنا عبد الرزاق بن منصور الضير، ثنا أسباط بن محمد، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعد مولى طلحة، عن ابن عمر قال: لقد سمعت من رسول الله - ﷺ - حديثاً، قال:

كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله. فأتته امرأة فأعطاه ستين ديناراً على أن يطأها. فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت. فقال لها: ما يبكيك؟ أكرهتك؟ قالت: لا، ولكن هذا عمل لم أعمله قط.

قال: فسم تفعلين هذا ولم تكوني فعلتيه قط؟

قالت: حملتني عليه الحاجة.

قال: فتركها، ثم قال: إذهبي والدنانير لك. ثم قال: والله لا يعصي الله الكفل أبداً. فسأت من ليلته، فأصبح مكتوماً على بابه: غفر الله للكفل^(١).

الحبة. حيث نال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾. وقد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة، فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدّي، ولا سيما وقد قال: إنها كانت بنت عمه، فتكون فيه صلة رحم أيضاً، وقد تقدم أن ذلك كان في سنة محط، فتكفّر الحاجة إلى ذلك أخرى.

فيترجح عنى هذا رواية عبيد الله، عن نافع. وقد جاء قصة المرأة أيضاً أخيرة في حديث أنس والله أعلم^{أهـ}.

وكان قد قال: ابن الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى ٥٠٩/٦ - ٥١٠ فيما يؤخذ من هذا الحديث من القوي: «وفي هذا الحديث: استحباب الدعاء في الكرب، والتقرب إلى الله تعالى بذكر صالح العمل، واستحباب بعده سألته، واستنبط منه بعض الفقهاء استحباب ذكر ذلك في الاستسقاء...» وبه فصل الإخلاص في العمل، وفضل برّ الوالدين، وخدمتهما، وإيثارهما على الولد والأهل وتحمل المشقة لأجلهما.

وفيه فصل النعمة، والإنكشاف عن الحرام مع القدرة، وأن ترك المعصية يحو مقدمات طلبها، وأن التوبة تحت ما قبلها.

وفيه: حازم الجور، بالصغاء المعلوم بين المتأجرين، وفضل أداء الأمانة وإثبات الكرامة للصالحين. واستدل به على جواز بيع المضولي...^{أهـ}.

وفيه: أن المستودع إذا أئتم في مال الوديعة كان الربح لصاحب الوديعة...^{أهـ}.

(١) رواه الترمذي في كتاب منه القيامة، باب (٤٨) حديث رقم (٢٤٩٦) ٦٥٧/٤ - ٦٥٨، وفي أوله أن ابن عمر قال: سمعت النبي - ﷺ - يحدث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين، حيث عد سبع مرات، ليكني سمعته من ذلك، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: كان الكفل... فذكره نحوه ثم قال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن، قد رواه شيبان وغير واحد عن الأعمش نحوه هذا ورفعوه، وروى بعضهم عن الأعمش فلم يرفعه، وروى أبو بكر بن عياش هذا الحديث عن الأعمش فأخطأ =

٢٤ - [توبة العابد والمرأة البغي]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ الإمام^(١)، أنا عبد الملك بن أبي القاسم، قال: أنا محمد بن عليّ بن عُمَيْر، أنا محمد بن محمد بن عبد الله القَاميّ^(٢)، أنا

= فيه، وقال: عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عمر، وهو غير محفوظ. وعبد الله بن عبد الله الرازي، هو كوفيّ، وكانت جدته سُرَيَّة لعليّ بن أبي طالب، ورَوَى عن عبد الله بن عبد الله الرازي عبدة الضبيّ، والحجاج بن أرطاة، وغير واحد من كبار أهل العلم» أ هـ. وزاد الحافظ المزني في تحفة الأشراف ٤٢٠/٥ - ٤٢١ أنه قال: «وقال أبو أسامة، عن الأعمش؛ طلحة مولى سعد، والأول أصح» أ هـ. والحاكم في المستدرک ٢٥٤/٤ - ٢٥٥، ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» أ هـ. ووافقه الذهبي.

ورواه ابن حبان في صحيحه، في كتاب التوبة، باب (٤) في الندم على الذنب والتوبة منه، موارد الظمان حديث رقم (٢٤٥٣) ص ٦٠٨، من طريق أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عمر قال: سمعت النبي - ﷺ - أكثر من عشرين مرة يقول: . . . أما رواية ابن حبان فضعيفة، إذ أن أبو بكر أخطأ فيها، فقال: عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عمر؛ والمحمفوظ عن عبد الله بن عبد الله، عن سعد مولى طلحة، عن ابن عمر، كما قال الترمذي كما سبق.

وأما رواية الترمذي والحاكم، فضعيفة أيضاً، فيها سعد مولى طلحة، قال في التقريب ٢٩٠/١: «سعد مولى طلحة، أو سعيد، ويقال: طلحة مولى سعد: مجهول» أ هـ.

(١) هو الإمام جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، المعروف بابن الجوزي، أبو الفرج، محدث، حافظ، مفسر، فقيه، واعظ، أديب، مؤرخ، مشارك في أنواع العلوم، ولد ببغداد سنة (٥١٠) هـ. تقريباً وقيل: سنة (٥٠٨) هـ.، وقيل: سنة (٥٠٩) هـ. وتوفي بها، ودفن بباب حرب.

له مؤلفات كثيرة جداً، قال في شذرات الذهبي: سئل ابن الجوزي عن عدد تصانيفه؟ فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا، منها ما هو عشرون مجلدًا أو أقل.

من مؤلفاته: المغني في علوم القرآن، زاد المسير في علم التفسير، تذكرة الأريب في اللغة، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، المنتظم في تاريخ الأمم، وبستان الواعظين ورياض السامعين، وغيرها كثير، وما ذكرناه غيض من فيض.

أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣١/٤، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٧، البداية والنهاية لابن كثير ٢٨/١٣ - ٣٠، شذرات الذهب لابن العماد ٣٢٩/٤ - ٣٣١، الكامل لابن الأثير ٦٧/١١. ومعجم المؤلفين ١٥٧/٥ - ١٥٨.

(٢) هذه النسبة إلى شيثين:

الأول: نسبة إلى بيع الفواكه اليابسة، ويقال لبائعها: البقال أيضاً.

الثاني: نسبة إلى قامية، قرية من قرى واسط من ناحية فم الصلح. أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٤١٠/٢.

محمد بن أحمد المرواني، قال: حَدَّثَنِي محمد بن المنذر شكر، قال: حَدَّثَنِي الفضل بن عبد الجبار البَاهِلِي، أَنَا إبراهيم بن الأشعث، ثنا معتمر بن سليمان، عن أبي كعب - صاحب الحرير - ^(١)، عن الحسن ^(٢)، قال:

كانت امرأةٌ بغيٌ، لها ثلث الحسن، لا تُمكن من نفسها إلا بمائة دينار. وإنه أبصرها عابداً فأعجبته. فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار. ثم جاء إليها، فقال: إِنَّكَ أعجبتني فانطلقتُ فَعَمِلْتُ بيدي، وعالجتُ حتى جمعتُ مائة دينار. فقالت له: أدخل. فدخل، وكان لها سرير من ذهب، فجلستُ على سريرها، ثم قالت له: هلم. فلما جلس منها مجلس الخاتن ^(٣)، ذكر مقامه بين يدي الله، فأخذته رعدة. فقال لها: اتركني أخرج ولك المائة دينار. قالت: ما بدا لك وقد زعمتُ أَنَّك رأيتني فأعجبتك، فذهبتُ فعالجتُ وكَدَدْتُ حتى جمعتُ مائة دينار، فلما قَدِرْتُ عليّ فعلتُ الذي فعلتُ؟ فقال: فرَقاً ^(٤) من الله، ومن مقامي بين يديه، وقد بَغَضْتَ إليّ، فأنتِ أبغضُ النَّاسِ إليّ.

فقالت: إن كنتَ صادقاً فما لي زوج غيرك. فقال: دَعيني أخرج. فقالت: لا، إلا أن تجعل لي أن تزوج بي. قال: لا، حتى أخرج. قالت: فلي عليك إن أنا أتيتك أن تزوجني؟ قال: لعل.

فتقنعت بثوبه، ثم خرج إلى بلده. وارتحلت تائبةً نادمةً على ما كان منها حتى قدمت بلده. فسألت عن اسمه ومنزله، فدلَّت عليه فقيل له: إِنَّ الْمَلِكَةَ قد جاءتكَ. فلما رآها شهِقَ شَهْقَةً فمات، وسقط في يدها. وقالت: أما هذا فقد فاتني، فهل له من قريب؟ قالوا: أخوه رجل فقير. قالت: فإنِّي أتزوجه حباً لأخيه. فتزوجته، فنَشَرَ الله منهُما سبعة أنبياء.

٢٥ - [توبة القصاب]

أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن جامع بن غنيمه بن البنا، حدثنا أبو السَّعَادَات أحمد بن أحمد المتوكلي، أَنَا أبو بكر الخطيب ^(٥)، أَنَا أبو سعيد محمد بن

(١) هو: عبد ربّه بن عُبيد الإزدِي، أبو كعب، ثقة، التقريب ٤٧١/١.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، الإمام المعروف.

(٣) أي: مجلس الزوج، والتقاء الختانين، أنظر مختار الصحاح ص ٤٤٩.

(٤) أي: خوفاً.

(٥) هو الإمام المعروف: بالخطيب البغدادي، صاحب التصانيف المفيدة، منها: تاريخ بغداد وغيره كثير، وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

موسى بن الفضل، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصَّفَّار^(١)، أنا أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا الحسن بن الصباح، ثنا زيد بن الحُبَاب، ثنا محمد بن نشيط الهَلَالِي^(٢)، ثنا بكر بن عبد الله المُرْزِي^(٣).

أن قصاباً وُلِعَ بجارية لبعض جيرانه. فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى، فتبعها، فراودها عن نفسها. فقالت: لا تفعل، لانا أشدَّ حباً منك لي، ولكنني أخاف الله. قال: فأنت تخافينه وأنا لا أخافه؟! فرجع تائباً، فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه. فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل، فسأله، قال: ما لك؟ قال: العطش. قال: تعال حتى ندعو الله حتى تظللنا سحابة حتى ندخل القرية. قال: ما لي من عمل. قال: فأنا أدعو وأمن أنت. قال: فدعا الرسول، وأمن هو. فأظلتهم سحابة حتى انتهوا إلى القرية.

فأخذ القصاب إلى مكانه، ومالت السحابة، فمالت عليه. فرجع الرسول، فقال: زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذي دعوتُ وأنت الذي أمنت، فأظلتنا سحابة ثم تبعتك، لتُخبرني ما أمرك. فأخبره، فقال الرسول: التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه.

٢٦ - [توبة صاحب الرغيف]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان، أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد، ثنا أبو نعيم الحافظ^(٤)، ثنا عبد الله بن محمد بن شبل، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة،

(١) الصَّفَّار: قال في اللباب ٢/٢٤٣ - ٢٤٤: «يفتح الصاد، وتشديد الفاء، وفي آخرها الرا، هذه اللفظة تقال لمن يبيع الأواني، وفي آخرها الرائ. اللفظة تقال لمن يبيع الأواني الصفرية، واشتهر بها جماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الزاهد - قلت: وهو الراوي هنا -، الأصبهاني، الصَّفَّار، من أهل أصبهان، سكن بنيسابور، كان زاهداً حسن السيرة ورعاً. سمع أبا إسماعيل الترمذي، وأسيد بن عاصم، وأحمد بن مهدي وغيرهم، روى عنه الحاكم أبو عبد الله، وأبو علي الحسين بن علي النيسابوري الحافظ وغيرهما، وصنف كتباً في الزهد، وتوفي في يوم الإثنين لثمان بقين من ذي العقدة، سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة» أ هـ.

(٢) هو: محمد بن نشيط الفارسي، أبو النعمان الهَلَالِي. ذكره ابن حبان في الثقات ٧/٤٢٩ - ٤٣٠. وقال الإمام البخاري في التاريخ الكبير ١/١/٢٥٤: «قال زيد بن الحباب: حدثنا محمد بن نشيط الهَلَالِي، سمع بكر بن عبد الله. مرسل» أ هـ.

(٣) هذا إسناد ضعيف عن بكر بن عبد الله، بسبب الانقطاع بين محمد بن نشيط وبينه، نصَّ عليه الإمام البخاري في تاريخه الكبير، كما تقدَّم في الترجمة السابقة، والتصريح بالتحديث هنا هي وهم من أحد الرواة، أو من محمد بن نشيط فهو غير معروف العدالة، لم يوثقه إلا ابن حبان، والله أعلم.

(٤) هو الإمام أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، الشافعي، محدث، مؤرخ، زاهد، ولد سنة =

ثنا مُعْتَمِر بن سليمان، عن أبيه، ثنا أبو عثمان، عن أبي بردة، قال:

لما حضرت أبا موسى الوفاة، قال: يا بَنِي! اذكروا صاحب الرَغِيف، كان رجل يتعَبَّد في صومعة، أراه سبعين سنة لا ينزل إلا في يوم واحد. قال: فشَبَّهه - أو شَبَّ - الشيطان في عينه امرأة، فكان معها سبعة أيام أو سبع ليالٍ، ثم كُشف عن الرجل غطاؤه، فخرج تائباً.

وكان كلما خطا خطوة صَلَّى وسجد. فأواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكيناً. فأدركه العياء، فرمى بنفسه بين رجلين منهم. وكان ثمَّ راهبٌ يبعث إليهم كلَّ ليلة أرغفة فيعطي كلَّ إنسان رغيفاً. فجاء صاحب الرَغِف، فأعطى كلَّ إنسان رغيفاً، ومرَّ على ذلك الرجل الذي خرج تائباً فظنَّ أنه مسكين فأعطاه رغيفاً، فقال له المتروك: مالك لم تعطني رغيفي؟ فقال: تراني أمسكتُ عنك؟ سلَّ هل أعطيتُ أحداً منكم رغيفين؟ قالوا: لا. فقال: والله أعطيتك الليلة شيئاً! فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه، فدفعه إلى الرجل الذي ترك، فأصبح التائب ميتاً، قال: فَوُزِنَت السبعون بالسبع لبالٍ فرجحت الليالي. فَوُزِنَ الرغيف بالسبع ليالٍ فرجح الرغيف.

فقال أبو موسى: يا بَنِي! اذكروا صاحب الرغيف.

٢٧ - [توبة راهب من بني إسرائيل]

أخبرنا أبو الحسن علي بن عساكر البَطَّاحي، أنا الأمين أبو طالب اليوسُفي، أنا ابن المذهب، أنا القَطِيعي، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن مُعَيْث بن سُمَيٍّ^(١)، قال:

تعبد راهب من بني إسرائيل في صومعة ستين سنة، فنظر يوماً في غَبِّ سماء، فأعجبه الأرض. فقال: لو نزلتُ فمشيتُ في الأرض ونظرتُ فيها.

قال: فنزل معه برَغِيف. فعَرَضَتْ له امرأة فتكشَّفت له، فلم يملك نفسه أن وقع عليها.

= (٣٣٦) هـ.، وقيل: سنة (٣٣٤) هـ. وتوفي بأصبهان سنة (٤٣٠) هـ. من مؤلفاته: حلية الأولياء، تاريخ أصفهان، دلائل النبوة، معرفة الصحابة، والمستخرج على الصحيحين وغيرهم. أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ٢٧٥ - ٢٧٩، شذرات الذهب لابن العماد ٣/ ٢٤٥، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٤٥، لسان الميزان لابن حجر ١/ ٢٠١ - ٢٠٢. طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٧ - ١١ معجم المؤلفين ١/ ٢٨٢ - ٢٨٣. (١) هو: تابعي ثقة. التقريب ٢/ ٢٦٨. وهذا إسناد صحيح عنه.

فأدركه الموت على تلك الحال.

قال: وجاء سائل فأعطاه الرغيف ومات.

قال: فجيء بعمل ستين سنة فوُضع في كَفَّة. قال: وجيء بخطيئته فوُضعت في كَفَّة، فَرَجَحْتُ بعمله.

قال: وجيء بالرغيف فوُضع مع عمله، فرجح بخطيئته^(١).

٢٨ - [توبة عابد من العبد]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الخطيب الأنباري^(٢)، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو علي بن صفوان، أنا ابن أبي الدنيا، ثنا المثنى بن معاذ العنبري، ثنا أبي^(٣)، عن شعبة، عن منصور، عن إبراهيم^(٤):
أن رجلاً من العباد كلم امرأة، فلم يزل حتى وضع يده على فخذها. فذهب فوُضع يده في النار حتى نشت^(٥).

٢٩ - [توبة ذي الرجل]

أخبرنا محمد، أنا علي بن محمد، أنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا الحسين بن صفوان، أنا عبد الله بن محمد، حدثنني محمد بن الحسين، عن موسى بن داود، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه^(٦)، قال:

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، موارد الظمان حديث رقم (٨٢٠) ص ٢٠٩ - ٢١٠. عن أبي ذر مرفوعاً بنحوه. وفي إسناده: طالب بن وزير، لم أجد من ترجم له فيما بين يدي من مراجع ومصادر الرجال، وهي كثيرة. والله أعلم.

(٢) هذه النسبة إلى ثلاثة أماكن:

الأول: نسبة إلى بلدة قديمة على الفرات، على عشرة فراسخ من بغداد.

الثاني: نسبة إلى سكة الأنبار، وهي سكة بأعلى البلدان بمرو.

الثالث: نسبة إلى الأنبار، قرية من قرى جوز جاناني والراوي هنا منسوب إلى هذه القرية.

أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٨٦/١.

(٣) هو: معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري، أبو المثنى البصري، القاضي، ثقة متقن، التقريب ٢٥٧/٢.

(٤) هذا إسناده صحيح عن إبراهيم، وهو ابن يزيد النخعي، أبو عمران الكوفي، ثقة فقيه، التقريب ٤٦/١.

(٥) أي: احترقت، وجفت.

(٦) هذا إسناده ضعيف عن زيد بن أسلم، فيه: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ضعفه أحمد، وقال: روى حديثاً منكراً: أحلت لنا ميتتان وديتان.

كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته، فمكث بذلك زماناً طويلاً. فأشرف يوماً، فإذا هو بامرأة فافْتَنَّتْ بها وهمَّ بها. فأخرج رجله لينزل إليها، فأدركه الله بسابقة. فقال: ما هذا الذي أريدُ أن أصنع؟ ورجعتُ إليه نفسه، وجاءته العصمة، فندم.

فلما أراد أن يُعيد رجله في صومعته، قال: هيهات! هيهات! رجل خرجت تريد أن تعصيَ الله، تعود معي في صومعتي؟ لا يكون والله ذلك أبداً! فتركها والله معلقة من الصُّومعة تصيبها الرِّيح، والأمطار، والشمس، والثلج، حتى تقطعت فسقطت. فشكر الله - عزَّ وجلَّ - له، فأنزل في بعض الكتب: «وذو الرُّجل»، يذكره بذلك.

٣٠ - [توبة برخ العابد]

وذكر ابن البراء في «الروضة»: أنبأنا الفضل بن حازم، حدَّثني يوسف بن عزولا، حدَّثني مخلد بن ربيعة الرُّبَيْعِي، عن كعب، قال:

قحطت بنو إسرائيل على عهد موسى - عليه السلام -، فسألوه أن يستسقي لهم. فقال: أُخْرِجُوا معي إلى الجبل. فخرجوا، فلما صعد الجبل، قال موسى: لا يتَّبِعْنِي رجلٌ أصابَ ذنباً. فانصرف أكثر من نصفهم. ثم قال الثانية: لا يتَّبِعْنِي من أصابَ ذنباً، فانصرفوا جميعاً إلَّا رجلاً واحداً أعورَ يقال له: برُخُ العابد.

فقال له موسى: ألم تسمع ما قلت؟ قال: بلى. قال: فلم تصب ذنباً؟ قال: ما

= وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء.

وقال البخاري وأبو حاتم: ضعفه علي بن المديني جداً.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً، فقال: إذهب إلى

عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح.

وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل، وإسناد

الموقوف، فاستحق الترك.

وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، ضعيف جداً.

وقال ابن خزيمة: ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه، فهو رجل صناعته العبادة

والتقشف ليس أهلاً للحديث.

وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة.

وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ضعفه.

أنظر تهذيب التهذيب ٦/٧٧-١٧٩. وقال عنه في التقریب ١/٤٨٠: «ضعيف» أ هـ.

وأما والده زيد، فهو: زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبدالله، وأبو أسامة، مدني، ثقة عالم، من التابعين مات سنة ست وثلاثين بعد المائة. التقریب ١/٢٧٢.

أعلمه، إلا شيئاً أذكره، فإن كان هذا ذنباً رجعتُ. قال: ما هو؟

قال: مررت في طريق، فإذا باب حجرة مفتوح، فلمحتُ بعيني هذه الذاهبة شخصاً لا أعلم ما هو^(١). فقلت لعيني: أنتِ من بينَ بدني سَارَعْتَ إلى الخطيئة، لا تصحِّبيني بعدها، فأدخلت أصبعي فقلَّعتها، فإن كان هذا ذنباً رجعتُ.
فقال موسى: ليس هذا ذنباً.

قال له: استسقي يا بَرِّخ، فقال: قدَّوس، قدَّوس، ما عندك لا ينفد، وخزائنك لا تفتنى، وأنت بالبخل لا تُرمي، فما هذا الذي لا تُعرَف به؟ إسقنا الغيث الساعة الساعة.
قال: فانصرفا يخوضان الوحل.

٣١ - [توبة العبد العاصي]

وروي^(٢) أنه لحق بني إسرائيل قحط على عهد موسى - عليه السلام، فاجتمع الناس إليه، فقالوا: يا كَلِيم الله، أدْعُ لنا ربَّك أن يسقينا الغيث، فقام معهم، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً ويزيدون. فقال موسى - عليه السلام - : إلهي! إسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرُّضُع، والبهائم الرُّثُع، والمشايخ الرُّكُع. فما زادت السَّماء إلا تقشُّعاً، والشمسُ إلا حرارة.

فقال موسى: إلهي إن كان قد خَلَقَ^(٣) جاهي عندك، فبجاه النبي الأميِّ محمد ﷺ - الذي تبعته في آخر الزمان. فأوحى الله إليه: ما خَلَقَ جاهُك عندي، وإنك عندي وَجِيه، ولكن فيكم عبدٌ يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي، فنادِ في الناس حتى يخرج من بين أظهركم، فيه منعتكم.

فقال موسى: إلهي وسيدي! أنا عبدٌ ضعيف، وصوتي ضعيف، فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه: منك النداء، ومنِّي البلاغ.

فقام منادياً، وقال: يا أيُّها العبد العاصي الذي يبارزُ الله منذ أربعين سنة، أخرج من بين أظهرنا، فبك مُنِعنا المطر.

فقام العبد العاصي، فنظر ذات اليمين وذات الشمال، فلم يرَ أحداً خرج، فعلم أنه

(١) أي: لم أميزه، أُرجل كان أم امرأة، أو غير ذلك.

(٢) هذه الصيغة، صيغة المبني للمجهول: رُوي، تفيد التضعيف عند علماء الحديث، فكأن المصنف أشار إلى ذلك بهذه اللفظة، والله أعلم.

(٣) أي: بلي وذهب، أنظر أساس البلاغة ص ١١٨ - ١١٩.

المطلوب، فقال في نفسه: إِنَّ أَنَا خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ هَذَا الْخَلْقِ افْتَضَحْتُ عَلَى رُؤُوسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنْ قَعَدْتُ مَعَهُمْ مُنِعُوا لِأَجْلِي. فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي ثِيَابِهِ نَادِماً عَلَى فِعَالِهِ، وَقَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي! عَصَيْتُكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَمَهَلْتَنِي، وَقَدْ أَتَيْتُكَ طَائِعاً فَاقْبَلْنِي. فَلَمْ يَسْتَمِ الْكَلَامَ حَتَّى ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ بَيْضَاءُ، فَأَمْطَرَتْ كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ^(١).

فقال موسى: إِلَهِي وَسَيِّدِي! بِمَاذَا سَقَيْتَنَا وَمَا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرْنَا أَحَدٌ؟ فَقَالَ: يَا مُوسَى، سَقَيْتُكُمْ بِالَّذِي بِهِ مَنَعْتُكُمْ.

فقال موسى: إِلَهِي! أَرْنِي هَذَا الْعَبْدَ الطَّائِعَ. فَقَالَ: يَا مُوسَى! إِنِّي لَمْ أَفْضَحْهُ وَهُوَ يَعْصِينِي، أَفْضَحْهُ وَهُوَ يَطِيعُنِي؟! يَا مُوسَى، إِنِّي أَبْغُضُ النَّمَامِينَ، فَأَكُونُ نَمَماً؟!!

٣٢ - [توبة شابٍ مُسْرِفٍ عَلَى نَفْسِهِ].

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ:

كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - شَابٌّ عَاتٍ مُسْرِفٍ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْنِهِمْ لِسُوءِ فِعْلِهِ، فَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فِي خَرِبَةٍ عَلَى بَابِ الْبَلَدِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : إِنَّ وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيَائِي حَضَرَ الْمَوْتَ، فَاحْضَرْهُ وَغَسِّلْهُ وَصَلِّ عَلَيْهِ، وَقُلْ لِمَنْ كَثُرَ عَصِيَانُهُ يَحْضُرُ جَنَازَتَهُ لِأَغْفَرَ لَهُمْ، وَاحْمِلْهُ إِلَيَّ لِأَكْرِمَ مَثْوَاهُ.

فَنَادَى مُوسَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكَثُرَ النَّاسُ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ عَرَفُوهُ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! هَذَا هُوَ الْفَاسِقُ الَّذِي أَخْرَجْنَاهُ. فَتَعَجَّبَ مُوسَى مِنْ ذَلِكَ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: صَدَقُوا وَهُمْ شَهَدَائِي، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فِي هَذِهِ الْخَرِبَةِ نَظَرَ يَمَنَةً وَيَسْرَةً فَلَمْ يَرِ حَمِيماً وَلَا قَرِيباً، وَرَأَى نَفْسَهُ غَرِيبَةً وَحِيدَةً ذَلِيلَةً، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: إِلَهِي! عَبْدٌ مِنْ عِبَادِكَ غَرِيبٌ فِي بِلَادِكَ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ عَذَابِي يَزِيدُ فِي مَلِكِكَ، وَعَفْوُكَ عَنِّي يَنْقُصُ مِنْ مَلِكِكَ لَمَّا سَأَلْتُكَ الْمَغْفِرَةَ، وَلَيْسَ لِي مَلْجَأٌ وَلَا رَجَاءٌ إِلَّا أَنْتَ وَقَدْ سَمِعْتُ فِيمَا أَنْزَلْتَ أَنَّكَ قُلْتَ: إِنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فَلَا تَخَيِّبْ رَجَائِي، يَا مُوسَى! أَفَكَانَ يَحْسَنُ بِي أَنْ أَرُدَّهُ، وَهُوَ غَرِيبٌ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَقَدْ تَوَسَّلْتُ إِلَيَّ بِبِي وَتَضَرَّعْتُ بَيْنَ يَدَيْ؟! وَعِزَّتِي، لَوْ سَأَلْتَنِي فِي الْمَذْنِبِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ جَمِيعاً لَوَهَبْتُهُمْ لَهُ، لِذَلِكَ غَرَبْتَهُ، يَا مُوسَى، أَنَا كَهْفُ الْغَرِيبِ وَحَبِيبِهِ وَطَبِيبِهِ وَرَاحِمِهِ.

(١) أَي: أَمْطَرَتْ مَاءً غَزِيْراً كَأَنَّهُ مَصْبُوبٌ مِنْ أَفْوَاهِ الْقَرَبِ.

٣٣ - [توبة رجلين من بني إسرائيل]

أخبرتنا شُهدة ابنة أحمد بن الفرَج الإِبري^(١)، قالت: أنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة، أنا أبو الحسن محمد بن عبيد الله الجُثائي^(٢) أنا ابن السماك، أنا أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الخُتلي^(٣)، أنا علي بن مسلم، ثنا سيار، ثنا جعفر، ثنا مالك بن دينار، عن معبد الجُهني، عن أبي العوَّام - سَادِنِ بيت المَقْدِس -^(٤)، عن كعب الأحبار، قال:

انطلق رجلان من بني إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم، فدخل أحدهما، وجلس الآخر خارجاً، فجعل يقول: ليس مثلي يدخل بيت الله وقد عصيت الله، فكتب صديقاً.
قال: وأصاب رجل من بني إسرائيل ذنباً، فحزن عليه، وجعل يجيء ويذهب ويجيء، ويقول: بم أرضي ربِّي؟ بم أرضي ربِّي؟ فكتب صديقاً.

٣٤ - [توبة عاصٍ من العصاة].

أخبرنا الشيخ أبو الفرج^(٥)، فيما كتب إلي به، أنا عبد الملك بن أبي القاسم، أنا محمد بن علي بن عُمَيْر، أنا محمد بن محمد بن عبد الله القاضي، ثنا محمد بن أحمد المرواني، قال: حدَّثني محمد بن المنذر، أنا الربيع بن سليمان، أنا عبد الله بن وهب، قال: حدَّثني ابن زيد، عن ربيعة بن عثمان التيمي^(٦)، قال:

(١) الإِبري، بكسر الالف، وفتح الباء المنقوطة بواحدة، وفي آخرها الراء المهملة، هذه النسبة إلى بيع الإِبر وعملها، وهي جمع إبرة، وهي التي يُخاط بها، كذا في الباب في تهذيب الأنساب ٢٥/١.
(٢) الجُثائي: بكسر الحاء، وفتح التون المشددة، وبعد الالف ياء هذه النسبة إلى بيع الحناء، واشتهر بها جماعة، كذا في الباب ٣٩٥/١.

(٣) قال السمعاني صاحب الأنساب: الخُتلي، بعضهم يقول: هي نسبة إلى خُتلان، وهي بلاء مجتمعة وراء بَلَخ، وهي بضم الخاء، - التاء المثناة، من فوقها الشدَّة. حتى رأيت الخُتل - بضم الخاء والتاء -، وهي: قرية على طريق خراسان، إذا خرجت من بغداد بنواحي الدُسكرة.

قال ابن الأثير: قلت: الصحيح أن النسبة إلى الولاية التي بخراسان - قلت: أي: إلى ختلان - هو المراد متى أطلق، ولا يناقضه كون بعض من ينسب الختلي أن يقال: بغدادي، فإنه يكون أصنم خُتلياً من خراسان، ثم أقام ببغداد أو ولد بها، أو بالعكس، وهذا كثير الوقوع جداً.

أنظر الباب في تهذيب الأنساب ٤٢١/١.

(٤) أي: خادم بيت المقدس، أنظر مختار الصحاح ص ٤٥٥.

(٥) أي: ابن الجوزي، الإمام المعروف، وقد تقدمت ترجمة ضافية له رحمه الله تعالى.

(٦) هو: ربيعة بن عثمان بن عبد الله بن الهذير، القرشي التيمي، أبو عثمان المدني، صدوق له أوهام، تابع تابعي، مات سنة أربع وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين كذا في التقريب ٢٤٧/١، وانظر تهذيب الكمال ١٣٢/٨ - ١٣٦، وتهذيب التهذيب ٢٥٩/٣ - ٢٦٠.

كان رجل على معاصي الله تعالى، ثم إن الله أراد به خيراً وتوبة. فقال لزوجته: إنني لملتمس شافعاً إلى الله تعالى.

فخرج إلى الصحراء، فجعل يصيح: يا سماء إشفعي لي، يا جبال اشفعي لي، يا أرض اشفعي لي، يا ملائكة اشفعي لي.

فأدركه الجهد فخرّ مغشياً عليه، فبعث الله إليه ملكاً، فأجلسه ومسح رأسه، وقال له: أبشّر، فقد قبل الله توبتك.

قال: رحمك الله! من كان شفعي إلى الله عزّ وجلّ؟ قال: خشيتك شفعت لك إلى الله تعالى.

٣٥ - [توبة الخارج من القرية الظالمة]

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن ثابت، أنا طراد بن محمد الزيّني^(١)، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد ابن منصور، أنا عبد الرزاق^(٢)، أنا معمر، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود^(٣) رضي الله عنه - قال:

(١) الرّئيي قال في اللباب ٨٧/٢ - ٨٨ «يفتح الزاي، وسكون الياء، وفتح النون، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس.

... ينسب إليها كثير، منهم: أبو نصر محمد، وأبو الفوارس طراد - وهو الراوي معنا - ابنا محمد بن

علي بن أبي تمام بن ... بن علي بن عبدالله بن العباس.

... روى طراد عن هلال الحفار وأبي الحسين بن بشران وغيرهما، وروى عنه ابنه محمد وعليّ

وغيرهما أ هـ.

(٢) هو: الإمام عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، الحميري، البمني، أبو بكر، ولد سنة

(١٢٦) هـ. محدّث، حافظ، فقيه، أخذ عنه الإمام البخاري، توفي في نصف شوال، سنة

(٢١١) هـ. وله من العمر (٨٥) سنة، له مصنفات كثيرة، منها: السنن في الفقه، المغازي، تفسير

القرآن، الجامع الكبير في الحديث المعروف بالمصنّف، وتركه الأرواح عن مواقع الإفلاح.

أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٣١/١، وميزان الاعتدال له ١٢٦/٢ - ١٢٩، البداية

والنهاية لابن كثير ٢٦٥/١٠، وشذارات الذهب لابن العماد ٢٧/٢.

(٣) هذا إسناد ضعيف عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، فيه: أبي إسحاق، وهو: عمرو بن عبدالله

السيبي، ثقة عابد، اختلط بآخرة، أنظر التقريب ٧٣/٢، والإغتيال بمعرفة من رمي بالاختلاط

ص ٨٧ (تحقيق فواز أحمد زمرلي).

وهو إلى ذلك مشهور بالتدليس، كما في طبقات المدلسين لابن حجر ص ١٠١، وقد عنعنه. فلذلك

الإسناد ضعيف.

والقصة الواردة هنا هي بمعنى الحديث المرفوع الآتي وهو صحيح.

وأبو الأحوص - هو الجشيمي، واسمه: عوف بن مالك بن نضلة، الكوفي، مشهور، بكنيته، تابعي =

كانت قريتان: إحداهما صالحة، والأخرى ظالمة، فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية الصالحة، فأتاه مَلَك الموت حيث شاء الله عزَّ وجل، فاختم فيه المَلَك والشيطان، فقال الشيطان: والله ما عصاني قطاً! فقال المَلَك: إنه خرج يريد التوبة، ففضي بينهما أن يُنظر إلى أيهما هو أقرب، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بشبر، فغُفر له.

٣٦ - [توبة من قتل مائة نفس]

أخبرنا أبو بكر بن النفور، أنا أبو طالب اليوسفي، أنا أبو علي بن المذهب، أنا أبو بكر القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا يزيد، ثنا همام بن يحيى، ثنا قتادة، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: لا أحدثكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ - سمعته أذناي، ووعاه قلبي:

أنَّ عبداً قتل تسعة وتسعين نفساً، فعرضت له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فذُلَّ على رجل^(١)، فأتاه، فقال: إني قتلْتُ تسعةً وتسعين نفساً، فهل لي من توبة؟ فقال: بعد قتل تسعة وتسعين نفساً؟! .

قال: فانتضى سيفه فقتله به، فأكمل به المائة.

ثمَّ عرضت له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فذُلَّ على رجل، فأتاه فقال: إني قتلْتُ مائة نفس، فهل لي من توبة؟ قال: ومن يحولُ بينك وبين التوبة؟ أخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة^(٢). [قرية كذا وكذا فاعبد ربك فيها. قال: فخرج إلى القرية الصالحة]^(٣) فعرض له أجله في الطريق.

قال: فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، قال: فقال إبليس: أنا أولى

= ثقة، قتل في ولاية الحجاج على العراق، التقريب ٩٠/٢.

(١) في رواية عند مسلم: فسأل عن أعلم أهل الأرض، فذُلَّ على راهب، وفي رواية البخاري: فأتى راهباً.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥١٧/٦: «فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى - عليه السلام - ، لأن الرهبانية إنما ابتداعها أتباعه كما نصَّ عليه في القرآن الكريم، أ هـ. قلت: إشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ورهبانيَّةً أبتدعوها﴾.

(٢) قال في الفتح ٥١٧/٦: «ووقعت لي تسمية القريتين المذكورتين، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً في المعجم الكبير للطبراني، قال فيه: إن اسم الصالحة: نصره، واسم القرية الأخرى: كفره، أ هـ.

(٣) زيادة من مسند الإمام أحمد.

به، إنه لم يعصني ساعة قط، قال: فقالت ملائكة الرحمة: إنه خرج تائباً.

قال همام: فحدثني حميد الطويل، عن بكر بن عبدالله المزني، عن أبي رافع، قال فبعث الله - عز وجل - [له] (١) ملكاً، فاختصموا إليه.

ثم رجع إلى حديث قتادة، قال: فقال: انظروا إلى أي القريتين كان أقرب إليها، فألحقوه بأهلها.

قال قتادة: فحدثنا الحسن أنه لما عرف الموت، احتفز بنفسه (٢) فقتل الله منه القرية الصالحة، وباعد منه القرية الخبيثة، فألحقوه بأهل القرية الصالحة (٣).

(١) زيادة من مسند الإمام أحمد.

(٢) أي: دفع نفسه إلى الإمام، نحو القرية الصالحة، أنظر مختار الصحاح ص ١٩٢.

(٣) رواه هكذا الإمام أحمد في المسند ٢٠/٣ - ٢١.

وابن ماجه في كتاب الذبائ، باب (٢) هل لقاتل مؤمن توبة، حديث رقم (٢٦٢٢) ٨٧٥/٢.

ورواه بنحوه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، حديث رقم (٣٤٧٠) ٥١٢/٦.

ومسلم في كتاب التوبة، باب (٨) قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله، حديث رقم (٢٧٦٦) ٢١١٨/٤ - ٢١١٩.

وأحمد في المسند ٧٢/٣.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥١٧/٦ - ٥١٨: وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى قتل النفس، ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه.

وفيه: أن المفتي قد يجيب بالخطأ، وغفل من زعم أنه إنما قتل الأخير على سبيل التأول لكونه أفتاه بغير علم، لأن السياق يقتضي أنه كان غير عالم بالحكم حتى استمر يستفتي، وأن الذي أفتاه استبعد أن تصح توبته بعد قتله لمن ذكر أنه قتله بغير حق، وأنه إنما قتله بناء على العمل بفتواه، لأن ذلك اقتضى عنده أن لا نجاة له، فينس من الرحمة، ثم تداركه الله فندم على ما صنع فرجع يسأل.

وفيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب، لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة، بأن لا يواجهه بخلاف مراده، وأن يستعمل معه المعارض مدارة عن نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل، فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنوناً.

وفيه: أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهدهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعاً أو عاصياً، وأنهم يختصمون في ذلك حتى يقضي الله بينهم.

وفيه: فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية كما يغلب به دمل العادة على قتل ذلك، أما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه، ولهذا قال له الأخير: ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها، والإشتغال بغيرها. وفيه: فضل العالم على العابد، لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له، غلبت عليه العبادة، فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم، فأفتاه بالصواب، ودله على طريق النجاة.

٣٧ - [توبة لَصّ من بني إسرائيل]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد الحدّاد، أنا أحمد بن عبد الله بن إسحاق، ثنا أبو محمد بن حيان، ثنا أحمد بن الحسين، ثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن يزيد بن خُنيس^(١)، عن وهيب بن الوَرْد^(٢)، قال:

بلغنا أن عيسى - عليه السلام - مرّ هو ورجل من بني إسرائيل من حواريه بلصّ في قلعة له، فلما رآهما اللصّ ألقى الله في قلبه التوبة، قال: فقال لنفسه: هذا عيسى بن مريم - عليه السلام -، روح الله وكلمته، وهذا حواريه، ومن أنت يا شقيّ، لَصّ بني إسرائيل، قطعت الطريق، وأخذت الأموال، وسفكت الدماء، ثم هبط إليهما تائباً نادماً على ما كان منه.

فلما لحقهما، قال لنفسه: تريد أن تمشي معهما؟ لستَ لذلك بأهل إمّش خلفهما

= قال عياض: وفيه أن التوبة تنفع من القتل، كما تنفع من سائر الذنوب، وهو إن كان شرعاً لمن قبلنا وفي الإحتجاج به خلاف، لكن ليس هذا من موضع الخلاف، لأن موضع الخلاف إذا لم يرد في شرعنا تقريره وموافقه، أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف، ومن الوارد في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وحديث عبادة بن الصامت، ففيه بعد قوله: ولا تقتلوا النفس، وغير ذلك من المنهيات، فمن أصاب من ذلك شيئاً فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذّبه، متفق عليه.

قلت - أي ابن حجر - : ويأخذ ذلك - أيضاً - من جهة تخفيف الأصار عن هذه الأمة بالنسبة إلى من قبلهم من الأمم، فإذا شرع لهم قبول توبة القاتل فمشروعيتها لنا بطريق الأولى. وسيأتي البحث في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ الآية في التفسير إن شاء الله تعالى.

واستدل به على أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة إذا تنازعوا - قلت: وفي تصدير هذه الجملة بقوله: واستدلّ، يدلّ على تضعيفه لهذا الرأي، كيف لا وفي رواية أحمد أنه ملك أرسله الله تعالى بصورة آدمي، وكذلك في رواية مسلم - .

وفيه: حجة لمن أجاز التحكيم، وأن من رضي الفريقان بتحكيمة فحكمه جائز عليهم..

وفيه: أن للحاكم إذا تعارضت عنده الأحوال وتعددت «البيّنات» أن يستدلّ بالقرائن على الترجيح» أهـ.

(١) هو: محمد بن يزيد بن خُنيس المخذومي مولاهم، المكي، أبو عبدالله، قال أبو حاتم: كان شيخاً صالحاً، كتبنا عنه بمكة، وكان ممتنعاً من الحديث، أدخلني عليه ابنه.

وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان من خيار الناس، ربّما أخطأ، يجب أن يُعتبر حديثه إذا بين السماع في خبره كذا في تهذيب التهذيب ٥٢٣/٩ - ٥٢٤، وأنظر الكاشف ٩٦/٣: وقال عنه في التقریب ٢١٩/٢: «مقبول» أهـ.

أي: إذا توبع على روايته، فإن لم يتابع فلين الحديث.

(٢) هو: وهيب بن الوَرْد، القرشي مولاهم، المكي، أبو عثمان، أو أبو أمية، يقال: اسمه عبد الوهاب، ثقة عابد. التقریب ٢/٣٣٩.

كما يمشي الخطاء المذنب مثلك!

قال: فالتفت إليه الحواري فعرفه، فقال في نفسه: انظر إلى هذا الخبيث الشقي ومشيهِ وراءنا، قال: فاطلع الله سبحانه وتعالى على ما في قلوبهما من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحواري إياه وتفضيله نفسه عليه.

قال: فأوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم أن مر الحواري ولص بني إسرائيل أن يأتينا العمل جميعاً، أما اللص فقد غفرت له ما مضى لندامته وتوبته؛ وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه، وازدرائه هذا التواب.

٣٨ - [توبة ثلاث بنات من البغايا وغواة قرية]

أخبرنا المبارك بن علي، أنا أحمد بن الحسين بن قريش، أنا إبراهيم بن عمر البرمكي^(١)، أنا أبو بكر محمد بن زكريا الدقاق، ثنا عبد الله بن سليمان، ثنا عبد الملك بن محمد بن عبد الله، ثنا ابن عائشة، ثنا سعيد بن عامر قال: حدثني حسن أبو جعفر، قال:

كان لقمان الحبشي عبداً لرجل جاء به إلى السوق يبيعه. قال: فكان كلما جاء إنسان يشتريه قال له لقمان: ما تصنع بي؟ فيقول أصنع بك كذا وكذا. قال: حاجتي إليك أن لا تشتريني، حتى جاء رجل، فقال: ما تصنع بي؟ قال: أصيرك بواباً على بابي، قال: أنت اشتريني. قال: فاشتراه وجاء به إلى داره.

قال: وكان لمولاه ثلاث بنات يبيعن في القرية، وأراد أن يخرج إلى ضيعة له، فقال له: إني قد أدخلت إليهن طعامهن وما يحتجن إليه، فإذا خرجت فاعلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أجيء.

قال: فقلن له: افتح الباب، فأبى عليهن، فشججنه^(٢)، فغسل الدم وجلس. فلما قدم سيده لم يخبره.

(١) قال في اللباب ١/١٤٢-١٤٣: والبرمكي: بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، وفتح الميم، وفي آخرها الكاف هذه النسبة إلى اسم وموضع.

أما الاسم: فهم أولاد أبي علي يحيى بن خالد بن برمك... وأما الموضع: فالمنتسب إليه أبو إسحاق إبراهيم بن عمر - قلت: وهو الراوي عند المصنف - بن أحمد البرمكي، البغدادي؛ كان سلفه قديماً يسكنون محلة ببغداد تعرف بالبرامكة، وقيل: بل كانوا يسكنون قرية تسمى البرمكية، فنسبوا إليها، روى عنه أبو بكر الخطيب، والقاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي وغيرهما، توفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة، أ.هـ.

(٢) أي: فضربته على رأسه حتى شججنه، فسال الدم منه، أنظر أساس البلاغة ص ٢٢٩، ومختار الصحاح ص ٦٤.

ثم عاد مولاه بعد الخروج، فقال: إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه، فلا تفتحن الباب.

فلما خرج، خرّجن إليه، فقلن له: افتح الباب، فأبى. فشججنه ورجعن. فجلس، فلما أن جاء مولاه لم يخبره بشيء.

قال: فقالت الكبيرة: ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله - عز وجل - مني؟ والله لأتوبن؛ قال: فتابت.

فقالت الصغرى: ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى أولى بطاعة الله - عز وجل - مني؟ والله لأتوبن؛ فتابت.

فقالت الوسطى: ما بال هاتين وهذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله - عز وجل - مني؟ والله لأتوبن؛ فتابت.

قال: فقال غواة القرية: ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله منا؟ فتابوا إلى الله - عز وجل - وكانوا عوايد القرية.

٣٩ - [توبة صاحب فاحشة]

أخبرنا أبو منصور جعفر بن الدامغاني^(١): أنا محفوظ بن أحمد الكلوذاني، أنا أبو علي الجازري^(٢)، أنا المعافى بن زكريا الجريري^(٣)، ثنا الحسين بن القاسم الكوكبي^(٤)،

(١) الدامغاني: بفتح الدال، وسكون الألف، وفتح الميم والعين المعجمة، وسكون الألف، وبعدها نون، هذه النسبة إلى دامغان، وهي مدينة من بلاد قوس، ينسب إليها كثير من العلماء. اللباب في تهذيب الأنساب ٤٨٦/١.

(٢) قال في اللباب ٢٥١/١: «الجازري: بفتح الجيم، وبالزاي المكسورة بعد الألف، وبعدها راء، هذه النسبة إلى جازرة، وهي قرية من قرى النهروان، من أعمال العراق، ينسب إليها أبو علي - وهو الراوي عند المصنف - محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن بكران الجازري، روى كتاب الجليس والأنيس عن القاسمي أبي الفرج المعافى بن زكريا الجريري، روى عنه الأمير أبو نصر بن ماکولا، والخطيب أبو بكر الحافظ؛ ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، ومات في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة» أ.هـ.

(٣) قال في اللباب ٢٧٥/١ - ٢٧٦: «الجريري: بفتح الجيم، والياء المعجمة باثنتين من تحتها الساكنة، بين الرائيين المهملتين. هذه النسبة إلى جرير بن عبد الله البجلي، وإلى اتباع مذهب محمد بن جرير الطبري، فاما المنتسب إلى جرير بن عبد الله فهو...»

واما المنتسب إلى مذهب محمد بن جرير الطبري، فجماعة منهم أبو الفرج المعافى بن زكريا - وهو الراوي عند المصنف - الجريري النهرواني: المعروف بابن طراد، الإسم المشهور، روى عن البغوي وابن صاعد» أ.هـ.

(٤) قال في اللباب ١١٩/٣: «الكوكبي: بفتح الكافين، بينهما واو ساكنة، وفي آخرها باء موحدة اشتهر =

ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القاضي، ثنا يحيى بن صالح الوُحَاظِي^(١)، ثنا إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن شُرَيْح بن عُبَيْد الحَضْرَمِي، عن كعب الأحبار^(٢):

أَنَّ رجلاً من بني إسرائيل أتى، فاحشَّةً، فدخل نهراً يغتسل فيه. فناداه الماء: يا فلان! أما تستحي؟ ألم تتب من هذا الذنب، وقلت: إنك لا تعود فيه؟! فخرج من الماء فرعاً، وهو يقول: لا أعصي الله.
فأتى جبلاً فيه اثنا عشر رجلاً يعبدون الله - عز وجل - . فلم يزل معهم حتى قحط موضعهم.

فنزلوا يطلبون الكَلَأَ، فمروا على ذلك النهر. فقال لهم الرجل: أما أنا فلست بذهاب معكم. قالوا: لِمَ؟ قال: لأنَّ ثَمَّ من قد اطلع مِنِّي على خطيئة، فأنا أستحي منه أن يراني.

فتركوه ومضوا، فناداهم النهر: يا أيها العُباد! ما فعل صاحبكم؟ قالوا: زعم أن له

= بهذه النسبة جماعة، منهم: أبو علي - وهو الراوي عند المصنف - الحسين بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر الكاتب الكوكبي صاحب أخبار وحكايات، حدَّث عن ابن أبي الدنيا، وأحمد بن أبي خيثمة، ومحمد بن موسى الدولابي، وأبي العيَّان محمد بن القاسم وغيرهم، روى عنه الدارقطني، والمعافى بن زكريا وغيرهم، وتوفى في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، أ هـ.

(١) قال في الباب ٣/٣٥٤: «الوُحَاظِي: بضم الواو، وفتح الحاء، وسكون الألف، ربهذه جماعة، هذه النسبة إلى وَحَاظَة بنت سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن... ينسب إليها جماعة، منهم: أبو زكريا - وهو الراوي هنا - يحيى بن صالح الوحاطي الحمصي، يروي عن سليمان بن بلال، وأبي شعبة بن يونس بن عثمان، روى البخاري عن إسحاق ومحمد غير منسوبين عنه، وروى عن موسى بن قريش عنه، وكان صدوقاً ثقة. وروى عنه أبو زرعة الدمشقي، وأبو حاتم الرازي وغيرهما، أ هـ.

(٢) هذا إسناده ضعيف عن كعب الأحبار، فيه: إسماعيل بن عياش الحمصي. صدوق في روايته عن أهل بلده، مُخَلَّط في غيرهم، كما في التقريب ٧٣/١، وهذه الرواية واحد من أهل بلده فصفوان بن عمرو حمصي كذلك، فما تقدَّم لا يضر. إلَّا أنه. أي: إسماعيل بن عياش، كان يدلس، كما قال الحافظ ابن حجر في طبقات المدلسين ص ٨٢، وقد عنَّته فلذلك ضَعُفَ الإسناد.
وكعب الأحبار، هو: كعب بن مائغ الحميري، أبو إسحاق، معروف بكعب الأحبار، ثقة مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في خلافة عثمان، وقد زاد على المائة، التقريب ١٣٥/٢.
قلت: وهو من المكشَّرين جداً من الرواية عن كتب أهل الكتاب ولهذا قال عنه الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ ٥٢/١: «من أوعية العلم، ومن كبار علماء أهل الكتاب أسلم في زمن أبي بكر» أ هـ.

ها هنا من قد اطلع منه على خطيئة، فهو يستحي منه أن يراه. قال: يا سبحان الله! إن أحدكم يغضب على ولده أو على بعض قراباته، فإذا تاب ورجع إلى ما يحبّ أحبه، وإنّ صاحبكم قد تاب ورجع إلى ما أحبّ، فأنا أحبه. فاتّوه فأخبروه، واعبدوا الله على شاطيء.

فأخبروه، فجاء معهم، فأقاموا يعبدون الله زماناً. ثم إن صاحب الفاحشة توفي. فناداهم النهر: يا أيها العباد، والعبيد الزهاد، غسلوه من مائي، وادفنوه على شاطئي، حتى يُبعث يوم القيامة من قربي. ففعلوا ذلك به، وقالوا: نبيت ليلتنا هذه على قبره نبكي، فإذا أصبحنا سرنا.

فباتوا على قبره يبكون، فلما جاء وجه السّحر غشيهم النّعاس، فأصبحوا وقد أنبت الله على قبره اثنتي عشرة سرّوة، وكان أول سرّو أنبتة الله - عزّ وجلّ - على وجه الأرض. فقالوا: ما أنبت الله هذا الشجر في هذا المكان إلا وقد أحب الله عبادتنا فيه. فأقاموا يعبدون الله - عزّ وجلّ - على قبره، كلما مات رجل دفنوه إلى جانبه. فماتوا بأجمعهم.

قال كعب: فكان بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم^(١).

(١) وهذا مما لا يجوز لا في شرعهم، ولا في شرعنا، ويدلّ على ذلك قوله - ﷺ -: لعن الله يهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد متفق عليه.
وقوله ﷺ عندما ذكرت أم حبيبة وأم سلمة كنيسة رأيتها بالحبشة، فيها تصاوير.
قال: إنّ أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنوا على قبره مسجداً، وضوّروا فيه تلك السور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة، متفق عليه.

اخبار التابعين من اصحاب رسول الله ﷺ

٤٠ - [توبة أبي خيثمة - رضي الله عنه -]^(١)

أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن منصور بن هبة الله الموصلي، أنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، أنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر، أنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان، أنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن المغلس، أنا أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي قال: حدثني أبي، قال: قال ابن إسحاق:

تخلف أبو خيثمة - أحد بني سالم - ، عن رسول الله - ﷺ في غزوة تبوك، حتى إذا سار رسول الله - ﷺ - رجع أبو خيثمة ذات يوم إلى أهله في يوم حار. فوجد امرأتين له في عريشين له في حائط لهما، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيات له طعاماً.

فلما دخل، قام على باب العريش ينظر، ثم قال: رسول الله ﷺ في الضح والريح والحر، - يعني بالضح: الشمس - ، وأبو خيثمة في ظل وماء بارد، وطعام مهيا، وامرأة حسناء. ما هذا بالنصف، والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ - فهيناً لي زاداً. ففعلت، ثم قدم ناصحه فارتحلته، ثم خرج في طلب رسول الله - ﷺ - فأدركه حين نزل تبوك.

قال: وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمير بن وهب الجمحي^(٢) في الطريق يطلب رسول الله - ﷺ - ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعُمير بن وهب: إن لي ذنباً فلا

(١) هو أبو خيثمة الأنصاري السالمي، وقع ذكره في حديث كعب بن مالك الطويل - وهو الآتي بعد هذا - في قصة توبته، وقد قال الواقدي: إن اسم أبي خيثمة هذا عبد الله بن خيثمة، وإنه شهد أحداً، وبقي إلى خلافة يزيد بن معاوية. أنظر الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر ٢٥٤/٤ والإستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر ٥١/٤ - ٥٣.

(٢) هو عُمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية أسلم بعد معركة بدر الكبرى، فأدرك أحداً فشدها، وما بعدها، وشهد الفتح، وله في سبب إسلامه قصة ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣٦/٣ - ٣٧.

عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله - ﷺ - . ففعل، ثم سار حتى انتهى إلى رسول الله - ﷺ - وهو بتبوك.

فلما طلع قال الناس: هذا راكب مُقْبِل. فقال رسول الله - ﷺ - : كن أبا خيثمة، فلما دنا، قال الناس: يا رسول الله! هذا والله أبو خيثمة. فلما أناخ سلم على رسول الله - ﷺ - ، فقال رسول الله ﷺ : أولى لك، أبا خيثمة؛ ثم أخبره الخبر، فقال له خيراً، ودعا له^(١).

٤١ - [توبة مَخْشِي بن حُمَيْر]^(٢)

قال: وقد كان رهط من المنافقين، منهم مَخْشِي بن حُمَيْر^(٣) - رجل من أشجع . ، حليف لبني سلمة، مع رسول الله - ﷺ - وهو منطلق إلى تبوك. قال: أتחסبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم؟ والله لكأننا غدأ مُقْرَنُونَ في الجبال، فأطلع الله تعالى نبيه عليهم، فاتوا رسول الله - ﷺ - يعتذرون.

وقال مَخْشِي بن حُمَيْر: يا رسول الله! قَعَدَ بي اسمي واسم أبي. فعفا الله عنه بقوله: ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾^(٤). قال: وهي الطائفة التي عفا عنها. فسُمِّي عبد الرحمن بن حُمَيْر .

قال: وسأل الله تعالى أن يُقتل شهيداً لا يُعلم مكانه. فأصيب يوم اليمامة ولم يوجد له أثر.

٤٢ - [توبة كعب بن مالك رضي الله عنه]^(٥)

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الفضل جعفر بن يحيى المكي، أنا

(١) ذكر هذه القصة عن ابن إسحاق ابن عبد البر في الإستيعاب ٥٢/٤ - ٥٣ ورواه الطبراني بنحوها، كما في فتح الباري ١١٩/٨.

(٢) في المطبوعة: مُخْشَن بن حُمَيْر، وهو خطأ، وما أثبتاه من الإصابة ٣٧٢/٣، حيث قال: «مَخْشِي: سكون الخاء، بعدها شين معجمة، ابن حُمَيْر: مصغراً بالثقل، الأشجعي.

له ذكر في مغازي ابن إسحاق في غزوة تبوك، وفي تفسير ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس، ويسند آخر إلى ابن مسعود أنه ممن نزل فيه: ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، قال فكان ممن عفى عنه مَخْشِي بن حُمَيْر فقال: يا رسول الله، غير اسمي واسم أبي، فسماه: عبدالله بن عبد الرحمن، فدعا مَخْشِي ربه أن يقتل شهيداً حيث لا يعلم به، فقتل يوم اليمامة ولم يعلم له أثر، أ هـ.

(٣) سورة التوبة آية رقم ٦٨.

(٤) هو: الصحابي الجليل كعب بن مالك بن أبي كعب، أبو عبدالله الأنصاري السلمي، ويقال: أبو =

محمد بن الحسين بن يوسف الأصفهاني، أنا محمد بن أحمد بن البَغَوِي^(١)، أنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِي^(٢)، أنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، قال: أخبرني ابن كعب بن مالك، عن أبيه، قال:

لم أتخلف عن رسول الله - ﷺ - في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدرأ. ولم يعاتب النبي - ﷺ - أحداً تخلف عن غزوة بدر، إنما خرج يريد العير، فخرَجَت قريش مغوثين لعيرهم، فالتَقُوا على غير موعد كما قال الله تعالى. ولعمري إنَّ أشرف مشاهد رسول الله - ﷺ - في الناس لبَدْر، وما أحبَّ أني كنتُ شهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث توافقتنا على الإسلام.

ثم لم أتخلف بعدُ عن رسول الله - ﷺ - في غَزَاة غزاها، حتى إذا كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزاة غزاها، وأذن النبي - ﷺ - الناس بالرحيل، وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم، وذلك حين طابت الظلال وطابت الثمار، وكان قلماً أراد غزوة إلا ورى بغيرها، وكان يقول: «الحربُ خُدْعَةٌ»، إلا غزوة تبوك، فإنه جلى للناس أمرهم. فأراد النبي - ﷺ - في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أُهْبَتَهُ^(٣). وأنا أيسر ما كنتُ، قد جمعت راحلتين، وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ^(٤)، وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال وطيب الثمار.

فلم أزل كذلك حتى قام رسول الله - ﷺ - غادياً بالغداة، وذلك يوم الخميس، وكان يحبُّ أن يخرج يوم الخميس فأصبح غادياً. فقلت: أنطلقُ غداً إلى السوق فأشتري

= بشير، ويقال: أبو عبد الرحمن، وكان شاعراً مشهوراً، شهد العقبة، وباع بها، وتخلف عن بدر، وشهد أحداً وما بعدها، وتخلف في تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم.. قال ابن حبان: مات أيام قُتِل علي بن أبي طالب، وقال ابن أبي حاتم، عن أبي: ذهب بصره في خلافة معاوية، واقتصر البخاري في ذكر وفاته على أنه رثا عثمان، ولم نجد له في حرب علي ومعاوية خبراً، وقال البغوي: بلغني أنه مات بالشام في خلافة معاوية.. الإصابة ٢٨٥/٣ - ٢٨٦.

(١) هذه النسبة إلى بلد من بلاد خراسان بين مرو وهُراة، يقال لها: بغ وبغشور، كذا في اللباب ١٦٤/١.

(٢) قال في اللباب ٤٨٩/١: «الدَّبَرِي: بفتح الدال المهملة والباء، وبعدها راء، هذه النسبة إلى دَبَر، وهي قرية من قُرى صنعاء اليمن، منها أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبَرِي، راوي كتب عبد الرزاق عنه، روى عنه الطبراني وغيره، أ هـ.

(٣) الأهبة: بضَمِّ الهمزة وسكون الهاء، ما يحتاج إليه في السفر والحرب، فتح الباري ١١٧/٨.

(٤) أي: خفة الظَّهْر والحال، مختار الصحاح ص ١١٨ وانظر فتح الباري ١١٨/٨.

جهازى ثم ألحق بهم، فانطلقت إلى السوق من الغد، فعسر عليّ بعض شأني، فرجعت. فقلت: أرجع غداً إن شاء الله فالحق بهم، فعسر عليّ بعض شأني أيضاً. فقلت: أرجع غداً إن شاء الله، فلم أزل كذلك حتى ألبس بي الذنب، وتخلّفت عن رسول الله - ﷺ - . فجعلت أمشي في الأسواق وأطوف بالمدينة، فيحزنني أنني لا أرى أحداً تخلّف إلا رجلاً مغموصاً^(١) عليه في النفاق. وكان ليس أحدٌ تخلّف إلا رأى أن ذلك سيخفى له، وكان الناس كثيراً لا يجمعهم ديوان، وكان جميع من تخلّف عن النبي ﷺ بضعةً وثمانين رجلاً.

ولم يذكرني النبي - ﷺ - حتى بلغ تبوكاً، قال: ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل من قومي: خلفه يا رسول الله، بُرداه^(٢)، والنظر في عطفه^(٣). فقال معاذ بن جبل: بشي ما قلت، والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيراً.

قال فبينما هم كذلك إذا هم برجل يزول به السراب. فقال النبي ﷺ: كن أبا خيشمة. فإذا هو أبو خيشمة.

فلما قضى النبي - ﷺ - غزوة تبوك، وقَفَل^(٤)، ودنا من المدينة، جعلت أتذكر بماذا أخرج به من سَخِطِ النبي - ﷺ - ، وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، حتى إذا قيل: النبي - ﷺ - هو مصبحكم غداً بالغداة، زاح عني الباطل، وعرفت أنني لا أنجو إلا بالصدق.

فدخل النبي - ﷺ - ضحىً، فصلّى في المسجد - وكان إذا جاء من سفر فعل ذلك - ، دخل المسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم جلس، فجعل يأتيه من تخلّف، فيحلفون

(١) قال في الفتح ١١٨/٨: «مغموصاً... أي: مطعوناً عليه في دينه متهماً بالنفاق، وقيل: معناه مستحقراً، تقول: غمصت فلاناً إذا استحقته» أ.هـ.

وأنظر أساس البلاغة ص ٣٢٨ - ٣٢٩، ومختار الصحاح ص ٢٢٧

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٨٩: «البُرْدَة: كساء أسود مرّيع فيه صفرة، تلبسه الأعراب، والجمع برد بفتح الراء» أ.هـ.

والمقصود ببرده: الرداء والإزار، أو الرداء والفميص.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٣٠٢: «عطف الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه، وكذا عطف كل شيء جانباه» أ.هـ.

وهذا كناية عن العجب والإفتخار والتكبر، قال في هامش المطبوعة: قال القرطبي: وكان هذا القائل كان في نفسه حقد على كعب، ولعله كان منافقاً، فنسب كعباً إلى الزهو والكبر، وكانت نسبة باطلة، بدليل ردّ العدل الفاضل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - .

(٤) أي: رجع.

له ويعتذرون إليه، فيستغفر لهم ويقبل علانيتهم، ويكبل سرائرهم إلى الله عز وجل.

فدخلت المسجد، فإذا هو جالس، فلما رأيته تبسم تبسم المغضب؛ فجلست بين يديه فقال: ألم تكن ابتعت ظهرك؟^(١) فقلت: بلي، يا نبي الله. قال: فما خلقتك؟ فقلت: والله لو بين يدي أحد من الناس غيرك جلست لخرجت من سخطه علي بعدد، ولقد أوتيت جَدلاً، ولكن قد علمت يا نبي الله أنني إن أخبرتك اليوم بقول تجد علي فيه، وهو حق، فإني أرجو فيه عفي الله، وإن حدثتك اليوم حديثاً ترضى عني فيه، وهو كذب، أوشك الله أن يُطْلِعَكَ عَلَيَّ، والله يا نبي الله ما كنت قط أيسر ولا أخف حاداً^(٢) مني حين نخلقتُ عنك.

قال: «أما هذا فقد صدقكم الحديث، فقم حتى يقضي الله فيك».

فقممت. فثار على إثري أناس من قومي يؤنبوني. فقالوا: والله ما نعلمك أذنبت ذنباً قط قبل هذا، فهلاً اعتذرت إلى نبي الله - ﷺ - بعذر يرضى عنك فيه، وكان استغفار رسول الله - ﷺ - سيأتي من وراء ذنبك، ولم تقف نفسك موقفاً لا تدري ماذا يقضي لك فيه. فلم يزالوا يؤنبوني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي.

فقلت: هل قال هذا القول أحد غيري؟ قالوا: نعم قاله هلال بن أمية^(٣)، ومرة بن ربيعة^(٤). فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرأ، لي فيهما أسوة. فقلت: والله لا أرجع إليه في هذا أبدأ ولا أكذب نفسي.

قال: ونهى النبي - ﷺ - الناس عن كلامنا أيها الثلاثة، قال: فجعلت أخرج إلى

(١) أي اشترت ظهرك، أي اشترت ظهراً تركبه من الإبل أو الفرس أو غير ذلك مما يُركب.

(٢) أي: حالاً، كما تقدم.

(٣) هو: هلال بن أمية بن عامر الأنصاري الواقفي، شهد بدرأ وما بعدها وتخلّف عن غزوة تبوك وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، الإصابة ٥٧٤/٣.

وروى أبو حاتم بإسناده عن الحسن مرسلًا سب تخلفه. وهو أنه كان له أهل تفرّقوا، ثم اجتمعوا، فقال: لم أقمت هذا العام عندهم، فلما تذكر قال: اللهم لك علي أن لا أرجع إلى أهل ولا مال، أنظر فتح الباري ١١٩/٨ - ١٢٠.

(٤) هكذا هنا: مرة بن ربيعة، وهو كذلك عند مسلم، والمشهور في اسمه: مرة بن الربيع.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١١٩/٨ - ١٢٠. «مرة بن الربيع، هو المشهور، ووقع في رواية لمسلم. ابن ربيعة، وفي حديث مجمع بن جارية عند ابن مردويه: مرة بن ربيعي، وهو خطأ. وكذا وقع عند ابن أبي حاتم من مرسل الحسن من تسميته: ربيع بن مرة، وهو مقلوب.

وذكر في هذا المرسل أن سب تخلفه أنه كان له حائط حين زهي، فقال في نفسه: قد غزوت قبلها، فلو أقمت عامي هذا، فلما تذكر ذنبه قال: اللهم إني أشهدك أنني قد تصدقت به في سبيلك، أهـ.

وأنظر الإصابة ٣٧٦/٣.

السوق فلا يكلمني أحد. وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذين نعرف، وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف. وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف. وكنت أقوى أصحابي، فكنت أخرج وأطوف في السوق، وآتي المسجد، فأدخل وآتي النبي ﷺ، فأسلم عليه، فأقول: هل حرك شفتيه بالسَّلام؟ إذا قمت أصلي إلى السَّارية فأقبلت قبل صلاتي نظراً إليّ بمؤخر عينيه، وإذا نظرت إليه أعرض عني.

قال: واستكانَ صاحباي فجعلنا يبكيان الليل والنهار، ولا يُطلعان، رؤوسهما^(١).

فبينما أنا أطوف في السوق إذا رجل نصرانيّ جاء بطعام له يبيعه، يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إليّ. فأتاني بصحيفة من ملك غسان، فإذا فيها: أما بعد، فإنه بلغني أنّ صاحبك قد جفاك وأقصاك^(٢)، ولست بدار مضيفة ولا هوان، فألحقُ بنا نوايسك.

قال: فقلت: هذا أيضاً من البلاء والشرّ. فَأَسْجَرْتُ^(٣) لها التَّوْر وأحرقْتُها.

فلما مضت أربعون ليلة إذا رسولُ مِنَ النبي - ﷺ - قد أتاني. فقال: اعتزل امرأتك. فقلت: أطلقها؟ قال: لا ولكن لا تقربها.

وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك. فجاءت امرأة هلال بن أمية، فقالت: يا رسول الله! إنّ هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف، فهل تأذن لي أن أخدمه؟ قال: نعم ولكن لا يقربنك؛ قالت: يا نبيّ الله! والله ما به من حركة لشيء، ما زال مكتئباً^(٤) يبكي الليل والنَّهار منذ كان من أمره ما كان.

قال كعب: فلما طال عليّ البلاء اقتحمتُ على أبي قتادة^(٥) حائضه^(٦) - وهو ابن عمي -، فسَلَّمْتُ عليه فلم يردّ عليّ. فقلت: أنشدك الله^(٧)، يا أبا قتادة! أتعلم أنّي أحبّ الله ورسوله؟ فسكت. ثمّ قلت أيضاً: يا أبا قتادة! أتعلم أنّي أحبّ الله ورسوله؟ فسكت.

(١) في المطبوعة: رؤوسها، وهو خطأ، والمثبت هو الموافق لسياق الكلام.

(٢) أي: أبعدك.

(٣) أي: أوقدت. انظر فتح الباري ١٢١/٨

(٤) أي: حزناً.

(٥) هو: الأنصاري، اسمه: الحارث ويقال: سمير أو نعمان بن أمي بن بُذْءَم، السَّلَمي، المدني. شهد أحداً وما بعدها، ولم يصح شهوده بدرأ، ومات سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وثلاثين، والأول أصح وأشهر. التقريب ٤٦٣/٢.

(٦) أي: بستانه.

(٧) أي: أسألك به، أساس البلاغة ص ٢٥٦

ثم قلت: أُنشدك الله، يا أبا قتادة! أتعلم أنني أحب الله ورسوله؟ قال: الله ورسوله أعلم.
قال فلم أملك نفسي أن بكيتُ. ثم اقتحمتُ الحائط خارجاً.

حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي - ﷺ - الناس عن كلامنا صليتُ على ظهر بيت لنا صلاة الفجر. ثم جلستُ وأنا في المنزلة التي قال الله عز وجل، قد ضاقت عليّ نفسي. وضاقت عليّ الأرض بما رحبت^(١)، إذ سمعت نداءً من دُرّوة سلع^(٢):
أبشر يا كعب بن مالك، فخرّرتُ ساجداً، وعرفتُ أنّ الله تعالى قد جاء بالفرج. ثم جاء رجل يركض على فرس يبشّرني، فكان الصوت أسرع من فرسه، فلما جاءني الذي سمعت صوته أعطيته ثوباً شارة، ولبست ثوبين آخرين. قال: وكانت توبتنا نزلت على النبي - ﷺ - ثلث الليل، فقالت أم سلمة: يا نبيّ الله! ألا نبشر كعب بن مالك؟ قال: إذا يحطّمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة.

قال: وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن بأمرني. فانطلقتُ إلى النبي - ﷺ - ، فإذا هو جالس في المسجد، وحوله المسلمون، وهو يستتير كاستنارة القمر، وكان إذا سُر استنار، فجئتُ فجلستُ بين يديه، فقال: أبشّر، يا كعب بن مالك بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك. ، قال: قلت، يا نبيّ الله أومن عند الله، أم من عندك؟ قال: بل من عند الله. ثم تلا عليهم ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ حتى بلغ ﴿التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣). قال: وفيما نزلت: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٤):

قال: فقلتُ: يا نبيّ الله! إن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله. فقال: أمسك بعض مالك فهو خير لك. فقلت: فإني أملك سهدي الذي بخير.

قال: فما أنعم الله عليّ نعمةً بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ - حين صدقته أنا وصاحبائي أن لا نكون كذبناه فهلكنّا كما هلكوا، وإنّي لأرجو أن

(١) يتأول بذلك قوله تعالى في سورة التوبة، آية رقم (١١٨): ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ...﴾ الآية.

(٢) سلع: جبل بالمدينة المنورة - شرفها الله تعالى - معروف ودُرّوة الشيء أعاليه، أنظر مختار الصحاح ص ٥٠٥. وفتح الناري ١٢١/٨.

(٣) سورة التوبة - آية رقم ١١٧/١١٨، وتماها: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْورَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ، إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾.

(٤) سورة التوبة - آية رقم ١١٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾ الآية.

لا يكون ابتلى الله أحداً في الصدق مثل الذي ابتلاني، ما تعمّدت لكذبة بعد، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي^(١).

(١) روى قصة توبة كعب بن مالك هذه، بعضهم مطولاً، وبعضهم مختصراً، وبعضهم بأجزاء منه، ومن طرق كثيرة عن كعب.

البخاري في كتاب الوصايا، باب (١٦) إذا تصدّق أو وقف بعض رقيقه أو داوّه فهو جائز، حديث رقم (٢٧٥٧) ٣٨٦/٥. ببعضه من آخره.

وفي كتاب الجهاد، باب (١٠٣) من أراد غزوة فورى غيرها، ومن أحب الخروج يوم الخميس حديث رقم (٢٩٤٧ - ٢٩٤٨ - ٢٩٤٩ - ٢٩٥٠) ١١٢/٦ - ١١٣ بأوله فقط.

وباب (١٩٨) الصلاة إذا قَدِم من سفر حديث رقم (٣٠٨٨) ١٩٣/٦، ببعضه.

وفي كتاب المناقب، باب (٢٣) صفة النبي - ﷺ - حديث رقم (٣٥٥٦) ٥٦٥/٦ ببعضه وفي كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٣) وفود الأنصار إلى النبي - ﷺ - بمكة وبيعة العقبة حديث رقم (٣٨٨٩) ٢١٩/٧.

وفي كتاب المغازي، باب (٣) قصة غزوة بدر، حديث رقم (٣٩٥١) ٢٨٥/٧ ببعضه.

وفي كتاب المغازي، باب (٧٩) حديث كعب بن مالك، وقول الله عزّ وجلّ: ﴿وعلى الثلاثة الذي خلفوا﴾، حديث رقم (٤٤١٨) ١١٣/٨ - ١١٦ بتمامه وليس فيه: الحرب خدعة.

وفي كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، باب (١٤) قوله تعالى ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم...﴾ الآية، حديث رقم (٤٦٧٣) ٣٤٠/٨ ببعضه.

وباب (١٧) قوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار...﴾ الآية، حديث رقم (٤٦٧٦) ٣٤١/٨ - ٣٤٢ ببعضه.

وباب (١٨) قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا...﴾ الآية، حديث رقم (٤٦٧٧) ٣٤٢/٨ - ٣٤٣ مختصراً.

وباب (١٩) قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾، حديث رقم (٤٦٧٨) ٣٤٣/٨، ببعضه.

وفي كتاب الإستئذان، باب (٢١) من لم يُسَلِّم على من اقترف ذنباً، ومن لم يرُدّ سيّلامه حتى تتبين توبته...، حديث رقم (٦٢٥٥) ٤٠/١١ ببعضه.

وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٢٤) إذا أهدى ماله على وجه النذر والتوبة، حديث رقم (٦٦٩٠) ٥٧٢/١١، ببعضه من آخره.

وفي كتاب الأحكام، باب (٥٣) هل للإمام أن يمنع المجرمين وأهل المعصية من الكلام معه، والزيادة ونحوه، حديث رقم (٧٢٢٥) ٢١٦/١٣ ببعضه.

ومسلم في كتاب التوبة، باب (٩) حديث توبة كعب بن مالك رحمه الله، حديث رقم (٢٧٦٩) ٢١٢٠/٤ - ٢١٢٩ بتمامه.

وليس فيه: الحرب خدعة.

وفي كتاب صلاة المسافرين، باب (١٢) استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه، حديث رقم (٧١٦) ٤٩٦/١ ببعضه.

وأبو داود في كتاب الطلاق، باب (١١) فيما عني به الطلاق والنيّات، حديث رقم (٢٢٠٢) ٢٦٢/٢ =

= ببعضه .

وفي كتاب الجهاد، باب في أي يوم يستحب السفر، حديث رقم (٢٦٠٥) ٣/٣٥ ببعضه .
وباب المكر في الحرب، حديث رقم (٢٦٣٧) ٣/٤٣ ببعضه .
وباب (١٦١) في إعطاء البشير، حديث رقم (٢٧٧٣) ٣/٨٨ - ٨٩ .
وباب (١٦٦) في الصلاة عند القدوم من السفر، حديث رقم (٢٧٨١) ٣/٩١ ببعضه .
وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٢٩) فيمن نذر أن يتصدق بماله، حديث رقم (٣٣١٧ - ٣٣١٨ - ٣٣١٩ - ٣٣٢٠ - ٣٣٢١) ٣/٢٤٠ - ٢٤١ ببعضه والترمذي في كتاب التفسير، باب (١٠) تفسير سورة التوبة، حديث رقم (٣١٠٢) ٥/٢٨١ - ٢٨٣ مختصراً .
والنسائي في كتاب الطلاق، باب (١٨) إلحقي بأهلك، ولا يريد الطلاق .
وفي كتاب الصلاة، باب (١٥٩) الرخصة في الجلوس في المسجد والخروج منه بغير صلاة .
وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٣٦) إذا أهدى ماله على وجه النذر .
وباب (٣٧) هل تدخل الأرضون في المال إذا نذر؟ .
وفي كتاب السير في سننه الكبرى، باب (١١٨) الوقت الذي يستحب له أن يدخل .
وباب (١١٩) ما يفعل الإمام إذا أراد الغزو .
وباب (١٢٤) اليوم الذي يستحب فيه السفر .
وفي كتاب التفسير من سننه الكبرى، كما في التحفة ٨/٣١٨ .
وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب (١٩٢) ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر، حديث رقم (١٣٩٣) ١/٤٤٦ ، ببعضه : لما تاب الله عليه خرّ ساجداً .
ذكر بعض الفوائد المأخوذة من هذا الحديث .
قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/١٢٣ - ١٢٥ : «وفي قصة كعب من الفوائد :
جواز طلب أموال الكفار من ذوي الحرب .
وجواز الغزو في الشهر الحرام .
والنصرح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره .
وأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد لو تخلف، وقال السهيلي : إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية، لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين، لأنهم بايعوا على ذلك، ومصدق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق :
نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة، لأنها كالتكث لبيعتهم كذا قال ابن بطال . قال السهيلي :
ولاعرف له وجهاً غير الذي قال .
قلت - أي ابن حجر - : وقد ذكرت وجهاً غير الذي ذكره ولعله أقعد، وبؤيده قوله تعالى : ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ الآية . وعند الشافعية وجه : أن الجهاد كان فرض عين في زمن النبي - ﷺ - ، فعلى هذا فيتوجه العتاب على من تخلف مطلقاً .
وفيها : ان العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه، واستخلاف من يقوم مقام الإمام على أهله والضعفة .
وفيها : ترك قتل المنافقين، ويستنبط منه ترك قتل الزنديق إذا أظهر التوبة، وأجاب من أجازه بأن الترك =

= كان في زمن النبي - ﷺ - لمصلحة التأليف على الإسلام .
وفيها : عظم أمر المعصية . .

وفيها : أن القوي في الدين يؤاخذ بأشدّ مما يؤاخذ الضعيف في الدين .
وجواز أخبار المرء عن تقصيره وتفريطه ، وعن سبب ذلك ، وما آل إليه أمره تحذيراً ونصيحة لغيره .
وجواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة ، وتسلية نفسه بما لم يحصل له بما وقع لنظيره .
وفضل أهل بدر والعقبة ، والحلف للتأكيد من غير إستحلاف ، والتورية عن المقصد ، وردّ الغيبة ،
وجواز ترك وطء الزوجة مدّة .

وفيه : أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوّف بها ، لثلاث يحرمها . .
وفيها : جواز تمنّي ما فات من الخير ، وأن الإمام لا يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور ، بل يذكره
ليراجع التوبة .

وجواز الطعن في الرجل بما يغلب على اجتهاد الطاعن عن حمية الله ورسوله ، وفيها : جواز الردّ على
الطاعن إذا غلب على ظن الرادّ وهم الطاعن أو غلطه .

وفيها : أن المُستَحَبّ للقاء أن يكون على وضوء ، وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته ، فيصلي ، ثم يجلس لم
يسلم عليه ، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه ، والحكم بالظاهر ، وقبول المعاذير ، واستحباب
بكاء العاصي أسفاً على ما فاتته من الخير .

وفيها : لإجراء الأحكام على الطهر ووكول السرائر إلى الله تعالى .
وفيها : ترك السلام على من أذنب ، وجواز هجر أكثر من ثلاث ، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث
فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً .
وأن التيسّم قد يكون عن غضب كما يكون عن تعجب ، ولا يختص بالسرور .
ومعاقبة الكبير أصحابه ومن يعزّ عليه ، دون غيره . .

وفيها : فائدة الصدق ، وشؤم عاقبة الكذب . .
وفيها : تبريد حرّ المصيبة بالتأسي بالنظير .
وفيها : عظم مقدار الصدق في القول والفعل ، وتعليل سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به . . .
وفيها : جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه ومن غير الباب إذا علم رضاه .
وفيها : أن مسارقة النظر في الصلاة لا تقدح في صحتها . وإيثار طاعة الرسول على مودة القريب .
وخدمة المرأة زوجها ، والإحتياط لمجانبة ما يُخشى الوقوع فيه .
وجواز تحريق ما فيه اسم الله للمصلحة .

وفيها : مشروعية سجود الشكر ، والإستباق إلى البشارة بالخير ، وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذي
يأتيه بالبشارة ، وتهنئة من تجددت له نعمة ، والقيام إليه إذا أقبل .
 واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة ، وسروره بما يسرّ أتباعه .
 ومشروعية العارية ، ومصافحة القادم والقيام له .

والتزام المداومة على الخير الذي ينتفع به ، واستحباب الصدقة عند التوبة ، وأن من نذر الصدقة بكل
ماله لم يلزمه إخراج جميعه ، أهـ .

٤٣ - [توبة أبي لبابة رضي الله عنه]^(١)

قال الزهري: وكان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي - ﷺ - في غزوة تبوك، فربط نفسه بسارية، ثم قال: والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ.

فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى كاد يخر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه. ف قيل له: قد تيب عليك، فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله - ﷺ - هو الذي يحلني بيده.

قال: فجاء النبي - ﷺ - فحلّه بيده. ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله! إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله. قال: يجزئك الثلث، يا أبا لبابة^(٢).

أخبرنا أبو صالح سعد الله بن نجاة بن الوادي^(٣)، أنا القاضي أبو بكر محمد بن

(١) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، اختلف في اسمه على أقوال كثيرة ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٦٧/٤.

أمره النبي - ﷺ - على المدينة في بدر، وقيل: أنه أمره عليها حين خرج إلى غزوة السويق، وشهد مع رسول الله - ﷺ - أحداً وما بعدها من المشاهد، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في الفتح يقال: مات في خلافة علي، وقال خليفة: مات بعد مقتل عثمان، ويقال: عاش إلى بعد الخمسين. انظر الإصابة ١٦٧/٤، والإستيعاب ١٦٧/٤ - ١٦٨.

(٢) قال ابن عبد البر في الإستيعاب ١٦٧/٤: «اختلف في الحال التي أوجبت فعل أبي لبابة هذا بنفسه - وكان قد ذكر ربطه لنفسه بالجل حتى ذهب سمعه، فما يكاد يسمع، وكاد أن يذهب بصره، وفيه: وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة، أو إذا أراد أن يذهب لحاجة، وإذا فرغ أعادته إلى الرباط -».

وأحسن ما قيل في ذلك، ما رواه معمر، عن الزهري قال: كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي - ﷺ - في غزوة تبوك.. فذكر هذه القصة،

ثم قال: وروي عن ابن عباس من وجوه في قول الله تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ الآية.

أنها نزلت في أبي لبابة، ونفر معه سبعة أو ثمانية أو تسعة سواء، تخلفوا عن غزوة تبوك، ثم ندموا وتابوا وربطوا أنفسهم بالسواري، فكان عملهم الصالح توبتهم، وعملهم السيئ تخلفهم عن الغزو مع رسول الله - ﷺ - أ هـ.

(٣) قال في اللباب ٣/٣٤٥: «هذه النسبة إلى وادي القرى، وهي مدينة قديمة بالحجاز مما يلي الشام، ينسب إليه جماعة».

والوادي - أيضاً - : اسم لجَدّ أبي صالح سعد الله بن نجاة بن الوادي، البغدادي الحنبلي، سمع أبا الفضل محمد بن ناصر، وأبا بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وغيرهما، وكان من أبناء الأربعين، =

عبد الباقي، أنا أبو محمد الجَوْهَرِيُّ، أنا أبو عمر بن حَيَّوَيْه، أنا عبد الوهاب بن أبي حَيَّة، عن محمد بن شجاع البَلْخِيِّ، أنا محمد بن عمر الواقدي، قال: فحدثني ربيعة بن الحارث، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن السائب بن أبي لبابة، عن أبيه^(١)، قال: لَمَّا أُرْسِلْتُ قَرْيَظَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَرْسِلَنِي إِلَيْهِمْ - حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَصْرُ - دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى حَلْفَائِكَ فَإِنَّهُمْ أَرْسَلُوا إِلَيْكَ مِنْ بَيْنِ الْأَوْسِ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَصَارُ. فَهَشُوا^(٢) إِلَيَّ، وَقَالُوا: يَا أَبَا لُبَابَةَ! نَحْنُ مَوَالِيكَ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ. فَقَامَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، فَقَالَ: أَبَا بَشِيرُ! قَدْ عَرَفْتَ مَا صَنَعْنَا فِي أَمْرِكَ وَأَمْرُ قَوْمِكَ يَوْمَ الْحُدَاثِ، وَيَوْمَ بُعَاثَ، وَكُلَّ حَرْبٍ كُنْتُمْ فِيهَا، وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الْحَصَارُ وَهَلَكْنَا، وَمُحَمَّدٌ يَأْتِي أَنْ يَفَارِقَ حَصْنَنَا حَتَّى نَنْزِلَ عَلَى حَكْمِهِ، فَلَوْ زَالَ عَنَّا لَحَقْنَا بِأَرْضِ الشَّامِ أَوْ خَيْرٍ، وَلَمْ نُكْثِرْ عَلَيْهِ جَمْعاً أَبَداً، فَمَا تَرَى فَإِنَّا قَدْ اخْتَرْنَاكَ عَلَى غَيْرِكَ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبَى إِلَّا أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حَكْمِهِ. قَالَ: نَعَمْ، فَانْزِلُوا. وَأَوْمَأَ إِلَى حَلْقِهِ: فَهُوَ الذَّبِيحُ^(٣)

قال: فَنَدِمْتُ فَاسْتَرْجَعْتُ. فَقَالَ كَعْبُ: مَا لَكَ يَا أَبَا لُبَابَةَ؟ فَقُلْتُ: خَنَتِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ. فَتَزَلْتُ وَإِنْ لَحِيتِي لَمَبْتَلَةٌ بِالْدمُوعِ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ رَجُوعِي إِلَيْهِمْ، حَتَّى أَخَذْتُ مِنْ وَرَاءِ الْحَصَنِ طَرِيقاً آخَرَ، حَتَّى أَتَيْتُ الْمَسْجِدَ فَارْتَبَطْتُ. وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ذَهَابِي وَمَا صَنَعْتُ. فَقَالَ: دَعُوهُ حَتَّى يُحْدِثَ اللَّهُ فِيهِ مَا يَشَاءُ، لَوْ كَانَ جَاءَنِي اسْتَغْفَرْتُ لَهُ، فَأَمَّا إِذْ لَمْ يَأْتِنِي وَذَهَبَ فَدَعُوهُ^(٤).

قال: فَحَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ الزَّهْرِيِّ. قَالَ: وَارْتَبَطَ أَبُو لُبَابَةَ سَبْعاً فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، لَا

= [توفي] سنة سبع وثلاثين وخمسمائة هـ.

(١) ذكر المصنف هنا سبباً آخر لتوبة أبي لبابة، وقد تقدّم أن القصة الأولى أحسن ما قيل في سبب توبته رضي الله عنه.

وهذا إسناد ضعيف جداً عن أبي لبابة، فيه: محمد بن عمر بن واقد الواقدي، الأسلمي، القاضي متروك مع سعة علمه، التقريب ١٩٤/٢. وأنظر ميزان الاعتدال ٦٦٢/٣ - ٦٦٦ حيث ذكر أقوال العلماء فيه، ثم قال: «واستقر الإجماع على وهن الواقدي» أ هـ.

(٢) المقصود هنا، أنكم إذا نزلتم على ذلك فهو الذبيح والقتل، كما سيأتي واضحاً في القصة التي ذكرها ابن عبد البر، أنظر الهامش الآتي.

(٣) ذكر ابن عبد البر هذه القصة مختصرة جداً في الاستيعاب ١٦٨/٣، مضعفاً لها، بعد أن حسن القصة السابقة عليها، كما تقدم.

قال - رحمه الله - : «وقيل: إن الذنب الذي أتاه أبو لبابة، كان إشارته إلى حلفائه من بني قَرْيَظَةَ أَنْ الذَّبِيحَ إِنْ نَزَلْتُمْ عَلَى حَكْمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ، فَتَزَلْتُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ»، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. » أ هـ.

يأكل ولا يشرب. وقال: لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله عليّ. قال: فلم يزل كذلك حتى يسمع الصوت من الجهد، ورسول الله - ﷺ - ينظر إليه بكرة وعشيّة. ثم تاب الله عليه، فنودي: إنّ الله قد تاب عليك. وأرسل رسول الله - ﷺ - إليه ليطلق عنه رباطه، فأبى أن يطلقه عنه أحد غير رسول الله - ﷺ - ، فجاء رسول الله - ﷺ - .

قال الزهري: فحدثني هند بنت الحارث^(١)، عن أم سلمة^(٢) زوج النبي - ﷺ - ، قالت: رأيت رسول الله - ﷺ - يحلّ رباطه، وإن رسول الله - ﷺ - ليرفع صوته يكلمه ويخبره بتوبته، وما يدري كثيراً مما يقول له من الجهد والضعف. ولقد كان الرباط حز في ذراعه، وكان من شغره، وكان يداويه بعد ذلك دهرًا.

٤٤ - [توبة أبي هريرة - رضي الله عنه^(٣) - عن فتواه في امرأة زانية]

وقرأت في «تنبيه الغافلين»^(٤) عن أبي هريرة^(٥)، قال: خرجت ذات ليلة بعد ما

(١) هي: هند بنت الحارث الفراسية - بكسر الفاء، ويقال: القرشية تابعة ثقة. التقريب ٦١٧/٢.

(٢) هي: أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، تزوجها النبي - ﷺ - سنة أربع، وقيل: ثلاث. وعاشت بعد ذلك نحو ستين سنة، ماتت سنة اثنتين وستين، وقيل: سنة إحدى وستين، وقيل: قبل ذلك، والأول أصح، التقريب ٦١٧/٢.

(٣) هو أبو هريرة الدوسي، الصحابي الجليل، حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه، فقيل: عبد الرحمن بن صخر، وقيل: ابن غنم، وقيل: . . وقيل: . .

واختلف في أبيها الأرجح، فذهب الأكثرون إلى الأول وذهب جمع من النسّابين إلى: عمرو بن عامر، مات سنة سبع وقيل: سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، التقريب ٤٨٤/٢، وانظر الإصابة ٢٠٠/٤ - ٢٠٨.

(٤) ص ٥٨ منه، وهو كتاب في المواعظ والزهد والرفائق، تصنيف أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، وهو فقيه، مفسر، حافظ، توفي في (١١) جمادى الآخرة، سنة (٣٧٣). له تصانيف كثيرة منها: النوازل في فروع الفقه الحنفي، تفسير القرآن، خزنة الفقه على مذهب أبي حنيفة، ويستأن العارفين في الآداب الشرعية.

أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١٦٩/٣. ومعجم المؤلفين ٩١/١٣.

(٥) هذه القصة لا تصح عن أبي هريرة، ذكرها السمرقندي في تنبيه الغافلين بغير سند. وقد رواه العقيلي في الضعفاء ٣/٣٨٠ من طريق إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان - مولى بني الدئل - ، عن فليح، عن عبيد بن أبي عبيد، عن أبي هريرة. فذكره. قال العقيلي: «فليح لا يتابع على حديثه هذا وعبيد بن أبي عبيد مجهول» أ. هـ.

وعزه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٣٢٨ للطبراني ولابن جرير من طريق إبراهيم بن المنذر به، ثم قال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي رجاله من لا يُعرف، والله أعلم» أ. هـ.

وعزه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٨/٢١٤ لابن مردويه - أيضاً - في تفسيره، من طريق أحمد بن الحسين اللهي، عن عيسى بن شعيب به.

صَلَّيْتُ العشاءَ مع رسول الله - ﷺ - ، فإذا أنا بامرأةٍ متَّعِبَةٌ قائمة على الطريق . فقالت : يا أبا هريرة ! إني قد ارتكبتُ ذنباً عظيماً ، فهل لي من توبة ؟ فقلت : وما ذنبك ؟ قالت : إني زنيْتُ وقتلتُ ولدي من الزنا .

فقلت لها : هلكت - وأهلكِ ، والله مالِكٌ من توبة . فشهِقَتْ شهقةً خَرَّتْ مغشياً عليها ، ومضت .

فقلتُ في نفسي : أفتي ورسول الله - ﷺ - بين أظهرنا ؟ فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله - ﷺ - ، وقلتُ : يا رسول الله ! إن امرأة استفتتني البارحة بكذا وكذا . فقال رسول الله - ﷺ : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أنت والله هلكتِ وأهلكِ ، أين كنت عن هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (١) ؟ !

قال : فخرجت من عند رسول الله - ﷺ - وأنا أعدو في سكك المدينة ، وأقول : من يدلني على امرأة استفتتني البارحة كذا وكذا ؟ والصبيان يقولون : جُنْ أبو هريرة ؛ حتى إذا كان الليل ، لقيتها في ذلك الموطن ، فأعلمتها بقول رسول الله - ﷺ - : وأن لها التوبة . فشهِقَتْ شهقة من السرور ، وقالت : إن لي حديقة وهي صدقة للمساكين لذنبي .

٤٥ - [توبة ثعلبة بن عبد الرحمن رضي الله عنه] (٢)

أخبرنا الشيخ الصالح أبو عبد الله بن أحمد بن النُّقُور (٣) ، أنا أبو الحسن علي بن

= وعيسى بن شعيب هذا ، لم يوثقه إلا ابن حبان حيث ذكره في الثقات ، ولهذا قال عنه الحافظ ابن حجر في التقریب ٩٨/٢ : « فيه لين » أ.هـ . وقال عنه في الميزان ٣١٣/٣ « لا يعرف » أ.هـ . وهناك خلاف على فليح ، هل هو : ابن سليمان ، أم هو الشَّماس ، أم هما واحد ، أنظر تهذيب التهذيب ٢١٤/٨ - ٢١٥ .

قال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ٣١٤/٣ عن هذه القصة : « وهذا خبر موضوع ، رواه إبراهيم بن المنذر الحزامي ، عن عيسى هذا » أ.هـ . والله تعالى أعلم .

(١) سورة الفرقان ، الآيات ٦٨ - ٧٠ ، وتمامها : ﴿ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ إِثْمًا ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .

(٢) هو ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري ، يقال : إنه كان يخدم النبي - ﷺ - . أنظر الإصابة ٢٠١/١ - ٢٠٢ .

(٣) كذا في المطبوعة : أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن النُّقُور ولعل الصواب : أبو عبد الله محمد بن أحمد النُّقُوي . وهو شيخ روى عنه جماعة ، أنظر اللباب ٣٢٣/٣ وهذه النسبة إلى نَقَو ، قال في اللباب ؛ وظني أنها من قَرَى صنعاء اليمن » أ.هـ .

محمد بن العَلَّاف، أنا أبو القاسم بن بِشْران، أنا أحمد بن إبراهيم الكِندي^(١)، أنا أبو بكر محمد بن جعفر السَّامَرِيُّ^(٢)، قال: حدثني أحمد بن جعفر بن محمد، ثنا إبراهيم بن علي الأطْرُوش^(٣)، ثنا سُلَيْم بن منصور بن عَمَّار، قال: حدثني أبي، عن المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري^(٤)، قال:

- (١) الكِندي: ابكر أولها، وسكون النون، وكسر الدال المهملة هذه النسبة إلى كِنْدَة، وهي قبيلة كبيرة مشهورة من اليمن. كذا في اللباب ١١٥/٣.
- (٢) السَّامَرِيُّ: بفتح السين، وسكون الألف، وفتح الميم وفي آخرها راء مشددة، هذه النسبة إلى مدينة: سُرْمَن رَأى، بالعراق فوق بغداد، وهي مشهورة فخففها الناس وقالوا: سامراً، بناها المعتصم، وخربت عن قريب عن عمارتها ينسب إليها جماعة، كذا في اللباب ٩٤/٢.
- (٣) الأطْرُوش: بضم الألف، وسكون الطاء المهملة، وضم الراء، وفي آخرها الشين المعجمة، هذا يقال لمن بأذنه أدنى صمم. اللباب ٧٣/١.
- (٤) هذا إسناد ضعيف عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - فيه:
 - ١ - سُلَيْم بن منصور بن عَمَّار، قال في ميزان الإعتدال ٢٣٢/٢: «قال ابن أبي حاتم، قلت لأبي: أهل بغداد يتكلمون فيه، فقال: مه، سألت ابن أبي الثلج عنه، فقلت: يقولون كتب عن ابن عليّة وهو صغير؟ قال: لا» أ.هـ. وانظر لسان الميزان ١١٢/٣.
 - ٢ - منصور بن عَمَّار - والدسليم -، قال في ميزان الإعتدال ١٨٧/٤ - ١٨٨: «زاهد شهير، وإليه كان المنتهى في بلاغة الوعظ، وترقيق القلوب، وتحريك الهمم، وعظ ببغداد والشام ومصر، وبُعْد صيته، واشتهر اسمه.
 - قال أبو حاتم: ليس بالقوي.
 - وقال ابن عدّي: منكر الحديث.
 - وقال القيلي: فيه تَجَهُّم.
 - وقال الدارقطني: يروي عن ضعفاء أحاديث لا يُتابع عليها.
 - ... ثم قال الذهبي: وساق له ابن عدّي أحاديث تدلّ على أنه واهٍ في الحديث» أ.هـ.
 - ٣ - المنكدر بن محمد بن المنكدر: لَين الحديث، كما في التقريب ٢٧٧/٢.
 - وقال في ميزان الإعتدال ١٩٠/٤ - ١٩١: «اختلف اجتهد يحيى وأحمد في تضعيفه وتقويته.
 - وقال أبو حاتم: كان رجلاً صالحاً كثير الخطأ.
 - وقال النسائي: ضعيف.
 - وقال ابن حبان: قَطَعَتْهُ العبادة عن مراعاة الحفظ.
 - وقال أبو زرعة: ليس بقويّ، وكذا قال النسائي في مكان آخر» أ.هـ.
 - وإلى تضعيف هذه الرواية ذهب ابن منده والحافظ ابن حجر، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٠١/١ - ٢٠٢. بعدما عزی هذه القصة لابن شاهين ولأبي نعيم من جهة سُلَيْم بن منصور، قال: «قال ابن منده بعد أن رواه مختصراً: تفرد به منصور.
 - قلت - أي ابن حجر - : وفيه ضعف، وشيخه - أي والده - أضعف منه، وفي السياق ما يدلّ على وَهن الخبر، لأن نزول: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ كان قبل الهجرة بلا خلاف» أ.هـ.

أسلم فتى من الأنصار يقال له: ثعلبة بن عبد الرحمن. قال: وكان يخدم النبي - ﷺ - ويخفّ له. وإن رسول الله - ﷺ - بعثه في حاجة له، فمرّ بباب رجل من الأنصار، فرأى امرأة من الأنصار تغتسل. وخاف أن ينزل الوحي على رسول الله - ﷺ - بما صنع، فخرج هارباً على وجهه. فأتى جبلاً بين مكة والمدينة فولجها.

ففقدّه النبي - ﷺ - أربعين يوماً^(١). وإن جبريل - عليه السّلام - نزل على النبي - ﷺ - فقال: يا محمد! إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إنّ رجلاً من أمتك بين هذه الجبال يتعوّذ بي. فقال النبي - ﷺ -: يا عمر، ويا سلمان! انطلقا فأتياني بشعلبة بن عبد الرحمن.

فخرجا من أنقاب المدينة فلقيا راعياً من رعاة المدينة، يقال له: ذفافة. فقال له عمر: هل لك علم بشاب بين هذه الجبال، يقال له: ثعلبة؟ قال: لعلك تريد الهارب من جهنّم. فقال له: وما علمك بأنه هارب من جهنّم؟ قال: لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا من بين هذه الجبال، واضعاً يده على أمّ رأسه، وهو ينادي: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد، ولم تجرّدني لفصل القضاء. فقال عمر: إياه نريد. فانطلق بهما.

فلما كان في جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال، واضعاً يده على أمّ رأسه، وهو ينادي: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد، ولم تجرّدني لفصل القضاء.

قال: فغدا عليه عمر فاحتضنه. فقال: يا عمر! هل علم رسول الله - ﷺ - بذنبي؟ قال: لا علم لي، إلّا أنه ذكرَكَ بالأمس، فأرسلني وسلمان في طلبك.

قال: يا عمر! لا تأت. خلني عليه إلّا وهو في الصلاة. فابتدر عمر وسلمان الصفّ. فلما سمع ثعلبة قراءة النبي - ﷺ - خرّ مغشاً عليه.

فلما سلّم النبي - ﷺ - قال: «يا عمر! يا سلمان! ما فعل ثعلبة؟» قالا: ها هوذا، يا رسول الله! فقام النبي - ﷺ - فحركه فانتبه.

فقال له رسول الله - ﷺ -: «ما غيّبك عني؟» قال: ذنبي، يا رسول الله. قال:

(١) عند أبي شاهين وابن نعيم، زيادة: وهي الأيام التي قالوا: ودّعه ربه وقلاه، كذا في الإصابة ٢٠١/١.

«أفلا أدلك على آية تمحو الذنوب والخطايا؟» قال: بلى، يا رسول الله. قال: «قل: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾»^(١).

قال: ذنبي، يا رسول الله، أعظم. قال: «بل كلام الله أعظم». ثم أمره بالإنصراف إلى منزله.

فمرض ثمانية أيام، ثم إن سلمان أتى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله! هل لك في ثعلبة، فإنه لما به قد هلك. فقال رسول الله - ﷺ - : «قوموا بنا إليه».

فدخل عليه فأخذ رأسه فوضعه في حجره، فأزال رأسه عن حجر رسول الله ﷺ. فقال له: «لِمَ أزلت رأسك عن حجري؟» قال: لأنه ملآن من الذنوب. قال: «ما تشتكي؟» قال: مثل ديبب النمل بين عظمي ولحمي وجلدي. قال: «ما تشتهي؟» قال: مغفرة ربي.

قال: فنزل جبريل - عليه السلام، فقال: يا محمد! إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: لو أن عبدي هذا لقيني بقراب الأرض^(٢) خطيئة، لقيته بقرابها مغفرة. قال: فأعلمه النبي - ﷺ - . قال: فصاح صيحةً فمات.

٤٦ - [توبة عمرو بن مالك الرؤاسي رضي الله عنه]^(٣)

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا محمد بن أحمد، أنا أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن محمد، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا سفيان بن وكيع، حدثني أبي، عن جدي، عن طارق، عن عمرو بن مالك الرؤاسي، عن أبيه^(٤):

(١) سورة القرة، آية رقم ٢٠١.

(٢) أي: ما يقارب ملاها.

(٣) هو عمرو بن مالك بن قيس بن بُجَيْد بن رؤاس الرؤاسي، العامري، الكلبي، وقد هو وأبوه مالك على النبي - ﷺ - فأسلما أنظر الإصابة ٣/٣١٣ و ٣٣٣ وانظر الإستيعاب ٣/٣٦٥.

(٤) هذا إسناد به خطأ، أخطأ فيه سفيان بن وكيع، فجعل القصة عن مالك الرؤاسي، وإنما حصلت مع عمرو بن مالك.

وبيان ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/١٤ بعدما عزا هذه القصة للبخوي والطبراني وأبي نعيم من طريق عن عثمان بن أبي شيبة، عن وكيع، عن أبيه، عن شيخ يقال له: طارق، عن عمرو بن مالك الرؤاسي قال: أتيت النبي - ﷺ - فقلت: يا رسول الله أرض عني. . . القصة. قال الحافظ: «وأخرجه البزار في مسنده عن إبراهيم بن زياد الصائغ عن وكيع هكذا، وقال: لا يصلح دوى عمرو بن مالك إلا هذا الحديث».

قال أبو موسى - رواه غير واحد هكذا عن وكيع.

واللهم سفيان بن وكيع، فرواه عن أبيه، عن جده، عن طارق، عن عمرو بن مالك، عن أبيه. =

أنه أغار هو وقوم من بني كلاب على قوم من بني أسد، فقتلوا فيهم وغنّوا بالنساء. فبلغ ذلك النبي - ﷺ - فدعا عليهم ولعنهم.

فبلغ ذلك مالكا فغلّ يده، ثم أتى النبي - ﷺ - ، فقال: يا رسول الله! إرض عني رضي الله عنك. فأعرض عنه النبي - ﷺ - . ثم دار إليه، فقال: إرض عني رضي الله عنك. فأعرض عنه. ثم أتاه الثالثة، فقال: إرض عني رضي الله عنك، فوالله إن الربّ ليرضى فيرضى.

فأقبل عليه النبي - ﷺ - فقال: تبتّ ممّا صنعت واستغفرت الله؟ قال: نعم. قال: اللهم! تبّ عليه وارض عنه.

٤٧ - [توبة غني من أغنياء الصحابة]

أخبرنا الإمام أبو الحسن المقرئ، أنا أبو طالب اليوسفي، أنا أبو علي التميمي، أنا أبو بكر القطيعي، ثنا عبد الله، قال: حدّثني أبي، ثنا يزيد، أنا أبو الأشهب^(١)، قال: حدّثني سعيد بن أيمن - مولى كعب بن سور -^(٢)، قال:

بينما رسول الله - ﷺ - يحدث أصحابه، إذ جاء رجل من الفقراء، فجلس إلى جنب

= قلت: - أي ابن حجر: - سفيان بن وكيع ضعيف في أبيه وغيره، وقد خبط في السند. فزاد فيه: عن جده، وزاد بعده: عن أبيه.

ورواية عبد الرحمن بن مطرف وهو من الثقات، تشهد لرواية عثمان بن أبي شيبة وهو من الحفاظ، أ.هـ.

ورواية عبد الرحمن بن مطرف التي أشار إليها كان قد ذكرها ١٣/٣. فقال: وأخرج ابن أبي عاصم في الوجدان، وابن أبي خيثمة في التاريخ، وابن السكن عنه، جميعاً عن عبد الرحمن بن مطرف، قال: حدّثنا ابن عمي وكيع بن الجراح عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن نافع جدّ علقمة، قال: كنت في القوم فأتى عمرو بن مالك الرؤاسي إلى النبي - ﷺ - ، ثم حجّ إلى قومه فدعاهم، فأبوا أن يجيبوه حتى يدرکوا بثأرهم من بني عقيل... وفيه ذكر قتل عمرو لربيعة بن المتفق... ثم مجئته إلى رسول الله - ﷺ - وقد غلّ يديه نادماً تائباً أ.هـ.

فهذا الإسناد يشهد لذلك بأن القصة حدثت مع عمرو بن مالك الرؤاسي، وليس مع أبيه، كما قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - .

(١) هو: جعفر بن حيّان السعدي أبو الأشهب العطاردي، البصري، مشهور بكنيته، ثقة، مات سنة خمس وستين ومائة، وله خمس وتسعون سنة، التقريب ١٣٠/١، وانظر التهذيب ٨٨/٢.

(٢) هذا إسناد مرسل فسعيد بن أيمن تابعي ولم يدرك القصة.

وسعيد بن أيمن هذا ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٤٥٥/١/٢ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وكذلك ذكره ابن حاتم في الجرح والتعديل ٢/٤ - ٣ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات ٢٧٧/٤.

رجل من الأغنياء . فكأنه قبض من ثيابه عنه .

وتغيّر رسول الله - ﷺ . فقال رسول الله - ﷺ - : يا فلان! أخشيت أن يعدو غناك عليه ، أو أن يعدو فقره عليك؟ قال : يا رسول الله ! وشر الغنى ؟ .
قال : نعم ، إن غناك يدعوك إلى النار وإن فقره يدعوه إلى الجنة .
قال : فما ينجي مني منه ؟ قال : تُواسيه منه . قال : إذا أفعل . فقال الآخر : لا أرب لي فيه . قال : فاستغفر لأخيك وادع له .

٤٨ - [توبة أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه]^(١)

أخبرنا سعد الله بن نجا ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، أنا الحسن بن عليّ الجوهريّ ، أنا أبو عمر بن حيويه ، أنا عبد الوهاب بن أبي حية ، أنا محمد بن شجاع البلخيّ ، ثنا محمد بن عمر الواقدي ، حدّثني سعيد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن سابط وغيره^(٢) ، قال :

كان أبو سفيان بن الحارث : أخا رسول الله - ﷺ - من الرضاعة ، أرضعته حليلة ، وكان يألّف رسول الله - ﷺ - ، وكان له ترباً^(٣) .

فلما بُعث رسول الله - ﷺ - عاداه عداوة لم يعاد أحد قطّ مثلها ، وهجا رسول الله - ﷺ - وأصحابه . فمكث عشرين سنة عدواً لرسول الله - ﷺ - يهجو المسلمين ويهجونه ؛ ولا يتخلّف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله - ﷺ - . ثم إن الله ألقي في قلبه الإسلام .

(١) هو : أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، ابن عمّ رسول الله - ﷺ - ، وأخوه من الرضاعة ، أرضعتها حليلة السعدية .

وكان قبل إسلامه ممن يؤذي النبي - ﷺ - ويهجوه ويؤذي المسلمين ، وأسلم في الفتح ، لقي النبي - ﷺ - وهو متوجه إلى مكة فأسلم ، شهد حينئذٍ فكان ممن ثبت مع النبي - ﷺ - . وتوفي رضي الله عنه سنة خمس عشرة في خلافة عمر ، فصلّى عليه ، ويقال : سنة عشرين ، ذكره الدراقطني في كتاب الإخوة ،

أنظر الإصابة ٩٠/٤ - ٩١ ، والاستيعاب ٨٣/٤ - ٨٥ .

(٢) وهذا إسناد ضعيف جداً ، فيه : محمد بن عمر الواقدي : متروك مع سعة علمه ، كما في التقريب ١٩٤/٢ .

وعبد الرحمن بن سابط ، تابعي ثقة ، كما في التقريب ١/٨٠ فلم يدرك القصة ، فالحديث مرسل ، ولبعضه شواهد .

(٣) الترب : - بكسر التاء - اللدة والسنّ ، ومن ولد معك ، أنظر مختار الصحاح ص ١٧ .

قال أبو سفيان: فقلت: من أصحاب ومع من أكون؟ قد ضرب الإسلام بِجُرْأَنِهِ^(١). فجئت زوجتي وولدي، فقلت: تهيئوا للخروج، فقد أظَلَّ قَدُومُ محمد. قالوا: قد آن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمداً، وأنت مُوضِعٌ^(٢) في عداوته، وكنت أولى الناس بنصره.

فقلت لغلامي مَذْكُورٌ^(٣): عَجَلْ بِأَبْعَرَةٍ وفرس. قال: ثم سرنا حتى نزلنا: الأَبْوَاءُ^(٤). وقد نَزَلَتْ مقدمة رسول الله - ﷺ -: الأَبْوَاءُ، فتنكَّرتُ وخِفتُ أن أقتل. وكان رسول الله - ﷺ - قد نذرَ دمي.

فخرجت على قدمي نحواً من ميل، وأقبل الناسُ رَسَلاً رَسَلاً^(٥)، فتنحَّيتُ فَرَقاً^(٦) من أصحابه.

فلما طلع في موكبه تصدَّيتُ له تلقاء وجهه، فلما ملأ عينيه مني أعرض عني بوجهه إلى الناحية الأخرى، فتحوَّلتُ إلى ناحية وجهه الأخرى، فأعرض عني مراراً، فأخذني ما قُرب وما بُعد؛ وقلت: أنا مقتول قبل أن أصل إليه! وأتذكَّرُ برَّه ورُحمه، فيمسك ذلك مني، وقد كنتُ لا أشكُّ أن رسول الله - ﷺ - وأصحابه سيفرحون بإسلامي فرحاً شديداً، لقرايتي برسول الله - ﷺ -، فلما رأى المسلمون إعراض رسول الله - ﷺ - عني أعرضوا عني جميعاً، فلقيني ابن أبي قحافة^(٧) معرضاً عني، ونظرتُ إلى عمر يُغري بي رجلاً من الأنصار، فقال لي: يا عدو الله! أنت الذي كنت تؤذي رسول الله - ﷺ - وتؤذي أصحابه، قد بلغت مشارق الأرض ومغاربها في عداوته. فرددت بعض الردِّ عن نفسي، واستطال عليّ ورفع صوته، حتى جعلني في مثل الحرجة من الناس يُسَرُّون بما يفعل بي.

قال: فدخلت على عَمِّي العباس، فقلت: يا عمُّ! قد كنت أرجو أن يفرج رسول الله - ﷺ - بإسلامي لقرايتي وشرفي، وقد كان منه ما رأيت، فكلمه في ليرضى عني.

(١) أي: قد انتشر، وذاع صيته، أنظر أساس البلاغة ص ١٥،

(٢) أي: خاسر في عداوته قال في مختار الصحاح ص ٢٨١: «أَوْضِعَ - على مالم يسم فاعله - : أي خسر، أھـ».

(٣) هو اسم الغلام.

(٤) بلد بين مكة والمدينة.

(٥) أي: جماعة بعد جماعة، أنظر أساس البلاغة ص ١٦٢.

(٦) أي: خوفاً.

(٧) هو أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه -، واسمه عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي.

قال: لا والله لا أكلّمه كلمة أبداً بعد الذي رأيتُ، إلّا أن أرى وجهاً. إني أُجلّ رسول الله - ﷺ - وأهابه، .

فقلت: يا عمّ! إلى من تكلّمني؟ قال: هو ذاك.

قال: فلقيتُ عليّاً، فكلّمته، فقال لي مثل ذلك.

فرجعت إلى العباس، فقلت: يا عمّ! فكيف عني الرجل الذي يشتمني. قال: صفه لي. فقلت: هو رجل آدم، شديد الأدمة^(١)، قصيرٌ دُخْدَاح^(٢)، بين عينيه شحّة^(٣). قال: ذاك نعيمان بن الحارث النجاري^(٤). فأرسل إليه، فقال: يا نعيمان! إنّ أبا سفيان ابن عمّ رسول الله - ﷺ - وابن أخي، وإن يكن رسول الله - ﷺ - ساخطاً عليه فسيرضى عنه، فكفّ عنه. فبعد لأبي ما^(٥) كفّ. وقال: لا أعرضُ له^(٦).

قال أبو سفيان: فخرجتُ فجلستُ على باب منزل رسول الله - ﷺ - حتى راح إلى الجحفة^(٧) وهو لا يكلمني ولا أحد من المسلمين. وجعلت لا ينزل منزلاً إلّا أنا على بابي ومعني ابني جعفر قائم. فلا يراني إلّا أعرض عني.

فخرجتُ على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكة، وأنا في خيله التي تلازمه حتى نزل الأبطح^(٨)، فدنوت من باب قبته، فنظر إليّ نظراً هو ألين من ذلك النظر الأول، ورجوت أن يتبسّم.

ودخل عليه نساء بني عبد المطلب ودخلت معهن زوجتي، فرقّته عليّ.

وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أفارقه على حال، حتى خرج إلى هوازن،

(١) أي: أسمر شديد السُمرة، مختار الصحاح ص ٣٩٤.

(٢) الدُخْدَاح: الممتلئ البطن، والمقصود هنا: أنه قصير مربوع، أي: ليس بالرفيع ولا بالشخين، بل متوسط، والله أعلم.

(٣) هكذا في المطبوعة: شحّة، ولم أجد من شرحهما، ولعلها شحّة بالجيم،

(٤) هو النعيمان بن عمرو بن رفاعه بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، له صحبة، مات في زمن معاوية، الإصابة ٥٤٠/٣.

(٥) اللّأي: الشدّة، والجهد، والمشقة، أنظر مختار الصحاح ص ٥٣٨، والمقصود: فبعد جهد ومشقة طويلة، كفّ عن ذلك.

(٦) أي: لا أتعرض له.

(٧) هي موضع بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل الشام، وكان اسمها مهبة، فأجحف - أي فذهب - السيل بأهلها، فسميت جحفة، مختار الصحاح ص ٢٨٦.

(٨) الأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى - أي صفارها - والجمع الأباطح، والبطاح، ومنه بطحاء مكة، مختار الصحاح ص ٦٩.

فخرجت معه، وقد جمعت العرب جَمْعاً لم تجمع مثله قط، وخرجوا بالنساء والذرية والماشية. فلما لقيتهم، قلتُ: اليوم يرى أثري إن شاء الله.

فلما لقيناهم حملوا الحملة التي ذكر الله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذْبِرِينَ﴾^(١). وثبت رسول الله - ﷺ - علي بغلته الشهباء، وجرد سيفه؛ فاقتحمت عن فرسي وبينيدي السيف صلتاً^(٢) قد كسرت جفنه^(٣)، والله يعلم أنني أريد الموت دونه، وهو ينظر إليّ.

وأخذ العباس بلجام البغلة، فأخذت بالجانب الآخر. فقال: من هذا؟. فقال العباس: أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث، فارض عنه أي رسول الله؛ قال: قد فعلت، فغفر الله له كلّ عداوة عادانيها. فأقبل رجله في الركاب، ثم التفت إليّ، فقال: أخي لعمرى.

ثم أمر العباس فقال: نادِ يا أصحاب سورة (البقرة)، يا أصحاب السُّمرة^(٤)، يا للمهاجرين، يا للأنصار، يا للخزرج؛ فأجابوا: لبيك داعي الله.

وكرّوا كرة رجل واحد، قد حطّموا الجفون، وشرّعوا الرِّماح، وخَفَضُوا عوالي الأسنة^(٥)، وأرقلوا إرقال الفحول^(٦).

فرايتني وإني لأخاف على رسول الله - ﷺ - شروع رماحهم، حتّى أهدقوا برسول الله - ﷺ - وقال لي رسول الله - ﷺ - : «تقدّم فضارب القوم، فحملت حملة أزلتهم عن موضعهم، وتبعني رسول الله - ﷺ - قُدْماً في نُحُور القوم، ما يالو ما تقدّم. فما قامت لهم قائمة حتّى طردتهم قَدَرَفَرَسَخ^(٧)، وتفرّقوا في كلّ وجه.

(١) سورة التوبة، آية رقم ٢٦.

(٢) أي: مُجَرِّداً، قد أبرزته للقتال. أساس البلاغة ص ٢٥٧.

(٣) أي: غَمَدَه، مختار الصحاح ص ٤٤٥.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ١٥١: «السُّمرة - بضم الميم - : من شجر الصلح، والجمع سُمُرٌ أهـ. والمقصود هنا مناداة من بايع تحت الشجرة، وهي بيعة الرضوان.

(٥) الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح، مختار الصحاح ص ٤٥٦.

(٦) أي: أسرعوا إسراع الفحول، أساس البلاغة ص ١٧٤.

(٧) الفرسخ، ثلاثة أميال، والميل: ألف باع، وهو في اللغة: متهى مدّ البصر، والباع: أربعة أذرع، والذراع: أربعة وعشرون أصبعاً، والأصبع: أربع شعيرات بطن لبطن، والشعيرة: ست شعيرات من ذيل بغل.

ولقد قال بعضهم في ذلك شعراً:

إن البريد من الفراسخ أربع ولفرسخ فثلاث أميال ضعموا
والميل ألف أي: من الباعات قل، والباع: أربع أذرع فتتبع =

وروي عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ^(١)، قال: لقد رأيت النبي - ﷺ - يومئذٍ وما معه إلا أبو سفيان بن الحارث، فأتيته حتى أخذت بحكمة ^(٢) بغلته، وكنت رجلاً صَيِّئاً، فقال رسول الله - ﷺ -: يا عباس! اصرخ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السُّمرة؛.

فناديت: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السُّمرة. قال: فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حُبَّت إلى أولادها، يقولون: يا لبيك! يا لبيك!.

وروي أنهم عطفوا عطفة البقر على أولادها، قد شرعوا الرُمَاح، حتى إنني لأخاف

= ثم الذراع من الأصابع أربع من بعدها العشرون، ثم الأصبع ست شعيرات فظهر شعيرة منها إلى بطنٍ لآخرى توضّع ثم الشعيرة ست شعيرات فقط من ذيل بغلٍ ليس عن ذم مرجع نقلاً عن هامش المطبوعة.

(١) روى قول العباس - رضي الله عنه - هذا:

مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب (٢٨) غزوة حُنين، حديث رقم (١٧٧٥) ١٣٩٨/٣ - ١٤٠٠، بلفظ: شهدت مع رسول الله - ﷺ - يوم حُنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، رسول الله - ﷺ - . فلم نفارقه، ورسول الله - ﷺ - على بغلة له بيضاء، أهداها له قُرّة بن نفاعة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولّى المسلمون مدبرين فطَفِقَ رسول الله - ﷺ - يركض بغلته قبل الكفار .

قال عباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله - ﷺ - ، أكفها، إرادة أن لا تُسرع، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله - ﷺ - ، فقال رسول الله - ﷺ - : أي عباس، نادِ أصحاب السُّمرة. فقال عباس - وكان رجلاً صَيِّئاً - : فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السُّمرة؟ قال: فَو الله لكان عطفَتهم حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك، يا لبيك.

قال: فاقتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار، يقولونه: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قُصرت الدعوت على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج.

فَنظر رسول الله - ﷺ - وهو على بغلته كالمتطاوِل عليها إلى قتالهم. فقال رسول الله - ﷺ - : هذا حين حَمِي الوطيس. قال: ثم أخذ رسول الله - ﷺ - حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب محمد.

قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حُدّهم قليلاً - أي: قوتهم ضعيفة - وأمرهم مُدبراً.

وفي رواية، قال: وكأني أنظر إلى النبي - ﷺ - يركض خلفهم على بغلته. ورواه أيضاً النسائي في كتاب السير، من سننه الكبرى، باب (٥١) رمي الحصى في وجوه القوم.

(٢) أي بلجام بغلته، كما في رواية مسلم.

على رسول الله - ﷺ - رماحهم، أشد من خوفي رماح المشركين، يؤْمون^(١) الصوت، ويقولون: يا لبيك! يا لبيك!

قال: والتفت رسول الله - ﷺ - يومئذ إلى أبي سفيان بن الحارث، وهو مقنع بالحديد، وهو أخذ بثغر بغلة النبي - ﷺ - ، قال: من هذا؟ قال: ابن أمك يا رسول الله. ويُقال: إنه قال: أخوك، فذاك أبي وأمي، أبو سفيان بن الحارث^(٢).

فقال رسول الله - ﷺ : نعم أخي، ناولني حصي من الأرض، فناوله^(٣)، فرمى بها في وجوه القوم وقال: شأيت الوجوه^(٤)، فمرت كأنها عَنَانة^(٥)، فدخلت في أعينهم كلهم فانهزموا.

وذكر ابن عبد البر بإسناده عن عائشة - رضي الله عنها - ، قالت: مر علينا أبو سفيان بن الحارث، فقال لي رسول الله - ﷺ - : هلمّي يا عائشة، حتى أريك ابن عمي الشاعر الذي كان يهجونني، أول من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه، لا يجاوز طرفه شِرَاك نعله.

وروي أنه كان لا يرفع رأسه إلى النبي - ﷺ - حياءً منه^(٦).

وقال عند موته: لا تبكوا عليّ، فما تنطفت بخطيئة^(٧) منذ أسلمت^(٨).

وبكى على النبي - ﷺ - كثيراً ورثاه، فقال^(٩):

أُرِقْتُ وِبات^(١٠) ليلي لا يزول وليل أخي المصيبة فيه طول

(١) أي: يقصدون.

(٢) من قوله: والتفت رسول الله - ﷺ - يومئذ إلى أبي سفيان. . إلى هنا، ليس في رواية مسلم، كما تقدم.

(٣) في رواية مسلم أن النبي - ﷺ - هو الذي أخذ الحصيات. كما تقدم.

(٤) أي: قَبَحَتْ.

(٥) أي: سحابة.

(٦) ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في الإصابة ٩١/٤ بصيغة التمریض كما هنا، فقال: «ويقال: إنه لم يرفع رأسه إلى رسول الله - ﷺ - حياءً منه» أ.هـ.

(٧) أي: ما تلطخت بخطيئة، أنظر أساس البلاغة ص ٤٦١.

(٨) ذكر هذا القول ابن عبد البر في الاستيعاب ٨٤/٤، بصيغة التمریض، فقال: «ويروى عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: لا تبكوا عليّ فإنني لم أنتطف بخطيئة منذ أسلمت» أ.هـ.

(٩) ذكر هذه الأبيات ابن عبد البر في الاستيعاب ٨٤/٤ - ٨٥.

(١٠) في الاستيعاب ٨٤/٤: فبات.

وَأَسْعَدَنِي^(١) الْبُكَاءُ وَذَاكَ فِيمَا
لَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ
فَأُضْحَتْ^(٢) أَرْضُنَا مِمَّا عَرَّاهَا
فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِينَا
وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتُ عَلَيْهِ
نَبِيٌّ كَانَ يَجْلُو الشُّكَّ عَنَّا
وَيَهْدِينَا فَلَا يَخْشَى عَلَيْنَا
أَفَاطُمْ إِنْ جَزَعْتَ فِذَاكَ عَذْرُ
فَقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ

أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
عَيْشِيَّةٌ قِيلَ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
تَكَادُ بَنَاهَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ
يَرْوُحُ بِهِ وَيَغْدُو جِبْرِثِيلُ
نُفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَادَتْ تَسِيلُ
بِمَا يُوْحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
ضَلَالًا وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلُ^(٣)
وَأَنْ لَمْ تَجْزَعِي فَهُوَ^(٤) السَّبِيلُ
وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ

٤٩ - [توبة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه]^(٥)

وهرب يوم الفتح هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ الْمَخْزُومِي زَوْجَ أُمِّ هَانِيَةَ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ،
وعبد الله بن الزبير، إلى نَجْرَانَ. وكانا شاعرين يهجون المسلمين.
ويقال: إن ابن الزبير أشعر شعراء قريش^(١).
فأرسل حسان بن ثابت أبياتاً يريد بها ابن الزبير، أنشدنيها ابن أبي الزناد^(٢):

- (١) في الاستيعاب ٨٤/٤: فأسعدني.
(٢) في الاستيعاب ٨٥/٤: وأفضحت.
(٣) هذا البيت كما في الاستيعاب ٨٥/٤ هكذا:
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً علينا والرسول لنا دليل
(٤) في الاستيعاب ٨٥/٤: ذاك، بدل: فهو.
(٥) هو عبد الله بن الزبير - بكسر الزاي والموحدة، وسكون المهملة، بعدها راء مقصورة - بن قيس بن
عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، أمه عاتكة بنت عبد الله بن عمرو بن وهب، وكان من أشعر
قريش، وكان شديداً على المسلمين، ثم أسلم عام الفتح، بعد أن هرب يوم الفتح إلى نجران،
أنظر الإصابة ٣٠٠/٢، والاستيعاب ٣٠٠/٢ - ٣٠٣.
(٦) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٠١/٢: «قال محمد بن سلام: بمكة شعراء، فأبرعهم شعراً
عبد الله بن الزبير».
قال الزبير: كذلك يقول رواية قريش إنه كان أشعرهم في الجاهلية، وأما ما سقط إلينا من شعره وشعر
ضرار بن الخطاب، فضرار عندي أشعر منه، وأقل سقطاً أهد.
وأنظر الإصابة ٣٠٠/٢.
(٧) كذا هنا، أنه أرسل أبياتاً إلى ابن الزبير، وهو كذلك في الإصابة ٣٠٠/٢، أن حسان قال في ذلك
أبياتاً، وذكر منها البيت الأول، لكن قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٠١/٢: «رماه حسان بيت
واحد فما زاده عليه، فذكر البيت الأول» أهد.

لَا تَعُدْ مِنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُغْضُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدٌ^(١) لثِيمٍ
بَلَيْتَ قَنَاثَكَ فِي الْحُرُوبِ فَالْفَيْتَ خِمَانَةً^(٢) جَوْفَاءَ ذَاتٍ وَصُومٍ^(٣)
غَضِبَ إِلَآهُ عَلَى الزُّبَيْرَى وَابْنِهِ وَعَذَابُ سَوْءٍ فِي الْحَيَاةِ مُقِيمٍ

فلما جاءه شعر حسان تهياً للخروج. فقال له هُبَيْرَةُ: أين تريد يا ابن عمي؟ قال: أردت والله محمداً. قال: أتريد أن تتبعه؟ قال: إي والله. قال هُبَيْرَةُ: يا ليت أني رافقت غيرك! والله ما ظننت أنك تتبع محمداً أبداً؟.

قال ابن الزُّبَيْرَى: فعلى أي شيء تقيم مع بني الحارث ابن كعب - وأترك ابن عمي وخير الناس وأبره - ومع قومي وداري؟.

فانحدر ابن الزُّبَيْرَى حتى جاء رسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه. فلما نظر رسول الله ﷺ - إليه قال: هذا ابن الزُّبَيْرَى، ومعه وجهٌ فيه نور الإسلام. فلما وقف على رسول الله ﷺ - قال: السَّلام عليك يا رسول الله! شهدت أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله، والحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد عاديتك وأجلبت عليك^(٤)، وركبت البعير والفرس ومشيت على قدمي في عداوتك، ثم هربت منك إلى نَجْرَانَ وأنا أريد أن لا أقرب الإسلام أبداً؛ ثم أرادني الله منه بخير، وألقاه في قلبي وحببه إليّ، وذكرتُ ما كنتُ فيه من الضلالة، واتباع ما لا ينفع ذا عقل، من حَجَرٍ يُعْبَدُ وَيُذْبَحُ لَهُ، لا يدري من يعبده ومن لا يعبده.

قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداك للإسلام، إن الإسلام يُجَبُّ ما كان قبله».

وقال ابن الزُّبَيْرَى حين أسلم^(٥):

مَنْعَ الرُّقَادَ بِلَابِلٍ وَهَمُومٍ وَاللَّيْلَ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بِهَيْمٍ^(٦)

= وكذا ذكر ابن هشام في سيرته، الروض الأنف ١٠٥/٤ حيث قال: «رمى حسان ابن الزُّبَيْرَى - وهو بنجران - بيت واحد ما زاده عليه، فذكره» أ.هـ. والله تعالى أعلم.

- (١) أَحَدٌ: قليل خفيف.
- (٢) خِمَانَةٌ: رخوة رديئة.
- (٣) الوصوم: العيوب.
- (٤) أي: جمعت الناس عليك.
- (٥) ذكر هذا الشعر بتمامه ابن هشام في السيرة النبوية (الروض الأنف) ١٠٥/٤ - ١٠٦، وابن عبد البر في الاستيعاب ٣٠٢/٢ - ٣٠٣. إلى قوله: وبرهان الآله عظيم وذكر الحافظ ابن حجر بعضها في الإصابة ٣٠٠/٢ من قوله: «إني لمعتذر إليك... إلى: ومخطيء هذه محروم.
- (٦) قال السهيلي في (الروض الأنف) ١١٦/٤: «الإعتلاج: شدة وقوة، والبهيم: الذي ليس فيه لونٌ يخالط لونه» أ.هـ.

مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لَامَنِي
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا
إِنِّي لَمَعْتَدُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خُطَّةٍ
وَأَمَدُ أَسْبَابِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي
فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
مَضَتْ الْعَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا
فَاغْفِرْ^(٥) فَذَى لَكَ وَالَّذِي كِلَاهُمَا
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ^(٦) الْمَلِكِ عِلَامَةٌ
أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بُرْهَانُهُ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقٌ
وَاللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفَى
قَرَمُ تَفَرَّعَ فِي الذُّرَى مِنْ هَاشِمٍ^(٨)

فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّنِي مَحْمُومٌ
عَيْرَانَةً سَرُحَ الْيَدَيْنِ غَشُومٌ^(١)
أَسَدَيْتُ^(٢) إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمٌ
سَهْمٌ، وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزُومٌ
أَمْرُ الْغَوَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشُومٌ^(٣)
قَلْبِي وَمَخْطِئُهُ هَذِهِ مَحْرُومٌ
وَدَعْتُ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومٌ^(٤)
زَلَلِي^(٥) فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومٌ
نُورٌ أَعْرُ وَخَاتَمٌ مَخْتُومٌ
شَرَفًا وَبِرْهَانُ الْإِلَهِ عَظِيمٌ
حَقٌّ وَأَنْكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمٌ
مَتَقَبَّلُ فِي الصَّالِحَاتِ كَرِيمٌ
فَرَعٌ تَمَكَّنَ فِي الذُّرَى وَأَرْوَمٌ^(٦)

٥٠ - [توبة هَبَّار بن الأسود رضي الله عنه]^(١)

قال الواقدي^(٢): حَدَّثَنِي وَاقد بن أبي ياسر، عن يزيد بن رومان، قال: قال الزبير بن

(١) قال السهيلي ١١٦/٤: «سرح اليدغشوم. الغشوم: التي لا تروعن وجهها، ويروى: سجوم، وهي: القوة على السير» أ.هـ.

(٢) أسديت: صنعت، وتكلمت.

(٣) هذا البيت زيادة من سيرة ابن هشام (الروض الأنف) ١٠٦/٤، والإستيعاب لابن عبد البر ٢٠٣/٢. والإصابة لابن حجر ٣٠٠/٢، إلا إن عنده: الهوى، بدل: الردى،

(٤) الأواصر: الروابط، من قرابة، أو رَحِم أو غير ذلك والحلوم: العقول.

(٥) في الإستيعاب ٣٠٣/٢: فاعف.

(٦) في الإستيعاب ٣٠٣/٢: وارحَم.

(٧) في الإستيعاب ٣٠٣/٢: سَمَة.

(٨) في سيرة ابن هشام، هذا الشطر من البيت هكذا:

قَرَمٌ علا بنيانه من هاشم.

(٩) الأروم: الأصول.

(١٠) هو هَبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيِّ القرشي، الأسدي، أمه خافته بنت عامر بن قرظة القشيرية، كان شديد الأذى للرسول وللمؤمنين قبل إسلامه، ويقال: إنه نَحَسَ زينب بنت رسول الله - ﷺ - لما أرسلها زوجها أبو العاص بن الربيع إلى المدينة فأسقطت، ولهذا كان رسول الله - ﷺ - يأمر بقتله وهدر دمه.

ثم أسلم - رضي الله عنه - بالجعفرانة، وذلك بعد فتح مكة، أنظر الإصابة ٥٦٥/٣ - ٥٦٧.

(١١) هو محمد بن عمر الواقدي: متروك، مع سعة علمه، كما في التقريب ١٩٤/٢.

العوام: ما رأيت رسول الله - ﷺ - ذكر هَبَّاراً - يعني ابن الأسود - قط إلا تَغِيظُ عليه، ولا رأيت رسول الله - ﷺ - بعث سرية قط، إلا قال: إن ظفرتُم بهبَّار فاقطعوا يَدَيْه ورجلَيْه، ثم اضرَبوا عنقه. والله لقد كنت أطلبه وأسأل عنه، والله يعلم لو ظفرتُ به قبل أن يأتي إلى رسول الله - ﷺ - لقتلته. ثم طلع على رسول الله - ﷺ - وأنا جالس، فجعل يعتذر إلى رسول الله - ﷺ .

وعن جُبَيْر بن مُطْعِم^(١)، قال: كنت جالساً مع النبي - ﷺ - في أصحابه في مسجده منصرفه من الجِعْرَانَةِ^(٢). فطلع هَبَّار بن الأسود. فلما نظر القوم إليه، قالوا: يا رسول الله! هَبَّار بن الأسود. قال رسول ﷺ: «قد رأيته».

فأراد بعض القوم القيام إليه، فأشار إليه رسول الله - ﷺ - : «أن اجلس». فوقف عليه هَبَّار، فقال: السَّلام عليك يا رسول الله، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتَ رسول الله، ولقد هربتُ منك في البلاد فأردتُ اللِّحوق بالأعاجم، ثم ذكرتُ عائِدَتَكَ وفضلَكَ وبرَكَ وصفحَكَ عمن جهل عليك، وكُنَّا يا رسول الله أهل شرك، فهدانا الله بك، وأنقذنا بك من الهَلَكَةِ، فأَصْفَحَ عن جهلي وعمَّا كان يبلغك مِنِّي، فإني مُقِرٌّ بِسَوَأَتِي، معترف بذنبي.

قال الزُّبَيْر: وقال: فقد كنتُ مَوْضِعاً في سَبِّكَ وأذاك، وكنتُ مَخْذُولاً، وقد بصَّرنِي الله وهداني للإسلام.

قال الزُّبَيْر: فجعلتُ أنظر إلى رسول الله - ﷺ - وإنه لَيَطَّاطِيءُ رأسه مساً يعتذر هَبَّار. وجعل رسول الله - ﷺ - يقول: «قد عَفَوْتُ عنكَ، والإسلام يَجِبُ ما كان قبله». وكان لِسِناً^(٣). وكان - يعني بعد ذلك - يُسَبُّ حتى يُبلغ منه، فلا ينتصف. فبلغ رسول الله - ﷺ - حُلْمَه وما يحمل عليه من الأذى، فقال: «يا هَبَّار! سَبِّ من سَبَّكَ»^(٤).

(١) وهذه القصة مروية من طريق الواقدي، كما ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٦٦/٣.

(٢) هي موقع فيه ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب.

(٣) أي: سبباً، كما في رواية ابن أبي نجیح، ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٦٦/٣.

(٤) ذكر هذا الحديث الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٦٦/٣ عن ابن أبي نجیح مرسلًا، وعن ابن شهاب الزهري مرسلًا، وذكره أيضاً عن الزُّبَيْر - كما هنا - فيرتقى الحديث، والسبب في إباحته ﷺ السب له، أنه كان رجلاً سبباً، فعندما أسلم امتنع وانتهى عن السب، ولكن كان البعض لا يتورع عن سبه لما كان منه قبل إسلامه، فسمح له رسول الله - ﷺ - بالرد عليهم، فانتهاوا عن ذلك، والله أعلم.

٥١ - [توبة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه]^(١)

وذكر سعيد بن يحيى الأموي، حدّثني أبي، ثنا الأعمش، عن أبي إسحاق السبيعي^(٢)، قال:

لما دخل النبي ﷺ - مكة، قال عكرمة: والله لا أسكن أرضاً أرى فيها قاتلي أبي الحكم^(٣)؛ فانطلق يركب البحر. وعمد ختنه أبو امرأته فأمر زوجته فتعصبت. ثم تلقته، فقالت: أين تذهب يا سيد فتیان قريش؟ تذهب إلى أرض لا تُعرَف بها؟ فأبى أن يطيعها. وعن عبد الله بن الزبير، قال:

لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة، وأسلمت أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة، في عشرة نسوة من قريش. فأتين رسول الله ﷺ - وهو بالأبطح فبايعنه. فدخلن عليه، وعنده: زوجته وابنته فاطمة، ونساء من نساء بني عبد المطلب. فتكلمت هند بنت عتبة، فقالت: يا رسول الله! الحمد لله الذي أظهر الدّين الذي اختار لنفسه لئلا تمسني رحمك، يا محمد! إني امرأة مؤمنة بالله-مصدّقة. ثم كشفت عن نقابها، فقالت: هند بنت عتبة.

فقال رسول الله ﷺ - : «مرحباً بك».

فقالت: والله، يا رسول الله، ما كان على الأرض أهل خباءٍ أحبّ إليّ أن يذلّوا من خيائك، ولقد أصبحت وما على الأرض من أهل خباءٍ أحبّ إليّ أن يعزّوا من خيائك.

فقال رسول الله ﷺ : «زيادة أيضاً». ثم قرأ رسول الله ﷺ عليهم القرآن وبايعهن^(٤).

ثم قالت أمّ حكيم امرأة عكرمة: يا رسول الله! قد هرب عكرمة منك إلى اليمن،

(١) هو عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، كان كأيّيه من أشدّ الناس على رسول الله ﷺ - ، ثم أسلم عكرمة عام الفتح، وخرج إلى المدينة، ثم إلى قتال أهل الردّة، ووجّهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعمان فظهر عليهم، ثم إلى اليمن، ثم رجع فخرج إلى الجهاد عام وفاته فاستشهد، وذكر الطبري أن النبي ﷺ - استعمله على صدقات هوازن عام وفاته، وأنه قتل بأجنادين، وكذا قال الجمهور. وقيل غير ذلك أنظر الإصابة ٤٨٩/٢ - ٤٩٠. والإستيعاب ١٤٨/٣ - ١٥١.

(٢) هذا إسناد فيه إرسال، أبو إسحاق السبيعي، واسمه عمرو بن عبد الله، تابعي ثقة، التقريب ٧٣/٢، فلم يدرك القصة.

(٣) أبو الحكم، هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، كان من أشدّ الناس عداوة لرسول الله ﷺ - ، قُتل في غزوة بدر الكبرى.

(٤) أنظر في توبة هند ومن معها من النساء ومبايعتهنّ النبي ﷺ - الروص الأنف ١١٤/٤.

وخاف أن تقتله فأمنه. فقال رسول الله ﷺ: هو آمن.

فخرجت أم حكيم في طلبه، فادركته وقد انتهى إلى ساحل من سواحل يهامة. فجعل نوتَي السفينة^(١) يقول له: أخلص. قال: أي شيء أقول؟ قال: قل: لا إله إلا الله. قال عكرمة: ما هربتُ إلا من هذا.

فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر، فجعلت تقول: يا ابن عم! جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك؛ وقالت: إني قد استأمنت لك رسول الله - ﷺ -. قال: أنتِ فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمنك. فرجع معها.

قال: وجعل عكرمة يطلب امرأته ليجامعها، فتأبى عليه، وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة. فيقول: إن أماً منعك مني لأمر كبير.

فلما رأى النبي - ﷺ - عكرمة وثب إليه، وما على النبي - ﷺ - رداء، فرحاً بعكرمة^(٢). ثم جلس رسول الله - ﷺ - فوقف عكرمة بين يديه ومعه امرأته متتعبة. ثم قال عكرمة: فأني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فسُر بذلك رسول الله - ﷺ - ثم قال: يا رسول الله! علّمني خير شيء أقوله. فقال: «تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

فقال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله - ﷺ -: «تقول: أشهد الله وأشهد من حضر أنني مسلم مهاجر». فقال عكرمة ذلك.

فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلا أعطيتكه». فقال عكرمة: فأني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسيرٍ أوضعت فيه، أو مقامٍ لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك، أو أنت غائب عنه. فقال رسول الله - ﷺ -: «اللهم اغفر له كلَّ عداوة عادانيها، وكل مسير سار فيه إليَّ مُوضِعاً يريد بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له كلَّ ما نال مني من عرضي في وجهي أو وأنا غائب عنه».

فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله! أما والله، يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقها في صدٍّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالٍ كنت أقاتل في صدٍّ عن

(١) نوتَي السفينة: ملاحها.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤٩٠/٢: «له - أي لعكرمة - عند الترمذي حديث، من طريق مصعب بن سعد، عنه، قال: قال النبي - ﷺ - يوم جثته: مرحباً مرحباً بالراغب المهاجر، وهو منقطع لأن مصعباً لم يدركه» أ.هـ.

(٢) روى قصة إسلام عكرمة، الدارقطني، والحاكم، وابن مردويه، وغيرهم، أنظر الإصابة ٤٩٠/٢.

سبيل الله إلا أُبْلِيَتْ ضعفه في سبيل الله. ثُمَّ أُجْتَهِدَ فِي الْقِتَالِ حَتَّى أُقْتَلَ. قال: فما زال يقاتل في سبيل الله حتى قُتِلَ رحمه الله^(١).

وروي^(٢) أنه لما كان يوم اليرموك تَرَجَّلَ عكرمة، فقال له خالد^(٣): لا تفعل، فإن مصابك على المسلمين شديد. فقال: دعني يا خالد، فإنه كانت لك سابقة مع رسول الله - ﷺ -. ثُمَّ قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قُتِلَ، فوجد به بَضْعٌ وسبعون من بين طعنة وضربة ورمية.

وقال عبد الله بن مصعب: استشهد يوم اليرموك الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو. فَأَتَوْا بِمَاءٍ وَهُمْ صَرَعَى، فْتَدَافَعُوهُ. كلما دُفِعَ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ قال: إِسْقِ فَلَانًا، حَتَّى مَاتُوا وَلَمْ يَشْرِبُوهُ.

قال: طلب الماء عكرمة، فنظر إلى سُهَيْلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فقال: إُدْفِعْهُ إِلَيْهِ، فنظر إلى الحارث يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فقال: إُدْفِعْهُ إِلَيْهِ. فلم يصل إليه، حتى مَاتُوا، رحمة الله عليهم^(٤).

٥٢ - [توبة سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو^(٥)، والحارث بن هشام رضي الله عنهما^(٦)]

وَيُرَوَّى عَنْ الْحَسَنِ^(٧)، قال: حضر النَّاسُ بابَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله

(١) روي: بصيغة التحريض، وذلك لأن عكرمة توفي في أجنادين في خلافة أبي بكر كما عليه الجمهور، وليس في معركة اليرموك.

(٢) هو الصحابي الجليل: خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، سيف الله المسلول - رضي الله تعالى عنه -.

(٣) ذكر هذه القصة ابن عبد البر في الاستيعاب ١٥٠/٣ - ١٥١، ثم قال: قال محمد بن سعد: ذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر، فأنكره وقال: هذا وهم، رونا عن أصحابنا من أهل العلم والسياسة أن عكرمة بن أبي جهل قتل يوم أجنادين شهيداً في خلافة أبي بكر، لا خلاف بينهم في ذلك، أ هـ.

(٤) هو سهل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، خطيب قریش، أبو زيد، سكن مكة، ثم المدينة، ثم نزل الشام وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية، وكلامه ومراجعته للنبي - ﷺ - في ذلك في الصحيحين وغيرهما، مات - رضي الله عنه - بالطاعون سنة ثمان عشرة في الشام، ويقال: قتل باليرموك، وقال خليفة: بمرج الصفرة، والأول أكثر. أنظر الإصابة ٩٢/٢ - ٩٣، والاستيعاب ١٠٧/٢ - ١١١.

(٥) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي القرشي، أبو عبد الرحمن، أخو أبي جهل، وابن عم خالد بن الوليد، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين حتى أسلم يوم فتح مكة، ثم حسن إسلامه، وكان من المؤلفة. ثم خرج بأهله وماله إلى الشام مجاهدًا حتى مات شهيداً بطاعون عمواس، وقال المدائني: استشهد يوم اليرموك، وكذا ذكره ابن سعد عن حبيب بن أبي ثابت.

أنظر الإصابة ٢٩٣/١ - ٢٩٤، والاستيعاب ٣٠٧/١ - ٣١١.

(٦) هو البصري، وقد ذكر هذه القصة ابن عبد البر في الاستيعاب ١٠٩/٢ - ١١٠ فقال: وروي ابن =

عنه - وفيهم سُهَيْل بن عمرو، وأبو سفيان بن الحارث، وأولئك الشيوخ. فخرج آذنه، فجعل يأذن لأهل بدرٍ لصهيب وبلال وأهل بدر، وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم. فقال أبو سفيان: ما رأيت كالיום، إنه ليؤذّن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا.

فقال سُهَيْل - قال الحسن: ويا له من رجل ما كان أعقله - : أيها القوم! قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غَضَاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودُعيتهم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لَمَا سبقوكم به من الفضل أَشدُّ عليكم فَوْتاً من بَابِكُمْ هَذَا الذي تتنافسون عليه، أيها القوم! إِنَّ هَؤُلَاءِ قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى أن يرزقكم الله الشهادة. ثم نفص ثوبه فقام، فلحق بالشام.

وخرج بأهله إلا بنته هنداً. فماتوا كلهم إلا هنداً، وفاخِثَةَ بنت عُتْبَةَ بن سهيل. وقتل سهيل شهيداً باليرموك.

فقدِمَ بفاخِثَةَ على عمر. - وكان الحارث بن هشام خرج بأهله فلم يرجع منهم إلا ولده عبد الرحمن. - فقال عمر: زَوَّجُوا الشريدَ الشريفةً^(١).

وأقطعهما عمر بالمدينة خِطَّةً^(٢) وأوسع لهما. فقيل له: أكثرت لهما. فقال: عسى الله أن ينشر منهما ولداً كثيراً رجالاً ونساءً. فولد لهما: أبو بكر وعمر وعثمان وعكرمة وخالد ومخلد.

فأبو بكر أحد الفقهاء السبعة، فقهاء المدينة، وكان يُدْعَى: راهب قريش.

ورَوَى ابن المبارك^(٣)، عن الأسود بن شيبان، عن [أبي] نوفل بن أبي عقرب^(٤)،

= المبارك، قال: أنبأنا جرير بن حازم، قال: سمعت الحسن يقول: حضر الناس... فذكره وذكر - أيضاً - قصة أخرى أنظرها ١١٠/٢.

(١) ذكر قصة تزويج عمر عبد الرحمن من فاخِثَةَ، ابن عبد البر في الاستيعاب ١١٠/٢ - ١١١ في ترجمة سهيل بن عمرو، وابن حجر في الإصابة ٢٩٣/١ في ترجمة الحارث بن هشام.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٢٤٤: الخِطَّة - بالكسر - : الأرض التي يخطها الرجل لنفسه، وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها لبيئها داراً، ومنه خِطَطَ الكوفة والبصرة، أهد.

(٣) ذكر هذه القصة بتمامها عن ابن المبارك، ابن عبد البر في الاستيعاب ٣١٠/١، وأشار إليها الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٩٣/١.

(٤) في المطبوعة: عن نوفل بن أبي عقرب، وهو خطأ، والتصويب من الاستيعاب ٣١٠/١، وهو أبو نوفل بن أبي عقرب الكنانى، القريجي، اسمه: مسلم، وقيل: عمرو بن مسلم، وقيل: معاوية بن =

قال: خرج الحارث بن هشام من مكة، فجزع أهل مكة جَزَعًا شديدًا. فلم يبقَ أحد يُطعم الطعام إلا خرج معه يشيِّعه، حتى إذا كان بأعلى البطحاء، أو حيث شاء الله من ذلك، وقف ووقف الناس. فقال: يا أيها الناس! إني والله ما خرجت رغبةً بنفسي عن أنفسكم، ولا اختيارًا بلدي على بلدكم، ولكن كان هذا الأمر^(١)، فخرَجْتُ فيه رجال من قريش^(٢)؛ والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتها، فأصبحنا والله ولو أن جبال مكة ذهبًا أنفقناها في سبيل الله ما أدركننا يوماً من أيامهم، والله لئن فاتونا في الدنيا لَنَلْتَمِسَ أن نشاركهم في الآخرة، فاتقى الله امرؤ^(٣). فتوجَّه إلى الشام واتبَعَهُ ثَقْلُهُ^(٤)، فيقال: إنه قُتِلَ يوم اليرموك رحمه الله.

٥٣ - [توبة الأنصار رضي الله عنهم]

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقر، قال: أنا أبو طالب عبد القادر بن محمد اليوسفي، أنا أبو علي بن المذهب، أنا أبو بكر القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا عارم، ثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يقول: ثنا السُّمَيْطُ السُّدُوسِي^(٥)، عن أنس بن مالك، قال:

فتحنا مكةَ ثُمَّ إِنَّا غزونا حُنينًا، فجاء المشركون بأحسن صفوف رُئيْتُ أو رأيتُ. قال: فلم نلبث أن انكشفَت خيلُنا وفَرَّت الأعراب ومن نعلم من الناس.

قال: فنادى رسول الله - ﷺ - : «يا للمهاجرين! يا للمهاجرين! يا لِلْأَنْصَارِ! يا لِلْأَنْصَارِ!» قال: قلنا: لبيك، يا رسول الله.

قال: فتقدَّم رسول الله ﷺ. قال: وإيُّ الله ما أتيناكم حتى هزمهم الله.

قال: فقبضنا ذلك المال. قال: فنزلنا، فجعل رسول الله - ﷺ - يعطي الرجلَ المائة، ويعطي الرجلَ [المائة]^(٦).

= مسلم، تابعي ثقة، التقريب ٤٨٢/٢.

(١) يعني: الإسلام.

(٢) يعني: أسلمت وهاجرت.

(٣) في الاستيعاب ٣١٠/١: فاتقى الله امرؤ فَعَلَ.

(٤) أي: أهله، وفي الاستيعاب ٣١٠/١ بعدها: فأصيب شهيداً - رحمه الله - .

(٥) هو: سُمَيْطُ بْنُ عُمَيْرٍ، ويقال: سمير، السدوسي البصري، أبو عبد الله، تابعي، التقريب ٣٣٤/١.

وهذا الحديث رواه عنه مسلم في صحيحه، والنسائي في كتاب السير من سننه الكبرى، كما في

التحفة ٢٣٦/١

والحديث متفق عليه من غير طريقه، وسيأتي تخريجه آخر الحديث.

(٦) ما بين القوسين زيادة من مسند أحمد ١٥٧/٣، وانظر ما سيأتي في تخريج هذا الحديث للأهمية.

قال: فتحدثت الأنصار بينها: أما من قاتله فيعطيه، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه.
قال: فَرَفِعَ الحديث إلى رسول الله - ﷺ - ، فأمر بَسْرَةَ المهاجرين^(١) والأنصار أن يدخلوا عليه، ثم قال: «لا يدخلن عليّ إلا أنصاري». قال: فدخلنا حتى ملأنا القُبَّةَ.

فقال نبيّ الله ﷺ: «يا معشر الأنصار! ما حديث أُناني؟» قالوا: ما أُنّاك يا رسول الله؟ قال: «ألا تَرْضَوْنَ أن يذهب النَّاسُ بالأموال، وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم؟» قالوا: رضينا يا رسول الله. فقال رسول الله - ﷺ - : «لو أخذ النَّاسُ شِعْباً وأخذت الأنصار شِعْباً لأخذت شِعْبَ الأنصار»^(٢) قالوا: رضينا يا رسول الله^(٣).

(١) بسرة المهاجرين، أي: ذوي اليَسَارِ منهم، أي: الأغنياء.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٥٢/٨: «قوله: شِعْبُ الأنصار، بكسر الشين المعجمة، وهو اسم لما انفرج بين جبلين، وقيل: الطريق في الجبل، وأراد - ﷺ - بهذا... التنبيه على جزيل ما حصل لهم من ثواب النصر، والقناعة بالله ورسوله عن الدنيا، وَمَنْ هَذَا وَصَفَهُ فَقَدْ هُتِفَ أَنْ يُسَلِّكَ طريقه، ويتبع حاله» أ.هـ.

(٣) للحديث طرق عن أنس، فرواه من طريق السُّمَيْطِ بن عمير:
أحمد في المسند ١٥٧/٣ - ١٥٨ وفيه زيادات واختلاف عن هذا اللفظ لم أُنَبِّه عليها لكثرتها، فانظر المسند.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبر مَنْ قوي إيمانه، حديث الكتاب رقم (١٣٦) ٧٣٦/٢ - ٧٣٧.

والنسائي في كتاب السير، من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف ٢٣٦/١.
- ورواه من طريق الزهري، عن أنس به نحوه:

البخاري في كتاب فرض الخمس، باب (١٩) ما كان النبي - ﷺ - يُعْطِي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حديث رقم (٣١٤٧) ٢٥٠/٦ - ٢٥١.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦) حديث رقم (٤٣٣١) ٥٢/٨ - ٥٣.

وفي كتاب اللباس، باب (٤٢) القبة الحمراء من أَدَمَ، حديث رقم (٥٨٦٠) ٣١٣/١٠، ببعضه: أرسل النبي - ﷺ - إلى الأنصار وجمعهم في قَبَّةٍ من أَدَمَ.

وفي كتاب التوحيد، باب (٢٤) قول الله تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاضِرِينَ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرِينَ﴾، حديث رقم (٧٤٤١) ٤٢٣/١٣، ببعضه: أن رسول الله - ﷺ - أرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة، وقال لهم: اصبروا حتى تَلْقَوْا الله ورسوله، فإني على الحوض.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم حديث رقم (١٠٥٩)، حديث الكتاب رقم (١٣٢) ٧٣٣/٢ - ٧٣٤.

والنسائي في كتاب المناقب، وفي كتاب التفسير من سننه الكبرى، كما في التحفة ٣٨٣/١.
- ورواه في قتادة عن أنس به:

البخاري في كتاب فرض الخمس، باب (١٩) ما كان النبي - ﷺ - يُعْطِي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من فرض الخمس ونحوه، حديث رقم (٣١٤٦) ٢٥٠/٦، ببعضه: إني أعطي قريشاً أنألفهم، لأنهم =

ورَوَى هذا الحديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص، قال: حَدَّثَنِي أَبُو سلمة بن عبد الرحمن وغيره^(١)، قال: بلغ النبي ﷺ - أن الأنصار قد قالت^(٢).

= حديثُ عهد بجاهلية.

وفي كتاب المناقب، باب (١٤) ابن أخت القوم منهم، ومولى القوم منهم حديث رقم (٣٥٢٨) ٥٥٢/٦ يعضه.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦)، حديث رقم (٤٣٣٤) ٥٣/٨ يعضه.

وفي كتاب الفرائض، باب (٢٤) مولى القوم من أنفسهم، وابن الأخت منهم، حديث رقم (٦٧٦٢) ٤٨/١٢، يعضه: ابن أخت القوم منهم، أو من أنفسهم.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلف قلوبهم...، حديث الكتاب رقم (١٣٣) ٧٢٥/٢ مختصراً.

والترمذي في كتاب المناقب، باب (٦٦) في فضل الأنصار وقريش، حديث رقم (٣٩٠١) ٧١٢/٥ - ٧١٣ مختصراً.

وأحمد في المسند ١٧٢/٣ - ٢٧٥.

- ورواه من طريق أبي التَّيَّاح يزيد بن حُميد، عن أنس به:

البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب (١) مناقب الأنصار، حديث رقم (٣٧٧٨) ١١٠/٧ مختصراً.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦) غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٢) ٥٣/٨ يعضه.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلف قلوبهم، حديث الكتاب رقم (١٣٤) ٧٣٥/٢ مختصراً.

وأحمد في المسند ١٦٩/٣ - ٢٤٩.

- ورواه من طريق هشام بن زيد، عن أنس به:

البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب (٨) قول النبي ﷺ - للأنصار: اصبروا حتى تلقوني على الحوض حديث رقم (٣٧٩٢) ١١٧/٧ يعضه.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦) غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٣ و ٤٣٣٧) ٥٣/٨ - ٥٤ مختصراً.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلف قلوبهم، حديث الكتاب رقم (١٣٥) ٧٣٥/٢ - ٧٣٦ وأحمد في المسند ٢٨٠/٣.

- ورواه من طريق حميد عن أنس:

أحمد في المسند ١٨٨/٣ - ٢٠١.

- ورواه من طريق ثابت، عن أنس:

أحمد في المسند ٢٤٦/٣.

(١) هذا إسناد فيه إرسال، فأبو سلمة بن عبد الرحمن تابعي ولم يدرك القصة.

لكن الحديث رواه موصولاً من طريق عباد بن تميم، عن عبد الله بن زيد بن عاصم:

البخاري في كتاب المغازي، باب (٥٦) غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٠) ٤٧/٨، بلفظ: لما

أفاء الله على رسول الله ﷺ - يوم حُتَيْنَ قسم في الناس المؤلف قلوبهم، ولم يُعْطِ الأنصار شيئاً، =

قال: فدخلوا عليه، فقال لهم: ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى.
قال: ألم أجدكم عالةً فأغناكم الله بي؟ قالوا: بلى. قال: ألم أجدكم أعداءً فألّف الله بين
قلوبكم بي؟ قالوا: بلى.

قال: أما إنكم لو شئتم قلتم فصدّقتم: جئنا طريداً فأويناك. قالوا: الله ورسوله
أمن. قال: ولو شئتم قلتم: قد جئنا مخذولاً فنصرناك. قالوا: الله ورسوله أمن. قال: ولو
شئتم قلتم: جئنا عاثلاً فأسيناك، قالوا: الله ورسوله أمن.

قال: أفلا ترضون أن ينقلب الناس بالشاة والبعير، وتقلبون برسول الله إلى
رحالكم؟ قالوا: بلى، رضينا. قال: ولو أن الناس سلكوا وادياً أو شِعْباً لسلكت وادي
الأنصار وشِعْبهم، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، الناس دثار والأنصار شعار.

٥٤ - [توبة أبي محجن الثقفي رضي الله عنه]^(١)

أخبرنا الرئيس العالم الأديب أبو العزّ محمد بن محمد بن مواهب بن الخراساني^(٢)،

= فكانهم وجدوا إذ لم يُصِبهُم ما أصاب الناس، فخطبهم، فقال: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلّالاً
فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرّقين فألّفكم الله بي؟ وعالةً فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئاً، قالوا: الله
ورسوله أمن، قال: ما يمنّكم أن تجيبوا رسول الله - ﷺ -؟ قال: كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله
أمن، قال: لو شئتم قلتم: جئنا كذا وكذا، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون
بالنبي - ﷺ - إلى رحلكم؟.

لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشِعْباً لسلكت وادي الأنصار وشِعْبها
الأنصار شعار، والناس دثار. إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض.

وفي كتاب التمني، باب (٩) ما يجوز في اللو، حديث رقم (٧٢٤٥) ٢٢٥/١٣ بيعضه من آخره.
ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) أعطاه المؤلفة قلوبهم حديث رقم (١٠٦١). حديث الكتاب رقم
(١٣٩)، ٧٣٨/٢ - ٧٣٩.

(٢) أي: تكلمت في أمر القسمة.

(١) هو أبو مخجن الثقفي، الشاعر المشهور، مختلف في اسمه، فقيل: هو عمرو بن حبيب، وقيل:
اسمه كنيته، وكنيته أبو عبيد، وقيل: اسمه مالك، وقيل: اسمه عبدالله، وأمه كنود بنت عبدالله بن
عبد شمس، قال أبو أحمد الحاكم، له صعبة، أسلم يوم أسلمت ثقيف، وكان من الشجعان
الأبطال في الجاهلية والإسلام، من أولي البأس والنجدة، ومن الفرسان بهم، وكان شاعراً مطبوعاً
كريماً.

قيل: إنه مات بأذربيجان، وقيل: بجرجان. أنظر الإصابة ١٧٣/٤ - ١٧٥. والإستيعاب
١٨١/٤ - ١٨٧.

(٢) هو محمد بن محمد بن مواهب بن البغدادي، المعروف بابن الخراساني، أديب، شاعر، كاتب،
نحوي، عروضي سمع من ابن نيهان وغيره، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، ولد سنة =

قال: أنا أبو غالب محمد بن بن عبد الواحد القَرَاز^(١)، أنا أبو الحسن عليّ بن عمر البرمكي^(٢) وأبو الحسين بن النقور، قالوا: أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المَخْلَص^(٣)، أنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف، أنا أبو عبيدة السريّ بن يحيى، أنا شعيب بن إبراهيم، قال: أنبأ سيف بن عمر التميمي^(٤)، عن محمد وطلحة وابن مخرق وزباد، قالوا:

لَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ بِالسَّوَادِ^(٥) - يَعْنِي فِي الْقَادِسِيَّةِ - وَكَانَ أَبُو مُحَجَّنٍ قَدْ حُبِسَ وَقُبِدَ فَهُوَ

= (٤٩٤) هـ، وتوفي في رمضان سنة (٥٧٦) هـ. من آثاره: ديوان شعر في خمسة عشر مجلداً، ومصنف في العروض.

أنظر ترجمته في شذرات الذهب ٢٥٧/٤ - ٢٥٨. وميزان الاعتدال ٣١/٤، ولسان الميزان ٣٧٠/٥ - ٣٧١ ومعجم المؤلفين ٣٠٤/٦.

(١) القَرَاز: بفتح القاف، وتشديد الزاي، وبعد الألف زاي ثانية. هذه النسبة إلى بيع القَرَ وعمله واشتهر بها كثير. الباب ٣/٣٣.

(٢) قال في الباب ١/١٤٢ - ١٤٣: «البرمكي: بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، وفتح الميم، وفي آخرها الكاف، هذه النسبة إلى اسم وموضع.

أما الإسم فهم أولاد أبي علي يحيى بن خالد بن برمك، وفيهم كثرة.. وأما الموضع فالمنتسب إليه: أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي البغدادي. كان سلفه قديماً يسكنون محلة ببغداد تعرف بالبرامكة. وقيل: بل كانوا يسكنون قرية تسمى البرمكية، فنسبوا إليها.

وأخوه أبو العباس أحمد بن عمر البرمكي..

وأخوهما أبو الحسن - وهو الراوي هنا - علي بن عمر البرمكي: كان أصغر الثلاثة، وكان يتفقه على مذهب الشافعي على أبي حامد الأسفراييني» أ هـ.

(٣) قال في الباب ٣/١٨١: «المَخْلَص: بضم الميم، وفتح الخاء وكسر اللام المشددة، وفي آخرها صاد، هذا يقال لمن يَخْلَصُ الذهب من الغش ويفصل بينهما، واشتهر بذلك أبو طاهر - وهو الراوي عند المصنف - محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا المَخْلَص، بغدادي مكث ثقة صالح، سمع أبا بكر بن أبي داود، وأبا القاسم البغوي، وأبا محمد بن صاعد وغيرهم، روى عنه أبو بكر البرقاني، وأبو القاسم الأزهري، وأبو محمد الخلال، وأبو الحسين بن النقور، وخلق كثير، آخرهم الشريف أبو نصر الزيني.

وكانت ولادته سنة خمس وثلاثمائة. وأول سماعه في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، ومات في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة» أ هـ.

(٤) هو سيف بن عمر التميمي، صاحب كتاب الردة، ويقال له: الطيبي، ويقال غير ذلك، الكوفي، ضعيف في الحديث، عُمدة في التاريخ أفحش ابن حبان القول فيه، من صغار تابع التابعين، مات

في زمن الرشيد، التقريب ٣٤٤/١.

وهذه الرواية من التاريخ، والله أعلم.

(٥) أي: بأرض السواد، وهي العراق.

في القصر، فأتى سلمى بنت حفصة امرأة سعد^(١)، فقال: يا بنت آل حفصة! هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تُخلين عني وتُغيرينني البلقاء^(٢)، فله عليّ إن سلّمني الله أن أرجع حتى أضع رجليّ في قيدي، وإن أصبت فما أكثر من أفلت. فقالت: ما أنا وذاك؟.

فرجع يرُسّف في قيوده^(٣)، ويقول:

كَفَى حُزْنًا أَنْ تُرْدِيَ^(٤) الْخَيْلُ بِالْقَنَا إِذَا قُمْتُ عَنَّا^(٥) الْحَدِيدُ وَغُلَّقْتُ
وَأَتَرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ
مَصَارِيْعُ دُونِي قَدْ تَصِمُ الْمُنَادِيَا وَلِلَّهِ عَهْدٌ لَا أَحْيُسُ^(٦) بَعْدَهُ
فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَالِيَا لَئِنْ فُرِّجَتْ أَنْ لَا أَزُورَ الْحَوَانِيَا^(٧)

فقالت سلمى: إني استخرت الله، ورضيت بعهدك. فأطلقته.

فأقتاد الفرس، فأخرجها من باب القصر فركبها، ثم دبّ عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفيين. ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة، فكبر على ميمنة القوم يلعب بين الصفيين برمحه وسلاحه.

(١) أي: امرأة سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أبو إسحاق، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأوّل من رمى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، ميات بالعقيق، سنة خمس وخمسين على المشهور، وهو آخر العشرة وفاة، التقريب ٢/٢٩٠.

(٢) البلقاء: اسم فرس سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -.

(٣) أي: موثوقاً مقيّداً بها، أنظر أساس البلاغة ص ١٦٢.

(٤) في الإصابة ٤/١٧٣ والإستيعاب ٤/١٨٣: تردى.

(٥) أي: دُلّني وأخضعني، قال في ختار الصحاح ص ٥٢٩: «عنا: خضع وذل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾، والعاني: الأسير» أ.هـ.

(٦) في الإستيعاب ٤/١٨٣ بعد هذا البيت قال:

وقد شقّ جسمي أنسي كلّ شارفٍ أعالج كبلًا مصمّتًا قد برانيها
فلله دري يوم أترك موثقًا ويذهل عني أثرتي ورجاليها
حبسنا عن الحرب العوان وقد بدّت وأعمال غيبي يوم ذاك العواليها
ثم قال: والله عهد..

(٧) أي: لا أنقض عهده.

(٨) الحواني: جمع حانية، وهو المكان الذي يتخذ للهو وشرب الخمر.

وفي الإستيعاب ٤/١٨٣: الخواليا، والمعنى: لا أزور ولا أذهب إلى ما كنت أذهب إليه في الأيام الخالية السابقة. والله أعلم.

ثم رجع خلف المسلمين إلى القلب فبدر أمام الناس فحمل على القوم يلعب بين الصفيين برمحه وسلاحه. وكان يقصف الناس لِيَلْتَمِذَ قصفاً منكراً، وتعجب الناس منه، ولم يعرفونه ولم يروه من النهار.

فقال بعضهم: أوائل أصحاب هاشم، أو هاشم نفسه. وقال بعضهم: إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن صاحب اللقاء الخضر^(١). وقال بعضهم: والله لولا أن الملائكة لا تُبَاشِر، لقلت: ملكاً بيننا. ولا يذكره الناس ولا يابهن لأنه بات في محبسه. وجعل سعد يقول: والله لولا محبس أبي محجن لقلت: إن هذا أبو محجن، وهذه اللقاء.

فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجع المسلمون. وأقبل أبو محجن حتى دخل

(١) هذا كلام فيه مقال، إذا أن موضع الخضر لم يكن مطروحاً في عهد الصحابة والتابعين، كما أن كل من ذكر قصة أبي محجن لم يذكر هذا التأويل الباطل، وبيان ذلك ما ذكره ابن القيم. قال الإمام ابن قيم الجوزية في المنار المنيف ص ٦٧ - ٧١: «الأحاديث التي يُذكرُ فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد... ثم ذكر بعض تلك الأحاديث. ثم قال: سُئِلَ إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باق؟ فقال: من أحال على غائب لم يُتَصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان. وسُئِلَ البخاري عن الخضر وإلياس، هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا؟! وقد قال النبي - ﷺ -: لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد. [متفق عليه]. وسُئِلَ عن ذلك كثير غيرهما من الأئمة فقالوا ﴿وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد أفإن مِتَ فهم الخالدون﴾.

وسُئِلَ عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ، فقال: لو كان الخضر حياً لوجب عليه أن يأتي النبي - ﷺ - ، ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه، وقد قال النبي - ﷺ - : يوم بدر: اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض [رواه مسلم بنحوه]، وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخضر حينئذ؟ قال أبو الفرج بن الجوزي: والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وأجماع المحققين من العلماء والمعتقولات... أ هـ. . . ثم ذكر بيان ذلك مفصلاً، ليس هاهنا موضع بسطها، ولكن ذكرنا بعض ما جاء في هذا الأمر لبيان الحق، ونصحاً للمسلمين.

وكما هو معلوم أن هناك اختلافاً في هذا الأمر، لكن ما ذكرناه هو الراجح في هذه المسألة، وهو الذي عليه أهل التحقيق من العلماء، منهم البخاري، والمحاربي، وعلي بن موسى الرضا. والحسين بن المنادي، وأبو يعلي القاضي وابن تيمية، وابن الجوزي، وابن كثير، وابن القيم، وغيرهم كثير من كبار العلماء، ويكفي أن الإمام البخاري قال ذلك. وانظر في هذه المسألة البداية والنهاية لابن كثير ١/ ٣٢٥ - ٣٣٧، والإصابة ١/ ٤٢٨ - ٤٤٨، وعُجالة المنتظر في شرح حال الخضر لابن الجوزي، والمنار المنيف ص ٦٧ - ٧٦.

من حيث خرج، فوضع عن نفسه ودابته وأعاد رجله في قيده.

وذكر عبد الرزاق^(١) قال: وأخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين^(٢)، قال: كان أبو محجن الثقفي لا يزال يُجلد في الخمر، فلما أَكْثَرَ عليهم سجنوه وأوثقوه.

فلما كان يوم القادسية فكأنه رأى أَنَّ المُشْرِكِينَ قد أصابوا في المسلمين. فأرسل إلى أم ولد سعد، أو امرأة سعد: إن أبا محجن يقول لك: إن خُلِّيتَ سبيله وحملته على هذا الفرس، ودفعت إليه سلاحاً، ليكونَ أول من يرجع إليك إلا أن يقتل.

وأنشأ يقول:

كفى حزنًا أن تلتقي الخيلُ بالقنا وأترك مشدوداً عليّ وثاقياً
إذا قمتُ عُناني الحديدُ وغُلقتُ مصاريعُ من دوني تصمُ المناديا
فحللتُ عنه قيوده، وحُمل على فرس كان في الدار، وأعطي سلاحاً.

ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدق صلبه. فنظر إليه سعد فجعل يتعجب، ويقول: من ذاك الفارس؟

قال: فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى هزمهم الله. ورجع أبو محجن وردَّ السَّلاح، وجعل رجله في القيود كما كان.

فجاء سعد، فقالت له امرأته: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها، ويقول: لقينا ولقينا، حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق^(٣)، لولا أنني تركت أبا محجن في القيود لقلت: إنها بعض شمائل^(٤) أبي محجن.

فقالت: والله إنه لأبو محجن، كان من أمره كذا وكذا. ففصّلت عليه قصته.

فدعا به، فحل قيوده، وقال: لا نجلدك على الخمر أبداً^(٥). قال أبو محجن: وأنا

(١) في مصنفه، في كتاب الحدود، باب من جدّ من الصحابة في الخمر، كما في الاستيعاب ١٨٣/٤ - ١٨٤.

(٢) وهذا إسناد صحيح عن ابن سيرين، كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٧٤/٤.

وابن سيرين، هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة، البصري، ثقة ثبت عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من كبار التابعين، مات سنة عشر ومائة، التقريب ١٦٩/٢.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٣١١: «بلق، البلق: سواد وبياض وكذا البُلقة - بالضم -، يقال: فرس أبلق، وفرس بلبقاء أهـ.

(٤) أي: طبائع وخصال أبي محجن، أنظر مختار الصحاح ص ٣٦٨.

(٥) قال في الإصابة ١٧٥/٤: «وأنكر ابن فتحون قول من روى أن سعداً أبطل عنه الحدّ، وقال: لا يُظن هذا بسعد، ثم قال: لكن له وجه حسن، ولم يذكره، وكأنه أراد أن سعداً أراد بقوله لا يجلدني في =

والله لا أشربها أبداً، كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم.

قال: فلم يشربها بعد ذلك^(١).

وقيل: قال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ يقام علي الحد وأطهر منها، فأما إذ بهرجتني^(٢)، فوالله لا أشربها أبداً^(٣).

وكان أبو محجن أسلم حين أسلمت ثقيف^(٤). وسمع من النبي - ﷺ - وروى عنه^(٥). واسمه مالك، وقيل: عبد الله بن حبيب، وقيل: اسمه كنيته^(٦).

٥٥ - [توبة طليحة بن خويلد رضي الله عنه]^(٧)

أخبرنا أبو منصور جعفر بن عبد الله بن الدامغاني، أنا أبو الحسين المبارك بن

= الخمر، بشرط أضمره، وهو: أن ثبت عليه أنه شربها، فوفقه الله أن تاب توبة نصوحاً، فلم يعد إليها كما في بقية القصة» أ.هـ.

(١) قال في الاستيعاب ١٨٥/٤: «وروى ابن الأعرابي، عن المفضل الضبي، قال: قال أبو محجن في تركه الخمر:

رايت الخمر سالحة وفيها مثالب تفسد الرجل الحلما فلا والله أشربها حياتي ولا أشفي بها أبداً سقيماً. وأنشد غيره هذه الأبيات لقيس بن عاصم» أ.هـ. والله أعلم.

(٢) أي: هذرت الحد وأبعدته عني. أنظر أساس البلاغة ص ٣٢.

(٣) هذه الرواية ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٧٣/٤ - ١٧٤. وابن عبد البر في الاستيعاب ١٨٧/٤ من طريق إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه محمد، فذكر القصة كاملة بنحوها وذكر في آخرها قول أبو محجن هذا.

(٤) ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب ١٨١/٤ - ١٨٢.

(٥) روى أبو سعد البقاع عن أبي محجن قال: أشهد على رسول الله - ﷺ - أنه قال: أخاف على أمي من بعدي ثلاثة: تكذيب بالقدر، وتصديق بالنجوم، وخيف الأئمة.

عزاه الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٧٣/٤ لأبي أحمد الحاكم، ولأبي نعيم، ثم قال: «وأبو سعد ضعيف، ولم يدرك أبا محجن» أ.هـ.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ١٨٢/٤: «سمع من النبي - ﷺ - وروى عنه...» أ.هـ. ثم ذكر الحديث السابق.

(٦) قدم ذكر ذلك في ترجمته، فانظرها

(٧) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقيس الأسدي الفقعسي، ارتد بعد النبي - ﷺ - وادعى النبوة، واجتمع عليه قومه، فخرج إليهم خالد بن الوليد في أصحاب النبي - ﷺ - فانهزم طليحة وأصحابه، وقتل أكثرهم، ثم لحق بالشام، فكان عند بني جفنة حتى قدم مسلماً مع الحجاج المدينة، وأسلم إسلاماً صحيحاً ولم يُغمص عليه فيه، وشهد القادسية =

عبد الجبار الصيرفي، أنا أبو منصور بن السَّوَّاق^(١)، أنا أبو القاسم إبراهيم بن أحمد الخرقى، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن سفيان، أنا أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح، أنا محمد بن [عمر] الواقدي^(٢)، وَذَكَرَ أمر طليحة بن خويلد حين تنبأ^(٣)، وقاتله إلى أن كسر عسكره.

قال: فحدثني موسى بن محمد إبراهيم التميمي، عن أبيه، قال:

لما رأى طليحة أن الناس يقتلون ويؤسرون، أعد فرسه وهياً امرأته عنده، فوثب على فرسه وحمل امرأته فنجأ بها. وقال: من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت فليفعل. ثم هرب حتى قدم الشام، فأقام عند بني جفنة الغسانيين، حتى فتح الله أجنادين، وتوفي أبو بكر.

فقدم في خلافة عمر مكة محرماً. فلما رآه عمر قال: يا طليحة! لا أحبك بعد قتلك الرجلين الصالحين: عكاشة^(٤) وثابت بن أقرم^(٥)، - وكان قتلها هو وأخوه - . قال: يا أمير

= ونهاوند مع المسلمين، ويقال: إنه استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين - رضي الله تعالى عنه.

أنظر الإصابة ٢٢٦/٢، والإستيعاب ٢٢٨/٢ - ٢٢٩.

(١) قال في الباب ١٥٢/٢: «السَّوَّاق: بفتح السين المهملة وتشديد الواو، وفي آخرها القاف، هذه النسبة إلى بيع السَّوِّيق، واشتهر بها جماعة، منهم أبو منصور - وهو الراوي هنا - محمد بن محمد بن عثمان السَّوَّاق، بغدادى، روى عنه أبو بكر الخطيب، والأمير أبو نصر بن مأكولا» أ.هـ.
(٢) هو متروك مع سعة علمه، كما في التقريب ١٩٤/٢، لكن للقصة طرق أخرى، أنظر الإصابة ٢٢٦/٢.

(٣) أي: أذعَى النبوة.

(٤) هو عكاشة بن محصن رضي الله عنه، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤٨٧/٢ - ٤٨٨: «عكاشة: - بضم أوله، وتشديد الكاف، وتخفيفها - ابن محصن بن حُرْثان بن... الأسدي، حليف بني شمس، من السابقين الأولين، شهد بدرأ، ووقع ذكره في الصحيحين، في حديث ابن عباس، في السبعين ألفاً الذي يدخلون الجنة بغير حساب، فقال عكاشة: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم، فقام آخر، فقال: سبقك بها عكاشة، وقد ضرب بها المثل، يقال للسبق في الأمر: سبقك بها عكاشة.

.. وقيل: استشهد عكاشة في قتال أهل الردة، قتله طليحة بن خويلد الذي تنبأ، وقد تقدم أن طليحة عاد إلى الإسلام» أ.هـ.

(٥) قال في الإصابة ١٩٢/١: «ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي، حليف الأنصار، ذكره موسى بن عقبة في البديرين... واتفق أهل المغازي على أن ثابت بن أقرم قتل في عهد أبي بكر، قتله طليحة بن خويلد الأسدي، وقال عمر لطليحة بعد أن أسلم: كيف أحبك وقد قتل الصالحين عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم، فقال طليحة: أكرهما الله بيدي، ولم يهني بأيديهما، وقد خالف ذلك عروة، فأخرج الطبراني من طريق ابن لهيعة، عن ابن الأسود، عن عروة، قال: =

المؤمنين! رجلان أكرمهما الله بيديّ ولم يهني بأيديهما، وما كل البيوت بنيت على الحب ولكن صفحة جميلة، فإن الناس يتصافحون على الشَّان^(١).

وأسلم إسلاماً صحيحاً، ولم يُغَمَّص^(٢) عليه في إسلامه.
وقال يعتذر ويذكر ما كان منه:

وَعُكَّاشَةُ الْغَنَمِيِّ ثُمَّ ابْنِ مَعْبَدٍ	نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَتْلِ ثَابِتٍ
رُجُوعِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَعَلَّ التَّعْمُدِ	وَأَعْظَمُ مَنْ هَاتَيْنِ عِنْدِي مَصِيبَةً
طَرِيداً وَقَدْ مَأْ كُنْتُ غَيْرَ مَطْرُودٍ	وَتَرْكِي بِلَادِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
وَمَعْطٍ بِمَا أَحْدَثْتُ مِنْ حَدَثٍ يَدِي	فَهَلْ يَقْلُ الصَّدِيقُ أَنِّي مَرَّاجِعٌ
شَهَادَةً حَقٌّ لَسْتُ فِيهَا بِمُلْجِدٍ	وَأَنِّي مِنْ بَعْدِ الضَّلَالَةِ شَاهِدٌ
ذَلِيلٌ وَأَنَّ الدَّيْنَ دَيْنُ مُحَمَّدٍ	بِأَنَّ إِلَهَ النَّاسِ رَبِّي وَأَنَّنِي

قال الواقدي: وحَدَّثني محمد بن يعقوب: أَنَّ طليحة خرج غازياً هو وأصحابه يريدون الرُّومَ. فركبوا البحر، فبينما هم مُلْجَجِينَ^(٣) فيه، إِذْ ناداهم قادس^(٤) من تلك القوادس، فيه ناس من الروم. فقالوا لهم: إِن شِئْتُمْ أَنْ تَقْفُوا لَنَا حَتَّى نَسْفِكَم، وَإِنْ شِئْتُمْ وَقَفْنَا لَكُمْ حَتَّى تَشَوُّوا عَلَيْنَا فِي سَفِينَتِنَا.

قال طليحة لأصحابه: مَا يَقُولُونَ؟ فَأَخْبَرُوهُ. فَقَالَ طليحة: لَاضْرِبْنَكُمْ بِسِيفِي مَا اسْتَمْسَكَ فِي يَدِي أَوْ لَتَقْرَبَنَّ سَفِينَتُنَا إِلَيْهِمْ. قَالَ: فَدَنَا الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

قال طليحة لأصحابه: اقْدِفُونِي فِي سَفِينَتِهِمْ، فَرَمَوْا بِهِ فِي سَفِينَتِهِمْ، فغشيهم بسيفه حتى تطايروا منه. ففرق من غرق واستسلم من استسلم. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأعجبه.

= بعث رسول الله - ﷺ - سرية قبل الغمرة من نجد، أميرهم ثابت بن أقرم، أصيب فيها ثابت بن أقرم، فهذا ظاهر أنه قتل في عهد النبي - ﷺ - ، ويمكن تأويل قوله: أصيب، أي: بجراحة فلم يمت، أ. هـ. قلت: هذا إن ثبت القصة، فإين لهيعة صدوق، خلط بعد احتراق كتبه، التقريب ٤٤٤/١، فهو ضعيف من قبل حفظه.

(١) أي: على الغض والعداوة، أي: يتصافحون، رغم ما في قلوبهم من البغض لبعضهم، والله أعلم.
(٢) أي: ولم يُغمر وُطعن عليه في إسلامه، أنظر أساس البلاغة ص ٣٢٨ - ٣٢٩، ومختار الصحاح ص ٢٢٧

(٣) أي: خائضين فيه، قال في مختار الصحاح ص ٦٧: «لججت السفينة تلجيجاً: خاضت اللجة» أ. هـ.

(٤) أي: سفينة.

وذكر سيف بن عمر، عن أبي عمرو، عن أبي عثمان النهدي^(١)، قال: أخرج سعد^(٢) طليحة في خمسة، وعمرورين معدي كرب في خمسة - يعني عيوناً له - ، صبيحة قدم رستم الجالينوس وذا الحاجب. فرجع عمرو وأصحابه وأصحاب طليحة لما رأوا عدوهم.

ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يَجُوسه^(٣). فلما أدبر الليل خرج وقد أتى أفضل من توسم في ناحية العسكر. فإذا فرس لم يرَ في خيل القوم مثله، وفسطاط أبيض لم ير مثله. فانتضى سيفه فقطع مقود الفرس، فركبه وخرج يعدو به.

ونذَر به^(٤) الرجل والقوم، فركبوا الصعبة والدُّلول في طلبه. فأصبح وقد لحقه فارس. فلما غشيه وبوا له الرمح ليطعنه عدل طليحة فرسه، فندر الفارسي بين يديه. فكَّر عليه طليحة فقصم ظهره بالرمح. ثم لحقه آخر، ففعل به مثل ذلك. ثم لحق به آخر، ففعل به مثل ذلك. فلما كَرَّ عليه طليحة، عرف أنه قاتله فاستأسر^(٥). فأمره طليحة أن يركض بين يديه، ففعل حتى غشيا عسكر المسلمين وهم على تعبئة. فافزع الناس، وجوزوه إلى سعد فأخبره بما صنع.

وجيء بالترجمان فأقيم بين يدي سعد والفارسي.

فقال الفارسي^٦: أخبركم عن صاحبي هذا قبل أن أخبركم عما قبلي، باشرت الحروب وغشيتها، وسمعت بالأبطال ولقيتها، منذ أنا غلام، إلى أن بلغت ما ترى، فلم أسمع بمثل هذا، أن رجلاً قطع عسكرين لا تجترىء عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما دون ذلك. فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند وهتك أطناب بيته، فأنذره وأنذرنه به، فأدركه فارس الناس يعدل بالف فارس فقتله. ثم أدركه الثاني وهو نظيره فقتله. ثم أدركته، ولا أظنني خلفت بعدي من يعدلني، وأنا الثائر بالقتيلين وهما ابنا عمي، فرأيت الموت فاستأسرت.

ثم أخبره عن أهل فارس أن الجند عشرون ومائة ألف. وأسلم الرجل.

وعاد طليحة، وقال: والله لا تُغلبون ما دمت على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح. فكان من أهل البلاء يومئذ.

(١) هو عبد الرحمن بن مِلّ - بلام ثقيلة، والميم مثناة - ، أبو عثمان النهدي، مشهور بكنية، مخضرم، ثقة ثبت عابد، مات سنة خمس وتسعين، وقيل بعدها، وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل أكثر، التقريب ٤٩٩/١.

(٢) أي: سعد بن أبي وقاص، وذلك في القادسية.

(٣) أي: يتخلله ويطلب ما فيه من أخبار، مختار الصحاح ص ٢٠٢.

(٤) أي: علم به، قال في مختار الصحاح ص ١٨٣: «نذر القوم بالعدو: علموا» أ.هـ.

(٥) فاستأثر: أي طلب الأسر.

ذكر التوابين من ملوك هذه الأمة

٥٦ - [- توبة ذي الكلاع] (١)

ذكر محمد بن أحمد بن البراء في كتاب «الروضة»: أنا محمد بن الرضافي، ثنا سليمان بن معبد، ثنا سعيد بن عفير المصري، ثنا علوان بن داود، عن رجل من قومه، قال:

بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع بهديّة. فأقمتُ ببابه سنة لا أصلُ إليه. ثم أطلعُ اطلاعةً من قصره فلم يبقَ حول قصره أحدٌ إلا خرَّ له ساجداً. ثم أمر بهديته فقبِلت. ثم رأيتُه في الإسلام، قد اشترى لحماً بدرهم وهو على فرس، قد سمّط اللحم (٢) على فرسه، وهو يقول:

أَفْ لِلدُّنْيَا إِذَا كَانَتْ كَذَا كُلَّ يَوْمٍ أَنَا مِنْهَا فِي أَدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ: مَنْ أَنْعَمُ النَّاسِ مَعَاشًا؟ قِيلَ: ذَا
ثُمَّ بُدِّلْتُ بَعِيشِي شِقْوَةً حَبَّذَا هَذَا شِقَاءٌ حَبَّذَا

(١) ذو الكلاع: لقب لُقّب به، من التكلم، وهو التحالف والتجمع، وذو الكلاع اثنان: ذو الكلاع الأكبر، وذو الكلاع الأصغر، وهو حفيد ذي الكلاع الأكبر، وهو المقصود هنا، واختلف في اسمه اختلافاً كبيراً، وكان يكنى أبا شرّ شرحبيل، ويقال أبا شراحبيل، الحميري، اليمني، وكان له سلطنة وجاء فيهم، بعث إليه النبي - ﷺ - جابر بن عبد الله فأسلم هو وذو عمرو، وقصة ذلك في صحيح البخاري، ثم أتيا معه إلى النبي - ﷺ - فلما كانوا في بعض الطريق علموا أن النبي - ﷺ - توفي، وأنه استخلف مكانه أبو بكر فعادا وقالوا لجابر أنهما سيعودان.

وعادا في زمن عمر - رضي الله عنه -، قاتل يوم اليرموك، وبقي إلى أيام معاوية، وقاتل معه في صفين، وقتل قبل نهاية الحرب فيها شهيداً - رحمه الله تعالى -.

أنظر الإصابة ٤٨٠/١ - ٤٨١، والإستيعاب ٤٧٣/١ - ٤٧٦ وقال في الإستيعاب ٤٧٤/١: «لا أعلم لذي الكلاع صحبة أكثر من إسلامه واتباعه النبي - ﷺ - في حياته» أ.هـ.

قلت: فهو من المُخَضَّرِمين، الذين أسلموا في عهد النبي - ﷺ - ولم يلقوه ويصحبوه.

(٢) أي: علّقه. أنظر مختار الصحاح ص ٢٤٧.

وروى ابن دريد، عن الرياشي^(١)، عن الأصمعي^(٢)، قال: كان رسول الله - ﷺ - كائناً الكلاع من ملوك الطوائف على يد جرير بن عبد الله، يدعوه إلى الإسلام، وكان قد تعلّى أمره حتى ادعى الربوبية، وأطيع حتى مات النبي - ﷺ - قبل عودة جرير.

وأقام ذو الكلاع على ما هو عليه إلى أيام عمر، ثم رغب في الإسلام، فوفد على عمر ومعه ثمانية آلاف عبد، فأسلم على يده، وأعتق من عبيده أربعة آلاف. فقال له عمر: يا ذا الكلاع! بعني ما بقي من عبيدك حتى أعطيك ثلث أثمانهم ها هنا، وثلثاً باليمن، وثلثاً بالشام. قال: أجلني يومي هذا أفكر فيما قلت.

ومضى إلى منزله فأعتقهم جميعاً. فلما غدا على عمر، قال له: ما رأيك فيما قلت لك في عبيدك؟ قال: قد اختار الله لي ولهم خيراً مما رأيت. قال: وما هو؟ قال: هم أحرار لوجه الله. قال: قد أصبت والله، يا ذا الكلاع.

قال: يا أمير المؤمنين! لي ذنب ما أظن أن الله يغفره لي. قال: وما هو؟ قال: تواريت عن من يتعبّد لي، ثم أشرفت عليهم من مكان عالٍ، فسجد لي زهاء^(٣) مائة ألف إنسان. فقال عمر: التوبة بالإخلاص، والإنابة بالإقلاع، يُرجى بهما مع رافة الله الغفران. قال الله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٤).

٥٧ - [توبة أمير وتاجر]

أخبرنا الشيخ أبو الفرج^(٥)، أنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد، قال: أنا أبو بكر محمد بن علي الخياط^(٦)، أنا أحمد بن محمد بن العلاف^(٧)، ثنا الحسين بن صفوان، ثنا

(١) هو عباس بن الفرج الرياشي، أبو الفضل البصري النحوي، ثقة، استشهد بأيدي الزنج، سنة سبع وخمسين ومائتين. التقريب ٣٩٨/١.

(٢) هو عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمغ، أبو سعيد الباهلي، الأصمعي، البصري، صدوق سني، من صغار أتباع التابعين، مات سنة ست عشرة ومائتين، وقيل غير ذلك، وقد قارب التسعين، التقريب ٥٢١/١ - ٥٢٢.

قلت: فهذا إسناد ضعيف بسبب الإنقطاع، فالأصمعي من صغار أتباع التابعين، فأنتى له أن يدرك القصة؟!.

(٣) أي: نحو وقدّر مائة ألف.

(٤) سورة الزمر، آية رقم ٥٣.

(٥) أي: ابن الجوزي، وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

(٦) قال في اللباب ٤٧٥/١: «يقال هذا لمن يخطط الثياب».

وهو اسم أيضاً، ونسبة إلى مذهب.

أبو بكر القرشي، حدّثني محمد بن الحسين، أخبرني أبو عمر العمري، حدّثني عبيد الله بن صدقة بن مرداس البكري، عن أبيه، قال:

نظرت إلى ثلاثة أقبر على شرف من الأرض مما يلي بلاد أنطاكية، فإذا على أحدها مكتوب:

وكيف يلدُ العيش من هو عالمٌ بأنّ إله الخلق لا بدّ سائله
فياخذُ منه ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعله
وإذا على القبر الثاني:

وكيف يلدُ العيش من كان موقناً بأنّ المنايا^(١) بغتة ستعاجله
فتسلبه ملكاً عظيماً ونخوة^(٢) وتُسكنه البيت الذي هو أهله
وإذا على القبر الثالث إلى جنبهما:

وكيف يلدُ العيش من كان صائراً إلى جدّ^(٣) تبلي الشباب مناهله^(٤)
ويذهبُ رسم الوجه من بعد صونه سريعاً ويلى جسمه ومفاصله
وإذا هي قبور مسنمة على قدرٍ واحد مصطفة.

فقلت لشبح جلست إليه: لقد رأيت في قريتك عجباً. قال: وما رأيت؟ فقصصت عنده قصة القبور. قال: فحديثهم أعجب مما رأيت على قبورهم. قال: فقلت: حدّثني.

قال: كانوا ثلاثة إخوة، أمير يصحب السلطان ويؤمر على المدائن والجيوش، وتاجر موسر مطاع في حاضره؛ وزاهد قد تخلّى لنفسه وتفرّد لعبادته.

أما الإسماعيليون - خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفري...
وأما المذهب النباطي، فرقة من المعتزلة، ينتمون إلى أبي الحسين الخياط أستاذ الكعبي...
أهـ

(٧) قال في المصاب ٣٦٦/٢: «العلاف: لفتح العين، وبعدها لام ألف، ثم فاء، يقال هذا لمن يبيع العلف وجمعه، ولعل بعض أجداد المنتسبين كان يفعل ذلك...» أهـ.

(١) جمع منية، وهو الموت.
(٢) قال في مختار الصحاح ص ٥٤٤: «النخوة: الكبر والعظمة، يقال: انتخى فلان علينا، أي: افتخر ونعظم» أهـ.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٥٤: «الجدّ - بفتح الحاء -: القبر، وجمعه: جدّث، وأجداث» أهـ.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٣٩٠: «المنهل: المورد، وهو عين ماء ترده الإبل في المراعي، وتسمّى المنال التي هي الفاوز على طرق السفار مناهل...» أهـ. والثانية هي المقصودة هنا. والله اعلم.

قال: فحضرت أخاهم العابد الوفاء، فاجتمع عنده أخواه. وكان الذي يصحب السلطان منهم قد ولي بلادنا هذه، أمره عليها بعد الملك بن مروان، وكان ظالماً غشوماً^(١) متعسفاً^(٢). فاجتمعا عند أخيهما لما احتضر، فقالا له: أوص. قال: لا والله ما لي من مال فأوصي فيه، ولا لي على أحد دين فأوصي به، ولا أخلف من الدنيا شيئاً فأسلمته.

فقال له أخوه ذو السلطان: أي أخي! قل لي ما بدا لك، فهذا مالي بين يديك، فأوص منه بما أحببت، وأنفذ منه ما بدا لك، واعهد إلي بما شئت. قال: فسكت عنه.

فقال أخوه التاجر: أي أخي! قد عرفت مكسبي، وكثرة مالي، فلعل في قلبك غصة من الخير لم تكن تبلغها إلا بالإنفاق فيها، فهذا مالي بين يديك، فاحتكم فيه بما أحببت ينفذ لك أخوك.

فأقبل عليهما، فقال: لا حاجة لي في مالكما، ولكنني سأعهد إليكما عهداً فلا تخالفا عهدي. قال: لا. اعهد. قال: إذا مت فغسلاني، وكفناني، وادفناني على نثر من الأرض^(٣)، واكتب علي قبوري:

وكيف يلذ العيش من هو عالم بأن إله الخلق لا بد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعله
فإذا أنتما فعلتما ذلك فأتياني كل يوم لعلكما أن تتعظا.

قال: ففعلاً ذلك لما مات. قال: وكان أخوه يركب في جنده حتى يقف على القبر. فينزل فيقرأ ما عليه ويبكي. فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع الجند، فنزل فبكى كما كان يبكي. فلما أراد أن ينصرف سمع هدة^(٤) من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه، فانصرف مذعوراً قرعاً.

فلما كان الليل رأى أخاه في منامه. فقال: أي أخي! ما الذي سمعت من قبرك؟ قال: تلك هدة المقمعة. قيل لي: رأيت مظلوماً فلم تنصره.

قال: فأصبح مهموماً، فدعا أخاه وخاصته، وقال: ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتب على قبره غيري، وإني أشهدكم أنني لا أقيم بين ظهرا نيككم أبداً. قال: فترك الإمارة ولزم العبادة. وكتب إلى عبد الملك بن مروان في ذلك، فكتب أن خلّوه وما أراد.

(١) غشوماً، من الغشم، وهو الظلم، مختار الصحاح ص ٤٢١.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٣٠١: «العَسَفُ: الأخذ على غير الطريق... والعسوف: الظلوم» أ.هـ.

(٣) أي: على مرتفع من الأرض، وجمعه نشوز، وأنشاز أنظر مختار الصحاح ص ١٩١.

(٤) أي: صوتاً قوياً صاحباً، وأصل الهدة: صوت وقوع الحائط ونحوه. أنظر مختار الصحاح ص ١١٦.

فكان إنما يأوي الجبال والبراري حتى حضرته الوفاة في هذا الجبل وهو مع بعض الرعاة. فبلغ ذلك أخاه، فأتاه فقال: أي أخي! ألا توصي؟ قال: بم أوصي؟ ما لي من مال فأوصي به؛ ولكن أعهد إليك عهداً؛ إذا أنا مت فبَوِّأْني قبري^(١)، فادفني إلى جنب أخي، واكتب على قبري:

وكيف يلدُ العيش مَنْ كان مُوقناً بأنَّ المنايا بغتةً ستُعاجلهُ
فتسلُّه مُلكاً عظيماً ونخوةً وتُسكِنُه القبر الذي هو آهلهُ
ثم تعاهدني ثلاثاً، فادعُ لي لعلَّ الله أن يرحمني.

قال: فمات، ففعل به أخوه ذلك. فلما كان اليوم الثالث من إتيانه إياه، فدعا له وبكى عند قبره. فلما أراد أن ينصرف سمع وَجَّةً^(٢) من القبر كادت تُذهل عقله، فرجع مُتَقَلِّلاً^(٣).

فلما كان من الليل إذا بأخيه في منامه قد أتاه. قال ذلك الرجل: فلما رأيت أخي وثبْتُ إليه، فقلت: أي أخي! أتيتنا زائراً؟ قال: هيهات أخي، بُعدَ المزار، واطمأنت بنا الديار. قلت: أي أخي! كيف أنت؟ قال: بخير، ما أجمع التوبة لكل خير. قال: قلت: فكيف أخي؟ قال: ذلك مع الأئمة الأبرار. قال: قلت: فما أمرنا قبلكم؟ قال: من قَدَم شيئاً من الدنيا والآخرة وَجَدَه، فاغتنم وجدك^(٤) قبل ففرك.

قال: فأصبح أخوه معتزلاً للدنيا قد انخلع منها، ففرَّق ماله وقسم رباعه^(٥)، وأقبل على طاعة الله تعالى. قال: ونشأ له ابنٌ كأهيا الشباب وجهاً وجمالاً. فأقبل على التجارة حتى بلغ منها. وحضرت أباه الوفاة، فقال له ابنه: يا أبت ألا توصي؟ قال: والله يا بني! ما لأبيك مال فيوصي فيه، ولكني أعهد إليك عهداً، إذا أنا مت فادفني مع عمومتك، واكتب على قبري هذين البيتين:

وَكَيْفَ يلدُ العيش مَنْ هو صائرٌ إلى جدِّ تبلي الشباب منازلَه
ويذهبُ رَسْم الوجهِ مِنْ بَعْدِ صَوْنِه سريعاً ويَبلى جِسْمُه ومفاصلُه
فإذا فعلت ذلك فتعاهدني بنفسِي ثلاثاً، فادعُ لي.

(١) أي: فأنزلتني قبري، أنظر مختار الصحاح ص ٧-٨.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٤٤: «الوجه: السقطة مع الهدة» أ.هـ.

أي: هي صوت سقوط الشيء محدثاً صخباً وضجة قوية.

(٣) أي: مضطرباً، أنظر مختار الصحاح ص ٣٨١.

(٤) أي: غناك. قال في مختار الصحاح ص ١١٣: «وجدة - بالكسر - أي: استغنى» أ.هـ.

(٥) هي جمع الربع، والربع، هي: الدار بعينها حيث كانت، مختار الصحاح ص ٢٦٣.

ففعّل الفتى ذلك. فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً اقشعر له جلده، وتغير له لونه، فرجع منه محموراً إلى أهله.

فلما كان من الليل أتاه أبوه في منامه، فقال له: أي بني! أنت عندنا عن قليل، والأمر بآخره، والموت أقرب من ذلك، فاستعدّ لسفرك، وتأقّب لرحيلك، وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن^(١) إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغترّ بما اغترّ به المبتطلون قبلك من طول آمالهم، فقصروا عن أمر معادهم، فندموا عند الموت أشدّ الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشدّ الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا الأسف على التقصير أنفذهم من شرّ ما وافى به المغبونون مليكهم يوم القيامة، أي بني، فبادر، ثمّ بادر، ثمّ بادر.

قال عبيد الله بن صدقة: قال الشيخ الذي حدّثني بهذا الحديث: فدخلت على هذا الفتى صبيحة ليلته من هذه الرؤيا، فقصّها علينا، وقال: ما أرى الأمر إلا كما قال أبي، ولا أرى الموت إلا قد أظلني. قال: فجعل يفرّق ماله، ويقضي ما عليه من الدّين، ويستحلّ خلطاءه ومعامله، ويحلّ لهم، ويسلم عليهم، ويودّعهم ويودّعون، كهيفة رجل قد أنذر بأمر فهو يتوقعه.

وكان يقول: قال أبي: فبادر، ثمّ بادر، ثمّ بادر؛ فهذه ثلاث، فهي ثلاث ساعات قد مضت فليست بها، أو ثلاثة أيام وأنّى لي بها، أو ثلاثة أشهر وما أراني أدركها، أو ثلاث سنين فهو أكثر من ذلك، وما أحبّ أن يكون ذلك كذلك.

قال: فلم يزل يعطي ويقسم ويتصدّق ثلاثة أيام، حتى إذا كان في آخر اليوم الثالث من صبيحة هذه الرؤيا دعا أهله وولده، فودّعهم وسلم عليهم. ثمّ استقبل القبلة، فمدّد نفسه وأغمض عينيه وتشهد شهادة الحقّ، ثمّ مات رحمه الله تعالى.

قال: فمكث الناس حيناً يتتابون قبره^(٢) من الأمصار فيصلون عليه.

٥٨ - [توبة ملك من ملوك البصرة]

وأنبأنا المبارك بن عليّ، أنا هبة الله بن أحمد الجريّ، أنا أبو طالب العُشاري^(٣)،

(١) أي: سائر وراحل عنه، أنظر مختار الصحاح ص ٤٦٠.

(٢) أي: يقصدون، ويأتون قبره مرة بعد مرة.

(٣) قال في اللباب ٣٤١/٢: «العُشاري: بضم العين، وفتح الشين المعجمة، وبعد الألف راء. هذه النسبة لأبي طالب - وهو الراوي عند المصنف - محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي الحرّبي، المعروف بابن العُشاري، بغدادي، وهذا لقب جدّه لأنه كان طويلاً فقبل له: العُشاري، وكان =

أنا محمد بن عبد الله الدُّقَّاق^(١)، أنا الحسن بن صفوان، قال: أنا ابن أبي الدنيا قال: حَدَّثَنِي محمد بن الحسين، قال: حَدَّثَنِي سليمان بن أيوب، قال: سمعت عباد بن عباد المَهَلِّي^(٢)، يقول:

إن ملكاً من ملوك أهل البصرة تنسك^(٣). ثم مال إلى الدنيا والسلطان، فبنى داراً وشيئها، وأمر بها ففرشت له ونجدت، واتخذ مائدة، وصنع طعاماً، ودعا الناس. فجعلوا يدخلون عليه، ويأكلون ويشربون، وينظرون إلى بنيانه، ويعجبون من ذلك، ويدعون له، ويتفرقون.

قال: فمكث بذلك أياماً حتى فرغ من أمر الناس. ثم جلس ونفر من خاصّة إخوانه، فقال: قد ترون سروري بداري هذه، وقد حدثت نفسي أن أتخذ لكل واحد من ولدي مثلها، فأقيموا عندي أياماً أستمتع بحديثكم وأشاوَرُكم فيما أريد من هذا البناء لولدي.

فأقاموا عنده أياماً يلهون ويلعبون، ويشاورهم كيف يبنى لولده، وكيف يريد أن يصنع.

فبينا هم ذات ليلة في لهوهم ذلك إذ سمعوا قائلاً من أقاصي الدار:

يا أيها الباني والناسي منيَّته لا تأملنَّ فإنَّ الموتَ مكتوبٌ
على الخلائقِ إن سُرُّوا وإن فرحوا فالموتُ حَتْفٌ لذي الآمالِ منصوبٌ
لا تبنيَنَّ دياراً لست تسكنُها وراجعِ النسكَ كيما يُغفَرَ الحُوبُ^(٤)

قال: ففرع لذلك، وفرع أصحابه فزعاً شديداً، وراعهم^(٥) ما سمعوا من ذلك.

= صالحاً - أي: أبو طالب - سمع أبا الحسن علي بن عمر الحربي السكري، وأبا الحسن علي بن عمر الدارقطني، والمخلص وغيرهم، روى عنه القاضي أبو بكر الأنصاري وغيره، ولد في المحرم من ست وستين وثلاثمائة، ومات آخر جمادى الأولى من سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، أ. هـ.
(١) هذه النسبة إلى الدقيق وعمله وبيعه. الباب ٥٠٤/١.

(٢) هو عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صُفرة، الأزدي، أبو معاوية، البصري، ثقة ربما وهم، من أتباع التابعين، مات سنة تسع وسبعين ومائة، أو بعدها بسنة، التقريب ٣٩٢/١.
والمَهَلِّي: نسبة إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أمير خراسان، وينسب إليه كثير من العلماء نسبة ولاء، الباب ٢٧٦/٣.

(٣) تنسك، أي: تعبّد، من النسك: العبادة، والناسك: العابد. مختار الصحاح ص ٣٤٣.

(٤) الحُوب: الإثم، مختار الصحاح ص ٢٢.

(٥) أي: أخافهم وأفرعهم، مختار الصحاح ص ٢٦٦.

فقال لأصحابه: هل سمعتم ما سمعتُ؟ قالوا: نعم. قال: فهل تجدون ما أجد؟ قالوا: وما تجد؟ قال: أجد والله مَسْكَةً على فؤادي وما أراها إلا علة الموت. قالوا: كلا، بل البقاء والعافية.

قال: فبكى. ثم أقبل عليهم، فقال: أنتم أخلائي وإخواني، فماذا لي عندكم؟ قالوا: مُرْنَا بما أَحَبَّبت من أَمْرِكَ. قال: فأمر بالشراب وأهريق، ثم أمر بالملاهي فأخرجت، ثم قال: اللَّهُمَّ! إِنِّي أَشْهَدُكَ وَمَنْ حَضَرَنِي مِنْ عِبَادِكَ أَنِّي تَائِبٌ إِلَيْكَ مِنْ جَمِيعِ ذُنُوبِي، نَادِمٌ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي أَيَّامِ مَهْلَتِي، وَإِيَّاكَ أَسْأَلُ إِنْ أَقْلَلْتَنِي أَنْ تُتِمَّ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ بِالْإِنَابَةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَإِنْ أَنْتَ قَبَضْتَنِي إِلَيْكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي تَفَضُّلاً مِنْكَ عَلَيَّ.

واشتدَّ به الألم، فلم يزل يقول: الموت والله، الموت والله، حتى خرجت نفسه. فكان الفقهاء يرون أنه مات على توبة.

٥٩ - [توبة ملك من ملوك البصرة وجاريتته]

رُوي عن مالك بن دينار^(١) رحمه الله، أنه كان يوماً ماشياً في أزقة البصرة. فإذا هو بجارية من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم، فلما رآها مالك، نادى: أيتها الجارية! أبيعك مولاك؟ قالت: كيف قلتَ يا شيخ؟ قال: أبيعك مولاك؟ قالت: ولو باعني كان مثلك يشتريني؟ قال: نعم، وخيراً منك.

فضحكت وأمرت أن يُحْمَلَ إلى دارها، فحمل، فدخلت إلى مولاها فأخبرته. فضحك وأمر أن يُدْخَلَ إليه. فدخل، فألقيت له الهبة في قلب السيد، فقال: ما حاجتك؟ قال: بِعْنِي جَارِيَتَكَ. قال: أَوْ تَطِيقُ أَداء ثمنها؟.

قال: فثمنها عندي نواتان مسوستان. فضحكوا، وقالوا: كيف كان ثمنها عندك هذا؟.

قال: لكثرة عيوبها. قالوا: وما عيوبها؟.

قال: إن لم تتعطر زفرت، وإن لم تستك بخرت، وإن لم تمتشط وتدَّهن قملت وشعثت، وإن تعمَّر عن قليل هربت، ذات حيض وبول وأقذار جمة، ولعلها لا تودَّك إلا

(١) هو مالك بن دينار، أبو يحيى السامي، الناجي، البصري، الزاهد، صدوق عابد، من صغار التابعين، مات سنة ثلاثين ومائة ونحوها، التقريب ٢/٢٢٤، وقال في الكاشف ٣/١٠٠ أنه مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، والله أعلم.

وصدَّر المصنف هذه القصة بكلمة: رُوي مبني للمجهول، وهذه الصيغة تفيد التضعيف عند أهل الحديث.

لنفسها، ولا تحبك إلا لشغفها بك، لا تفي بعهدك، ولا تصدق في وذك، ولا يخلف عليها أحد من بعدك إلا رآته مثلك؛ وأنا آخذ بدون ما سألت في جاريتك من الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور، لو مزج بريقها أجاج^(١) لطاب، ولو دُعي بكلامها ميت لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه، ولو بدا في الليل لسطع نوره، ولو واجهت الآفاق بحليها وجليلها لتزخرفت، نشأت بين رياض المسك والزعفران، وقصرت في أكنان^(٢) النعيم، وغذيت بماء التسنيم^(٣)، فلا تخلف عهدا، ولا يتبدل ودها؛ فأيهما أحق برفعة الثمن؟

قال: التي وصفت.

قال: فإنها الموجودة الثمن، القرية المخطب.

قال: فما ثمنها رحمك الله؟

قال: اليسير المبذول، أن تفرغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتين تُخلصهما لربك، وأن يوضع طعامك فتذكر جائعك فتؤثر الله على شهوتك، وأن ترفع عن الطريق حجراً أو قدراً، وأن تقطع أيامك بالبلغة^(٤)، وترفع همّتك عن دار الغفلة، فتعيش في الدنيا بعزّ القنوع، وتأتي غداً إلى موقف الكرامة آمناً، وتنزل غداً في الجنة مخلداً.

فقال الرجل: يا جارية! أسمع ما قال شيخنا هذا؟ قالت: نعم. قال: أفصدق أم كذب؟ قالت: بل صدق وبرّ ونصح.

قال: فأنت إذا حرّة لوجه الله، وضیعة كذا وكذا صدقة عليك، وأنتم أيها الخدام، أحرار، وضیعة كذا وكذا لكم، وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي في سبيل الله. ثم مدّ يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه، وخلع جميع ما كان عليه واستتر به.

قالت الجارية: لا عيش لي بعدك يا مولاي! فرمت بكسوتها، ولبست ثوباً خشناً وخرجت معه. فودّعهما مالك ودعا لهما، وأخذ طريقاً وأخذاً غيره.

فتعبداً جميعاً حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة - رحمة الله عليهما.

(١) أي: ملجأ، مختار الصحاح ص ٥٨.

(٢) جمع كنّ، والكنّ: السترة. مختار الصحاح ص ٤٦٦.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٤١٢: «هو ماء في الجنة، سمي بذلك لأنه يجري فوق الغرف والقصور» أ.هـ.

(٤) البلغة، ما يبلغ به من العيش، وتبلغ بكذا، أي: اكتفى به، مختار الصحاح ص ٢٨٣.

٦٠ - [توبة أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان]^(١)

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، قال: أنا محمد بن أبي نصر الحميدي^(٢)، قال: أنا الخضر بن ميمون البايي^(٣)، أنا أبو بكر أحمد بن عمر البراز، أنا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز، ثنا علي بن الحسن بن الربيع، ثنا أبو علي الحسن بن يزيد الدقاق، عن يعقوب بن إسحاق، قال: سمعت إبراهيم بن الجنيّد، قال: نا مُمَّوس القطّان، ثنا أحمد بن محمد، ثنا أبو عليّ، ثنا محمد بن علي الزُّعْفَراني^(٤)، قال: سمعت أحمد بن رباح الكاتب، يحكي عن الهيثم بن عدي، عن مروان بن محمد^(٥)، قال:

(١) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وأخت عمر بن عبد العزيز، وزوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان، وريّات الفصاحة والبلاغة، قرعت بجوابها حُجة الحجاج بن يوسف الثقفي. وأفحمته بكلام بين، ومن كلامها الدالّ علىكرمها وطيب أرومتها: أفّ للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته، نقلاً عن هامش المطبوعة والقصة المذكورة هنا لا تصح عنها، كما سيأتي بيانه.

(٢) قال في اللباب ٣٩٢/١: «بضم الحاء، وفتح الميم. هذه النسبة إلى حميد، وهو بطن من أسد بن عبد العزى بن قصي، منهم...»

وأما عبدالله محمد بن أبي نصر بن عبدالله بن حميد الحميدي، الأندلسي - وهو الراوي هنا - صاحب الجمع بين الصحيحين وغيره من التصانيف. فإنه ينسب إلى جدّه حميد، سمع بالأندلس أبا محمد بن حزم وغيره، وسمع أبا بكر الخطيب وغيره، روى عنه أبو إسحاق بن نيهان الرقيّ، وعليّ بن علي الأمين وغيرهما، وكان عالماً خيراً ورعاً ثقةً أ هـ.

(٣) قال في اللباب ١٠٢/١: «البايي: بالالف بين الباءين الموحدين، هذه النسبة إلى باب الأبواب، موضع بالثغور، وهي مدينة دربند المعروفة...، وإلى قرية من قرى بخارى يقال لها: بابة...» أ هـ.

(٤) هذه النسبة إلى الزعفرانيّة قرية بقرب بغداد وإلى بيع الزعفران، وإلى مذهب، أنظر تفصيل ذلك في اللباب ٦٩/٢.

(٥) هو مروان بن محمد بن حسان الأسديّ الدمشقي، الطاطري، ثقة، مات سنة عشر ومائتين، وله ثلاث وستون سنة. التقرب ٢٣٩/٢.

وهذا إسناد ضعيف جداً عنه فيه: الهيثم بن عدي الطائي، أبو عبد الرحمن المنبجي، ثم الكوفي. قال في ميزان الإعتدال ٣٢٤/٤:

«قال البخاري: ليس بثقة، كان يكذب.

وقال يحيى: ليس بثقة، كان يكذب.

وقال أبو داود: كذاب.

وقال النسائي وغيره: متروك الحديث.

قلت - أي الذهبي - : كان أخبارياً علامة.

وقال ابن عدي: ما أقلّ ماله من المسند، إنما هو صاحب أخبار.

وقال ابن المديني: هو أوثق من الواقدي، ولا أرضاه في شيء أ هـ.

دخلت عَزَّةُ صاحبةً كُثِيرٍ على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر^(١)،
فقلت لها: يا عَزَّةُ! ما معنى قول كُثِيرٍ:

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ عَلِمْتُ غَرِيمَهُ وَعَزَّةُ مَنْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمُهَا
ما هذا الدين الذي يذكره؟ قالت: أعفيني. قالت: لا بدَّ من إعلامك إياي.
فقلت عَزَّةُ: كنتُ وعدته قُبْلَةً، فأتاني لِيَتَجَرَّهَا^(٢)، فتحرَّجت عليه، ولم أف له.
فقلت لها أم البنين: أنجزها منه، وعليَّ إثمها.

ثم راجعت نفسها فاستغفرت الله، وأعتقت لكلمتها هذه أربعين رقبة. وكانت إذا
ذكرت ذلك بكّت حتى تبلّ خمارها، وتقول: يا ليتني خرس لساني عندما تكلمت بها،
وتعبدت عبادةً ذُكرت بها في عصرها من شدة اجتهادها. فرفضت فراش المملكة تحيي
ليلها.

وكانت كلّ جمعة تحمل على فرس في سبيل الله. وكانت تبعث إلى نسوة عابدات
يجتمعن عندها ويتحدثن، فتقول: أحبّ حديثكنّ، فإذا قمت إلى صلاتي لهوت عنكنّ.
وكانت تقول: البخيل كلّ البخيل من بخل على نفسه بالجنة. وكانت تقول: جُعِلَ
لكلّ إنسان نهمة في شيء، وجُعِلت نهمتي في البذل والإعطاء، والله للعطيّة والصلة
والمواصلة في الله، أحبّ إليّ من الطعام الطيّب على الجوع، والشراب البارد على
الظما، وهل يُنال الخير إلا بالإصطناع؟.

وكانت على مذهب جميل، حتى تُوفيت رحمها الله تعالى.

٦١ - [توبة غَضِيضُ أمة هشام بن عبد الملك]^(٣)

قال ممّوس^(٤): وحدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، ثنا القاسم بن جعفر، ثنا
علي بن حجر الواسطيّ، قال: حدثني عيسى بن الفضل بن موسى، أنه سمع إسحاق بن

= وأنظر لسان الميزان ٢٠٩/٦ - ٢١١، حيث ذكر أقوال بقية العلماء فيه. ومما ذكره قول الإمام أحمد:
«كان صاحب أخبار وتدليس» أ. هـ. فقد وصفه الإمام أحمد بالتدليس، وقد عنعنه، وهذا سبب آخر
لتضعيف الإسناد، والله تعالى أعلم.

(١) أي: عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنه.
(٢) أي: ليقضيها، تقول: نجز حاجته: قضاها، مختار الصحاح ص ١٩١.
(٣) هو هشام بن عبد الملك بن مروان، من امراء الدولة الأموية، ولد في دمشق سنة (٧١) هـ. وبويع له
بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة (١٠٥) هـ.، وتوفي بالرصافة، سنة (١٢٥) هـ.
(٤) لعله موصول بالإسناد السابق.

إبراهيم الموصلي^(١)، يقول: حدّثني محمد بن عبد الرحمن الهاشمي، عن أبيه، عن سلميان بن خالد^(٢):

أن هشام بن عبد الملك ذُكرت له ربيبة^(٣) لبعض عجائز الكوفة، موصوفة مشهورة ببارع الجمال، فائقة الحسن والكمال، قارئة لكتاب الله عز وجل، راوية للأشعار مع عقل وأدب، فأمر أن يُسرد^(٤) إلى والي الكوفة، أن تُبتاع له^(٥) بحكم مولاتها، ويعجل حملها إليه، وبعث في ذلك خادماً.

فلما ورد الكتاب على الوالي، بعث إلى العجوز، فابتاع منها الربيبة بمائتي ألف درهم، وحديقه نخل، تستغل منها كل سنة خمسمائة مثقال.

وجّهز الجارية وحملها إلى هشام. وفرغ لها مقصورة مفردة أنزلها فيها مع وصائف، وأمر لها بأنواع اللباس، وفاخر الحلّي والفرش.

فبينا هو ذات يوم قد خلا بها في مستشفٍ قد أعدت فيه الفرش والطيب، فتذاكرا فيه طرائف الأخبار، وبلاغة الآثار، فازداد بها سروراً، واجتمعت مسرته، إذا صوارخ، فاستشف هشام، فإذا بجنازة معها فتام^(٦) من الناس، ووراء الجنازة نسوة صارخات، ونادبة فيما بينهنّ، تقول: بأبي السحمول على الأعواد، المنطلق به إلى الأموات، المخلى في قبره فريداً، والمكُون في لحده^(٧) غريباً؛ ليت شعري، أيها المنقول، أنت ممّن يناشد حَمَلَتَه: أسرعوا بي، أم أنت ممّن يناشدهم: إرجعوا بي! إلى م تقدّموني؟.

قال: فأهملت عينا هشام دموعاً، فلها عن لذته، وجعل يقول: كفى بالموت واعظاً. فقالت غضيض^(٨): قد قطعت نيّاط قلبي^(٩) هذه النادبة.

(١) قال في اللباب ٢٦٩/٣؛ «الموصلي: يفتح الميم وسكون الواو، وكسر الصاد المهملة، وفي آخرها لام، هذه النسبة إلى الموصل، ومي من بلاد الجزيرة، وإنما قيل لبلادها الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، خرج منها جماعة من نعلماء، والأئمة في كل علم» أ.هـ.

(٢) لم أجد من اسمه سليمان بن خالد، إلا الواسطي، وقد قال عنه الدراقطني: ضعيف الحديث، أنظر لسان الميزان ٨٣/٣، والمغني في الضعفاء ٢٧٨/١.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٢٤: «ريب الرجل: ابن امرأته من غيره، والأنثى ربيبة» أ.هـ.

(٤) أي: يُرسَل بالبريد.

(٥) أي: تُشترى له.

(٦) أي: جماعة كثيرة. أساس البلاغة ص ٣٣٢.

(٧) اللحد: الشق في جانب القبر، مختار الصحاح ص ١١١.

(٨) هو اسم الجارية.

(٩) أي: عروق قلبي، أنظر أساس البلاغة ص ٤٧٦.

قال هشام: الأمر جدّ. فنَادَى الخادم، فنزل عن مستشفه فمضى.

فاغفت غضيض في مجلسها، فأتاها آتٍ في منامها، وقال لها: أنت المفتنة بجمالك، والملهية بدلالك، كيف أنت إذا نُقِرَ في النّاقور^(١)، وبعثرت القبور، وخرجوا منها إلى النشور، وقوبلوا بالأعمال التي قدّموها؟.

فاستيقظت مرتاعة^(٢)، وراحت من شرابها، فنادت بعض وصائفها، ودعت بماء فاغتسلت، وألقت عنها لباسها وحليها، وتدرّعت بمدرعة صوف^(٣)، وحزمت وسطها بخيط، وتناولت عصاً وألقت في عنقها جراباً^(٤).

واقترحت مجلس هشام، فلما رآها أنكرها. فنادت: أنا غضيض أمتك، أتاني النذير، فقرع مسامعي وعيده، وقد قضيت مني وطراً، وقد أتيتك لتعتقني من رقّ الدنيا.

فقال هشام: شتان ما بين الطربين وأنت في طربك، إذهبي، فأنت حرّة لوجه الله تعالى. قال: أي موضع تقصدين؟ قالت: أوْم^(٥) بيت الله الحرام. قال: انطلقِي، فلا سبيل لأحد عليك.

فخرجت من دار الخلافة زاهدة في الدنيا، راغبة في الآخرة، سائحة على وجهها حتى بلغت مكة. وأقامت مجاورة صائمة قائمة تعود على نفسها بالغزل في قوتها. فإذا أمست طافت، ثم تدخل الحجر، وتقول: يا ذخري أنت عدّتي، لا تقطع رجائي وأُنلني مُنَايَ، وأُحْسِن مُنْقَلَبِي، وأُجْزِلْ عَطَائِي.

فلم تزل في الإجهاد حتى غيرَ مرّ الجديدين الليل والنهار بشرتها، وطولُ القيام جسمها، وكثرة البكاء عينيها، وأقرح المغزلُ بنانها، حتى تُوفيت -رحمة الله عليها- على ذلك.

٦٢ - [توبة الأمير حميد بن جابر]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أحمد بن أحمد، أنا أحمد بن عبد الله الحافظ^(١)، قال: حدّثني إبراهيم بن نصر، أنا جعفر بن محمد بن نصير، قال: حدّثني

(١) أي: نفخ في الصدور.

(٢) خائفة.

(٣) أي: لبست مدرعة صوف. أساس البلاغة ص ١٢٩.

(٤) الجراب: وعاء للماء، وهو معروف، أنظر مختار الصحاح ص ١٩، وأساس البلاغة ص ٥٥.

(٥) أي: أقصد. مختار الصحاح ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٦) هو أبو نعيم الأصبهاني، وقد تقدمت ترجمة له.

إبراهيم بن بشار^(١)، قال:

كنت يوماً ماراً مع إبراهيم - يعني ابن أدهم^(٢) - في صحراء، فأتينا على قبر مُسَنَّم^(٣)، فترحم عليه وبكى. فقلت: قبر مَنْ هذا؟ فقال: هذا قبر حُمَيد بن جابر أمير هذه المُدُن كلها. كان غريقاً في بحار الدنيا، فأخرجه الله تعالى منها واستنقذه.

ولقد بلغني أنه سُرَّ يوماً بشيء من ملاهي ملكه وديناه وغروره وفتنته. ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله، فرأى في منامه رجلاً واقفاً على رأسه، بيده كتاب. فناوله، ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرن فانياً على باقٍ، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذاتك وشهواتك، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو مُلك لولا أن بعده هُلك، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يُوثق له بغدٍ، فسارع إلى أمر الله تعالى، فإن الله تعالى قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤). قال: فانتبه فزعاً، وقال: هذا تنبيه من الله - عز وجل - وموعظة.

فخرج من ملكه لا يعلم به، وقصد هذا الجبل، فتعبّد فيه، فلما بلغني قصّته وحُدثت بأمره، قصدته، فسألته، فحدثني ببداية أمره، وحُدثته ببداية أمري، فما زلت أقصده حتى مات، ودُفن ها هنا، فهذا قبره رحمه الله.

٦٣ - [توبة إبراهيم بن أدهم]^(٥)

أخبرنا محمد، أنا أحمد^(٦)، ثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق، ثنا محمد بن

(١) هو إبراهيم بن بشار الرّمادي، أبو إسحاق البصري حافظ له أوهام، ومات في حدود الثلاثين ومائتين التقريب ٣٢٠/١.

(٢) ستأتي ترجمته في القصة الآتية.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٤١٢: «تسنيم القبر، ضدّ تسطيحه» أ.هـ.

(٤) سورة آل عمران، آية رقم ١٣٣.

(٥) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر البجلي، وقيل: التيمي، أبو إسحاق البلخي الزاهد، سكن الشام، صدوق - كان صابراً على الجهد والفقه والورع الدائم والسخاء الوافر، إلى أن مات في بلاد الروم، سنة (١٦١) هـ. وقيل: سنة (١٦٢) هـ. وله حكم كثيرة وكلام في الزهد جميل، وله فيه بعض النظم، ومما قاله:

أرى أناساً بأدنى الدّين قد قنعوا ولا أراهم رَضُوا في العيش بالدّون
فاستغنوا بالله عن دُنْيَا الملوك كما استغنَى الملوك بدُنْيَاهُم عن الدّين
أنظر تهذيب الكمال ٢٧/١ - ٣٩، وتهذيب التهذيب ١٠٢/١ - ١٠٣، والتقريب ٣١/١، وحلية الأولياء ٣٦٧/٧ - ٣٩٥، ٨/٣ - ٥٧.

(٦) هو الإمام أحمد بن عبد الله. أبو نعيم الأصبهاني الحافظ، وذكر ذلك في حلية الأولياء =

إسحاق السراج^(١)، قال: سمعت إبراهيم بن بشار - خادم إبراهيم بن أدهم يقول: -

قلت: يا أبا إسحاق^(٢)! كيف كان أوائل أمرك؟ قال: كان أبي من أهل «بلخ»^(٣) - وكان من ملوك خراسان - ، وحَبَّب إلينا الصيد، فخرجتُ راكباً فرسي، وكلبي معي، فبينما أنا كذلك، ثار أرنب أو ثعلب، فحرَّكتُ فرسي فسمعت نداءً من ورائي: ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يَمَنَةً وَيَسْرَةً، فلم أرَ أحداً، فقلت: لعن الله إبليس؛ ثم حرَّكتُ فرسي فأسمع نداءً أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يَمَنَةً وَيَسْرَةً، فلا أرى أحداً، فقلت: لعن الله إبليس؛ ثم حرَّكتُ فرسي فأسمع نداءً من قُربوس سَرُجي^(٤): يا إبراهيم ما لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت.

فقلت: أُنَبِّهتَ، أُنَبِّهتَ^(٥)؛ جاءني نذيرٌ من ربِّ العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي هذا ما عَصَمَنِي ربي.

فرجعت إلى أهلي، ثم جئت إلى أحد رعاة أبي، فأخذتُ منه جَبَّةً وكساءً، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق، أرضُ تَرْفَعُنِي، وأَرْضُ تَضَعُنِي، حتى وصلت إلى العراق. فعملت بها أياماً، فلم يصف لي منها - يعني: الحلال - ، فسألت بعض

= ٣٦٨/٧ - ٣٦٩.

والإسناد عند هكذا: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق السراج، قال: سمعت إبراهيم بن بشار - وهو خادم إبراهيم بن أدهم، يقول: قلت: يا أبا إسحاق... فليس عنده ذكر محمد بن إسحاق السراج، والله تعالى أعلم. والقصة عنده فيها بعض الزيادات.

(١) السراج: بفتح السين، وتشديد الراء، وبعد الألف جيم. هذه النسبة إلى عمل السروج، واشتهر بهذه الصنعة جماعة، منهم أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله السراج الثقفي، مولاهم، نيسابوري كان من أجداده من يعمل السروج، كان يحدث عصره بخراسان... مات في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، وله ست أو سبع وتسعون سنة. كذا في الباب ١١١/٢.

(٢) أبو إسحاق، كنية إبراهيم بن أدهم، كما تقدّم.

(٣) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، وهي أكبر مدن خراسان وأكثرها خيراً، فتحها الأحنف بن قيس التميمي زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، خرج منها عالم لا يحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء، أنظر الباب ١٧٢/١.

(٤) القُربوس - بفتح القاء والراء - حنو السُرج، أي: قسمه المعكوف المقوس المرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره.

(٥) أي: أيها الصوت أُنَبِّهتني ووقع كلامك مني موقع الإنباه والإيقاظ من الغفلة.

المشايع^(١)، فقال لي: إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام.

(١) تنبيه: يخطئ، كثير من المؤلفين والمحققين، فيقولون: مشايخ، بالهمز، وهو خطأ شائع، وصوابه: مشايخ، بالياء، لا غير لأن الياء، فيه من أصل الفعل، لا مزيدة كصحائف، كما هو مقرر، في موضعه من كتب الصرف والنحو.

وأستطرد هنا اضطراراً لدفع أنتشار هذا الغلط، فأوضح القاعدة في هذا الجمع وأمثاله، رجاء أن يثوب الغالطون فيه إلى الصواب، وأن يعدلوا عن همز، مالا يجوز همزه، فأقول: .

الإسم المفرد إذا جُمع على وزن (مفاعل) وكان الحرف الثالث فيه - أي: في المفرد - حرف مدّ - وهو الألف أو الواو أو الياء الساكنة، تسقه حركة من جنسه - ، ومزيداً على أصل مادته في الواحد: وجب إبداله همزة في الجمع نحو سحابة وسحائب، قلادة وقلائد، وعجوز وعجائز، وصحيفة وصحائف، ونصيحة ونصائح.

ودليل زيادة حرف المدّ في مفردات هذه الجسوع، أن مادتها في الفعل خالية من حرف المدّ الذي هو الألف أو الواو أو الياء. فهي: سَحَب، وقلد، وعجز، وصحف ونصح، فلما كان حرف المدّ فيها مزيداً، وجب إبداله همزة في الجمع كما تقدم.

وقد صاغ هذه القاعدة الإمام ابن مالك النحوي - رحمه الله تعالى - في (الألفية). في باب الإبدال، بقوله:

والممدُّ زِيدَ ثَالِثاً فِي الْوَاحِدِ هَمْزاً يُرَى فِي مِثْلِ كَالْقِلَائِدِ
أما إذا كان الحرف الثالث في المفرد غير حرف مدّ، فلا يُبدل في الجمع همزة، بل يبقى واو أو مثل: قسورة - وهو الأسد - وقساور.

وكذلك إذا كان الحرف الثالث في المفرد أصلياً من بنية الكلمة، ليس بزائد عليها، فلا يُبدل في الجمع همزة أيضاً، بل يبقى واو أو في مثل: مفازة، ومفاوز؛ وياء في مثل: مضيدة ومصايد، ومعيشة ومعاش، ومكيدة ومكايد، ومشيخة - بفتح الميم وبكسرهما، جمع شيخ - ومشايخ - وهو جمع الجمع - ، وأشباهاها، إلا فيما سُمع بخلاف هذا منها، فيُحفظ ولا يُقاس عليه، نحو: منارة ومنائر، ومصيبة ومصائب، إذ الأصل فيهما: مناور، ومصاوب، وقد سُمع النطق فيهما بهذا الأصل أيضاً.

فهذه الجموع: مفاوز، ومصايد، معاش، ومكايد، ومشايخ، ومعايب، وأمثالها: تنطق منها الواوئة في أصلها مثل: مفازة بالواو في جمعها، لأنها من: فاز يفوز، فالواو من بنية الكلمة، أصلية فيها، وتنطق منها اليائية في أصلها، مثل: مصايد، ومعاش ومكايد ومشايخ ومعايب، بالياء في جميعها، لأنها من: صاد يصيد، وعاش يعيش، وكاد يكيد، وشاخ ويشيخ، وعاب يعيب، فالياء فيها أصلية من بنية المفرد فيها.

وعلى هذا: لفظة: مكايد، ومشايخ، وأمثالهما لا تُهمز أبداً، لأنّ الياء في مفردها أصلية وليست بزائدة.

انتهى مستفاداً من شرح الأشموني على الألفية بحاشية الصَّبَّان ٢٨٨/٤، في باب الإبدال؛ وشرح ابن عقيل عليها أيضاً ٥٥٠/٢، ومعذرة في هذه الاستطرادة، فقد أوردتها تمكيناً للعارفين، وإرشاداً للمستبصرين.

نقلًا من كلام الشيخ الفاضل عبد الفتاح أبو غدة - حفظه الله تعالى - ، في تعليقه على كتاب الرفع والتكميل في الجرح والتعديل لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، ص ٤٦ - ٤٧، ببعض تصرف.

فَصِرْتُ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، فَسَرْتُ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: الْمَنْصُورَةُ وَهِيَ الْمَصِيصَةُ. فَعَمَلْتُ بِهَا أَيَّامًا فَلَمْ يَصِفْ لِي شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَايخِ. فَقَالُوا لِي: إِنْ أَرَدْتَ الْحَلَالَ الصَّافِي، فَعَلَيْكَ بِطَرَسُوسَ، فَإِنْ فِيهَا الْمَبَاحَاتُ وَالْعَمَلُ الْكَثِيرُ.

فَتَوَجَّهْتُ إِلَى طَرَسُوسَ، فَعَمَلْتُ بِهَا أَيَّامًا أَنْظَرَ الْبَسَاتِينَ وَأَحْصَدَ الْحَصَادَ.

فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ عَلَى بَابِ الْبَحْرِ، جَاءَنِي رَجُلٌ فَاسْتَرَانِي أَنْظُرَ لَهُ بَسْتَانَهُ. فَكُنْتُ فِي الْبَسْتَانِ أَيَّامًا كَثِيرَةً، فَإِذَا أَنَا بِخَادِمٍ قَدْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ. فَقَعَدْتُ فِي مَجْلِسِهِ، ثُمَّ صَاحَ: يَا نَاطُورُ، فَقُلْتُ: هُوَذَا أَنَا. فَقَالَ: اذْهَبْ فَأَتُنَا بِأَكْبَرَ رِمَانٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَأَطْيِيهِ. فَذَهَبْتُ فَأَتَيْتُهُ بِأَكْبَرَ رِمَانٍ، فَأَخَذَ الْخَادِمُ رِمَانَةً فَكَسَرَهَا، فَوَجَدَهَا حَامِضَةً. فَقَالَ: يَا نَاطُورُ، أَنْتَ فِي بَسْتَانِنَا مِنْذُ كَذَا وَكَذَا، تَأْكُلُ فَاكْهَتَنَا، وَتَأْكُلُ رِمَانَنَا، وَلَا تَعْرِفُ الْحُلُومَ مِنَ الْحَامِضِ؟.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَكَلْتُ مِنْ فَاكْهَتِكَ شَيْئًا، وَلَا أَعْرِفُ الْحُلُومَ مِنَ الْحَامِضِ، فَأَشَارَ الْخَادِمُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَا تَسْمَعُونَ كَلَامَ هَذَا؟! أَتَرَاكَ لَوْ أَنَّكَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ مَا زَادَ عَلَى هَذَا؟ فَانصَرَفَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ذَكَرَ صِفَتِي فِي الْمَسْجِدِ، فَعَرَفَنِي بَعْضُ النَّاسِ، فَجَاءَ الْخَادِمُ وَمَعَهُ عُتُقٌ^(١) مِنَ النَّاسِ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ أَقْبَلَ مَعَ النَّاسِ اخْتَفَيْتُ خَلْفَ الشَّجَرِ، وَالنَّاسُ دَاخِلُونَ، فَاخْتَلَطْتُ مَعَهُمْ وَهُمْ دَاخِلُونَ وَأَنَا خَارِجٌ هَارِبٌ.

فَهَذَا كَانَ أَوَائِلَ أَمْرِي وَخُرُوجِي مِنْ طَرَسُوسَ إِلَى بِلَادِ الرِّمَالِ.

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ النُّقُورِ، قَالَ: أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بِيَانٍ، أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بَشْرَانَ، أَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَجْرِيُّ^(٢)، ثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ يُونُسَ الشُّكْلِيُّ^(٣)، قَالَ: ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ زِيَادٍ الْمَقْرِيُّ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) أَي: جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، تَقُولُ: أَتَانِي عُتُقٌ مِنَ النَّاسِ وَجُمَّةٌ: لِلْجَمَاعَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَجَاوَزُوا رَسَلًا وَغُنْفًا وَغُنْفًا، أَي: جَمَاعَاتُ جَمَاعَاتٍ. أَنْظُرْ أَسَاسَ الْبَلَاغَةِ ص ٣١٥.

(٢) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَجْرِيُّ، الْبَغْدَادِيُّ، فَقِيهٌ، مُحَدِّثٌ، حَافِظُ أَخْبَارِي صَاحِبُ سَنَةِ وَاتِّبَاعٍ، حَدَّثَ بِبَغْدَادَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَكَّةَ، فَسَكَنَهَا حَتَّى تَوَفَّى بِهَا فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ (٣٦٠) هـ. وَلَهُ نَحْوُ ثَمَانِينَ سَنَةً - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -، لَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا الشَّرِيعَةُ، التَّهْجِدُ، تَحْرِيمُ النَّزْدِ - وَهُوَ مَا يَقْرُبُ الْيَوْمَ بِطَاوِلَةِ الزَّهْرِ - وَالشُّطْرُنْجُ وَالْمَلَاهِي، أَخْبَارُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، آدَابُ الْعُلَمَاءِ.

أَنْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: تَارِيخُ بَغْدَادَ ٢/٢٤٣، تَذْكِرَةُ الْحِفَافِ ٣/١٣٩، ٣/٢٤٣، تَذْكِرَةُ الْحِفَافِ ٣/١٣٩، ٩٣٦/٣ (طَبْعَةُ دَارِ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ)، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١١/٢٧٠، وَشَذَارَاتُ الذَّهَبِ ٣/٣٥، وَمَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ ٩/٢٤٣ - ٢٤٤.

وَالْأَجْرِيُّ: بِفَتْحِ الْأَلْفِ الْمَمْدُودَةِ، وَضَمِّ الْجِيمِ، وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى عَمَلِ الْأَجْرِ وَبَيْعِهِ، وَنُسِبَ إِلَى دَرَبِ الْأَجْرِ - أَيْضًا - . الدَّبَابُ ١/١٨.

(٣) الشُّكْلِيُّ: بِكَسْرِ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ، وَسُكُونِ الْكَافِ، وَفِي آخِرِهَا اللَّامُ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى شَيْكَلٍ، يَنْسَبُ =

الْفَرَجَ، قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ بِابْتِدَائِهِ كَيْفَ كَانَ^(١)، قال:

كَنتُ يَوْمًا فِي مَجْلِسٍ لِي، لَهُ مَنْظَرَةٌ إِلَى الطَّرِيقِ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ عَلَيْهِ أَطْمَارٌ^(٢). وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا، فَجَلَسْتُ فِي فَيْءِ الْقَصْرِ لِيَسْتَرِيحَ.

فَقُلْتُ لِلْخَادِمِ: أَخْرِجْ إِلَيَّ هَذَا الشَّيْخَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَسَلِّهِ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْنَا، فَقَدْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ قَلْبِي. فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَامَ مَعَهُ، فَدَخَلَ إِلَيَّ فَسَلَّمَ، فَردَدْتُ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَاسْتَبَشَرْتُ بِدُخُولِهِ وَأَجْلَسْتُهُ إِلَى جَنْبِي، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الطَّعَامَ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ. فَقُلْتُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ. فَقُلْتُ: أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: الْحَجَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ: وَكَانَ لَذَلِكَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْعَشْرِ^(٣) أَوِ الثَّانِي. فَقُلْتُ: فِي هَذَا الْوَقْتِ؟ فَقَالَ: بَلْ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ.

فَقُلْتُ: الصُّحْبَةُ؟ فَقَالَ: إِنْ أَحْبَبْتَ ذَلِكَ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ، قَالَ لِي: قُمْ: فَلَبِستُ مَا يَصْلَحُ لِلسَّفَرِ، وَأَخَذَ بِيَدِي.

وَخَرَجْنَا مِنْ «بَلْخ» فَمَرَرْنَا بِقَرْيَةٍ لَنَا. فَلَقِينِي رَجُلٌ مِنَ الْفَلَاحِينَ، فَأَوْصَيْتُهُ بِبَعْضِ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ. فَقَدِمَ إِلَيْنَا خَبَزًا وَبَيْضًا، وَسَأَلْنَا أَنْ نَأْكُلَ، فَأَكَلْنَا، وَجَاءَ بِمَاءٍ فَشَرَبْنَا. وَقَالَ لِي: بِسْمِ اللَّهِ قُمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَعَلْنَا نَسِيرُ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ تُجَذَّبُ مِنْ تَحْتِنَا كَأَنَّهَا الْمَوْجُ.

فَمَرَرْنَا بِمَدِينَةٍ بَعْدَ مَدِينَةٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: هَذِهِ مَدِينَةٌ كَذَا، هَذِهِ مَدِينَةٌ كَذَا، هَذِهِ «الْكُوفَةُ». ثُمَّ قَالَ: الْمَوْعِدُ هَاهُنَا فِي مَكَانِكَ هَذَا فِي الْوَقْتِ مِنَ اللَّيْلِ. حَتَّى إِذَا كَانَ الْوَقْتُ، إِذَا بِهِ قَدْ أَقْبَلَ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ. قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُ كَذَا، هَذَا مَنْزِلُ كَذَا، وَهَذِهِ «فَيْدُ»، وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ^(٤)، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ تُجَذَّبُ مِنْ تَحْتِنَا كَأَنَّهَا الْمَوْجُ.

= إِلَيْهِ. أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ يُوسُفَ الشُّكْلِيِّ، وَكَانَ وَرِعًا نَاسِكًا، رَزَى عَنْ سَرِيِّ السَّقَطِيِّ وَغَيْرِهِ، رَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ الْقَطِيعِيُّ وَأَبُو حَفْصٍ بْنُ شَاهِينَ وَغَيْرُهُمَا: الْبَابُ ٢٠٥/٢.

(١) قُلْتُ: فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أُمُورٌ لَا تُقْبَلُ، وَهِيَ وَإِنْ حَصَلَتْ مَعَهُ حَقِيقَةٌ، مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَذْكُرَهَا وَهُوَ عَلَى دَرَجَتِهِ مِنَ الزُّهْدِ وَالْعِلْمِ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ إِظْهَارَ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ قَدْ يَضِلُّ بَعْضُ النَّاسِ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، هَذَا طَبْعًا أَنْ صَحَّتْ هَذِهِ الرَّوَايَةُ عَنْهُ. وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ زِيَادٍ الْمَقْرِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَرَجِ لَمْ أَرْ مِنْ تَرْجَمٍ لِهَُمَا أَوْ ذَكَرَهُمَا فِي كُتُبِ الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى كَثَرَتِهَا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٢) جَمَعَ طَمَرًا، وَهُوَ الثَّوْبُ الْخَلِيقُ، أَيِ: الْبَالِي. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ ص ١٥٩.

(٣) أَيِ: مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ.

(٤) أَيِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَصَلَّى عَلَى سَاكِنِهَا خَيْرَ الْأَنَامِ، مُحَمَّدٌ - ﷺ - .

فصرنا إلى قبر رسول الله - ﷺ - ، فزرنَاهُ . ثم فارقني ، وقال : الموعد في الوقت من الليل في المصلّى . حتى إذا كان الوقت خرجتُ فإذا به في المصلّى . فأخذ بيدي ، ففعل كفعله في الأولى والثانية ، حتى أتينا مكّة في الليل . ففارقني . فقبضت عليه ، وقلت : الصُّحبة . فقال : إني أريد الشام . فقلت : أنا معك . فقال لي : إذا انقضى الحجّ فالموعد ها هنا عند زَمَزَمَ .

حتى إذا انقضى الحجّ إذا به عند زمزم . فأخذ بيدي ، فطفنا بالبيت ، ثم خرجنا من مكّة . ففعل كفعله الأوّل والثاني والثالث ، فإذا نحن ببيت المقدس . فلما دخل المسجد ، قال لي : عليك السلام ! أنا على المقام - إن شاء الله - ها هنا . ثم فارقني ، فما رأيته بعد ذلك ، ولا عرّفني اسمه .

قال إبراهيم : فرجعت إلى بلدي ، فجعلت أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى «بلخ» ، فكان ذلك أوّل أمري .

قال الشُّكليّ : حدثنا علي بن سعيد ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار^(١) ، قال : ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم ، فبينما نحن نسير برّيح طيّبة ، وكانت مراكب كثيرة ، فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطّعت ، وإبراهيم مُلتفتٌ في عباءة مستلقٍ . فجاء أهل المركب إليه ، فقالوا : يا هذا ! ما ترى ما نحن فيه ، وأنت مستلقٍ غير مكترثٍ ؟ فجلس وهو يقول : لا أفلح من لم يكن استعداداً لمثل هذا اليوم ، ثم حرّك شفتيه ، وإذا هاتف ينادي من اللُّجّة : تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم ؟ أيّها الرّيح والبحر الهائج ، اسكنا بإذن الله ؛ فسكن البحر ، وذهبت الرّيح ، حتّى صار البحر كأنه دفّ ، يعني ، لوح خشب .

٦٤ - [توبة شقيق البلخي]^(٢)

أخبرنا أبو الفتح بن عبد الباقي ، قال : ثنا أبو الفضل الحدّاد ، أنا أبو نعيم

(١) روى هذه القصة الحافظ أبو نعيم في الحلية ٥/٨ ، من طريق الشُّكلي ، إلّا إنه قال : عن خلف بن نعيم ، قال : كان إبراهيم بن أدهم في البحر فعصفت الرّيح . . . فذكر القصة بنحوها .

وذكر للقصة أسانيد أخرى عن إبراهيم بن أدهم من غير طريق الشُّكلي .

قلت : وهذا الاختلاف على الشُّكلي إما أن يكون سمعه من كلا الطريقتين ، فكان يحدث مرّة هكذا ومرّة هكذا ، أو يكون خلطَ ووهم ، وهو لم يكن بالحافظ ، بل كان من الزهاد ، والله تعالى أعلم .

(٢) هو شقيق بن إبراهيم البلخي ، أبو علي ، من كبار الزهاد ، من خراسان ، وكان من كبار المجاهدين ، استشهد في غزوة كولان ، ما وراء النهر ، سنة أربع وتسعين ومائة .

انظر ترجمته في الحلية ٥٨/٨ - ٧٣ ، وميزان الاعتدال ٢/٢٧٩ ، ولسان الميزان ٣/١٥١ - ١٥٢ .

الحافظ^(١)، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي، ثنا عباس بن أحمد الشاشي^(٢)، ثنا أبو عقيل الرصافي^(٣)، ثنا أحمد بن عبد الله الزاهد، قال: قال علي بن محمد بن شقيق: كان لجدي ثلثمائة قرية: ولم يكن له يوم مات كفن يُكفن فيه، قدّمه كله بين يديه، قال: وكان خرج إلى بلاد الترك لتجارة - وهو حَدَثٌ - إلى قوم يقال لهم: الخلوخية يعبدون الأصنام. فدخل إلى بيت أصنامهم، وعالمهم قد حلق رأسه ولحيته، ولبس ثياباً حمراً أرجوانية، فقال له شقيق: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالقٌ صانع ليس كمثله شيء، له الدنيا والآخرة، قادر على كل شيء، رازق كل شيء. فقال له الخادم: ليس يوافق قولك فعلك. فقال له شقيق: كيف ذلك؟ قال: زعمت أن لك خالقاً قادراً على كل شيء، وقد تعيّنت^(٤) إلى ها هنا لطلب الرزق، ولو كان كما تقول كان الذي يرزقك ها هنا يرزقك ثم، فترج العناء. قال شقيق: فكان سبب زهدي كلام التركي. فرجع فتصدّق بجميع ما ملك وطلب العلم.

٦٥ - [عبد الله بن مرزوق]^(٥)

وروى أبو سعيد، بإسناد له أن عبد الله بن مرزوق كان مع المهدي في دنيا

(١) في الحلية ٥٩/٨.

(٢) في حلية الأولياء ٥٩/٨: الشامي. والله تعالى أعلم.

والشاشي: بفتح الشين المعجمة، بعد الألف شين ثانية هذه النسبة إلى الشاش، وهي مدينة وراء نهر اسيحون، خرج منها جماعة من العلماء، الباب ١٧٤/٢.

(٣) الرصافي: بضم الراء، وفتح الصاد المهملة، وبعد الألف السكنة فاء، هذه النسبة إلى مدينة الرصافة، وهي مدينة بالشام كان هشام بن عبد الملك يكثر سكناها، فنسبت إليه..

وهي - أيضاً - نسبة إلى مدينة بالاندلس عند قرطبة، يقال لها، الرصافة..

وإلى محلة الرصافة ببغداد، وبها جامع المهدي...

وإلى الرصافة التي بواسط...

وإلى الرصافة، وهي مدينة صغيرة، بناحية البصرة...

أنظر الباب ٢٩/٢.

(٤) في الحلية ٥٩/٨: تعيّنت.

وتعّينت، أي: تحملت العناء، وهو التعب والنصب، أنظر مختار الصحاح ص ٥٢٩.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٣/٣٥٦: «عبد الله بن مرزوق، روى عنه أبو الحسين بن

المظفر، قال الخطيب - أي البغدادي - هو: عبد الباقي بن قانع، دلسه ابن المظفر، فسماه: عبد الله،

ونسبه إلى أحد أجداده» أ هـ.

واسعة. فشرب ذات يوم على لهو وسماع، فلم يصلَّ الظهر والعصر والمغرب، وفي كل ذلك تنبهه جارية حَظِيَّةٌ^(١) عنده.

فلما جاز وقت العشاء جاءت الجارية بجمرة فوضعتها على رجله، فانزعج، وقال: ما هذا؟ قالت: جمرة من نار الدنيا، فكيف تصنع بنار الآخرة؟ فبكى بكاءً شديداً، ثم قام إلى الصلاة.

ووقع في نفسه مما قالت الجارية، فلم ير شيئاً ينجيهِ إلا مفارقة ما هو فيه من ماله.

فأعتق جواريه، وتحلّل من معامليه، وتصدّق بما بقي، حتى صار يبيع البَقْل، وتبعته على ذلك الجارية.

فدخل عليه سفيان بن عيينة^(٢)، وفُضِّل بن عياض^(٣)، فوجدا تحت رأسه لَبَنَةً وليس تحته شيء. فقال له سفيان: إنه لم يدع أحد لله شيئاً إلا عوّضه الله منه بدلاً، فما عوّضك مما تركت له؟ قال: الرُّضَى بما أنا فيه.

٦٦ - [جعفر بن حَرْب]^(٤)

وذكر أبو القاسم التَّنُوخِي^(٥)، عن أبيه، أنَّ جعفر بن حَرْب كان يتقلّد كبار الأعمال

= وعبد الباقي بن قانع، هو أبو الحسين الحافظ، قال الدارقطني: كان يحفظ ولكنه يخطئ، ويصيب، وقال البرقاني: هو عندي ضَعِيف، ورأيت البغداديين يوثقونه، وقال أبو الحسن بن الفرات: حَدَّث به اختلاط قبل موته بستين.

وقال الخطيب البغدادي: لأدري لماذا ضَعَفَ البرقاني، فقد كان ابن قانع من أهل العلم والدراية، ورأيت عامة شيوخنا يوثقونه، وقد تَغَيَّر في آخر عمره، مات سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

وهذا هو الراجح، كذا في لسان الميزان ٣/٣٨٣ - ٣٨٤.

(١) أي: ذات مكانة وجاه عنده، أنظر مختار الصحاح ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

(٢) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد، الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، وله إحدى وتسعون سنة التقريب ١/٣١٢.

(٣) هو فضيل بن عياض بن مسعود التيمي، أبو علي، الزاهد المشهور، أصله من خراسان، وسكن مكة، ثقة عابد إمام، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل قبلها، التقريب ٢/١١٣.

(٤) هو جعفر بن حَرْب الهمداني، البغدادي، من كبار المعتزلة في بغداد، درس الكلام بالبصرة على أبي الهذيل العلاف، وكان زاهداً، وله اختصاص بالوائق العباسي، وصنّف كتاباً معروفة عند المتكلمين، منها: الإيضاح، والمسترشد، والأصول الخمسة التي بُني عليها الإسلام، توفي سنة ست وثلاثين ومائتين، وهو ابن تسع وخمسين سنة.

=

للسلطان. وكانت نعمته تُقارب نعمة الوزارة في غاية الوُفُور، ومترلته بحالها في الجلالة. فسمع رجلاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١). فصاح: اللَّهُمَّ بلى، فكررها دَفْعَات، ويكى.

ثم نزل عن دابته، ونزع ثيابه، ودخل إلى دجلة^(٢) واستتر بالماء، ولم يخرج منه

= أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٦٢/٧ - ١٦٣، وميزان الاعتدال ٤٠٥/١، ولسان الميزان ١١٣/٢، ومعجم المؤلفين ١٣٦/٣.

(٥) قال في اللباب ٢٢٥/١: «التنوخي: بفتح التاء ثالث الحروف، وضَمَّ النون المخففة، وفي آخرها الخاء المعجمة،

هذه النسبة إلى تنوخ، وهو اسمُ لَعْدَةٍ قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين، وتحالفوا على التناصر، فأقاموا هناك، فسَمُوا تنوخاً، والتنوخ: الإقامة.

منهم: . . . وأبو القاسم - «الراوي عند المصنف - علي بن محمد بن أبي الفهم - واسم أبي الفهم داود - ابن إبراهيم بن تميم التنوخي، ولد بأنطاكية في ذي الحجة، سنة ثمان وسبعين ومائتين، وقديم بغداد وتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث من الحسن بن أحمد بن فيل الأنطاكي وغيره، وكان معتزلياً، وتوفي بالبصرة شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة» أ.هـ.

وأنظر ترجمته أيضاً - في: تاريخ بغداد ٧٧/١٢ - ٧٩، ولسان الميزان ٢٥٦/٤ - ٢٥٧، وشذرات الذهب ٣٦٢/٢ - ٣٦٤، ومعجم المؤلفين ١٩٦/٧.

(١) سورة الحديد، آية رقم ١٦/، وتامها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

روى الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب التفسير، باب (١) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، حديث رقم (٣٠٢٧) ٢٣١٩/٤، عن ابن مسعود أنه قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا أربع سنين.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣١٠/٤: «يقول الله تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي تلين عند الذكر، والموعظة، وسماع القرآن فتفهمه، وتنفاد له، وتسمع له وتطيعه. . .».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بذلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء، المختلفة، والأقوال المؤتلفة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا آجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعيد ولا وعيد ﴿وَكَثُرَ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة، كما قال تعالى: ﴿فَيَسَاءَ نَقِضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهَا وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، أي: فسدت قلوبهم فقست، وصار من سجيئتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية» أ.هـ.

(٢) هو نهر ببغداد معروف.

حتى فرّق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه، وردّها، وتصدّق بالباقي .
فاجتاز رجل فرآه في الماء قائماً - وسمع بخبره - فوهب له قميصاً ومثزراً، فاستتر
بهما وخرج . وانقطع إلى العِلْم والعبادة حتى مات .

٦٧ - [توبة هارون الرشيد]^(١)

أخبرنا محمّد، ثنا حمد، قال: أنبأ أحمد، ثنا^(٢) سليمان بن أحمد، قال: أنبأ
سليمان بن أحمد، قال: أنبأ محمّد بن زكريا الغلابي^(٣)، ثنا أبو عمر الجرمي النُحوي^(٤)،

(١) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية
في العراق، وأشهرهم، ولد بالرّي، ونشأ في دار الخلافة ببغداد، بُويع بالخلافة بعد وفاة أخيه
الهادي سنة (١٧٠) هـ . فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه، وكان عالماً، يحب الفقه
والفقهاء، ويميل إلى العلماء، ويحب الشعر والشعراء، ويُعظّم في صدره الأدب والأدباء، وكان يكره
المراء في الدين والجدال، وكان فصيحاً، شجاعاً، كثير الغزوات، له وقائع كثيرة مع الروم، توفي
سنة (١٩٣) هـ . وكانت خلافته (٢٣) سنة .

أنظر تاريخ بغداد ٥/١٤ - ١٣ .

(٢) في المطبوعة: أنبأ أحمد بن سليمان بن أحمد، وهو خطأ وأحمد هو: ابن عبدالله أبو نعيم
الأسبهاني، والقصة ذكرها في الحلية ٨/١٠٥ - ١٠٨ .

(٣) هو محمد بن زكريا بن دينار الغلابي، البصري . الأخباري، أبو جعفر، قال في ميزان الإعتدال
٣/٥٥٠: «وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال: يُعتبر بحديثه إذا روى عن
ثقة .

وقال: ابن منده: تُكَلِّم فيه .

وقال الدارقطني: يضع الحديث .

ثم ساق له حديثين منكرين» أ هـ .

وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٥/١٦٨ - ١٦٩: «وبقيّة كلام ابن حبان، قال: في روايته
عن المجاهيل بعض المناكير .

وقال الحاكم في تاريخه: حدثنا الحسن بن محمد، ثنا محمد بن زكريا، ثنا . . . فذكر حديثاً ثم قال:
رواته ثقات إلا محمد بن زكريا، وهو الغلابي المذكور، فهو آفته .

قال أبو عبدالله بن منده: حدّث الغلابي عن أبي زيد الأنصاري، صاحب أخبار تُكَلِّم فيه .

توفي بالبصرة بعد سنة ثمانين ومائتين» أ هـ .

والغلابي: بفتح الغين، وبعدها لام ألف مخففة، ثم باء موحدة، هذه النسبة إلى غَلَاب، وهو اسم
لبعض أجداد المنتسب إليه، وهو أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابي، اللباب ٢/٣٩٥

(٤) هو صالح بن إسحاق، الجرمي، نحوي، لغوي، فقيه أخباري، عروضي، له أحاديث، قدم بغداد
وأخذ النحو عن الأخفش، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة الأصمعي وغيرهما، وكان ممن اجتمع له مع
العلم صحة المذهب وحسن الإعتقاد، توفي سنة خمس وعشرين ومائتين، من مصنفاته: الكتاب
المختصر في النحو، الثنية والجمع، كتاب العروض، وكتاب الأبنية .

ثنا الفضل بن الربيع^(١)، قال :

حجَّ أمير المؤمنين هارون الرشيد. فبينما أنا نائم بمكة إذ سمعت قرع الباب، فقلت : من هذا؟ قال : أجب أمير المؤمنين. فخرجت مُسرِعاً، فقلت : يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليَّ لأتيتُك. فقال : وَيَحْك، قد خطر في نفسي شيء، فانظر لي رجلاً أسأله. فقلت : ها هنا سفيان بن عُيَيْنَةَ^(٢). فقال : امض بنا إليه. فأتيناه، ففرعت الباب، فقال : من ذا؟ قلت : أجب أمير المؤمنين؛ فخرج مسرعاً، فقال : يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليَّ لأتيتُك. فقال له : خذ لما جئناك له - رحمك الله - ، فحدثه ساعة، ثم قال^(٣) له : عليك دين؟ قال : نعم. قال : اقضِ دينه^(٤).

فلما خرجنا، قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله. فقلت : ها هنا عبد الرزاق بن همام^(٥). فقال : امض بنا إليه. فأتيناه، ففرعت عليه الباب، فقال : من هذا؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين! فخرج مسرعاً، فقال : يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليَّ لأتيتُك. قال : خذ لما جئناك له - رحمك الله - ، فحدثه ساعة، ثم قال : أعليك دين؟ قال : نعم. قال : يا عباسي! اقضِ دينه.

= أنظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٣١٣/٩ - ٣١٥ ، البداية والنهاية ٢٩٣/١٠ ، شذرات الذهب ٥٧/٢ ، اللباب ٢٧٤/١ ، ومعجم المؤلفين ٣/٥ .
والجرمي : بفتح الجيم، وسكون الراء، وفي آخرها الميم، هذه النسبة إلى حرم، وهي قبيلة، اللباب ٢٧٣/١ .

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، واسم أبي فروة كيسان، وكنيته الفضل : أبو العباس، وكان حاجب هارون الرشيد، ومحمد الأمين، وكان أبوه حاجب المنصور والمهدي، ولما أفضت الخلافة إلى الأمين، قديم الفضل عليه من خراسان - وكان في صحبة الرشيد إلى أن مات بطوس - ، فأكرم الأمين الفضل، وألقى أزمة الأمور إليه، وعول في مهماته عليه، وقد أسند الحديث عن المنصور والمهدي أمير المؤمنين، توفي سنة سبع ومائتين، وقيل في سنة ثمان ومائتين، ويقال : أن مولده كان في سنة أربعين ومائة، وقيل : في سنة ثمان وثلاثين ومائة، تاريخ بغداد ٣٤٣/١٢ - ٣٤٤ .
وهذا إسناد ضعيف عن الفضل بن الربيع، فيه : محمد بن زكريا الغلابي، وهو ضعيف، كما تقدم، لكن يبدو أن للقصة إسناداً آخر، يظهر ذلك من قوله آخر القصة، وقال غير أبي عمر - أي : الجرمي - : فبينما نحن كذلك... ، فيظهر هنا أن هناك من روى القصة غيره، فزاد عليه، والله تعالى أعلم.

(٢) هو الإمام المعروف - رحمة الله تعالى - ، وقد تقدمت ترجمته في القصة قبل السابقة .

(٣) أي : أمير المؤمنين هارون الرشيد .

(٤) الخطاب هنا للفضل بن الربيع .

(٥) هو الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني، صاحب المصنف، تقدمت ترجمة ضافية له .

ثم انصرفنا، فقال لي: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله. قلت: ها هنا الفضيل بن عياض^(١). فقال: امض بنا إليه. فأتيناه وإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها. قال: اقرع الباب؛ فقرعته. فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين. فقال: مالي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله! أما عليك طاعته؟ فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت.

فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف هارون قبلي إليه. فقال^(٢): يا لها من كف ما أنعمها وأئنيها إن نجت غداً من عذاب الله. فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب نقي. فقال له: خذ لما جئناك له - رحمك الله - .

فقال^(٣): إن عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله^(٤)، ومحمد بن كعب القرظي^(٥)، ورجاء بن حيوة^(٦)، فقال لهم: قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا عليّ. فعُدّ الخلافة بلاءً، وعُدّتها أنت وأصحابك نعمة؟! .

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فضم عن الدنيا وليكن إيطارك منها الموت.

وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين

(١) هو الإمام المعروف بالزهد والورع - رحمه الله تعالى - ، وقد تقدمت ترجمة له في القصة قبل السابقة

(٢) أي: الفضيل: . وذكر الخطيب في تاريخه ٨/١٤ بإسناده عن عبيد الله بن عمر القواريري، قال: لما نفي هارون الرشيد فضيل بن عياض، قال له الفضيل: يا حسن الوجه أنت المسؤول عن هذه الأمة.

(٣) أي: الفضيل بن عياض.

(٤) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عمر، أو أبو عبد الله، المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثناً عابداً فاضلاً، كان يُشبه بأبيه في الهدى والسمت، من كبار التابعين، مات في آخر سنة ست ومائة على الصحيح. التقريب ٢٨٠/١.

(٥) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي، المدني، وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة عالم، من التابعين، وُلد سنة أربعين على الصحيح، ووهب من قال ولد في عهد النبي - ﷺ - فقد قال البخاري: إِنْ كَانَ مِنْ لَمْ يَثْبُتْ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، مات محمد سنة عشرين ومائة، وقيل قبل ذلك التقريب ٢٠٣/٢.

والقرظي - يضم الحاف، وفتح الراء، وفي آخرها ظاء معجمة. هذه النسبة إلى قريظة، وهو اسم رجل نزل أولاده حصناً بقرب المدينة، اللباب ٢٦/٣.

(٦) هو رجاء بن حيوة - بفتح المهملة، وسكون التحتانية، وفتح الواو - ، الكندي، أبو المقدام، ويقال: أبو نصر، الفلسطيني، ثقة فقيه، من التابعين، مات سنة اثنتي عشرة ومائة، التقريب ٢٤٨/١.

عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوَقَّرَ أباك، وأكرم أخاك، وتحنَّ على ولدك.

وقال له رجاء بن خَيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحبَّ للمسلمين ما تحب لنفسك، واکره لهم ما تكره لنفسك، ثم مُتْ إذا شئت. وإني لأقولُ لك هذا، وإني لأخاف عليك أشدَّ الخوف في يوم تزلُّ فيه الأقدام، فهل معك -رحمك الله- مثل هؤلاء من يشير عليك أو يأمرك بمثل هذا؟
فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غُشي عليه.

فقلت له: أرفق بأمير المؤمنين. قال: يا ابن أمِّ الرِّبيع، تقتله أنت وأصحابك وأزفُّ به أنا؟

ثم أفاق، فقال: زدني رحمك الله.

فقال: بلغني يا أمير المؤمنين، أنَّ عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه. قال: فكتب إليه عمر: يا أخي، اذكرْ طول سهر أهل النَّار في النَّار مع خلود الأبد، فإن ذلك يطرد بك إلى باب الرَّبِّ نائماً ويقظان، وإياك أن يُنصَرَف بك من عند الله إلى النار، فيكون آخر العهد، ومُنقَطع الرجاء.

قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر. فقال له: ما أقدمك؟ قال: خَلَعْتُ قلبي بكتابك، لا وليتُ لك ولاية حتى ألقى الله.

فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال له: زدني -رحمك الله-.

فقال: يا أمير المؤمنين! إن العباس، عمَّ انمصطفى -ﷺ-، جاء إلى النَّبيِّ -ﷺ-، فقال له: أُمِّرني. فقال له النبي -ﷺ-، «يا عباس، يا عم النبي، نفس تنجيها خيرٌ من إمارة لا تحصيها، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تتأمرنَّ على أحد فافعل»^(١).

(١) لم أجد هذا الحديث بتمامه هكذا، ولعله منقُوع من ثلاثة أحاديث.

فأما جزؤه الأول: يا عباس، يا عمَّ النبي، نفس تنجيها خيرٌ من إمارة لا تحصيها، فقد عزاه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء لابن أبي الدنيا هكذا معضلاً بغير إسناد، ورواه البيهقي [٩٦/١٠] من حديث جابر متصلاً، ومن رواية اس المنكدر مرسلأ، وقال: هو المحفوظ مرسلأ، وقد روى أحمد في المسند من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: جاء حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- إلى رسول الله -ﷺ- فقال: يا رسول الله، اجعلني على شيء أعيش به، فقال رسول الله -ﷺ-: يا حمزة، نفس تحييها أحب إليك أم نفس تميتها؟ قال: نفس أحييها، قال: عليك نفسك. رواه أحمد ورواته ثقات إلا ابن لهيعة أ. هـ. نقلًا عن هامش المطبوعة.

قال: فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال له: زدني -رحمك الله- .

قال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك، فإن النبي -ﷺ- قال: «من أصبح لهم غاشاً لم يرَ رائحة الجنة»^(١).

قلت: ولعل تسمية عم النبي -ﷺ- حمزة، هو خطأ من ابن لهيعة، فحمزة -رضي الله عنه- استشهد في معركة أحد، ولم يكن حينها للنبي -ﷺ- شيء، حتى يسأله حمزة إياها، والله تعالى أعلم. ورواه -أيضاً- أبو نعيم في الحلية ١٣٨/٦، عن الأوزاعي، عن النبي -ﷺ-، وهو ظاهر الإنقطاع، ومن الملفت للنظر أن الأوزاعي ذكر هذا الحديث لهارون الرشيد، كما هنا -ذكره ضمن قصة طويلة في وعظه له-.

فيرتقي هذا الجزء من الحديث بهذه الطرق إلى درجة الحسن لغيره، والله تعالى أعلم. وأما الجزء الثاني منه: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام، باب (٧) ما يُكره من الحرص على الإمارة، حديث رقم (٧١٤٨) ١٣/١٢٥، عن أبي هريرة، عن النبي -ﷺ- قال: إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرخصة، وبشت العاطمة.

ورواه النسائي في كتاب البيعة، باب (٣٩)، وفي كتاب القضاة، باب (٥) وأحمد في المسند ٤٤٨/٢ - ٤٧٦.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/١٢٥: «قوله: وستكون ندامة يوم القيامة، أي: لمن لم يعمل فيها بما ينبغي، وزاد في رواية شباية: وحسرة» أ هـ.

وفي طلب الإمارة وغيرها من المناصب اختلاف، وقد بينته في كتاب الأحكام السلطانية للماوردي، الذي قد طبع بتحقيقي فانظره.

وأما الفقرة الأخيرة من الحديث: فإن استطعت أن لا تأمرن على أحد فافعل، فقد روى مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب (٤) كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم (١٨٢٦) ٣/١٤٥٧ - ١٤٥٨، عن أبي ذر، أن رسول الله -ﷺ- قال: يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك، ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين، ولا تؤكّن مال يتيم.

ورواه -أيضاً- أبو داود في سننه، في كتاب الوصايا، باب (٤) بنحوه.

(١) رواه عن معقل بن يسار -رضي الله عنه- بلفظ: ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة:

البخاري في كتاب الأحكام، باب (٨) من استرعى رعية فلم ينصح، حديث رقم (٧١٥١) ١٣/١٢٧. واللفظ له.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٦٣) استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، حديث رقم (١٤٢)، حديث الكتاب رقم (٢٢٧ - ٢٢٨) ١/١٢٥، وأوله: ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش..

وفي كتاب الإمارة، باب (٥) فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، الهـي عن إدخال المشقة عليهم، حديث الكتاب رقم (٢١) ٣/١٤٦٠. نحو اللفظ السابق.

فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم، دينٌ لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حاجتي.
قال: فقال: إنما أعني من دين العباد.

قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إن ربي أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(١).

فقال له: هذه ألف دينار، خذها فأنفقها وتقو بها على عبادة ربك. فقال: يا سبحان الله: أنا أدلك على النجاة وأنت تكافيني بمثل هذا؟ سلمك الله ووفقك؛ ثم صمت، فلم يكلمنا.

فخرجنا من عنده، فلما أن صرنا على الباب، قال لي هارون: يا عباسي! إذا دللتني على رجل فدلّني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين اليوم.

قال غير أبي عمر^(٢): فبينما نحن كذلك إذ دخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا، قد ترى سوء ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال تفرّجنا به؟ قال: مثلي ومثلكم كمثّل قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه.

= والدارمي في كتاب الرقائق، باب (٧٧) في العذل بين الرعية، حديث رقم (٢٧٩٦) ٤١٧/٢ بتحقيقي، نحولفظ مسلم.

وأحمد في المسند ٢٥/٥.

والبيهقي في سننه الكبرى ٤١/٩.

- ورواه عنه - أي؛ عن معقل - أيضاً - بلفظ: ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد راحة الجنة:

البخاري في كتاب الأحكام، باب (٨) من استرعي رعية فلم ينصح، حديث رقم (٧١٥٠) ١٣/١٢٦ - ١٢٧، واللفظ له.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٦٣) استحقاق الوالي، الغاش لرعيته النار، حديث رقم (١٤٢)، حديث الكتاب رقم (٢٢٩) ١/١٢٦، ولفظه: ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم، وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة.

وفي كتاب الإمارة، باب (٥) فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر...، حديث الكتاب رقم (٢٢) ٣/١٤٦٠ - ١٤٦١، مثل اللفظ السابق.

وأحمد في المسند ٢٧/٥.

والبيهقي في سننه الكبرى ٤١/٩.

(١) سورة الذاريات، الآيات ٥٦ - ٥٨.

(٢) هو الجرّمي، راوي القصة عن الفضل بن الربيع، كما تقدم في سند هذه القصة.

فلما سمع هارون الكلام، قال: نرجع فعسى أن يقبل المال؛ قال: فدخل. فلما علم فضيل، خرج فجلس على تراب في السطح على باب الغرفة، وجاء هارون فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه فلم يجبه.

فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد أذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف - رحمك الله -، قال: فانصرفنا.

٦٨ - [توبة ابن هارون الرشيد]

قرأت على الشيخ الصالح أبي المكارم المبارك بن محمد بن المعمر الباذرائي^(١)، أخبركم أبو غالب بن أحمد الباقلائي، وقُرئ على أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال الدقاق وأنا أسمع، أخبركم أبو طاهر عبد الملك بن أحمد السُّيُوري^(٢)، قالاً: أنبأ أبو القاسم بن بشران، أنبأ أبو بكر الأجرّي، قال: سمعت أبا بكر بن أبي الطيّب، يقول: بلغنا عن عبد الله بن الفرّج العابد^(٣)، قال:

احتجت إلى صانع يصنع لي شيئاً من أمر الروزجاريين^(٤)، فأتيت السوق، فإذا بأواخرهم شاب مصفرّ، بين يديه زنبيل^(٥) كبير ومرّ^(٦)، وعليه جبة صوف ومئزر صوف، فقلت له: تعمل؟ قال: نعم. قلت: بكم؟ قال: بدرهم ودانق^(٧).

فقلت له: قم حتى تعمل. قال: على شريطة. قلت: ما هي؟ قال: إذا كان وقت الظهر فأذن المؤذن خرجت فتطهرت وصليت في المسجد جماعة ثم رجعت، فإذا كان وقت العصر فكذلك. فقلت: نعم.

فقام معي، فجننا المنزل، فوافقتني على ما ينقله من موضع إلى موضع. فشذّ وسطه

(١) الباذرائي: بفتح الباء الموحدة، والذال المهملة بعد الألف، وبعدها راء، هذه النسبة إلى باذرايا، وهي قرية أظنها من أعمال واسط، اللباب ١٠٤/١.

(٢) السُّيُوري: بضم السين المهملة والياء آخر الحروف، وبعد الواو راء. هذه النسبة إلى عمل السُّور، وهو أن يقطع الجلد سُوراً دِقاقاً ويخز بها السروج، اللباب ١٧٠/٢.

(٣) هو عبدالله بن الفرّج، أبو محمد القنطري، كان أحد العباد، وكان بشر بن الحارث يودّه ويزوره، حكى عن فتح الموصلي وغيره حكايات، روى عنه محمد بن الحسين، البرجلاني، وأحمد بن محمد التاحي، وعلي بن الموفق وغيرهم، تاريخ بغداد ٤١/١٠ - ٤٢. وهذا إسناد فيه انقطاع، وهو ظاهر من قوله: بلغنا عن عبدالله.

(٤) هم: العمّال الذين يقومون بأعمال مختلفة بأجر يومي.

(٥) هو وعاء معروف، أنظر أساس البلاغة ص ١٨٨، ومختار الصحاح ص ٣٦٣.

(٦) قال في مختار الصحاح ص ١٨١: «المَرّة: واحدة المَرّ والمرار والمَرَمَر: الرخام» أ.هـ.

(٧) الدانق: - بفتح النون وكسرها - سدس الدرهم. مختار الصحاح ص ٣١٦.

وجعل يعمل، ولا يكلمني بشيء حتى أذن المؤذن الظهر. فقال: يا عبد الله! قد أذن المؤذن. قلت: شأنك. فخرج فصلّى، فلما رجع عمل أيضاً عملاً جيداً إلى العصر. فلما أذن المؤذن، قال لي: يا عبد الله! قد أذن المؤذن. قلت: شأنك. فخرج فصلّى العصر، ثم رجع. فلم يزل يعمل إلى آخر النهار، فوزنت له أجرته وانصرف.

فلما كان بعد أيام احتجنا إلى عمل. فقالت لي زوجتي: اطلب لنا ذاك الصانع الشاب، فإنه قد نصحنا في عملنا. فجئت السوق، فلم أراه. فسألت عنه، فقالوا: تسأل عن ذاك المصفر المشؤوم الذي لا نراه إلا من سبت إلى سبت، لا يجلس إلا وحده في آخر الناس؟ قال: فانصرفت.

فلما كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته. فقلت: تعمل؟ فقال: قد عرفت الأجرة والشرط. قلت: أستخير الله تعالى.

فقام فعمل على النحو الذي كان يعمل.

قال: فلما وزنت له الأجرة زدته، فأبى أن يأخذ الزيادة. فألححت عليه، فضجر وتركني ومضى. فغمّني ذلك، فأتبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط.

فلما كان بعد مدة احتجنا أيضاً إليه. فمضيت في يوم السبت فلم أصادفه. فسألت فليل لي: هو عليل. وقال لي من يُخبر أمره: إنما كان يجيء إلى السوق من سبت إلى سبت يعمل بدرهم ودانق، ويتقوّت كل يوم بدانق، وقد مرض.

فسألت عن منزله، فأتيته وهو في بيت عجوز. فقلت لها: هنا الشاب الروزجاري؟ فقالت: هو عليل منذ أيام. فدخلت عليه، فوجدته لما به، وتحت رأسه لينة. فسلمت عليه، وقلت: لك حاجة؟ قال: نعم إن قبلت، قلت: أقبل إن شاء الله.

قال: إذا مت فبع هذا المر، واغسل جبتي هذه الصوف، وهذا المثرز، وكفّني بهما، وافتح جيب الجبة فإن فيها خاتماً، وانظر يوم يركب هارون الرشيد، فقف له في موضع يراك، فكلّمه وأره الخاتم؛ فإنه سيدعوك، فسلم إليه الخاتم، ولا يكون هذا إلا بعد دفني. قلت: نعم.

فلما مات فعلت به ما أمرني. ثم نظرت اليوم الذي يركب فيه الرشيد، فجلست له على الطريق. فلما مر، ناديته: يا أمير المؤمنين! لك عندي وديعة. ولوّحت بالخاتم؛ فأمر بي، فأخذت وحملت حتى أدخلت إلى داره. ثم دعاني، ونحى جميع من عنده، وقال: من أنت؟ قلت: عبد الله بن الفرج. فقال: هذا الخاتم من أين لك؟ فحدثته قصة

الشاب. فجعل يبكي، حتى رَجِمَتْهُ.

فلما أنس إليّ، قلت: يا أمير المؤمنين! من هو منك؟ قال: إني.

قلت: كيف صار إلى هذه الحال؟

قال: وُلِدَ لي قبل أن أُبتَلَى بالخلافة، فنشأ نشوءاً حسناً، وتعلّم القرآن والعِلْمَ. فلما وليت الخلافة تركني، ولم يَنْلُ من دنياي شيئاً. فدفعْتُ إلى أمه هذا الخاتم - وهو باقوت يسوى مالاً كثيراً - فدَفَعْتُهُ إليها، وقلت: تدفعين هذا إليه - وكان برآ بأمه - وتسألينه أن يكون معه، فلعله أن يحتاج إليه يوماً من الأيام فينتفع به. وتُوَفِّيتُ أمه؛ فما عرفت له خبراً إلا ما أخبرني به أنت.

ثم قال: إذا كان الليل أخرج معي إلى قبره. فلما كان الليل خرَجَ وحده معي يمشي حتى أتينا قبره، فجلس إليه، فبَكَى بكاءً شديداً. فلما طلع الفجر قمنا فرجع.

ثم قال: تعاهدني في الأيام حتى أزور قبره، فكنت أتعاهده في الليل، فنخرج حتى نزوره، ثم نرجع.

قال عبد الله بن الفرَج: ولم أعلم أنه ابن الرّشيد حتى أخبرني الرّشيد أنه ابنه. أو كما قال ابن أبي الطيّب^(١).

٦٩ - [توبة عليّ بن المأمون، والمأمون]^(٢)

وذكر إبراهيم بن الجُنَيد^(٣) في كتاب «زهد الملوك»، بإسناده عن صالح بن

(١) هو أبو بكر بن أبي الطيب الذي روى القصة.

(٢) المأمون هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس، ولد سنة (١٧٠) هـ. سابع الخلفاء، من بني العباس في العراق. وأحد أعظم الأمراء في سيرته وعلمه وسعة ملكه، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة (١٩٨) هـ. فتَمَّ ما بدأ به جدّه المنصور، وقرب العلماء، والمحدثين، والفقهاء، والمتكلمين، وأهل اللغة والأخبار، أخباره كثيرة، توفي في ذنون سنة (٢١٨) هـ. ودفن في طرسوس، نقلاً عن هامش المطبوعة بتصرف.

(٣) هو إبراهيم بن عبد الله بن الجُنَيد الختلي، نزيل سامراء، أبو إسحاق، الحافظ العالم، سمع سعيد بن أبي مريم، وأبا نعيم، وأبا الوليد وغيرهم، وسأل يحيى بن معين عن الرجال، وصنف. وجمع، حدّث عنه أبو العباس بن مسروق، وأبو بكر الخرائطي وآخرون، وثقه الخطيب، وقال: له كتب في الزهد والرفائق.

قلت - أي: الإمام الذهبي - : لم أظفر له بوفاة، وكأنها في حدود الستين ومائتين، تذكرة الحفّاظ

عبد العزيز، قال: أخبرني عمي عبد الحميد بن محمد:

أَنَّ المأمون كان يَجِدُ بابه عليَّ وَجَدًا شديدًا، ويقدمه على جميع أولاده. وكان من أحسن الناس، وأجملهم، مع أدب وفصاحة.

قال عبد الحميد: وكنت إذا دخلت الدار أميل إليه فأسلم عليه؛ فأرى معه حياة وبشاشة، ولا أرى فيه كبراً ولا عزاً، يضاحك خدمه، ويلطف جلساءه؛ ثم أسخى من رأت عيناى، وأحسنه خلقاً، وأطيبه نفساً. وكنت إذا رأيته لا أكاد أصرف وجهي عنه من حسنه وجماله.

وكان سبب تزوجه فيما أخبرني به شاكر مولاه، قال: كان في يوم صائف شديد الحرِّ له سموم في قبة الجيش؛ فأتاه يمينُ الخادم، فقال: يا سيدي! أمير المؤمنين يدعوك، قد دعا بطعامه وهو ينتظرك. قال: ويحك! الحرَّ شديد ويؤذني، وأكره الخروج، فأرجع فأعلمه أنك وجدتني نائماً. فمضى، فلم يكن بأسرع من أن رجع، فقال: قد قال: أدخل عليه ونبهه - وكان لا يصبر عنه ساعة -، فقام وهو كاره، فحضر الطعام.

ثم قعد أمير المؤمنين للشراب مع ندمائه، فقام عليٌّ وخرج من المجلس؛ وكان لا يشرب شيئاً من الأنبة. فانصرف إلى قصره، وأمر أن يُقرش له في بعض مستشفه على دجلة، وألقى فيه الماء والثلج والخلاف^(١)، وقعد على سرير عليه غلالة^(٢) ينظر إلى الناس، وإلى دجلة. ودعا بقيّانه^(٣) وندمائه.

فبينا هو كذلك، إذ نظر إلى حمّال قد أقبل عند الزوال، عليه درّاعة صوف بيضاء بالية، بلا قميص تحتها، ولا سراويل عليه؛ وقد شدَّ على رجليه خرقاً من الحرِّ، ولبس نعلين متخريقين، وعلى رأسه خرقه، وعلى عنقه كرز^(٤) وطبقه، فأتى دجلة وقعد في بعض السفن، - والأمير ينظر إليه مستشف عليه لا يصرف بصره عنه - فوضع طبقه وكرزته، وخلع نعليه، وألقى الخرق عن رجليه، ودنا من دجلة وغسل يديه ورجليه؛ وانصرف إلى موضعه فأخرج جراباً له، ففتحه، وأخرج منه كسراً يابسة مختلفة الألوان،

(١) أي: العطور. أنظر أساس البلاغة ص ١١٩.

(٢) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب للبدن خاصة، كذا في أساس البلاغة ص ٣٢٧، ومختار الصحاح ص ٣٧٧، والمقصود هنا: إن السرير عليه شعار رقيق ناعم، كالذي يلبسه الإنسان تحت الثوب، والله أعلم.

(٣) القيان: العبيد والإماء، أنظروا أساس البلاغة ص ٣٨٤.

(٤) قال الأستاذ عبد القادر أرناؤوط هامش المطبوعة: لعلها: كرز، والكُرز: نمرَب من الجوالق، وقيل: الخرج الذي يحمل فيه الراعي زاده ومتاعه.

قلت: أنظر أساس البلاغة ص ٣٩٠ ففيها تأكيد لقوله، والله تعالى أعلم.

وأخرج منه قَصْعَةً خشب، فغسل قَصْعَتَهُ، وجعل فيها ماءً، وألقى تلك الكسر في الماء الذي في القَصْعَةِ، ثم أخرج صُرَّةً ففتحها وأخرج منها مِلْحًا فنثره على الخبز، وقليل سَعْتَرٍ، وتركها مقدار ما بل الكسر. ثم تربّع على الرمل وسَمَّى الله تبارك وتعالى وأَكَلَ أَكَلَ رجل يشتهي الطعام، وهو مع ذلك يشكر الله تعالى؛ والأمير عيناه إليه. حتى فرغ وغسل القَصْعَةَ فردّها إلى جرابه مع كُسِيرَات بَقِيَّتْ، وشَدَّ خِرْقَةَ الملح. ودنا من الشطّ فأعترف بكفّيه من الماء، وقال: يا سيدي ومولاي! لك الحمد على هذه النعمة التي تفضّلت بها عليّ، فلك الحمد على أيّاديك عندي، فلك الحمد ولك الشكر.

ثم وضع رأسه على كرزته وتمدّد على الرُّمْل ساعة. ثم قام فنهياً للصلاة وقام يصلي للزوال.

فقال الأمير للغلمان الوقوف عنده: ليذهب بعضكم إلى الرجل القائم المصلي فيأتيني به مع طبقه وكرزته، ولا يُرْعِبه، وعليه باللطيف حتى يأتيني به.

فمضى بعض الغلمان فاتاه فأقام عنده حتى سلّم، ثم قال له: قم معي حتى تحمل لي متاعاً من قصر الأمير. فقال: اطلب غيري فإنني متعوب البدن. قال: الموضع قريب والحمل خفيف. قال: يا حبيبي! قد عرفت ذلك، وأنت تصيب غيري، فاعفني فإنني أكره دخول الدار. قال: لا بدّ منه، فإن قمت وإلا أُقِمْتَ. وغلظ له في الكلام. فقام الرجل وألقى كرزته في عنقه وحمل الطبق، وقرأ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١)، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾^(٢).

فأدخله الغلام القصر، ثم أصعده حتى أوقفه بين يدي الأمير على هيئته، فأمره بالعود. فقال له الندماء: أيها الأمير! من هذا حتى تأمره بالعود مع وسخه ونجاسته؟ قال: اسكتوا. ثم قال: من أهلها أنت؟ قال: نعم. قال: ما صناعتك؟ قال: ما ترى، الحمل. قال: وكم عيالُك؟ قال: نحن عيال الله، لي والدّة عجوز مُقْعَدَة، وأخت عمياء زَمِنَة. قال: فأهل وولد؟ قال: مالي أهل ولا ولد.

قال: فكم يكون الكسب؟ قال: على قدر ما أُرْزَق، إلّا أنه لا ينصرم يوم إلا ونحن في كفاية من فضل الله تعالى. قال: فتطبق الحمل كل يوم؟ قال: إذا صليت الفجر خرجت فتعرّضت للرزق إلى وقت الزوال، ثم أتفرّغ لنفسي إلى فراغي من صلاة العصر، وأجِمُّ^(٣) نفسي من العصر إلى الليل. قال: أفليس تكون بالليل جماماً؟ قال: إن أُجِمْتُ.

(١) سورة البقرة، آية رقم ٢١٦.

(٢) سورة النساء، آية رقم ١٩.

(٣) أي: أريح نفسي، أنظر أساس البلاغة ص ٦٤ - ٦٥.

نفسي بالليل تركني فقيراً يوم القيامة.

ففظن لها عليّ، فقال: إني رأيتك تأكل وحدك، كيف لا تأكل مع والدك وأختك؟ قال: إنهما يصومان فأجعل عشائي مع فطرهما.

قال: أخرج الكسر. ففتح جِرابه فأخرج منه كسراً يابسة، أسود وأحمر وأبيض. فنظر إليها الأمير ساعة يتأملها متفكراً، ثم قال: يا شاكر! إيتني بخمسة آلاف درهم صحاح، فادفعها إليه ليصلح بها حاله.

قال: أيها الأمير! أنا غنيّ عنها، لا حاجة لي فيها. فجهد به على أن يأخذها، فأبى.

قال الأمير: فلي إليك حاجة. قال: ما حاجة مثلك إلى مثلي؟ قال: هي حاجة مهمة. فأخذ بيده فأدخله بعض غرفه وخلّا معه، وقال: يا هذا! قد عرفتَ حالي وقصتي وموضعي وما أنا فيه من هذا الملك ونعيم الدنيا ولذاتها، فادعُ الله تبارك وتعالى أن يزهّدني في الدنيا ويرغبني في الآخرة.

فقال له الحمّال: يا حبيبي! مالي عند الله من المنزلة ما أدعوه، إلا أن بعض الحكماء يقول: من خاف شيئاً أدلج^(١) افرض على نفسك كل يوم وساعة شيئاً معلوماً من خصال الخير؛ فإنك إذا فعلت ذلك جاءتك العزيمة بالعون من الله تعالى على ذلك؛ ولا تؤخر عمل يومك لغد؛ ولا تُكَلِّف نفسك ما لا طاقة لها به؛ وأكثر ذكر الموت، فإن ذكره يُكثّر القليل، ويقلّل الكثير، وعليك بتقوى الله تعالى وطاعته، واجتناب معاصيه. ثم رفع يديه وطاقاً رأسه ودمعت عيناه، وقال: يا مَنْ رفع السماء بقوّته، ودَحَا^(٢) الأرض بمشيئته، وخلق الخلائق بإرادته، واستوى على العرش بقدرته. يا مالك الملك، وجبّار الجبابرة، وإله العالمين، ومالك يوم الدين، أسألك برحمتك وجودك وقدرتك أن تخرّج حبّ الدنيا من قلب عبدك عبد الله عليّ، وتوفّقه لطاعتك من الأعمال التي تقربه إلى مرضاتك، وتجنّبه معاصيك، وتختّم لنا وله برضوانك وعفوك، يا أرحم الراحمين.

قال: فدمعت عينا عليّ، وبكى فأكثر.

ثم قال للحمّال: لو قبلتَ منا شيئاً؟ قال: لا أريده، وحاجتي أن تعجّل سراحي. فأمره بالخروج. فخرج الحمّال.

وانصرف الأمير إلى موضعه وهو متفكّر، قد ذهب نشاطه. ثم التفت إلى ندمائه،

(١) الدُلجة: العنمة والليل؛ وأدلج: سار في الليل. أساس البلاغة ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) أي: بسط، ومنه قوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دَحَاهَا﴾. مختار الصحاح ص ٥٠٣.

فقال: يا قوم! لو شهدتم طعام أمير المؤمنين ورأيتم ما يُرفَع ويُوضَع من صنوف الأطعمة. - ثم جعل يصف ذلك الطعام. - ، ثم قال: لو رأيتم الطعام الذي يُخبز قد تَنَوَّقَ^(١) في بياضه وجودته وطحنه، ثم يُنَخَّل بالشعر، ثم يُنَخَّل بالكرايس، ثم يُنَخَّل بالحرير، حتى يبقى مخه فقط، تَوَقَّد ناره بالقَصْب، فإذا سكن وَهَجَه بُخِر التنور بالعود القماري، وَخُبِز بصنوف الطعام؛ - ثم وصف ما يُتَّخَذ له من صنوف الألوان من الحارِّ والبارد والرطب واليابس والحلو وغير ذلك. - ، وهذا الحُمَال طعامه ما قد رأيتم، ومائدته طبق من سَعَف النخل^(٢). ثم طأطأ رأسه وجعل ينكت بأصبعه على الحصير ساعة.

ثم قال: يا غلام! إئت مُنِيباً خازن الكُتُب فمُرّه يُخْرِج لي سيرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه.

فاتاه به، فجعل ينظر فيه، فقال: اسمعوا ما كان طعام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: عَرَّاق لحم الإبل مطبوخ بماء وملح، وأقراص من شعير غير منخول. فقليل له: يا أمير المؤمنين! لو أكلت غير هذا الطعام، فقد وَسَّعَ اللهُ على المسلمين. فقال: هاه! إنَّ الله تبارك وتعالى عَيَّرَ قوماً بأكملهم بقوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾^(٣).

فجعل يصف لهم سيرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وتدمع عيناه. فلما فرغ قال: يا غلام! قُلْ لمنيب يخرج لي سيرة عمر بن عبد العزيز. فأخرج إليه، فجعل ينظر فيه ويصف لندمائه. ثم قال: أَبْعَدَ اللهُ بطناً يعقب صاحبه ندماً يوم الحسرة في عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ^(٤).

هذا عبد الله بن عمر^(٥)، - زين أبناء الصحابة - ، انتهى عنياً فلم يذقه. هذا سعيد بن المسيَّب^(٦) - زين التابعين - يقول: ليت أن الله جعل رزقي في مَصْرٍ

(١) تَنَوَّقَ في الأمر: تَأَنَّقَ فيه، والإسم منه: النيقة مختار الصحاح ص ٣٣٣.

(٢) أي: أغصان النخل اليابس، أساس البلاغة ص ٢١١.

(٣) سورة الأحقاف، آية رقم ٢٠/، وتامها: ﴿وَاسْتَمِعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

(٤) أي: في ساحة وأرض يوم القيامة أنظر أساس البلاغة ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٥) هو الصحابيُّ عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - العدوي، أبو عبد الرحمن، وُلِدَ بعد المبعث ببسبر، واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة، والعبادة، وكان أشدَّ الناس إلتباعاً للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، أو أول التي تليها التقريب ٤٣٥/١.

(٦) هو سعيد بن المسيَّب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم القرشي

حصاة، فقد استحييت من كثرة الاختلاف إلى الحش.

هذا الربيع بن - خُثَيْم^(١) انتهى خَيْصاً^(٢) فلم يذقه.

هذا مالك بن دينار^(٣)، هذا فلان، هذا فلان. فجعل يذكر وتدمع عيناه.

ثم قال: ترى القوم لم يشتهوا طيب الطعام؟! ولكنهم زهدوا عن الفاني للباقي، وباعوا القليل بالكثير، وصبروا في دنياهم فنالوا الذي طلبوا؛ خرجوا من الدنيا خِماصاً جِباعاً حفاة عراة، فلم تأكل الأرض منهم شحماً ولا لحماً، بليت الجلود على العظام والعروق.

ثم أخرج ساعداً كأنه قضيب فضة مستديرة شحماً ولحماً، فقال: إن هذا الساعد مع هذا البدن رُبِّي بالأطعمة والأشربة التي وصفت لكم من الطعام والشراب، ليلى في التراب، كما يلى ساعد الحمال.

ثم أرسل عينيه فبكى فأكثر البكاء ونحن قيام على رأسه.

ثم قال: يا غلام! ارفع هذه الآلة قُبْحها الله، فما أموتها للقلوب، وأضرها وأذلها. فزُفِعَتْ، وصَرََفَ الندماء والخدم والعُلمان.

وبقي وحده متفكراً لا يأذن لأحد عليه؛ حتى إذا مضى بعض الليل، ناداني: يا شاكِر. قلت: لبيك أيها الأمير. قال: دونك الخزان فاحفظها مع جميع ما في الدار، فإنني منطلق إلى سيدي - وأنا أظن أنه يعني بسيد أبيه - . فخرج عليّ وعليه إزار قد أخذه على رأسه، ونعل طاق قد وضعها في رجله، وقال: لا يتبعني منكم أحد بشمع. فخرج ومعه غلام صغير، وتخلّف عنه الخدم والعلمان.

فلما أصبحنا افتقدنا الغلام إلى ارتفاع النهار، فجاء الغلام فسأله عنه، فقال: لم

= المخزومي، أحد العلماء الأثبات، الفقهاء الكبار من كبار التابعين، قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين، التقريب ٣٠٦/١.

(١) في المطبوعة: الربيع بن خثيم، وهو خطأ، وما أثبتناه وهو الصواب.

وهو الربيع بن خثيم - بضم المعجمة، وفتح المثناة - ابن عائذ بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مُحَضَّرَم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله - ﷺ - لأحبك، مات سنة إحدى، وقيل: ثلاث وستين، التقريب ٢٤٤/١.

(٢) هو نوع من الطعام معروف، انظر مختار الصحاح ص ٢٢٥ وأساس البلاغة ص ١٠٢.

(٣) هو مالك بن دينار البصري، الزاهد، أبي يحيى، صدوق عابد، من صفار التابعين، مات سنة ثلاثين ومائة، ونحوها التقريب ٢٢٤/٢، وفي الكاشف ١٠٠/٣ أنه مات سنة ثلاث وعشرين مائة، والله أعلم.

يدخل دار أمير المؤمنين، ولكنه أخذ نحو الدجلة، وقال لي: قف موضعك هذا، لا تبرح؛ فلا أدري أين ذهب، إلا أنه دنا من ملاح فناوله دنانير، وقال: لي حاجة مهمة بـ «واسط» فتعجل بي، وهو لا يعرفه، فأدخله الزورق ومضى به إلى «واسط».

ثم لم يقم بـ «واسط» حتى خرج إلى «البصرة»، وتكسر ولبس الخشن على ذلك الجلد النقي؛ واشترى طبقاً كهيشة ما رأى من زي الحمال، وجعل الطبق على عاتقه، يعمل على مقدار قوته؛ يحمل على رأسه بالقطع والكسر، لا يرد ما أعطي؛ بالنهار صائم بحمل على رأسه، وبالليل قائم يصلي، يمشي حافياً حتى تقطعت رجلاه، يبيت في المساجد يتخللها كي لا يفطن به.

فلم يزل كذلك يعمل ويعبد ربّه سنين.

وأمر أمير المؤمنين لما وقف على أمره^(١)، كتب في جميع الآفاق إلى العمال في كل بلدة أن يطلب، وتوضع عليه العيون؛ فلم يوقف على أمره.

قال: فمرض في بعض المساجد وتغيرت حاله. فلما اشتدت به العلة، دخل بعض الخانات بالبصرة، فاكترى غرفة، وألقى نفسه على بارية. فلما أيس من نفسه، دعا صاحب الحان، فناوله حاتمه ورقة مختومة، فقال: يا هذا! إذا أنا قضيت نحبي فاخرج إلى صاحبكم - يعني الوالي - فأرِه خاتمي وعرفه موضعي، وناوله هذه الرقعة.

فمات - رحمه الله -، فلما قضى سجنه، وخرج نحو باب الأمير، فنادى: النصيحة. فأدخل، فأراه الخاتم، فلما نظر إليه الوالي عرفه، وقال: ويحك، أين صاحب الخاتم؟ قال: في الغرفة في الخان ميت. وناوله الرقعة مختومة مكتوباً عليها: لا يفكها إلا المأمون أمير المؤمنين.

فركب الأمير حتى أتى الخان، وحوله إلى قصره وطلّى عليه الكافور والمسك والعنبر، ولقه في قباطي مصر^(٢)، وحمله في الماء إلى المأمون. وكتب إليه يعرفه قصته، وأنه وجده في غرفة على بارية في بعض الخانات، ما تحته مهاد، ولا عنده باكية، مسجى، مغمض العينين، مستير الوجه، طيب الرائحة. قال: وبعث إليه حاتمه ورقعته.

فلما وصل كتابه إلى أمير المؤمنين، وأدخل [علي] عليه، قام فكشف عن وجهه،

(١) أي: علم به.

(٢) قال في أساس البلاغة ص ٣٥٣؛ «القباطي والقبطية - بالضم -، وهي: ثياب من كتان بيض، تُعمل بمصر، نسبت إلى القبط: أهل مصر.

وانكَبَ عليه يقبله ويبكي . ووقعت الصَّيْحَةُ والضجيج في الدار .

ثم فكَّ الرقعة ، فإذا فيها مكتوب بخطه : يا أمير المؤمنين ! اقرأ سورة الفَجْرِ إلى رابع عشرة آية فاعتبر بها ، واعلم أنَّ الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هُمْ مُحْسِنُونَ .

ثم أمر المأمون فغُسِّلَ وكُفِّنَ وأُخْرِجَ لِيُدفن ؛ والمأمون يشي حتى صَلَّى عليه . فلَمَّا وُضِعَ في حفرته أمر الخَدم ، فقال : اخرجوا من القبر . ثم اطلع في القبر ، فقال : يا بُنَيَّ ! رحمك الله ، وأعطاك أمنيَّتَكَ ورجاءك ؛ إني لأرجو أن يكون الله تعالى فد أسعدك ونفَعني بك ؛ فَنِعَمَ الولدُ كُنْتَ ؛ جمع الله بينك وبين ابن عمِّي المصطفى ﷺ ، ورزقني الصبر عليك .

ثم قال : سَوُّوا عليه . فدخل الخدم فأطبقوا عليه ألواحَه . ثم قال : أهيلوا عليه التراب . وهو واقف يصيبه الغُبار ، والخدم قيام معهم المناديل ، يردُّون عنه الغبار . فقال : إليكم عني ! ييلَى عليَّ في التراب ، وتردُّون عني الغبار ؟

ثم قال : اللَّهُمَّ ! ثَبِّتْهُ بالقول الثابت ، وأَشْهِدْكَ أَنِّي راضٍ عنه يا أرحم الراحمين ، - والرقعة في يده لا يضعها - .

فدعا محمد بن سعد الترمذي فأمره أن يقرأ سورة الفَجْرِ . فجعل يقرأ والمأمون يبكي حتى بلغ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلْمِرْصَادِ﴾^(١) . فَأَمْسَكَ .

فتصدَّقَ عنه بألف ألف درهم ، وأمر بعرض السجون وأطلق عنهم . وكتب إلى العَمَّالِ بإنصاف الرعيَّةِ وردَّ المظالم ، ونزع عن أمور كثيرة . وبقي بعده لا يذكره إلا بكى ، وهو مكروب لا يرتاح للذة ولا لشهوة . وينتاب مجلسه الفقهاء يصبرونه وَيَعْظُونَه . فما زالت هذه حاله حتَّى مات رحمه الله .

٧٠ - [توبة موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي]

قال عبد الحميد بن محمد : وسمعت محمد بن السَّمَاك يقول . إن موسى بن سليمان الهاشمي كان من أنعم بني أبيه عيشاً ، وأرخاه بالاً ، يعطي نفسه شهوتها من صنوف

(١) سورة الفجر ، آية رقم /١٤ .

والآيات بتمامها : ﴿وَالْفَجْرِ ، وَلِيَالٍ عَشْرٍ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجَرٍ ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ، وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَتَادِ ، الَّذِينَ طَفَّؤُوا فِي الْبِلَادِ ، فَاكْتَسَبُوا فِيهَا الْقِسَادَ ، فَنَصَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوِّطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لِلْمِرْصَادِ﴾ .

اللذات، في المأكَل، والمَشْرَب، والملبس، والطَّيْب، والجواري، والغلمان. ليست له فكرة ولا همّة إلاّ فيما هو من عيشه ولذّته.

وكان شابّاً جميلاً، وجهه كاستدارة القمر. في صفاءٍ مع بياض وملاحة مشرباً حمرة، شديد سواد الشعر، جعداً، أَقْنَى الأنف^(١)، أكحل العينين، أَدْعَج^(٢) مثل عين الظبية، يسحر بعينه الناظر إليه، طويل الأشفار^(٣)، مقرون الحاجبين كأنما خطاً بالقلم، صغير الفم^(٤)، رقيق الشفّتين، أبلج الثنايا^(٥)، مفلج الأسنان^(٦)، فصيح اللسان، حلو الكلام، خافض الصوت.

وكانت نعمة الله عليه سابعة، يستغلّ من ضياعه وعقاره ومما أقطعَه من الضياع، ويجري عليه من الرزق كلّ حول نحواً من ثلاثة آلاف ألف وثلاثمائة ألف، يصرف هذا كلّ فيما هو فيه من النعيم.

وقد أعجبتَه نفسه وشبابه وذنياه المواتية له في جميع ما يشتهي.

وكان له مستشرف عالٍ يقعد فيه العشيات يشرف على الناس، له أبواب مشرعة إلى الجادة، وأبواب مشرعة إلى بساطينه، قد ضرب فيه قبة عاج مخروطة من أنياب الفيل، مضببة بالفضة، قد طلي بالذهب، وغشّى القبة بالديباج الأخضر، وحشاه بالخزّ المندوف. وعلّق من القبة سلسلة ذهب منظومة بالجواهر واللؤلؤ، تضيء القبة من الياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، والعقيق الأصفر، كل حبة كالجوزة.

وعلّق على الأبواب المشرعة الستور المضربة الموشاة المنسوجة بالذهب، ووضع حول القبة ثلاثين شمعة، في ثلاثين طستاً من فضة، وزن كل طست ألف درهم، على

(١) أي: في أنفه إحدباب، مختار الصحاح ص ٥٣٦.

(٢) الدّعج - بفتحين - : شدة سواد العين مع سعتها. مختار الصحاح ص ٦٢.

(٣) أشفار العين: هي حرف الأَجْفَان التي ينبت عليها الشعر، وهو الهدب. مختار الصحاح ص ١٥٤.

(٤) قال الأستاذ عبد القادر الأرنؤوط هامش المطبوعة: العرب تمدح سعة الفم، وتذمّ صغر الفم، لدلالة السعة على الفصاحة، والصغر على ضدها، والمولّدون من الشعراء يمدحون صغره، وهو خطأ منهم، أو لمعنى لا يلتفت إليه لقبه، وقد ذكر في أوصاف رسول الله - ﷺ - أنه كان واسع الفم، أو ضليع الفم، بمعنى واسع. اهـ.

(٥) أي: مشرقها ومضيئها، أنظر مختار الصحاح ص ٩٩.

والثنايا: الأسنان. مختار الصحاح ص ٤٩٣.

(٦) قال في مختار الصحاح ص ٦٦: «الفَلَج في الإنسان - بفتحين - : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات» اهـ.

كُلَّ خَمْسِ طُسُوتِ غِلَامٍ قَائِمٍ بِيَدِهِ مَقْطَعَةٌ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ مِائَةِ مِثْقَالٍ، عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْمَنَاطِقِ الْمَرْصُوعَةِ بِالْجَوَاهِرِ.

وَعَلَّقَ عَلَى كُلِّ بَابٍ - خَارِجٍ مِنَ الشُّبَّكَاتِ - قَنَادِيلَ بِسِلَاسِلِ الْفِضَّةِ، وَجَعَلَ دَهْنَهَا الزَّبْثِقَ الْخَالِصَ.

وَهُوَ عَلَى سَرِيرٍ عَلَيْهِ غِلَالَةٌ قَصَبٌ مَعْلَمٌ مَنْسُوجٌ، وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ مَكْلَلَةٌ بِاللَّالِئِ، وَمَعَهُ فِي الْقَبَةِ نَدْمَاؤُهُ وَإِخْوَانُهُ. وَالْمَجَامِرُ مَنْصُوبَةٌ لَا تَرْفَعُ عَلَى الْبُخُورِ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ الْخَدَمُ بِأَيْدِيهِمُ الْمَرَاوِحَ وَالْمَذَابِ، وَالْقَيْنَاتُ بِحِذَائِهِ فِي مَجْلَسٍ خَارِجٍ مِنَ الْقَبَةِ يَرَاهُنَّ.

فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ رَأَى نَدِيمًا قَدْ اصْطَفَاهُ وَأَنْسَ بِمِحَادَثَتِهِ، وَإِنْ نَظَرَ عَنْ يَسَارِهِ رَأَى أَخًا وَصَفِيًّا قَدْ وَاَدَّهَ وَاجْتَبَاهُ، وَإِنْ رَفَعَ طَرْفَهُ نَظَرَ إِلَى خَدَمٍ قِيَامٍ قَدْ اخْتَارَهُمْ، وَإِنْ رَمَى بَطْرَفَهُ إِلَى حَوَاشِيهِ رَأَى مُطَرِّبِيهِ وَقِيَانَهُ كُلَّهُمْ يُفَدُّونَهُ، أَسْمَاعُهُمْ مَصْغِيَةٌ إِلَيْهِ، وَأَعْيُنُهُمْ قَبِيلَةٌ لَا يَشْتَغِلُونَ بغيرِهِ. فَإِنْ تَكَلَّمَ سَكَتُوا، وَإِنْ قَامَ قَامُوا. إِذَا اشْتَهَى سَمَاعَ الْقِيَانِ نَظَرَ نَحْوَ السِتَارَةِ، وَإِنْ أَرَادَ سَكُوتَهُمْ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى السِتَارَةِ فَأَمْسَكُوا، قَدْ عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْهُ.

هَذَا دَأْبُهُ إِلَى أَنْ يَذْهَبَ اللَّيْلُ وَيَذْهَبَ عَقْلُهُ، فَيُخْرِجُ النَّدْمَاءَ، وَيَخْلُو مَعَ الْوُصَفَاءِ. فَإِذَا أَصْبَحَ اشْتَغَلَ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّعَّابِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْشَطْرَنْجِ وَالنُّرْدِ. لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَوْتَ وَلَا سَقَمَ وَلَا مَرَضَ، وَلَا شَيْءَ فِيهِ ذِكْرُ الْغَمِّ، إِلَّا ذَكَرَ الْفَرَحَ وَالسَّرُورَ وَالنَّوَادِرَ الَّتِي يَضْحَكُ مِنْهَا.

وَيَطْرَفُ كُلَّ يَوْمٍ بِأَنْوَاعِ الطَّيِّبِ وَالشَّمَامَاتِ مَا يَكُونُ فِي أَوَانِهِ، حَتَّى مَضَتْ لَهُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي قُبَّتِهِ، وَقَدْ مَضَى بَعْضُ اللَّيْلِ، إِذْ سَمِعَ نَغْمَةً مِنْ حَلْقٍ نَدِيٍّ شَجَوِيٍّ خِلَافَ مَا يَسْمَعُ مِنْ مُطَرِّبِيهِ؛ فَأَخَذَتْ بِمَجَامِعِ قَلْبِهِ وَلَهَا عَمَّا كَانَ فِيهِ.

فَأَوْمَأَ إِلَيْهِمْ أَنْ أَمْسِكُوا، وَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الشُّبَّكَاتِ الْمَشْرُوعَةِ إِلَى الْجَادَةِ يَتَسَمَّعُ الَّذِي وَقَعَ بِقَلْبِهِ؛ فَإِذَا النَغْمَةُ رُبَّمَا سَمِعَهَا، وَرُبَّمَا خَفِيَتْ. فَصَاحَ بِغُلَامَانِهِ: اطْلُبُوا صَاحِبَ هَذَا الصَّوْتِ. وَكَانَ قَدْ عَمِلَ فِيهِ الشُّرَابُ.

فَخَرَجَ الْغُلَامَانِ يَطُوفُونَ؛ فَإِذَا هُمُ بِشَابِّ نَحِيلِ الْجِسْمِ، دَقِيقِ الْعُنُقِ، مُصَفَّرِ اللَّوْنِ، ذَابِلِ الشَّفَتَيْنِ، شَعَثِ الرَّأْسِ، قَدْ لَصِقَ بَطْنُهُ بِظَهْرِهِ، عَلَيْهِ طِمْرَانٌ^(١)، مَا يَتَوَارَى بغيرِهِمَا،

(١) طِمْرَانٌ؛ تَنْثِيَةُ طِمْرٍ، وَهُوَ الثَّوْبُ الْخَلِيقُ، أَيْ الْبَالِي، وَالْجَمْعُ: أَطْمَارٌ. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ ص ١٥٩.

حافي القدمين، قائم في بعض المساجد يناجي ربه تعالى .

فأخرجوه من المسجد وانطلقوا به لا يكلمونه، حتى أوقفوه بين يديه .

فنظر إليه فقال: من هذا؟ قالوا: صاحب النعمة التي سمعت. قال: أين أصبتموه؟ قالوا: في المسجد قائماً يصلي ويقرأ. فقال: أيها الشاب! ما كنتَ تقرأ! قال: كلام الله. قال: فاسمعني بتلك النعمة. فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(١) إلى قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢) أيها المغرور، إنها خلاف مجلسك ومستشرفك وفرشك؛ إنها أرائك مفروشة بفرش مرفوعة: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾^(٣)، ﴿عَلَى رَفْرَفٍ خُضَرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾^(٤) يُشْرِفُ وَلِيُّ اللَّهِ مِنْهَا عَلَى عَيْنَيْنِ تَجْرِيَانِ فِي جَنَّتَيْنِ: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾^(٥)، ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(٦)، ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(٧)، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾^(٨)، إلى قوله: ﴿وَزَرَّابِي مَبْثُوثَةٌ﴾^(٩) ﴿فِي ضَلَالٍ وَعُيُونٍ﴾^(١٠)، ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا، تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾^(١١) ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(١٢)، ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾^(١٣) ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ﴾^(١٤) إلى قوله:

(١) سورة المطففين، آية رقم ٢٢.

(٢) سورة المطففين، آية رقم ٢٨. وتام الآيات: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ، يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ، خِتَامُهُ مِسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ، عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾.

(٣) سورة الرحمن، آية رقم ٥٤.

(٤) سورة الرحمن، آية رقم ٧٦.

(٥) سورة الرحمن، آية رقم ٥٢.

(٦) سورة الواقعة، آية رقم ٣٣.

(٧) سورة الحاقة، آية رقم ٢١.

(٨) سورة الغاشية، آية رقم ١٠.

(٩) سورة الغاشية، آية رقم ١٦، وتام الآيات: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ، فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَّابِي مَبْثُوثَةٌ﴾.

(١٠) سورة المرسلات، آية رقم ٤١.

(١١) سورة الرعد، آية رقم ٣٥.

(١٢) سورة الزخرف، آية رقم ٧٤.

(١٣) سورة القمر، الآيات ٤٧ - ٤٨.

(١٤) سورة المعارج، آية رقم ١١.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾^(١)، في جَهْدٍ جهيد، وعذاب شديد، وَمَقَّتْ من رَبِّ العالمين: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾^(٢).

فقام الهاشمي من مجلسه وعاتق الشاب وبكى؛ وصاح بندمائه: انصرفوا عني. وخرج إلى صحن داره، وقعد على حصير مع الشاب ينوح ويبكي على شبابه ويندب نفسه، والشاب يعظه، إلى أن أصبح وقد عاهد الله أن لا يعود إلى معصية أبداً.

فلما أصبح أظهر توبته، ولزم المسجد والعبادة. وأمر بالذهب والفضة والجواهر والملابس فبيعت كلها، وتصدق بها، وقطع الإجراء عن نفسه، وردَّ الضياع المُقْطَعَة، وباع ضياعه وعبيده وجواريه، وأعتق من اختار العتق وتصدق به كله. ولبس الصوف الخشن، وأكل الشعير. وكان يُحْيِي الليل، ويصوم النهار.

حتى كان ينتابه^(٣) الصالحون والأخيار، ويقولون له: أُرْفُقْ بنفسك، فإنَّ المولى كريم، يشكر اليسير، ويثيب على الكثير. فيقول: يا قوم! أنا أَعْرِفُ بنفسي، إنَّ جُرْمي عظيم، عصيت مولاي بالليل والنهار. ويبكي ويكثر البكاء.

ثم خرج حاجاً على قدميه حافياً، ما عليه إلا خِيْشَة، وما معه إلا رَكْوَة جِرَاب^(٤)، حتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وقضى حَجَّه وأقام بها.

وكان يدخل الحِجْر^(٥) بالليل ينوح على نفسه، ويقول: سيدي! لم أراقبك في خلواتي؛ سيدي! ذهبت شهواتي، وبقيت تَبِعاتي؛ فالْوَيْلُ لي يوم أَلْقَاكَ، والْوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ من صحيفتي إذا نشرت، مملوءة من فضائحي وخطاياي؛ بل حلَّ بي الويل من مقتك إياي، وتَوْبِيخِكَ لي في إحسانك إليّ، ومقابلة نعمتك بالمعاصي؛ وأنت مُطَّلِعٌ على أفعالي؛ سيدي! إلى من أهرب إلّا إليك، وإلى من التَّجِيءُ إلّا إليك؟ سيدي! إني لا أَسْتَأْهِلُ أن أسألك الجَنَّةَ، بل أسألك بجودك وكرمك وتفضلك أن تغفر لي وترحمني، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

(١) سورة الماعج، آية رقم ١٨، وتتمام الآيات:

﴿وَصَاحِبْتَهُ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ، كَلَّا إِنَّمَا لَطْفِي، نَزَافَةٌ لِلشَّوَى. تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى. وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾.

(٢) سورة الحِجْر، آية رقم ٢٨.

(٣) أي: يأتون إليه مرّة بعد مرّة.

(٤) الجراب: المزود أو الوعاء، وهو معروف، جمعه: أجربة وجرب. مختار الصحاح ص ١٩.

(٥) الحِجْر: حجر الكعبة، وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال. مختار الصحاح ص ١٣٣.

قال محمد بن السَّمَاك: فبينما أنا ذات ليلة في الطَّوَّاف إذ سمعت نغمته ونوحه وبكاءه، فحرَّكني وأقلقني. فقطعت الطَّوَّاف ودخلت الجِجْر، وأنا لا أثبتُه، فقلت له: حبيبي! من أنت؟ فأني أراك صغير السنَّ، قريح القلب، مكروباً مغموماً، حزين النُّوح، كثير الدموع؛ فما القصة؟ فأني حامل الخطيئة مع شيتي، صاحبُ ذنوب.

فنظر إليَّ فعرفني؛ فقال: ألسن الواعظ لي وأنا منهمك في ضلالتني، سكران في حيرتني، لا أقبل عليك بوجهي؟ أنا موسى بن محمَّد بن سليمان بن عليّ الذي رأيته بالبصرة.

قال: فأصابتني من قوله دهشة؛ فدنوت منه فعانقته، وقُبلت بين عينيه، وقلت: بأبي أنت أبو القاسم، ما القصة؟

فأخبرني قال: استر أمري فلا أحب - رحمك الله - أن أعرف وأعلم؛ إنَّ المولى المنعم المتفضل المحسن أنبهي من غفلي، وبصّرني بعب نفسي، فتركت جميع ما كنت فيه ممّا رأيت، وأقبلت إلى ربّي؛ فهل تراه يقبلني؟ فأني خائف أن يكون قد صرف وجهه عني.

قال: فأبكاني كلامه، وقلت: حبيبي! أبشّر، فقد بلغني أنه ما من شيء أحبَّ إلى الله تبارك وتعالى من شابٍّ تائب.

فلما أن سمعها أراد أن يضبط نفسه من البكاء، وخاف أن يجتمعوا عليه إذا سمعوا بكاءه.

فقام وهو يقول: أيها الطبيب، اتبعني. فتبعته حتّى خرج من باب الحنّاطين وهو يمشي ويلتفت إليّ، وقد أمسك على بطنه، حتّى انتهى إلى باب. ثمَّ دخل وأدخلني معه، وأصعدني إلى غرفة وقعد، وقال: ما زلت متشوّقاً إلى لقائك لتداوي قرحي بمرهم كلامك.

فقلت له: أبا القاسم! قد أسعدك بلطفه إله العالمين فأنبهك من رَقْدَةِ الغافلين؛ فاشكره على توفيقه إياك، وكن من الشَّاكرين، وبما أنعم عليك فكُن من الحامدين، فإنَّ الله تعالى معوّضك برحمته أفضل مما تركت له من مخافته. أبا القاسم! اجعل الموت نصب عينيك، واعلم أنَّ بين يديك عَقْبَةُ عليها المسلك غداً، لا يقطعها إلا الـوَرَعُونَ عن محارم الله تعالى، وقناطر لا يجوزها إلا المُخْفُونَ من المظالم، يتردَّى منها في نارٍ ^(١) أحاطَ بهم سرادقُها، وإنَّ يَسْتَفِيشُوا يُغَاثُوا بِماءٍ كالمُهْلِ يَشْوِي الوجوه بِسَّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مَرْتَفَعاً ^(٢). فكُن على عَدَّة، وأعدَّ الجواب، فإنَّك قادم لا محالة. وعلى من القُدُوم؟ على

(١) سورة الكهف، آية رقم ٢٩.

أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ، وَالْعَدْلَ الَّذِي لَا يَجُورُ، وَدَيَانَ يَوْمَ الدِّينِ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

وهو منصت يسمع، ثُمَّ أَطْرَقَ شِبْهُ الْمَفْكَّرِ، فَتَوَهَّمَتْ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا أَقُولُ، فَقَمَتَ مِنْ عِنْدِهِ وَخَرَجَتْ.

فَلَمَّا أَصْبَحَتْ تَصَرَّفَتْ فِي حَوَائِجِي. فَلَمَّا دَخَلَ وَقْتُ الظَّهْرِ وَأَنَا فِي الطَّوَافِ وَإِذَا النَّاسُ يَتَعَادَوْنَ نَحْوَ بَابِ الصُّفَا. قُلْتُ: مَا الْخَيْرُ؟ قَالُوا: جَنَازَةُ غَرِيبٍ. فَخَرَجْتُ وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ.

وَضَرَبَ عَلَى قَلْبِي، فَصُرْتُ مِنْ قَوْرِي إِلَى تِلْكَ الدَّارِ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، سُبْحَانَ الْفَعَالِ لَمَا يَرِيدُ.

قَالُوا: أَلَسْتَ صَاحِبَهُ الْبَارِحَةِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالُوا: إِنَّكَ لَمَّا خَرَجْتَ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ: فَوَادِي، فَوَادِي، ذَنْبِي، ذَنْبِي، إِلَى أَنْ مَضَى عَامَّةُ اللَّيْلِ وَهُوَ يَكِي، ثُمَّ سَكَنَ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَنْبَهَنَاهُ لِلصَّلَاةِ فَإِذَا هُوَ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا، لَمْ يَشْهَدْ خُرُوجَ رُوحِهِ أَحَدٌ وَلَمْ يُغْمَضْ.

قُلْتُ لَهُمْ: عَرَفْتُمُوهُ؟ قَالُوا: لَا، كَانَ غَرِيبًا مِنَ الْحَاجِّ^(١) نَزَلَ عِنْدَنَا، مَارَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِمِثْلِهِ؛ لَيْلَهُ قَائِمٌ يَصَلِّي، وَيُنُوحُ عَلَى نَفْسِهِ، كَانَ ذُنُوبُ الْعِبَادِ هُوَ الْمُطَالِبُ بِهَا، لَا يُوقِفُ عَلَى كَسْبِهِ وَمَطْعَمِهِ، وَلَا يَقْبَلُ بَرًّا أَحَدٌ.

قُلْتُ: كَمْ لَهُ مِنْذُ نَزَلَ عِنْدَكُمْ؟ قَالُوا: حَجَّتَيْنِ. قُلْتُ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ مَعْرِفَتِكُمْ إِيَّاهُ.

٧١ - [توبة جعفر البرمكي]^(٢)

قال عبد الحميد: كنت في مجلس جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك أعرض عليه

(١) أي: الحجاج.

(٢) هو جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل، البرمكي، ولد في بغداد سنة (١٥٠) هـ.، ونشأ فيها، واستوزره هارون الرشيد، وكان من علو القدر، ونفاذ الأمر، وعظم المحل، وجلالة المنزلة عنده بحالة أنفرد بها، ولم يشارك فيها، وكان سمح الأخلاق، طلق الوجه، ظاهر البشر، فأما جوده، وسخاؤه وبذله وعطاؤه فكان أشهر من أن يذكر، وأبين من أن يظهر، وكان - أيضاً - من ذوي الفصاحة، والمذكورين باللسن والبلاغة -، ويقال: إنه وقع ليلة بحضرة الرشيد زيادة على ألف توقيع، ونظر في جميعها فلم يخرج شيء منها عن موجب الفقه.

وكان أبوه يحيى بن خالد قد ضمه إلى أبي يوسف القاضي حتى علمه وفقهه.

وغضب الرشيد عليه في آخر أمره فقتله، ونكب البرامكة لأجله، توفي سنة سبع وثمانين ومائة، في أول يوم من صفر، بالغمر من أرض الأنبار.

متاع مصر، وهو في قبة من عاج مُركَّب، قد غشاها بملحم، إذ دخل عليه محمد بن السَّمَك. فقال: أَسْمِعْنِي بعض كلامك - يرحمك الله - .

فقال: يا أبا الفضل! لا أحدثك عن الماضين، ولا عن الملوك السابقة، ولا الأكاسرة، ولكن أخبرك بما شهدت وعانيت منذ أعوام من ابن عمِّ لأمير المؤمنين موسى بن محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، وحديثه في هذا الحديث.

فرايت جعفرًا جعل يبكي ويكثر البكاء، ويقول: هذا كلّ من توفيق الله تعالى إياه وسعاده له. اللَّهُمَّ فكما أسعدته بطاعتك، ووفّقته لرضاك، وعصمته حتّى نال ذلك كلّه بإرادتك، وفّقنا للعمل الصالح برحمتك، واختم لنا بعفوك ومغفرتك يا أرحم الراحمين.

ثمّ إنّه في مجلسه ذلك تصدّق بمائة ألف على أهل الحاجة والمسكنة.

فما لبث بعد ذلك إلّا القليل حتّى غضب عليه هارون أمير المؤمنين وأمر بقتله، وأنّ يُجعل أرباعاً ويصلّب. ففعل به ذلك.

فكان يُرجى لجعفر ذلك الدّعاء، لعل الله تعالى استجاب له؛ لأنّه مثل به.

وكان كثير الصنائع المحمودّة، معطيًا للمال، قاضيًا للحوائج، حسن العشرة، عارفًا بحقّ الإخوان رحمه الله.

٧٢ - [توبة جارية من بنات الكبار]

أخبرنا أبو الفتح محمّد، أنبأ أبو الفضل المقرئ، أنبأ أبو نعيم^(١)، أخبرني جعفر بن محمّد بن نصير^(٢) في كتابه، قال: سمعت الجُنَيْد بن محمّد^(٣)، يقول:

= تاريخ بغداد ١٥٢/٧ - ١٦٠.

ونسبته بالبرمكي هي نسبة إلى جدّ أبيه: بَرَمَك. وليس إلى قرية البرامكة، أنظر الباب ١٤٢/١ - ١٤٣.

(١) هو الحافظ الأصهباني، وهذه القصة في حلية الأولياء ٣٢٣/١٠ - ٣٢٤. وفي تاريخ بغداد ٤١٨/١٤ - ٤١٩.

(٢) هو جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم، المعروف بالخلدي، أبو محمد الخوّاص، شيخ الصوفيّة ولد سنة اثنتين - أو ثلاث - وخمسين ومائتين، لقي المشايخ الكبراء من المحدثين والصوفيّة من أهل الكوفة، والمدينة، ومكة، ومصر، وكان سافر الكثير ثم عاد إلى بغداد، فاستوطنها، وروى بها علماً كثيراً، توفي في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، من آثاره: حكايات المشايخ، فوائد.

تاريخ بغداد ٢٢٦/٧ - ٢٣١، وحلية الأولياء ٣٨١/١٠ - ٣٨٢ ومعجم المؤلفين ١٥٠/٣.

(٣) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز، ويقال: القواريري، وقيل: كان أبوه قواريرياً، =

كان أبو شعيب البرائي^(١) أول من سكن بَرَأثي^(٢) في كوخ يتعبد فيه. فمَرَّت بكوخه جارية من بنات الكبار^(٣)، كانت رُبِّيَّت في قصور الملوك. فنظرت إلى أبي شعيب فاستحسنَت حاله وما كان عليه، فصارت كالأسير له، فعزمت على التجرد من^(٤) الدنيا والإنصال بأبي شعيب.

فجاءت إليه، وقالت: أريد أن أكون لك خادمة. فقال لها: إن أردت ذلك فغيري من هيئتك وتجردي عما أنت فيه، حتى تصلحي^(٥) لما أردت.

فتجردت عن كل ما تملكه، ولبست ثياب^(٦) النساك، وحضرته، فترَوَّجها.

فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خِصاف^(٧) في مجلس أبي شعيب تقيه الندى^(٨). فقالت: ما أنا بمقيمة فيها حتى تُخرج ما تحتك، لأني سمعتك تقول: إن الأرض تقول: يا ابن آدم! تجعل اليوم بيني وبينك حجاباً، وأنت غداً في بطني؟ فما كنت لأجعل بيني وبينها حجاباً.

فأخذ أبو شعيب الخِصاف فرمى بها^(٩).

فمكثت معه سنين كثيرة تتعبد^(١٠) أحسن عبادة، وتوفياً على ذلك متعاونتين.

= وكان هو خزازاً، وأصله من نهاوند، إلا أن مولده ومنشأه ببغداد، وسمع بها الحديث، ولقي العلماء، ودرس الفقه على أبي ثور، وصحب جماعة من الصالحين، ثم اشتغل بالعبادة، ولازمها حتى علت سنه، وصار شيخ وقته، وفريد عصره، في علم الأحوال، والكلام على لسان الصوفية، وطريقة الوعظ، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ومن كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يُقْتَدَى به، مات سنة ثمان وتسعين ومائتين.

تاريخ بغداد ٢٤١/٧ - ٢٤٩ - حلية الأولياء ٢٥٥/١٠ - ٢٨٧.

(١) هو أبو شعيب البرائي: أحد الصوفية، من متقدمي شيوخ بغداد، حلية الأولياء ٣٢٣/١٠.

(٢) برأثي: هو موضع ببغداد متصل بالكُرَّخ، اللباب ١٣١/١.

(٣) في الحلية ٣٢٣/١٠ زيادة: من أبناء الدنيا.

(٤) في الحلية: ٣٢٣/١٠: عن.

(٥) في الحلية: ٣٢٤/١٠: تصلحين.

(٦) في الحلية: بُسَّة.

(٧) هي: الثوب الغليظ المصنوع من الجبال، أنظر أساس البلاغة ص ١١٢.

(٨) أي: تقيه الرطوبة، وفي الحلية: وكان يجلس عليها أبو شعيب تقيه من الندى.

(٩) في الحلية: ورمى به، قال الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط هامش المطبوعة: هذا من الغلو في الزهد

الذي لا مكان له في الإسلام.

(١٠) في الحلية: يتعبدان.

٧٣ - [توبة الواصل بالله^(١)، وابنه المهدي بالله^(٢)]

أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، قال: أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، وأبو السعد أحمد بن علي بن المجلي، قالوا: أنا أحمد بن علي بن ثابت، أنا محمد بن أحمد بن رزق، أنا أحمد بن سنيدي الحداد، قال: قريء علي أحمد بن المنيع - وأنا أسمع - قيل له: أخبركم صالح بن علي بن يعقوب الهاشمي قال:

حضرت المهدي بالله أمير المؤمنين، وجلس للنظر في أمور المظلومين في دار العامة. فنظرت إلى قصص الناس تُقرأ عليه من أولها إلى آخرها؛ فيأمر بالتوقيع عليها. وينشأ الكتاب عليها، وتحرر، وتختم وتُرفع إلى صاحبها بين يديه. فسرتني ذلك؛ واستحسنْتُ ما رأيتُ.

فجعلتُ أنظر إليه؛ ففطن ونظر إليّ، فغضضت عنه، حتى كان ذلك مني ومنه مراراً ثلاثاً: إذا نظر غضضت، وإذا شغل نظرت.

فقال لي: يا صالح. قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. وقمت قائماً. فقال: في نفسك من شيء تريد - أو قال: تحب - أن تقوله؟ قلت: نعم يا سيدي. فقال لي: عُد إلى موضعك. فعُدْتُ؛ حتى إذا قام، قال للحاجب: لا يبرح صالح.

(١) هو هارون - أمير المؤمنين - (الواصل بالله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد بن محمد (المهدي) بن عبدالله (المنصور) بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، ويكنى أبا جعفر، استخلف بعد أبيه المعتصم، وكان يسكن: سرّ من رأى (سامراء)، ولد سنة مائتين، وولي الخلافة سنة سبع وعشرين ومائتين، وكان كثير الإحسان لأهل الحرمين، حتى قيل: ما مات وفيهم فقير، وكان قد تأثر برأي القاضي ابن أبي دؤاد في خلق القرآن، فامتنح الناس في ذلك، وتشدد، وسجن جماعة والظاهر أنه رجع عن ذلك في آخر عمره.

توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، في القصر الهاروني في: سرّ من رأى، وصلى عليه جعفر أخوه، ودفن فيها، وكانت خلافته خمس سنين وثيف، تاريخ بغداد ١٤/١٥ - ٢١.

(٢) هو محمد - أمير المؤمنين - (المهدي بالله) بن هارون (الواصل بالله) بن محمد (المعتصم بالله)، يكنى أبا إسحاق ويقال: أبا عبدالله، ولد بالقاطول، وكان منزله سرّ من رأى (سامراء)، وكانت البيعة له بالخلافة بعد خلع المعتز بالله سنة (٢٥٥) هـ. وكان من أحسن الخلفاء مذهباً، وأجملهم طريقة، وأظهرهم ورعاً، وأكثرهم عبادة، وكان يقول: أما يستحي بنو العباس أن لا يكون فيهم مثل عمر بن عبد العزيز، وكان مع حسن مذهبه وإيثار العدل شديد الإشراف على أمر الدواوين والخراج، يجلس بنفسه في المظالم، وبقي في الخلافة إلى أن خلع بسرّ من رأى سنة (٢٥٦) هـ. وكانت خلافته أحد عشر شهراً ونصف تقريباً، وقتل بعد ذلك بيومين - رحمه الله تعالى - . تاريخ بغداد ٣/٣٤٧ - ٣٥١.

فانصرف الناس، ثم أذن لي فدخلتُ، فدعوتُ له، فقال لي: اجلس. فجلستُ.
فقال: يا صالح تقول لي ما دار في نفسك، أو أقول أنا ما دار في نفسي أنه دار في
نفسك؟
قلت: يا أمير المؤمنين! ما تعزم عليه، وتأمر به.

قال: أقول أنا: إنه دار في نفسي أنك استحسنت ما رأيت منا، فقلت: أي خليفة
خليفتنا إن لم يكن يقول: القرآن مخلوق! فورد على قلبي أمر عظيم؛ ثم قلت: يا نفس
هل تموتين قبل أجلك؟ وهل تموتين إلا مرة؟ وهل يجوز الكذب في جد أو هزل.
فقلت: يا أمير المؤمنين! ما دار في نفسي إلا ما قلت.

ثم أطرق ملياً وقال: وَيْحَكَ، اسمع مني ما أقول، فوالله لتسمعن الحق، فسري
عني، فقلت: يا سيدي! ومن أولى بقول الحق منك، وأنت خليفة رب العالمين، وابن
عم سيد المرسلين؟

فقال: ما زلت أقول إن القرآن مخلوق صدرأ من أيام الواصل^(١)، حتى أقدم أحمد بن
أبي دؤاد^(٢) علينا شيخاً من أهل الشام من أهل «الذنة»^(٣)

فأدخل الشيخ على الواصل مقيداً، وهو جميل الوجه، تام القامة، حسن الشئبة.
فرايت الواصل قد استحى منه ورق له. فما زال يُذنيه ويقربه حتى قرب منه.

فسلم الشيخ فأحسن، ودعا فأبلغ. فقال له الواصل: اجلس، فجلس، فقال له: يا
شيخ! ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك عليه.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ابن أبي دؤاد يصبى ويضعف عن المناظرة. فغضب
الواصل، وعاد مكان الرقة غضباً عليه. قال الواصل: أبو عبد الله بن أبي دؤاد يصبى ويضعف
عن مناظرتك أنت؟!

(١) في المطبوعة: الواصل، وهو خطأ.

(٢) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك، أبو عبد الله القاضي الأدي، ولد سنة (١٦٠) هـ. ولي
قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواصل، وكان موصوفاً بالجد والسخاء وحسن الخلق، ووفور الأدب،
غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على الإمتحان بخلق القرآن، توفي سنة (٢٤٠) هـ.
مفلوجاً، ودفن ببغداد. تاريخ بغداد ١٤١/٤ - ١٥٦.

ونقل ١٥٣/٤ عن الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - تكفيره بسبب اعتقاده.

(٣) أذنة، بوزن حسنة: بلد من الثغور الشامية قرب المصيصة، مشهور، خرج منه جماعة من أهل
العلم. نقلاً عن هامش المطبوعة.

فقال الشيخ: هُوَ عليك يا أمير المؤمنين، ما بك، فَأَذَنْ^(١) في مناظرته.

فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين! إِنَّ رَأَيْتَ أَنْ تحفظ علي وعليه ما نقول. قال. أَفْعَلْ.

قال الشيخ^(٢): يا أحمد، أَخْبِرْنِي عن مقاتلك هذه، هي مقالة واجبة داخلة في عقد الدِّين فلا يكون الدِّين كاملاً حتى يُقال فيه بما قلت؟ قال: نعم.

قال الشيخ: يا أحمد، أَخْبِرْنِي عن رسول الله - ﷺ - حين بعثه الله إلى عباده، هل ستر شيئاً مما أمره الله به في أمر دينهم؟ قال: لا.

فقال الشيخ: فدعا رسول الله - ﷺ - الأمة إلى مقاتلك هذه؟ فسكت ابن أبي داود. فقال الشيخ: تكلّم؛ فَسَكَتَ.

فالتفت إلى الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، واحدة. فقال الواثق: واحدة.

فقال الشيخ: يا أحمد، أَخْبِرْنِي عن الله - عز وجلّ - حين أنزل القرآن على رسول الله - ﷺ - فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(٣) هل كان الله تعالى الصّادق في إكمال دينه، أو أنت الصّادق في نقصانه، حتى يُقال فيه بمقاتلك هذه؟ فسكت ابن أبي دُواد. فقال الشيخ: أَجِبْ يا أحمد، فلم يُجِبْ.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، اثنتان. فقال الواثق: اثنتان.

فقال الشيخ: يا أحمد، أَخْبِرْنِي عن مقاتلك هذه، هل عَلِمَهَا رسول الله - ﷺ - أم جهلها؟

فقال ابن أبي دُواد: عَلِمَهَا.

(١) في المطبوعة: فائذن، وهو خطأ.

(٢) ذكر بعض هذه المناظرة الخطيب البغدادي في تاريخه ١٥١/٤ - ١٥٢، وأنظر فيها - أي: المناظرة - : مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٣٥٠ - ٣٥٢ (ط . مكتبة الخانجي)، والبداية والنهاية لابن كثير.

(٣) سورة المائدة، آية رقم ٣/.

قال: فدعا الناس إليها؟ فسكت.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ثلاث. فقال الواصل: ثلاث.

فقال الشيخ: يا أحمد، فأتسّع لرسول الله - ﷺ - أن عليمها وأمسك عنها كما زعمت، ولم يطالب أمتة بها؟
قال: نعم.

قال الشيخ: وأتسّع لأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم -؟
قال ابن أبي ذؤاد: نعم.

فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواصل، فقال: يا أمير المؤمنين؛ قد قدّمتُ القول: إنَّ أحمدَ يصبى ويضعف عن المناظرة؛ يا أمير المؤمنين! إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة بما زعم هذا أنه اتسع لرسول الله - ﷺ - ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فلا وسّع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم.

فقال الواصل: نعم، إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله - ﷺ - ، ولأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فلا وسّع الله علينا؛ اقطعوا قيد الشيخ. فلما قُطع القيد، ضَرَبَ الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه، فَجَاذَبَهُ الحَدَّادُ عليه.

فقال الواصل: دَعِ الشيخ يأخذه، فأخذه فوضعه في كَمَهِ.

فقال له الواصل: يا شيخ! لِمَ جاذبت الحدّاد عليه؟

قال: لأنني نُودِيتُ أن أنقِدمَ إلى من أوصي إليه، إذا أنا مت أن يجعله بيني وبين كفني، حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة، وأقول: يا رب! سلّ عبدك هذا لِمَ قَيْدني، ورُوّع أهلي وولدي وإخواني بلا حقٍّ أوجبَ ذلك عليّ، وبكى الشيخ وبكى الواصل وبكى.

ثم سأله الواصل أن يجعله في حِلٍّ وسعة بما ناله.

فقال الشيخ: والله يا أمير المؤمنين، لقد جعلتك في حلٍّ وسعة من أوّل يوم إكراماً لرسول الله - ﷺ - ، إذ كنت رجلاً من أهله.

فقال الواصل: لي إليك حاجة. فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت. فقال له الواصل: تُقِيمُ قَبْلنا فننتفع بك وتنتفع بنا.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين! إنَّ رَدَّكَ إياي إلى الموضع الذي أخرجني عنه هذا

الظالم، أنفع لك من مقامي عليك؛ وأخبرك بما في ذلك: أصير إلى أهلي وولدي، فأكفّ دعاءهم عليك، فقد خلّفتهم على ذلك.

فقال له الواصل: فتقبل مِنّا صلّة تستعين على دهرِكَ؟ فقال: يا أمير المؤمنين! لا تحلّ لي، أنا عنها غنيٌّ، وذو مرةٍ سويٍّ^(١).

فقال: سلّ حاجة. فقال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: تأذن أن يُخلّى لي السبيل السّاعة إلى الثّغر. قال: قد أذنت لك. فسلمّ وخرج.

قال المهتدي بالله: فرجعتُ عن هذه المقالة، وأظنّ أن الواصل رجع عنها منذ ذلك الوقت^(٢).

* * *

(١) البرّة: القوة والشّدة، وسويّ: أي سويّ الأعضاء سليماً.

(٢) قال الخطيب البغدادي، وابن الجوزي، وابن كثير: قال المهتدي: فدخل أبي المنزل، فاستلقى على ظهره، وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه، ويقول: أمّا وسعك ما وسعهم؟! ثم أطلق الشيخ، وأعطاه أربعمئة دينار، وسقط من عينه ابن أبي داود، ولم يمتحن بعده أحداً.

ذكر سبب توبة جماعة من الإمامة رحمة الله عليهم

٧٤ - [توبة حبيب أبي محمد]^(١)

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنبأ أبو الفضل أحمد بن أحمد الحدّاد، أنبأ أبو نعيم الحافظ^(٢)، قال:

كان سبب إقبال حبيب أبي محمد على الأجلة^(٣)، وانتقاله عن العاجلة^(٤)، حضوره مجلس الحسن^(٥)، ف وقعت موعظته في قلبه، فخرج عمّا كان يتصرف فيه، ثقة بالله، ومكتفياً بضمّانه؛ فاشتري نفسه من الله، فتصدّق بأربعين ألف درهم في أربع دفعات^(٦): تصدق بعشرة آلاف درهم في أول النّهار، فقال: يا رب! قد اشتريت نفسي منك بهذا؛ ثم أتبعها^(٧) بعشرة آلاف أخرى، فقال: هذه^(٨) شكرًا لما وفّقني له؛ ثم أخرج عشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب! إن لم تقبل منّي الأولى والثانية فاقبل منّي هذه؛ ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب! إن قبلت مني الثالثة فهذه شكرًا لها.

(١) هو حبيب أبو محمد الفارسي، من ساكني البصرة، كان صاحب مكرّات، وكان تاجرًا غنيًا.

حلية الأولياء ١٤٩/٦ - ١٥٥.

(٢) ذكر ذلك في الحلية ١٤٩/٦.

(٣) أي: الآخرة.

(٤) أي: الدنيا.

(٥) أي: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، التابعي المعروف، . وقد تقدّمت ترجمة ضافية له.

(٦) في الحلية ١٤٩/٦: وتصدّق بأربعين ألفاً في أربع دفعات.

(٧) في الحلية ١٤٩/٦: ثم أتبعه، . أي: أتبع الإنفاق بإنفاق عشرة آلاف أخرى.

(٨) في الحلية ١٤٩/٦: يا ربّ هذه...

(٩) في الحلية ١٤٩/٦: ربّ.

٧٥ - [توبة زاذان الكِندي^(١)]

وَرُوي^(٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٣)، أنه مرَّ ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة، فإذا فتيانٌ فسَّاق قد اجتمعوا يشربون، وفيهم مغنٌّ، يُقال له: زاذان، يضرب ويغني، وكان له صوت حسن. فلما سمع ذلك عبد الله^(٤)، قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله. وجعل الرَّداء على رأسه ومضى.

فسمع زاذان قوله، فقال: مَنْ كان هذا؟ قالوا: عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله - ﷺ -، قال: وأي شيء قال؟ قالوا: إنه قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى.

فقام وضرب بالعود على الأرض فكسَّره، ثم أسرع فأدركه، وجعل المنديل في عنق نفسه، وجعل يبكي بين يَدَي عبد الله بن مسعود؛ فاعتنقه عبد الله بن مسعود، وجعل يبكي كل واحد منهما.

ثم قال عبد الله: كيف لا أحبَّ من قد أحبه الله - عزَّ وجلَّ -، فتاب إلى الله - عزَّ وجلَّ - من ذنوبه.

ولازم عبد الله بن مسعود حتى تعلَّم القرآن، وأخذ حظًّا من العلم حتى صار إماماً في العلم، وروى عن عبد الله بن مسعود وسلمان^(٥) وغيرهما^(٦).

(١) هو زاذان، أبو عمر الكندي البزاز، ويكنى: أبا عبدالله - أيضاً. صدوق، يرسل، وفيه شيعية، من كبار التابعين، ومات سنة اثنتين وثمانين، التقريب ٢٥٦/١، والتهذيب ٣٠٢/٣ - ٣٠٣.

(٢) صيغة المبني للمجهول، تفيد التضعيف عند علماء الحديث.

(٣) هو الصحابي الجليل: عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمّة، وأمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة، التقريب ٤٥٠/١.

(٤) أي: ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) هو الصحابي الجليل: سلمان الفارسي، أبو عبدالله، ويقال له: سلمان الخير، أصله من أصبهان، وقيل: من رامهرمز، من أوّل مشاهده الخندق، مات سنة أربع وثلاثين، يقال: بلغ ثلاثمائة سنة، التقريب ٣١٥/١.

(٦) مثل: عمر بن الخطاب، وعليّ، وحذيفة وأبي هريرة، وعائشة وعبدالله بن عمر، وجريير بن عبدالله، والبراء بن عازب وغيرهم تهذيب التهذيب ٣٠٢/٣.

٧٦ - [توبة مالك بن دينار]^(١)

وروي^(٢) عن مالك بن دينار أنه سُئِلَ عن سبب توبته، فقال: كنت شرطياً، وكنت منهمكاً على شرب الخمر. ثم إنني اشتريتُ جارية نفيسة؛ ووقعتُ مني أحسن موقع، فولدت لي بنتاً. فشَغِفْتُ بها؛ فلما دَبَّتْ على الأرض ازدادت في قلبي حباً، وألفتني وألفتها.

قال: فكنت إذا وضعتُ المُسكر بين يدي، جاءت إلي، وجاذبتني عليه، وهرقته من ثوبي.

فلما تمَّ لها ستان ماتت؛ فأكمدني حزنها.

فلما كانت ليلةُ النصف من شعبان، وكانت ليلةُ الجمعة، بتَّ ثِمْلاً من الخمر؛ ولم أَصَلْ فيها عشاء الآخرة. فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، ونُفِخَ في الصور، وُبُعْثِرَتِ القبور، وحُشِرَ الخلائق، وأنا معهم. فسمعتُ حسّاً من ورائي، فالتفت، فإذا أنا بتنين، أعظم ما يكون، أسود أزرق، قد فتح فاه مسرعاً نحوي.

فمررت بين يديه هارباً فرعاً مرعوباً، فمررت في طريقي بشيخ نقيّ الثوب، طيّب الرائحة؛ فسلمت عليه فردّ السّلام، فقلت: أيها الشيخ! أجرنى من هذا التنين أجارك الله، فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف، وهذا أقوى مني، وما أقدر عليه؛ ولكن مُرّ وأسرّع، فلعل الله أن يُتِيحَ لك ما ينجيك منه.

فولّيت هارباً على وجهي، فصعدتُ على شَرَفٍ من شَرَفِ القيامة، فأشرفت على

(١) هو مالك بن دينار السامي، الناجي، مولاهم، أبو يحيى البصري، الزاهد، كان أبوه من سبي سجستان، وقيل: من كابل - روى عن أنس بن مالك، والأخنف، وشهر بن حَوْشَب، والحسن البصري، وابن سيرين، وغيرهم كثير. روى عنه أخوه عثمان، وسعيد بن أبي عَرُوبة، وصدقة بن الدقيقي، وأبو سلمة محمد بن عبد الله الأنصاري، وعبد السلام بن حرب وغيرهم، وكان صدوقاً، قال ابن حبان: كان يكتب المصاحف بالأجرة ويتقوّت بأجرته.

واختلف في تاريخ وفاته - رحمه الله - . فقال السري بن يحيى: مات سنة سبع وعشرين ومائة، وقال غيره: مات سنة ثلاث وعشرين، وقال خليفة بن خياط: مات سنة ثلاثين ومائة، وقال ابن حبان: الصحيح أنه مات قبل الطاعون وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين.

تهذيب التهذيب ١٠/١٤ - ١٥، والتقريب ٢/٢٢٤، والكاشف ٣/١٠٠.

(٢) بصيغة المبني للمجهول، وهذه الصيغة تفيد التضعيف، أي: تضعيف الرواية، وهذه القصّة حريّة بذلك، لما فيها من الكلام على هذا التابعي الجليل.

كما أن فيها خلافاً لما ذكره ابن حبان من أنه كان يعتاش من كتابة المصاحب، بينما هنا يذكر أنه كان شرطياً. إلا أن يكون ذلك بعد توبته، والله أعلم.

طبقات النيران، فنظرت إلى هولها، وكدت أهوي فيها من فزع التنين؛ فصاح بي صائح:
ارجع فلست من أهلها، فاطمانت إلى قوله، ورجعت.

ورجع التنين في طلبي، فاتيت الشيخ فقلت: يا شيخ، سألتك أن تجيرني من هذا
التنين فلم تفعل. فبكى الشيخ، وقال: أنا ضعيف ولكن سِرْ إلى هذا الجبل، فإن فيه
ودائع المسلمين، فإن كان لك فيه ودعة فستنصرِكَ.

قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة، وفيه كوى مخرمة، وستور معلقة، على
كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر، مفصلة باليواقيت، مكوكبة بالدر، على كل
مصراع ستر من الحرير.

فلما نظرت إلى الجبل، ولّيت إليه هارباً، والتنين من ورائي؛ حتى إذا قربت منه
صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور، وافتحوا المصاريع، وأشرفوا، فلعل لهذا البائس
فيكم ودعة تجيره من عدوه.. فإذا الستور قد رُفعت، والمصاريع قد فتحت، فأشرف
عليّ من تلك المخزمات أطفال بوجوه كالأقمار. وقرب التنين مني، فتحيّرت في أمري.
فصاح بعض الأطفال: ويحكم، أشرفوا كلّكم فقد قرب منه عدوه.

فأشرفوا فوجاً بعد فوج، وإذا أنا بابتني التي ماتت قد أشرفت عليّ معهم. فلما
رأيتني بكت، وقالت: أبي والله، ثم وثبت في كفّة من نور، كرميّة السهم، حتى مثلت بين
يدي. فمدّت يدها الشمال إلى يدي اليمنى، فتعلّقت بها، ومدّت يدها اليمنى إلى التنين
فولّى هارباً.

ثم أجلسني، وقعدت في حجري، وضربت يدها اليمنى إلى لحيّتي، وقالت: يا
أبت ﴿الْمَ يَا نَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١). فبكّيت، وقلت: يا بُنَيَّة، وأنتم
تعرفون القرآن؟ فقالت: يا أبت! نحن أعرف به منكم.

قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني. قالت: ذلك عملك السوء،
قوّيته، فأراد أن يُغرّقك في نار جهنم.

قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي. قالت: يا أبت! ذلك
عملك الصّالح، أضعفته، حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء.

قلت: يا بُنَيَّة! وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين، قد

(١) سورة الحديد، آية رقم ١٦.

أُسْكِنَا فِيهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، نَنْتَظِرُكُمْ تَقْدُمُونَ عَلَيْنَا فَنَشْفَعُ لَكُمْ^(١).
قال مالك: فانتبهتُ فزعاً، وأصبحتُ، فأرقتُ المسكر، وكسرتُ الأنية، وتبتُ إلى الله - عزَّ وجلَّ - . وهذا كان سبب توبتي .

٧٧ - [توبة داود الطائفي]^(٢)

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السلمي، أنبأ أبو القاسم الحسيني، أنبأ رشاً بن نظيف المقرئ، أنبأ الحسن بن إسماعيل، أنبأ أحمد بن مروان، ثنا محمد بن حاتم البغدادي، قال: سمعت الجحاني^(٣) يقول:

كان بدء توبة داود الطائفي أنه دخل المقبرة، فسمع امرأة عند قبر وهي تقول:

(١) شفاعة أولاد المسلمين لوالديهم واردة في الصحيح .
من ذلك: عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال لامرأة: ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجياً من النار، فقالت امرأة: واثنين واثنين؟ فقال: واثنين واثنين واثنين. متفق عليه: واللفظ لمسلم .
وعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي إنسان، فما أنت مُحدّثي عن رسول الله - ﷺ - بحديث تُطَيِّبُ به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال: نعم، صغارهم دعاميص الجنة (أي: صغار أهلها) يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - ، فيأخذ بثوبه، - أو قال: بيده - ، كما أخذ أنا بصنيفة (بطرف) ثوبك هذا. فلا يتسأى - أو قال: فلا ينتهي - حتى يُدخله الله وأباه الجنة، رواه مسلم .

وهناك أحاديث أخرى، أنظر في ذلك كتاب أهوال القبور للحافظ ابن رجب بتحقيقي .

(٢) هو داود بن نصير، أبو سليمان الطائفي، الكوفي، كان ممن شغل نفسه بالعلم، ودرس الفقه وغيره من العلوم وكان قد تفقه على أبي حنيفة، ثم اختار بعد ذلك العزلة وأثر الإنفراد والخلوة، ولزم العبادة، واجتهد فيها إلى آخر عمره، وقدم بغداد في أيام المهدي، ثم عاد إلى الكوفة، وبها كانت وفاته من أقواله: صم الدنيا واجعل افطارك فيها الموت، وفرّ من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى أن صحبتَ، فإنهم أقلّ مؤنة، وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا أن عملت به، تاريخ بغداد ٣٤٧/٨ - ٣٥٥ .

قال في التقريب ٢٣٤/١: «داود بن نصير - بضم النون - ، أبو سليمان الطائفي، الكوفي، ثقة فقيه زاهد، من الثامنة (أي: من أتباع التابعين)، مات سنة ستين ومائة، وقيل: خمس وستين» أ.هـ .
والطائفي: بفتح الطاء، وسكون الألف: وفي آخرها ياء مشاة من تحتها. هذه النسبة إلى طيٍّ واسمه: جلهمة بن أد بن زيد بن... قحطان، ينسب إليه خلق لا يحصون كثرة اللباب ٢٧١/٢ .

(٣) الجحاني: بكسر الحاء المهملة، وتشديد الميم وفي آخرها نون. هذه النسبة إلى جحمان، وهي قبيلة من تميم، وهو جحمان بن عبد العزيز بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم، نزلوا الكوفة، والمشهور بهذه النسبة أبو يحيى - وهو الراوي هنا - عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون الحماني، روى عن الأعمش والثوري وغيرهما، روى عنه ابنه أبو زكريا يحيى . اللباب ٣٨٦/١ .

مُقِيمٌ إِلَى أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ خَلْقَهُ لِقَاؤِكَ لَا يُرْجَى وَأَنْتَ قَرِيبٌ
تَزِيدُ بِلَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَتُسَلَّى كَمَا تَبْلَى وَأَنْتَ حَبِيبٌ^(١)
وقال أبو نعيم: قَدِمَ دَاوُدُ مِنَ السَّوَادِ وَلَا يَقْفَهُ؛ فَلَمْ يَزَلْ يَتَعَلَّمُ وَيَتَعَبَّدُ حَتَّى سَادَ أَهْلُ
الْكُوفَةِ.

وقال يوسف بن أسباط^(٢): وَرِثَ دَاوُدُ عَشْرِينَ دِينَارًا فَأَكَلَهَا فِي عَشْرِينَ سَنَةً^(٣).
قال أبو نعيم: كَانَ دَاوُدُ يَشْرَبُ الْفَتِيثَ وَلَا يَأْكُلُ الْخُبْزَ.
وقال^(٤): بَيْنَ مَضْغِ الْخُبْزِ وَشَرْبِ الْفَتِيثِ قِرَاءَةُ خَمْسِينَ آيَةٍ.

وَدَخَلَ إِلَيْهِ يَوْمًا رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنَّ فِي سَقْفِ بَيْتِكَ جَذْعًا قَدْ انْكَسَرَ. فَقَالَ: يَا ابْنَ
أَخِي! إِنِّي فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً، مَا نَظَرْتُ إِلَى السَّقْفِ. وَكَانُوا يَكْرَهُونَ فَضُولَ
النَّظَرِ كَمَا يَكْرَهُونَ فَضُولَ الْكَلَامِ^(٥).

٧٨ - [تُوبَةُ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ]^(٦)

أَنْبَأَنَا الْإِمَامُ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ^(٧)، أَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي غَالِبٍ، أَنَا

(١) ذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَةِ ٣٤١/٧ - ٣٤٢ سَبِيًّا آخَرَ لِتُوبَةِ دَاوُدَ، فَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ سَبَبُ دَاوُدَ
الطَّائِي، أَنَّهُ كَانَ يُجَالِسُ أَبَا حَنِيفَةَ فَقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ: يَا أَبَا سَلِيمَانَ، أَمَّا الْأَدَاةُ فَقَدْ أَحْكَمْنَاهَا، فَقَالَ
دَاوُدَ: فَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ؟ قَالَ: بَقِيَ الْعَمَلُ بِهِ، قَالَ: فَتَنَازَعْتَنِي نَفْسِي إِلَى الْعَزَلَةِ وَالْوَحْدَةِ، فَقُلْتُ لَهَا:
حَتَّى تَجْلِسِي مَعَهُمْ فَلَا تَجِيبِي فِي مَسْأَلَةٍ. قَالَ: فَكَانَ يَجَالِسُهُمْ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَعْتَزَلَ. قَالَ: فَكَانَتْ
الْمَسْأَلَةُ تَجِيءُ وَأَنَا أَشَدَّ شَهْوَةً لِلْجَوَابِ فِيهَا مِنَ الْعَطْشَانِ إِلَى الْمَاءِ، فَلَا أَجِيبُ فِيهَا، قَالَ: فَاعْتَزَلْتَهُمْ
بَعْدَ.

(٢) هُوَ يَوْسُفُ بْنُ إِسْبَاطَ بْنِ وَاصِلٍ، أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ، الزَّاهِدُ الْوَاعِظُ، لَيْسَ بِالْقَوِيِّ فِي الْحَدِيثِ، قَالَ
ابْنُ حِبَّانَ فِي الثَّقَاتِ: سَكَنَ أَنْطَاكِيَةَ، يَرْوِي عَنْ عَائِذِ بْنِ شَرِيحٍ، وَكَانَ مِنْ عِبَادِ أَهْلِ الشَّامِ وَقَرَّائِهِمْ،
كَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا الْحَلَالَ الْمُحَضَّصَ. . وَكَانَ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ زَمَانِهِ، لِسَانُ الْمِيزَانِ ٣١٧/٦ - ٣١٨.

(٣) هُوَ الْقَوْلُ ذَكَرَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَةِ ٣٤٧/٧ عَنْ ابْنِ عَمٍّ لِدَاوُدَ.

(٤) أَيُّ: دَاوُدُ الطَّائِي، كَمَا فِي الْحَلِيَةِ ٣٥٠/٧.

(٥) أَنْظَرَ الْحَلِيَةَ ٣٥١/٧، وَتَارِيخَ بَغْدَادَ ٣٤٩/٨.

(٦) هُوَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ بَشْرِ التَّمِيمِيِّ الْيَرْبُوعِيِّ، أَبُو عَلِيٍّ الزَّاهِدُ، الْمَشْهُورُ، أَصْلُهُ مِنْ
خُرَّاسَانَ، وَسَكَنَ مَكَّةَ، ثِقَّةٌ عَابِدُ إِمَامٍ، مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَقِيلَ قَبْلُهَا،
تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ٢٩٤/٨ - ٢٩٧ وَالتَّقْرِيبُ ١١٣/٢، وَحَلِيَةُ الْأَوْلِيَاءِ ٨٤/٨ - ١٣٩.

مِمَّا جَاءَ عَنْهُ، أَنَّهُ سَأَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا الْخُلَاصُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ؟ فَقَالَ لَهُ:
أَخْبِرْنِي مِنْ أَطَاعِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - هَلْ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ أَحَدٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمِنْ عَصَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ
وَتَعَالَى هَلْ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ أَحَدٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهُوَ الْخُلَاصُ إِنْ أَرَدْتَ الْخُلَاصَ. الْحَلِيَةُ ٨٨/٨.

(٧) أَيُّ: الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَقَدْ تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَةُ ضَافِيَةٍ لَهُ.

أحمد بن علي، قال: أخبرني الحسن بن علي بن محمد الواعظ، ثنا محمد بن العباس، قال: أنبا علي بن الحسين بن حرب، ثنا إبراهيم بن الليث النخشي^(١)، ثنا علي بن خشرم قال: أخبرني رجل من جيران الفضيل بن عياض، قال:

كان الفضيل يقطع الطريق وحده. فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق، فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإن أماناً رجلاً يقطع الطريق، يُقال له: الفضيل.

قال: فسمع الفضيل، فأرعد، فقال: يا قوم! أنا الفضيل، جوزوا، والله لأجتهدن أن لا أعصي الله أبداً، فرجع عما كان عليه.

وروي من طريق أخرى أنه أضافهم تلك الليلة؛ وقال: أنتم آمنون من الفضيل. وخرج يرتاد لهم علفاً؛ ثم رجع فسمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

قال: بلى والله قد آن. فكان هذا مبتداً توبته^(٣).

وقال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فضيلاً ليلة وهو يقرأ سورة محمد - ﷺ - ، ويبكي ويردد هذه الآية ﴿وَلْيَبْلُغْكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُغْ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٤) وجعل يقول: وتبلو أخباركم، ويردد ويقول: وتبلو أخبارنا، إن بلوت أخبارنا فضحتنا، وهتكت أстарنا، إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا^(٥).

وسمعه يقول: تزينت للناس وتصنعت لهم وتهيات لهم، ولم تزل ترائي حتى

(١) النخشي: بفتح النون، سكون الخاء، وفتح الشين المعجمة، وفي آخرها باء موحدة. هذه النسبة إلى نخشب، وهي مدينة من بلاد ما وراء النهر، وعربت فقل لها: نَسَف، ولهذه المدينة تاريخ كبير نحو مجلدتين كبيرتين، جمعه أبو العباس المستغفري. الباب ٣٠٣/٣.

(٢) سورة الحديد، آية رقم ٦/.

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في التهذيب ٢٩٤/٨ - ٢٩٥ سبياً آخر للتوبة، فقال: قال الفضل بن موسى: كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾. فلما سمع قال: بلى يا رب قد آن، فرجع، فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت، قلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين يخافونني ههنا، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع؛ اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

(٤) سورة محمد، آية رقم ٣١/،

(٥) ذكر هذا القول في الحلية ١١١/٨.

عرفوك، فقالوا: رجل صالح، ففضوا لك الحوائج، ووسّعوا لك في المجلس، وعظّموك، خيبة لك؛ ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك^(١).

وسمعه يقول: إن قدرت أن لا تُعرّف فافعل؛ وما عليك أن لا تُعرف، وما عليك أن لم يُثنَ عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً^(٢).

٧٩ - [توبة عليّ بن الفضيل بن عياض]^(٣)

أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصبهاني في كتابه، أنا عبد الرزاق بن محمد بن الشرايبي^(٤)، أنا سعيد بن محمد بن سعيد الولي، أنا علي بن أحمد بن عليّ الواقدي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي^(٥)، أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، قال: سمعت أبي، يقول: سمعت محمد بن إسحاق السراج، يقول: سمعت محمد بن خلف، يقول: حدّثني يعقوب بن يوسف، قال:

كان الفضيل بن عياض إذا علم أن ابنه علياً خلفه - يعني في الصلاة - مرّ ولم يقف ولم يخوف؛ وإذا علم أنه ليس خلفه، تنوّق في القرآن وحزّن وخوّف. فظنّ يوماً أنه ليس خلفه، فأتى على ذكر هذه الآية: ﴿رَبَّنَا عَلَبْتُ عَلَيْنا سِقُوتُنا وكُنّا قوماً ضالّين﴾^(٦).

(١) ذكر في الحلية ١١١/٨، وذكره ٩٤/٨ عن الفيض بن إسحاق نحوه.

(٢) الحلية ٨٨/٨.

(٣) هو علي بن بن الفضيل بن عياض التميمي اليربوعي، ثقة عابد زاهد، فاق أباه في الزهد والورع، حتى أن ابن المبارك قال: خير الناس - يعني في ذلك الوقت - : فضيل بن عياض، وابنه عليّ خير منه، توفي - رحمة الله عليه - قبل أبيه بمدة، وكان سبب موته أنه سمع آية تقرأ فغشي عليه، وتوفي في الحال.

تهذيب التهذيب ٣٧٣/٧ - ٣٧٤، والتقريب ٤٢/٢، وحلية الأولياء ٢٩٧/٨ - ٣٠٠.

(٤) الشرايبي: بفتح الشين والراء، وسكون الألف، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى الشراب، واشتهر بهذه النسبة جماعة كان أجدادهم يصنعون الشراب ويحفظونه.

اللباب ١٨٩/٢ - ١٩٠.

(٥) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ويقال: الثعالبي، المفسّر المشهور، النيسابوري، له تصانيف مشهورة منها التفسير الذي فاق غيره من التصانيف فيه، قيل: إنما قيل له: الثعلبي، لقب له وليس بنسب، قاله بعض العلماء، توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة. اللباب ٢٣٨/١.

(٦) سورة المؤمنون، آية رقم ١٠٦.

قال: فخر عليّ مغشياً عليه. فلمّا علِم أنّه خلفه وأنه قد سقط، تجوّر في القراءة. فذهبوا إلى أمّه، فقالوا: أدركيه. فجاءت فرشت عليه ماءً، فأفاق. فقالت لفضيل: أنت قاتل هذا الغلام عليّ.

فمكث ما شاء الله، فظن أنه ليس خلفه، فقرأ: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(١). فخر ميتاً، وتجوّر أبوه في القراءة. وأتيت أمّه فقيل لها: أدركيه. فجاءت فرشت عليه ماءً، فإذا هو ميت رحمه الله.

٨٠ - [توبة بشر بن الحارث الحافي]^(٢)

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا حمد، ثنا أحمد^(٣) قال: سمعت عبد الله بن محمد بن جعفر، يقول: سمعت عبدالله بن محمد، يقول: سمعت محمد بن [داود]^(٤) الدّينوريّ^(٥) يقول: [سمعت محمد بن الصّلت يقول:]^(٦).

سمعت بشر بن الحارث وسئل: ما كان بدء أمرك، لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبيّ؟.

قال: هذا من فضل الله، وما أقول لكم؟ كنت رجلاً غيّاراً^(٧) صاحب عصبية، فجزّت يوماً، فإذا أنا بقرطاس^(٨) في الطريق، فرفعته فإذا فيه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فمسحته وجعلته في جيبِي.

(١) سورة الزمر، آية رقم /٤٧.

(٢) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال. المرزوبي. نزيل بغداد، أبو نصر الحافي، الزاهد الجليل المشهور، ثقة قدوة، مات سنة سبع وعشرين ومائتين، وله ست وسبعون؟ التقريب ٩٨/١، وأنظر حلية الأولياء ٣٣٦/٨ - ٣٦٠. وتاريخ بغداد ٦٧/٧ - ٨٠، والبداية والنهاية ٢٩٧/١٠، وتهذيب التهذيب ٤٤٤/١ - ٤٤٥.

(٣) في المطبوعة: أنا حمّد بن أحمد، وهو خطأ، وأحمد هو: ابن عبدالله، الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، وهذه الرواية في الحلية ٣٣٦/٨.

(٤) زيادة من الحلية ٣٣٦/٨.

(٥) الدّينوريّ بكسر الدال المهملة، وسكون الياء آخر الحروب، وفتح النون والواو، وفي آخرها الراء. هذه النسبة إلى الدّينور، وهي بلدة من بلاد الجبل عد قريسين، بنسب إليها جماعة من العلماء. اللباب ٥٢٦/١.

(٦) زيادة في الحلية ٣٣٦/٨.

(٧) قال في مختار الصحاح ص ١٦٩: «رجلٌ غيّار، أي: كثير التطواف والحركة، ذكيّ، أهد.

(٨) قال في مختار الصحاح ص ٢١٠: «القرطاس - بكسر القاف، وضمها - : الذي يُكتب فيه، أهد.

وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما. فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية^(١). ومسحته في القرطاس.

فتمت تلك الليلة؛ فرأيت في المنام كأن قائلًا يقول: يا بشر بن الحارث، رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته، لأطيب اسمك في الدنيا والآخرة، ثم كان ما كان.

وحكي^(٢) أن بشراً كان في زمن لهو في داره، وعنده رفقاءه يشربون ويطيون. فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدق الباب. فخرجت إليه جارية، فقال: صاحب هذه الدار حرّ أو عبد؟ فقالت: بل حرّ. فقال: صدقت، لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية، وترك الله والطرب

فسمع بشر محاورتهما، فسارع إلى الباب حافياً حاسراً، وقد ولى الرجل. فقال للجارية: ويحك! من كلمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى. فقال: أي ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا.

فتبعه بشر حتى لحقه؛ فقال له: يا سيدي! أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم. قال: أعد علي الكلام. فأعاده عليه. فمرغ بشر خذيه على الأرض وقال: بل عبد، عبد؛ ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عرف بالحفاء.

فقال له: لم لا تلبس نعلًا؟ قال: لأنني ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ. فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات.

* * *

٨١ - [توبة عشرة فتيان، وعشرة أحداث]

أبنا الشيوخ أبو الفرج^(٣)، قال: أنا محمد بن عبد الله بن حبيب، أنا علي بن عبد الله بن أبي صادق، ثنا محمد بن عبد الله بن باكويه، قال: حدثني مفرج بن الحسين الصعدي^(٤)، قال: حدثني فاطمة بنت أحمد - أخت أبي علي الروذباري^(٥) -، قالت:

(١) هو نوع من الطيب، قيل: أول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك، مختار الصحاح ص ٥٣١.

(٢) بصيغة المبني للمجهول، وهي تفيد التضعيف.

(٣) أي: ابن الجوزي.

(٤) الصعدي: بفتح الصاد، وكسر العين. وسكون الباء آخر الحروف، وفي آخرها دال مهملة، هذه النسبة إلى الصعيد، وهي ناحية بمصر معروفة. اللباب ٢/٢٤٢.

(٥) قال في اللباب ٢/٤١: «الروذباري: بضم الراء، وسكون الواو والذال المعجمة، وفتح الباء الموحدة. وبعد الألف راء. وهذا يقال لمواضع عند الأنهار الكبار، يقال لها الروذبار، وهي موضع.

كان ببغداد عشرة فتیان معهم عشرة أحداث. فوجَّهوا واحداً من الأحداث في حاجة لهم؛ فأبطأ، فحَرَدُوا عليه. فجاء وهو يضحك، وييده بطيخة. فقالوا له: تبطىء وتجيء وأنت تضحك؟!.

فقال: جئتكم بأعجوبة، وضع بشر يده على هذه البطيخة فاشتريتها بعشرين درهماً. فأخذ كل واحد منهم يقبلها ويضعها على عينه.

فقال واحد منهم: بأي شيء بلغ بشر هذه المرتبة؟ فقالوا: بالتقوى. فقال هو: أشهدكم أنني تائب إلى الله تعالى^(١)، فقال القوم كلُّهم مثله. ويقال: إنهم خرجوا إلى طرسوس^(٢) فاستشهدوا كلُّهم - رحمة الله عليهم.

* * *

٨٢ - [توبة رجل عن طغيانه]

أبنا الإمام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السَّلَفِيَّ^(٣)، قال: أنا أبو الحسين بن الطُّيُورِيَّ^(٤)، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن أحمد بن الفضل، أنا أبو الحسن علي بن

= عند طوس، ينسب إليها... وأبو علي - وهو المذكور هنا - محمد بن أحمد بن القاسم الرُّوذِبَارِي الصوفي، سكن مصر، وله تصانيف حسان في التصوّف، كان من أولاد الرؤساء والوزراء، صحب الجُنيد، وكان فقيهاً، محدثاً، نحويّاً، وله شعر حسن رقيق، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة أ هـ.

(١) في المطبوعة: فقال: هو يُشهدكم أنّه تائب إلى الله تعالى، وما أثبتناه هو الموافق لسياق الكلام، والله تعالى أعلم.

(٢) هي مدينة مشهورة، كانت ثغراً من ناحية بلاد الروم على ساحل البحر الشامي، وهي الآن بيد الأرمن النصارى، أعادها الله تعالى إلى الإسلام، الباب ٢/٢٧٩.

(٣) هو الإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سِلْفَةَ السَّلَفِي، (بكسر السين، وفتح اللام)، الأصهباني، محدث، فقيه، أديب، رحل في طلب العلم، وبقي في الرحلة ثمانية عشر عاماً يكتب الحديث والفقه والأدب والشعر، وقدم دمشق فأقام بها، ثم استوطن الإسكندرية، ونوفي بها في ربيع الآخر، سنة ست وسبعين وخمسمائة عن نحو مائة سنة وتيف.

من آثاره: السداسيات في الحديث، المشيخة البغدادية، معجم السفر، شرح القراءة على الشيوخ وغيرها.

أنظر في ترجمته تذكره الحفاظ ٩٠/٤ - ٩٥، وميزان الاعتدال ١٥٥/١، ولسان الميزان ٢٩٩/١ - ٣٠٠، وشذرات الذهب ٢٥٥/٤، ومعجم المؤلفين ٧٥/٢ - ٧٦، واللباب في تهذيب الأنساب ١٢٦/٢.

(٤) هو المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم بن أحمد بن عبد الله البغدادي الصيرفي، أبو=

عبد الله بن الحسن بن جهضم، ثنا علي بن هارون، ثنا محمد بن مخلد، قال: حدثني أبو الفتح بن مخرق، قال:

تعلق رجل بامرأة من بنات الشام، فتعرض لها بيده سكين، لا يدنو منه أحد إلا عقره. وكان الرجل شديد البدن. فبينما الناس كذلك، والمرأة تصيح من يده، إذ مرّ بشر بن الحارث، فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل. فوقع الرجل إلى الأرض، ومضى بشر.

فدنا من الرجل وهو يرشح عرقاً كثيراً؛ ومضت المرأة بحالها. فسألوه: ما حالك؟ فقال: ما أدري، ولكنني حاكني شيخ، قال: إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل؛ فصعقت لقوله قدامي، وهبته هيئة شديدة، لا أدري من ذاك الرجل. فقالوا له: ذاك بشر بن الحارث.

فقال: واسوءناه، كيف ينظر إليّ بعد اليوم؟ وحّم الرجل من يومه، ومات اليوم السابع.

٨٣ - [توبة تاجر من تجار بغداد من الواقعة في الناس]

أنبأنا محمد، قال: أنا أحمد^(١)، قال: أخبرني محمد بن خفيف^(٢) - فيما كتب إليّ -، قال: حدثني عبد الله بن الفضل، حدثني أبو عبد الله القاضي، قال: حدثني أبي، قال:

كان عندنا ببغداد رجل من التجار صديق لي؛ وكان كثيراً ما أسمع يقيم في الصوفية. قال، فرأيت بعد ذلك يصحبهم، وأنفق عليهم جميع ما ملك.

الحسن بن الطيوري، شيخ مشهور، مكثر ثقة، رحل في طلب الحديث حتى اجتمع إليه مالم يجتمع لغيره من أهل عصره، توفي في نصف ذي العقدة، سنة خمسمائة، سير أعلام النبلاء ج ١٢، ق ٤٩ - ٥٠، ميزان الاعتدال ٤٣١/٣، لسان الميزان ٩/٥. ومعجم المؤلفين ١٧٢/٨.

(١) أي: ابن عبدالله، أبو نعيم الحافظ، والقصة عنده في الحلية ٣٥٢/٨ - ٣٥٣.
(٢) في الحلية ٣٥٢/٨: محمد بن حنيف، وهو تصحيف. فقد ذكره في ترجمته ٣٨٥/١٠ - ٣٨٩ على الصواب.

وقد ذكره في معجم المؤلفين ٢٦٦/٩ على الصواب - أيضاً -، وعزا ذلك للأسنوي في طبقات الشافعية (١/٨٢) مخطوط وللبغدادي في هدية العارفين ٤٩/٢. والله أعلم.

وهو محمد بن خفيف بن اسفكشاد الشيرازي، أبو عبدالله، صوفي، شاعر، شارك في علوم الظاهر والحقائق، توفي في رمضان سنة (٣٧١) هـ. من تصانيفه. آداب المريدين، اختلاف الناس في الروح، ديوان شعر، الفصول في الأصول وغيرها. من معجم المؤلفين.

قال: فقلت له: أليس كنت تبغضهم؟ قال: فقال لي: ليس الأمر على ما توهمت.
قلت له: كيف؟ قال: صليت الجمعة يوماً من الأيام، وخرجت فرأيت بشراً الحافي يخرج
من المسجد مسرعاً.

قال: فقلت في نفسي: أنظر إلى هذا الرجل الموصوف بالزهد، ليس يستقر في
المسجد، قال: فتركت حاجتي، فقلت: أنظر أين يذهب.

قال: فتبعته فرأيتَه تقدّم إلى الخبّاز، واشترى بدرهم خُبْزَ الماء. قال: قلت: أنظر
إلى هذا الرجل يشتري خبز الماء! قال: فتقدم إلى الشّوّاء فأعطاه درهماً، وأخذ شواءً؛
فزادني عليه غيظاً.

قال: وتقدّم إلى الحلّويّ واشترى فالودجاً^(١) بدرهم.

فقلت في نفسي: والله لأنغصن عليه حين يجلس ويأكل.

قال: فخرج إلى الصحراء، وأنا أقول: يريد الخضرة والماء.

قال: فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه. قال: فدخل قرية، وفي القرية مسجد،
وفيه مريض. قال: فجلس عند رأسه وجعل يلقمه.

قال: فقمْتُ لأنظر القرية. قال: فبقيت ساعة، ثم رجعت فقلت للعليل: أين بشر؟
قال: ذهب إلى بغداد. قال: فقلت: وكم بيني وبين بغداد؟ فقال: أربعون فرسخاً.
فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أئش عملت بنفسي، وليس معي ما أكتري، ولا أقدر
على المشي. قال: اجلس حتى يرجع.

فجلست إلى الجمعة القابلة. قال: فجاء بشر في ذلك الوقت، ومعه شيء يأكله^(٢)
المريض. فلما فرغ، قال له العليل: يا أبا نصر! هذا رجل صحبك من بغداد وبقي عندي
منذ الجمعة، فردّه.

قال: فنظر إليّ كالْمُغْضَب، وقال: لِمَ صَحَبْتَنِي؟ قال: فقلت: أخطأت. قال لي:
قم، امش.

قال: فمشيت إلى قرب المغرب. قال: فلما قربنا، قال لي: أين محلّتك من
بغداد؟ قلت: في موضع كذا. قال: إذهب ولا تعد.

قال: فتبّت إلى الله - عزّ وجلّ - وصحبتهم، وأنا على ذلك.

(١) هو نوع من الحلوى، وهذه الكلمة فارسية معرّبة، أنظر مختار الصحاح ص ١٩.

(٢) في المطبوعة: يأكل، وهو خطأ والتصويب من الحلية ٣٥٣/٨.

٨٤ - [توبة أبي عبد رب^(١)]

أخبرنا محمد، قال: ثنا حمد، أنا أحمد، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد، ثنا الحسن بن محمد، ثنا أبو زرعة، ثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك، ثنا الوليد بن مسلم^(٢)، عن ابن جابر^(٣).

أنّ أبا عبد ربّ كان من أكثر أهل دمشق مالاً، فخرج إلى أذربيجان^(٤) في تجارة؛ فأمسى إلى جانب مرج ونهر فتزل به.

قال أبو عبد ربّ: فسمعت صوتاً يكثر حمد الله في ناحية من المرج، فاتبعته. فوافيت رجلاً في حفير من الأرض ملفوفاً في حصير. فسلمت عليه، وقلت: من أنت يا عبد الله؟

قال: رجل من المسلمين. قال: قلت: ما حالك هذه؟

قال: حال نعمة يجب عليّ حمد الله فيها. قال: قلت: كيف وإنما أنت في حصير؟

(١) هو أبو عبد ربّ الدمشقي الزاهد، ويقال: أبو عبد ربه، ويقال: أبو عبد رب العزة مولى ابن غيلان الثقفي، ويقال: مولى بني عذرة، قيل: اسمه، عبد الجبار بن عبيد بن سلمان، وقيل: عبد الرحمن بن أبي عبدالله، وقيل: قسطنطين، وقيل: فلسطين، وهذا الأخير ليس بشيء، قال أبو زرعة الدمشقي، عن أبي مسهر، كان رومياً اسمه قسطنطين، فلما أسلم سُمّي عبد الرحمن، وكان من الأغنياء الميسورين فخرج من ماله كلّهُ، وهو من التابعين، توفي سنة اثنتي عشرة ومائة، ذكره ابن حبان في الثقات، ووصفه البعض بالصدق، تهذيب التهذيب ١٢/١٥٢-١٥٣، والتقريب ٢/٤٤٦، وقال: «مقبول» أهـ

(٢) هو الوليد بن مسلم القرشي، مولاهم، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية، أي يدلّس تدليس التسوية، ومن صورهِ أن يسقط من سنده، شيخه أو غير شيخه، لكونه ضعيفاً أو صغيراً، ويأتي بلفظ محتمل أنه عن الثقة الثاني، تحسيناً للحديث، مات آخر سنة أربع، أو أول سنة خمس وتسعين ومائة، التقريب ٢/٣٣٦، وطبقات المدلسين ص ١٣٤. قلت: وقد عنعنه، فالإسناد ضعيف.

(٣) هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي، أبو عتبة، الشامي الداراني، ثقة؛ من أتباع التابعين، مات سنة بضع وخمسين ومائة، التقريب ١/٥٠٢، وهذا إسناد ضعيف عنه، بسبب عنعنة الوليد بن مسلم كما تقدّم.

(٤) أذربيجان: بفتح الهمزة، وسكون الذال المعجمة، وفتح الراء، وكسر الباء، وياء ساكنة، وجيم، وقد فتح قوم الذال المعجمة، وسكّنوا الراء، ومدّ آخرون الهمزة مع ذلك. وحدّ أذربيجان من برذعة مشرقاً إلى أذربيجان مغرباً، ويتصل حدّها من جهة الشمال ببلاد الديلم، ومن مشهور مدائنّها تبريز، نقلاً عن هامش المطبوعة.

قال: ومالي لا أحمد الله أن خلقني فأحسن خلقي وجعل مولدي ومنشي في الإسلام، وألبسني العافية في أركاني، وستر علي ما أكره ذكره أو نشره؟! فمد أعظم نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه.

قال: قلت: رحمك الله! إن رأيت أن تقوم معي إلى المنزل فيأنا نزولاً على النهر.
قال: ولمه؟ قلت: لتصيب من الطعام، ولننطيك ما يغنيك عن لبس الحصر.
قال: ما بي حاجة.

قال الوليد: فحسبت أنه قال: إن لي في أكل العشب كفاية عما قال أبو عبد رب.
قال: فأردته على أن يتبعني؛ فأبى، قال: ما لي به من حاجة.
قال أبو عبد رب: فانصرف وقد تقاصرت إلي نفسي، ومقتها أني لم أخلف بدمشق رجلاً في الغنى يكاثرني، وأنا ألتبس الزيادة فيه. وقلت: اللهم! إني أتوب إليك من سوء ما أنا فيه.

قال: فبت ولم يعلم إخواني بما قد أجمعت به. فلما كان من السحر رحلوا كنحو من رحيلهم فيما مضى؛ وقدموا إلي دابتي فركبتها، وصرفتها إلى دمشق. وقلت: ما أنا بصادق التوبة إن أنا مضيت في متجري هذا. فسألني القوم، فأخبرتهم؛ وعاتبوني على المضي فأبيت.

قال ابن جابر: فلما قدم تصدق بصامت ماله^(١)، وتجهز به في سبيل الله.
قال ابن جابر: فحدثني بعض إخواني قال: ما كست صاحب عباءة في عباءة^(٢)، أعطيته ستة، وهو يقول: سبعة. فلما أكثر قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل دمشق.
قال: ما تشبه شيخاً وفد عليّ أمس، يقال له: أبو عبد رب، اشترى مني سبعمائة كساء بسبعة سبعة؛ ما سألتني أن أضع له درهماً، فسألني أن أحملها له، فبعثت أعواني؛ فما زال يفرقها بين فقراء الجيش، فما دخل إلى منزله منها بكساء.

قال ابن جابر: وباع عقدة^(٣) وتصدق بها، وباع دازه بمالٍ عظيم وفرقه؛ وكان مع

(١) صامت المال: الذهب والفضة، قال في مختار الصحاح ص ٥٠: «يقال: ما له صامت ولا ناطق، فالصامت الذهب والفضة، والناطق الإبل والغنم، أي: ليس له شيء أهد. وأنظر أساس البلاغة ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

والمقصود هنا: أنه تصدق من ماله ما كان ذهباً وفضةً، والله أعلم.

(٢) أي: شاكسته وتشاصحت معه من أجل إنقاص ثمن العباءة واستحطاطه. أنظر مختار الصحاح ص ٢١٣، وأساس البلاغة ص ٤٣٤.

(٣) أي: ضيعة، مختار الصحاح ص ١٠٥.

ذلك موته . فما وجدوا منها إلا قدر ثمن الكفن .

وكان يقول : والله لو أنّ نهركم هذا - يعني بَرَدَى - سال ذهباً وفضة ، من شاء خرج إليه فأخذ منه ، ما حرجتُ إليه ؛ ولو قيل : من مسّ هذا العمود مات ، لسرني أن أقوم إليه شوقاً إلى الله وإلى رسوله^(١) .

٨٥ - [توبة القَعْنَبِي] ^(٢)

أنا الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السُّلَفِي^(٣) ، قال : أنا أبو علي أحمد بن محمد بن أحمد البرُدَانِي^(٤) ، أنا الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ ، أنا هلال بن محمد الحَقَّار ، أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الصباح البَزَّاز ، قال : لم يرو القَعْنَبِي عن شعبة^(٥) غير هذا الحديث الواحد^(٦) ، وله شرح^(٧) ، حدثني بعض القضاة ، عن بعض ولد المعنبي بالبصرة^(٨) ، قال :

(١) ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في التهذيب ١٥٣/١٢ . عن أبي مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز . عن أبي عبد ربّ الزاهد قال : . . . فذكره نحوه ، وفي آخره : قال سعيد : ونحن نعلم أنه صادق . - أي : فيما قاله . -

(٢) هو عبد الله بن مسلمة بن قَعْنَب ، القَعْنَبِي ، الحارثي ، أبو عبد الرحمن البصري ، أصله من المدينة ، سكنها مدة ، ثقة عابد ، كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه في الموطأ أحداً ، مات في أوّل سنة إحدى وعشرين ومائتين ، بمكة - رحمه الله تعالى . التهذيب ٣١/٦ - ٣٣ ، والتقريب ٤٥١/١ ، واللباب ٥٠/٣ .

(٣) السُّلَفِي . بكسر السين ، وفتح اللام ، وقد تقدمت ترجمته قريباً ، قبل قصّتين .

(٤) قال في اللباب ١٣٥/١ : « البرُدَانِي : بضم الباء الموحدة والراء ، والذال المهملة ، وفي آخرها النون ، هذه السّنة إلى بُردان ، وهي قرية من قرى بغداد ، خرج منها جماعة من العلماء ، منهم : . . . وأبو علي أحمد (بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن علي البرداني) ، كان فاضلاً حافظاً ، توفي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، في جمادى ، أ هـ .

(٥) هو دُعمَةُ بن الحجاج بن الورد العتكي ، مولاهم ، أبو بسْطام الواسطي ، ثم البصري ، ثقة حافظ متص ، كثر الثوري قُبال : هو أمير المؤمنين في الحديث ، وهو أوّل من فُتس بالعراق عن الرجال ، وذلك عن السّنة ، وكان عابداً ، من أتباع التابعين ، مات - رحمه الله تعالى - سنة ستين ومائة ، التقريب ٢٥١/١ .

(٦) ذكره الخطّاب في حجه في التهذيب ٣١/٦ أنّ القَعْنَبِي يروي عن شعبة ، وذكر محقق التهذيب نقلاً عن هامش المصنف : ليس له عن شعب غير حديث : إنّ ممّا أدرك الناس من كلام النّبوّة الأولى . . الحديث ، والله أعلم .

(٧) تُبي : سب .

(٨) وهذا إسناد ضعيف . سبب الجهل بالقاضي الذي حدّثه ، وكذلك للجهل بولد القَعْنَبِي ، وهو حريّ =

كان أبي يشرب النبيذ ويصحب الأحداث. فدعاهم يوماً، وقد قعد على الباب ينتظرهم. فمرَّ شُعبة على حمارة والنَّاس خلفه يهرعون. فقال: من هذا؟ قيل: شُعبة. قال: وأيُّ شُعبة؟ قالوا: محدِّث.

فقام إليه وعليه إزار أحمر، فقال له: حدِّثني. فقال له: ما أنت من أصحاب الحديث فأحدِّثك. فأشهر سكينه، وقال: تحدِّثني أو أجرحك؟ فقال له: حدِّثنا منصور، عن ربَّعي^(١)، عن أبي مسعود^(٢)، قال: قال رسول الله - ﷺ: «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»^(٣).

= بالتضعيف، لما فيه من اتهام إمام كبير مثل القعني بشرب النبيذ وغير ذلك، والله أعلم.

(١) هو ربَّعي بن جِراش - بكسر المهملة، وآخره معجمة -، أبو مريم العبسي، الكوفي، ثقة عابد، مخضرم، مات سنة مائة، وقيل غير ذلك. التقريب ٢٤٣/١.

(٢) هو الصحابي الجليل عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، أبو مسعود البصري، مات - رضي الله تعالى عنه - قبل الأربعين، وقيل بعدها، التقريب ٢٧/٢.

(٣) رواه من طريق القعني، عن شُعبة به:

أبو داود في كتاب الأدب، باب (٦) في الحياء، حديث رقم (٤٧٩٧) ٢٥٢/٤، وأوله: إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: ... فذكره.

ورواه من طرق أخرى بالزيادة في أوله.

البخاري أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، حديث رقم (٣٤٨٤ - ٣٤٨٣) ٥١٥/٦.

وفي كتاب الأدب، باب (٧٨) إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت، حديث رقم (٦١٢٠) ٥٢٣/١٠.

وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (١٧) الحياء، حديث رقم (٤١٨٣) ١٤٠٠/٢.

وأحمد في المسند ١٢١/٤ - ١٢٢.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٥٢٣/٦؛ وقوله: إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة: الناس: بالرفع في جميع الطرق، ويجوز النصب، أي: مما بلغ الناس.

وقوله: من كلام النبوة: أي أنه مما ندب إليه الأنبياء، ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم...، قوله: فاصنع ما شئت: هو أمر بمعنى الخبر.

أو هو للتهديد أي: فاصنع ما شئت فإن الله يجزيك، أو معناه: أنظر إلى ما تريد أن تفعله، فإن كان ممَّا لا يُستحي منه فافعله، وإن كان ممَّا يستحي منه فدعه.

أو المعنى: أنك إذا لم تستحِ من الله من شيء يجب أن لا تستحي منه من أمر الدين فافعله، ولا تبال بالخلق. أو المراد الحث على الحياء، والتوبة بفضله، أي: لمَّا لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الإستحياء! أهـ.

وقال - رحمه الله - ٥٢٣/١٠: «وأشير هنا إلى زيادة. على ذلك، قال النووي في الأربعين: الأمر فيه للإباحة أي إذا أردت فعل شيء فإن كان ممَّا لا تستحي إذا فعلته من الله ولا من الناس فافعله وإلا =

فرمى سكينه ورجع إلى منزله. فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهراقه، وقال لأمته: الساعة أصحابي يجيئون، فأدخلهم وقدمي الطعام إليهم؛ فإذا أكلوا فخبّريهم بما صنعتُ بالشراب حتى ينصرفوا.

ومضى من وقته إلى المدينة، فلزم مالك بن أنس^(١)، فأثر عنه^(٢).
ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة، فما سمع منه غير هذا الحديث.

٨٦ - [توبة عكبر الكردي]

قرأتُ في «الملتقط»^(٣)، عن بشر بن الحارث الحافي أنه قال: اعترضت عكبر الكردي، فقلت له: أيش كان أصل رجوعك إلى الله تعالى؟ فقال: كنت في بعض الدحال^(٤) أقطع الطريق، وكان فيها ثلاث نخلات، نخلة منهن لا تحمل؛ وإذا بعصفور يأخذ من حَمْل النخلة التي تحمل رطبة فيدعها في التي لا تحمل.

فلم أزل أعدّ عليه عشر مرار؛ فخطر بقلبي: قم وانظر، فنهضتُ، فإذا في رأس النخلة حية عمياء - يعني: وهو يضع الرطبات في فيها.

فبكيت، وقلت: سيدي! هذه حية قد أمر نبيك بقتلها؛ أعميتها وأقمت لها عصفوراً يقوم لها بالكفاية؛ وأنا عبدك، أقرّ بأنك واحد، أقمتني لقطع الطريق وإخافة السبيل؟! -
فوقع في قلبي: يا عكبر! بابي مفتوح.

فكسرتُ سيفي، ووضعتُ التراب على رأسي، وصحّت: الإقالة، الإقالة؛ فإذا بهاتف يقول: قد أفلناك، قد أفلناك.

= فلا، وعلى هذا مدار الإسلام.

وتوجيه ذلك أن المأمور به: الواجب والمندوب، يستحى من تركه، والمنهي عنه: الحرام والمكروه، يستحى من فعله؛ وأما المباح فالحياء من فعله جائز، وكذا من تركه، فتضمّن الحديث الأحكام الخمسة، أ هـ.

(١) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبدالله، المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقين، وكبير المشيخين، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك، عن نافع، عن ابن عمر، من أتباع التابعين، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة، التقريب ٢٢٣/٢.

(٢) أي: فأخذ عنه الأثر والحديث.

(٣) هو كتاب: ملتقط الحكايات، للإمام ابن الجوزي.

أبو الفضل - رحمه الله تعالى - وقد تقدمت ترجمته.

(٤) الدحال: جمع دَحَل، وهو حفرة غامضة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل، أساس البلاغة ص ١٢٧.

فانتبه رفقائي، فقالوا: ما لك؟ قد أزعجتنا. فقلت: كنت مهجوراً، وقد صُولحت.
فقالوا: ونحن أيضاً كنا مهجورين، وقد صولحنا.
فرمينا ثيابنا وأحرمنا كلنا، فما زلنا كذلك ثلاثة أيام نصيح ونبكي ونحن سكارى
حيارى.

فوردنا اليوم الثالث على قرية؛ وإذا بامرأة عمياء جالسة على باب القرية. فقالت:
فيكم عكبر الكردي؟ فقال أحدها: نعم، لك حاجة؟ قالت: نعم؛ لي ثلاث ليال أرى
النبي - ﷺ - في النوم، وهو يقول: أعط عكبر الكردي ما خلفه ولدك. فأخرجت لنا ستين
شقة. فائتزرنا ببعضها، ودخلنا البادية إلى أن أتينا البيت.

٨٧ - [توبة صدقة بن سليمان الجعفري]

وذكر ابن أبي الدنيا^(١)، قال: حدثني محمد بن الحسين، ثنا خالد بن عمرو
القرشي، ثنا صدقة بن سليمان الجعفري، قال:
كانت بي شيرة^(٢) سمجة^(٣)؛ فمات أبي؛ فأبْتُ^(٤) وندمتُ على ما فرطت^(٥).
ثم زلت زلة^(٦)، فرأيت أبي في المنام، فقال: أي بني، ما كان أشد فرحي بك
وأعمالك تعرض عليّ فنسبها بأعمال الصالحين.
قال خالد: وكان بعد ذلك قد خشع ونسك. وكنت أسمعه يقول في دعائه في
السحر - وكان لنا جاراً بالكوفة - : اللهم أسألك إنابة^(٧) لارجعة فيها ولا حور^(٨)، يا مصلح
الصالحين، وهادي المضلّين، وراحم المذنبين.

-
- (١) هو الإمام عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي، أبو بكر، المعروف بابن أبي الدنيا، وقد
تقدّمت ترجمة ضافية له.
- (٢) قال في مختار الصحاح ص ١٥٣: «شيرة الشاب: حرصه ونشاطه» أ هـ.
- (٣) السنج: القبح، مختار الصحاح ص ٦٤. والمقصود هنا: أنه كان نشيطاً في القبح والإساءة حريصاً
على فعله.
- (٤) أي: رجعت.
- (٥) أي: قصّرت، مختار الصحاح ص ٢٤٩.
- (٦) أي: أخطأت خطيئة، أنظر مختار الصحاح ص ٣٦٣.
- (٧) أي: توبة.
- (٨) حور: - بفتح الحاء المهملة والواو، ويجوز ضمّ الحاء، وتسكين الواو - وهو النقص، أساس البلاغة
ص ٩٨.

٨٨ - [توبة ذي النون المصري^(١)]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج^(٢)، أنا محمد بن عبد الله بن حبيب، أنا علي بن عبد الله بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن باكويه، قال: سمعت الحسن بن علويه، قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

لما استأنستُ بذي النون المصري، قلت: أيها الشيخ! ما كان بدءُ شأنك؟.

قال: كنت شاباً صاحب لهو ولعب. ثم تبتُ وتركت ذلك، وخرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ومعِي بُضِيعة^(٣)، فركبت في المركب مع تجار من مصر، وركب معنا شاب صبيح^(٤)، كأن وجهه يشرق. فلما توسطنا فقدَّ صاحب المركب كيساً فيه مال. فأمر بحبس المركب، ففتش من فيه وأتبعهم، فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه، وثب وثبةً من المركب حتى جلس على أمواج البحر، وقام له الموج على مثال سرير، ونحن ننظر إليه من المركب. وقال: يا مولاي! إن هؤلاء اتهموني، وإني أقسم يا حبيب قلبي، أن تأمر كل دابة في هذا المكان أن تخرج رأسها وفي أفواهها جوهر.

قال ذو النون: فما تمَّ كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب قد أخرجت رؤوسها، وفي فم كل واحدة منها جوهرة تتلألأ وتلمع.

ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر، وجعل يتبخر على متن الماء، ويقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥)، حتى غاب عن بصري.

فهذا الذي حملني على السَّيَاحَةِ، وذكر قول النبي - ﷺ -: «لا يزال في هذه

(١) هو ذو النون بن إبراهيم المصري الإخميمي النوبي، أبو الفيض، المعروف بالمصري، أصله من النوبة، وكان من قرية من قرى صعيد مصر على طريق الحاج، يقال لها: إخميم، فنزل مصر، وكان حكيماً فصيحاً زاهداً، وجّه إليه جعفر المتوكل على الله، فحمل إلى حضرته بسر من رأى (سامراء)، حتى رآه وسمع كلامه، ثم أُنحدر إلى بغداد، فأقام بها مُدَيِّدةً (تصغير مدّة)، وعاد إلى مصر.

وقيل: إن اسمه ثوبان، وذا النون لقب له، ويقال: إن اسمه الفيض بن إبراهيم، وذو النون لقب، وقد أسند عنه أحاديث غير ثابتة والحمل فيها على من دونه، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، أنظر تاريخ بغداد ٣٩٣/٨ - ٣٩٧، وحلية الأولياء ٣٣١/٩ - ٣٩٧، واللباب في تهذيب الأنساب ٣٥/١.

(٢) أي: ابن الجوزي رحمه الله.

(٣) تصغير بضاعة.

(٤) أي: جميل، مختار الصحاح ص ٧٥.

(٥) سورة الفاتحة، آية رقم ٤/.

الامة ثلاثون، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن؛ كلما مات واحد أبدل الله مكانه واحداً^(١).

- (١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٢٢/٥ عن عبد الوهاب بن عطاء، أنا الحسن بن ذكوان، عن عبد الواحد بن قيس، عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن - عز وجل -، كلما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلاً.
- قال عبدالله ابن الإمام أحمد - عقب الحديث - : قال أبي : فيه - يعني حديث عبد الوهاب - كلام غير هذا، وهو منكر، يعني حديث الحسن بن ذكوان.
- قلت: وقد روي حديث الأبدال من طرق كثيرة وعن عدة من الصحابة، كلٌ يذكر عدداً غير الآخر ومكاناً غير الآخر، مما يشعر بضعف هذا الحديث.
- لكن قال السيوطي في النكت: خبر الأبدال صحيح فضلاً عما دون ذلك، وإن شئت قلت: متواتر وقد أفردته بتأليف استوعبت فيه طرق الأحاديث الواردة في ذلك، والحاصل أنه ورد من حديث:
- ١ - عمر - رضي الله عنه - : أخرجه ابن عساكر من طريقين.
 - ٢ - وعليّ - رضي الله عنه - : أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وغيرهم، من طرق أكثر من عشرة بعضها على شرط الصحيح.
 - ٣ - وأنس: وله ست طرق، منها طريق في معجم الطبراني الأوسط، حسنة الهيثمي في مجمع الزائد.
 - ٤ - وعبادة بن الصامت: أخرجه أحمد بسند صحيح، - كذا قال، وقد تقدم أن الإمام أحمد حكم عليه بالنكارة، وهو على أقل تعديل ضعيف الإسناد.
 - ٥ - وابن عباس: أخرجه أحمد في الزهد، بسند صحيح.
 - ٦ - وابن عمر: وله ثلاث طرق في المعجم الكبير للطبراني، وكرامات الأولياء للخلال، والحلية لأبي نعيم.
 - ٧ - وابن مسعود: وله طريقان في المعجم الكبير، والحلية.
 - ٨ - وعوف بن مالك: أخرجه الطبراني بسند حسن.
 - ٩ - ومعاذ بن حنبل: أخرجه الديلمي.
 - ١٠ - وأبي سعيد الخدري: أخرجه البيهقي في الشعب.
 - ١١ - وأبي هريرة: وله طريق أخرى غير التي أوردها ابن الجوزي - في الموضوعات - ، أخرجه خلال في كرامات الأولياء.
 - ١٢ - وأم سلمة: أخرجه أحمد وأبو داود في سننه والحاكم والبيهقي وغيرهم.
 - ١٣ - ومن مرسل الحسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في السخاء والبيهقي في الشعب.
 - ١٤ - ومن مرسل عطاء: أخرجه أبو داود في مراسيله.
 - ١٥ - ومن مرسل بكر بن خنيس: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء.
 - ١٦ - ومن مرسل شهر بن حوشب: أخرجه ابن جرير في تفسيره.
- وأما الآثار عن الحسن البصري، وقتادة، وخالد بن معدان، وأبي الزاهرية، وابن شاذب، وعطاء، وغيرهم من التابعين فمن بعدهم فكثيرة جداً: .
- ومثل ذلك بالغ حدّ التواتر المعنوي لا محالة، بحيث يُقطع بصحة وجود الأبدال ضرورة. انتهى نقلاً =

٨٩ - [توبة سكران]

قال ابن باكويه: وحدثنا بكران بن أحمد، قال: سمعت يوسف بن الحسين^(١)، يقول:

كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير، فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة. فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت.

فقال ذو النون: إن لهذه العقرب لشأناً، فامض بنا، فجعلنا نقفوا أثرها؛ فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهي تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها، فانقلبت وانفسخت.

ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت.

فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه؛ فقال: يا فتى! انظر مما نجاك الله، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أردتك. ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليل يحرسه من كل سوء يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك تأتيه منه فوائد النعم
فنهض الشاب وقال: إلهي! هذا فعلك بمن عصاك، فكيف رفقت بمن يطيعك؟ ثم

= عن ذيل القول المسدّد في الذبّ عن المسند للإمام أحمد للقاضي محمد صيغة الله المدراسي الهندي، ص ١١١ - ١١٢.

وعلى القول بصحته يكون ذلك دون تحديد لمكان، ولا عدد معين، والله تعالى أعلم وأحكم، وانظر في هذه المسألة المقاصد الحسنة ص ٨ - ١٠ للسخاوي، ورسالة نظم اللال في الكلام على الأبدال، له.

ورسالة: الخبر الدال على وجود النجباء، والأوتار والأبدال، للسيوطي، وهي الرسالة التي أشار إليها فيمن ذكرناه في مبدأ كلامه، والله تعالى أعلم.

وأسأل الله تعالى أن ييسر لي، الحصول على رسالة السيوطي ورسالة السخاوي، لأجمع ما بهما من أحاديث وأسبرها وأنقحها حتى يتبين الحق في هذه المسألة، والله المستعان على ذلك، فمراد المسلم دائماً معرفة الحق، ليقول به، ويعمل به.

(١) هو يوسف بن الحسين بن علي، أبو يعقوب الرازي، من مشايخ الصوفية، كان كثير الأسفار، وصحب ذا النون المصري وحكى عنه، وكان يعدّ من أعلم أهل زمانه بالكلام وعلم الصوفية، وقد وُصف بالزندقة، مات سنة أربع وثلاثمائة، أنظر تاريخ بغداد ٣١٤/١٤ - ٣١٩. وحليه الأولياء ٢٤٣ - ٢٣٨/١٠.

ولِي ؛ فقلت : إلى أين ؟ قال : إلى البادية ؛ والله لا عدتُ إلى المُدُن أبداً ! .

٩٠ - [توبة المرتعش]^(١)

أنا أبو عليّ ضياء بن أبي القاسم ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، أنا هناد بن إبراهيم ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن السُّلَمي^(٢) ، يقول : سمعت جدِّي^(٣) ، يقول :

كان المرتعش دهقان^(٤) نيسابورَ يذكر بدء أمره : أنه كان جالساً على باب داره ، قال : فإذا أنا بشاب عليه مرقعة وعلى رأسه خرقة . فأشار إليّ متعرّضاً إشارة لطيفة . فقلت في نفسي : شابٌ جلدٌ صحيح الجسم ؛ ولم أرْد عليه جوابه .

فصاح الشاب صيحة هالتي^(٥) ، قال : أعوذ بالله مما خطر في سرك .

قال المرتعش : فغشي عليّ ؛ فخرَجَت جارية لنا ورأيتني ، واجتمع حولي خلق . فما أفقت إلا بعد حين .

فلما أفقت لم أرَ الشاب ، فتحسّرت على ما كان مني .

(١) هو جعفر ، أبو محمد المرتعش ، من كبار مشايخ الصوفية ، وهو نيسابوري ، كان من ذوي الأحوال وأرباب الأموال ، فتخلّى منها ، وصحب الفقراء ، وسافر كثيراً ، ثم استوطن بغداد إلى أن مات بها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، تاريخ بغداد ٢٢١/٧ - ٢٢٢ ، واللباب في تهذيب الأنساب ١٩٣/٣ في ذكره باب المرتعش ، فقال : بضم الميم ، وسكون الراء ، وفتح التاء ، وفوقها نقطتان ، وكسر العين المهملة ، وفي آخرها الشين المعجمة هذا لقب شيخ عصره أبي محمد جعفر المرتعش وذكره أبو نعيم في الحلية ٣٥٥/١٠ - ٣٥٦ وذكر أن اسمه : عبدالله بن محمد ، أبو محمد المرتعش ، والله أعلم بالصواب .

(٢) قال في اللباب ١٢٨/٢ - ١٢٩ : «السُّلَمي : بضم السين ، وفتح اللام ، ثم لام ، نسبة إلى سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، وهي قبيلة مشهورة . والمتسبب إليها لا يحصون ، منهم . . . وأبو عبد الرحمن - الراوي هنا - محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السُّلَمي الصوفي ، وهو ابن بنت أبي عمرو بن نجيد السلمي ، له تصانيف في علوم الصوفية لم يُسبق إليها ، وكان مكثرأ من الحديث ، روى عنه الحاكم أبو عبدالله ، ومات قبله بسبع سنين ، وتوفي ثالث شعبان ، سنة اثنتي عشرة وأربعمائة بنيسابور» أ هـ .

(٣) هو : أبو عمرو بن نجيد السُّلَمي ، جدّه لأمه ، كما تقدم في الترجمة السابقة .

وهذه القصة ذكرها أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه ٢٢١/٧ من طريق أخرى عن أبو العباس أحمد بن محمد الدّهان قال : حدّثنا جعفر المرتعش يبدو أمره وخروجه إلى هذا الأمر - يعني التصوف - ، فذكر نحو هذه القصة .

(٤) أي : تاجر ، فارسيّ مُعَرَّب .

(٥) أي : أفرعتني .

فرايت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - في المنام، وهو يقول: إن الله - عز وجل - لا يجيب سؤال مانع سائله.

قال المرتعش: فانتبهت، وفرقت ما نالت يدي؛ وخرجت، فسمعت وفاة والدي، وأخي بعد خمس عشرة سنة؛ وما رجعت إلى نيسابور بعد ذلك.

وصار الشاب يتبعني أحياناً، فما فارقتني ولا تفارقنا إلى اللقاء.

٩١ - [توبة عبد الرحمن القس^(١)]

أخبرنا أبو بكر أحمد بن المقرّب بن الحسين الكرخي^(٢)، أنا طراد بن محمد الزينبي^(٣)، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو علي بن صفوان، أنا عبد الله بن محمد، حدثني أبو زيد النميري^(٤)، قال: حدثني خلاد بن يزيد^(٥)، قال: سمعت شيوخنا من أهل

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمّار المكي القرشي، حليف بني جُمع، كان يُلقب بالقس لعبادته - بفتح القاف، وتشديد السين المهملة -، وكان ينزل مكة، ثقة عابد من التابعين، روى عن أبي هريرة، وابن عمر، وابن الزبير وجابر وغيرهم أنظر تهذيب التهذيب ٢١٣/٦، والتقريب ٤٨٧/١.

(٢) الكرخي: بفتح أولها، وسكون الراء، وفي آخرها خاء معجمة، هذه النسبة إلى الكرخ، وهو عدة مواضع منها كرخ سامراً، ومنها كرخ بغداد، وكرخ جذان، وكرخ البصرة وغيرها. أنظر اللباب ٩١/٣.

(٣) قال في اللباب ٨٧/٢ - ٨٨: الزينبي؛ بفتح الزاي، وسكون الياء، وفتح النون، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس قال: وظنني أنها زوجة إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أم محمد بن إبراهيم، ينسب إليها كثير، منهم: أبو نصر محمد، وأبو الفوارس طراد ابننا محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام.

... وروى طراد - وهو الراوي هنا - عن هلال الحفار، وأبي الحسين بن بشران وغيرهما، روى عنه ابنه محمد وعليّ، وغيرهما أ هـ.

(٤) النميري: بضم النون، وفتح الميم، ويكون الياء آخر الحروف وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ينسب إليه كثير من العلماء وغيرهم، اللباب ٣٢٧/٣.

وأبو زيد هذا، هو: عمر بن شبة - بفتح المعجمة، وتشديد الموحدة -، ابن عُبَيْلة بن زيد النميري، أبو زيد بن أبي معاذ البصري، نزيل بغداد، صدوق، له تصانيف من كبار الحادية عشرة، مات سنة اثنتين وستين ومائتين، وقد جاوز التسعين، التقريب ٥٧/٢.

(٥) هو خلاد بن زيد الباهلي البصري، المعروف بالأرقط، صهر يونس بن حبيب النحوي، صدوق جليل، التقريب ٢٣٠/١، وانظر تهذيب الكمال ٣٦٣/٨ - ٣٦٤.

مكة - منهم سليمان - يَذْكُرُونَ^(١): أن القَسَّ كان عند أهل مكة من أحسنهم عبادةً، وأظهرهم تَبَتُّلاً، وأنه مرَّ يوماً بسلامة جارية كانت لرجل من قريش^(٢)، فسمع غناءها. فوقف يستمع؛ فرآه مولاها، فقال: هل لك أن تدخل فتسمع؟ فتأبَّى عليه، فلم يزل به حتى تَسْمَحَ، وقال: أَقْعِدْنِي فِي مَوْضِعٍ لَا أَرَاهَا وَلَا تَرَانِي. قال: أَفْعَلْ.

فدخل، فتغنت، فأعجبته. فقال مولاها: هل لك أن أحولها إليك؟ فتأبَّى، ثم تَسْمَحَ. فلم يزل يسمع غناءها حتى شُغِفَ بها وشُغِفَتْ به. وعلم ذلك أهل مكة.

فقال له يوماً: أنا والله أُحِبُّكَ. قال: وأنا والله أُحِبُّكَ. قالت: وأحبُّ أن أضع فمي على فمك. قال: وأنا والله. قالت: أُحِبُّ أن ألصق صدري بصدرك، وبطني ببطنك. قال: وأنا والله.

قالت: فما يمنعك؟ فوالله إنَّ الموضع لخالٍ. قال: إني سمعتُ الله تعالى يقول: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك تؤول بنا إلى عداوة يوم القيامة.

قالت: يا هذا! أتَحَسِبُ أن ربي وربك لا يقبلنا إذا تبنا إليه؟ قال: بلى! ولكن لا آمن أن أفاجأ.

ثم نهض وعيناه تذرفان، فلم يرجع بعدُ، وعاد إلى ما كان عليه من النسك.

٩٢ - [توبة أبي الحارث الأُولَاسِيَّ]^(٤)

وروى أبو سعيد، قال: حكى بعضُ الزهاد قال: قال لي أبو الحارث الأُولَاسِيَّ^(٥): تدري كيف كان بدء أمر توبتي؟ فقلت: لا.

فقال: كنت شاباً صبيحاً وضيئاً، فبينما أنا في غفلي رأيت عليلاً مطروحاً على قارعة

(١) وذكر هذه القصة ابن أبي خيثمة، كما قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢١٣/٦.

(٢) سلامة مغنية شاعرة من مولدات المدينة، نشأت بها وأخذت الغناء عن معبد وطبقته، فمهرت في الغناء وحذقت الضرب على الأوتار، وقالت الشعر الكثير، وشغف بها عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء مكة الملقب بالقس لكثرة عبادته، فنسبت إليه وغلب عليه لقبه، وسمع بها يزيد بن عبد الملك فاشتراها فانتقلت إلى دمشق وبقيت عنده إلى أن توفي ولها شعر في رثائه، توفيت نحو سنة ١٣٠ هـ نقلاً عن هامش المطبوعة.

(٣) سورة الزخرف، آية رقم ٦٧.

(٤) قال في اللباب ٩٤/١: «الأُولَاسِي: بالواو الساكنة بين اللام ألفين، وفي آخرها السين المهملة، هذه النسبة إلى أولاس، وهي بلدة على ساحل بحر الشام. منها: أبو الحارث الأُولَاسِي، له كرامات وعجائب» أ هـ.

الطريق . فدنوت منه ، فقلت : هل تشتهي شيئاً؟ قال : نعم ، رَمَانٌ . فجئتُه برمانٍ . فلما وضعته بين يديه رفع بصره إليّ ، وقال : تاب الله عليك .

فما أمسيتُ حتى تغير قلبي عن كل ما كنت فيه من اللّهُو؛ ولزمني خوف الموت .

فخرجتُ عن جميع ما أملك ، وخرجت أريد الحج ، فكنت أسير بالليل ، وأختفي بالنّهار مخافة الفتنه .

فبينما أنا أسير بالليل إذا بقوم على الطريق يشربون ، فلما رأوني ذهلوا ، وأجلسوني ، وعَرَضُوا عليّ الطّعام والشّراب . فقلت : أحتاج إلى البَوْل ، فأرسلوا معي غلاماً ليدلّني على الخلاء .

فلما تباعدتُ عنهم ، قلت للغلام : انصرف ، فإنّي أستحي منك . فانصرف .

ووقعتُ في غابة ، فإذا أنا بِسَبْع ، فقلت : اللهم إنك تعلم ما تركتُ ، ومن ماذا خرجتُ ، فاصرف عني شرّ هذا السَّبْع . فولى السَّبْع .

ورجعتُ إلى الطريق ، فوصلتُ إلى مكّة . ولقيتُ بها من انتفعت بهم ، منهم إبراهيم بن سعد العلوي^(١) .

٩٣ - [توبة أبي الفضل محمد بن ناصر السّلامي^(٢)]

عن اعتقاد المبتدعة

قرأتُ على الشيخ أبي عبد الله مظفّر بن أبي نصر النّوّاب ، وابنه أبي محمد عبد الله بن مظفّر ببغداد ، قلت لهما : حدّثكما الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن عليّ بن عمر السّلامي ، قال :

(١) أنظر حلية الأولياء ١٥٥/١٠ - ١٥٨ .

(٢) قال في اللباب ١٦١/٢ : «السّلامي : بفتح السين المهملة ، وبعدها لام ألف مخفّفة ، وفي آخرها

ميم - هذه النسبة إلى رجل وموضع ، أما الرجل : فهو سلامان ، بطن من قضاة .

وأما الموضع : فهو مدينة السّلام ببغداد ، والمشهور بهذه النسبة . . . وأبو الفضل محمد بن ناصر بن

محمد بن عليّ البغدادي الحافظ ، كان يكتب لنفسه السّلامي وكان حافظ بغداد في زمانه ، سمع أبا

القاسم عليّ بن أحمد البصري ، وأبا محمد رزق الله التميمي ، وأبا طاهر محمد بن أحمد بن أبي

الصقر الأنباري وغيرهم روى عنه الأئمة فأكثرُوا ، وكانت ولادته سنة سبع أو ثمان وستين وأربعمائة ،

وتوفي في شعبان سنة خمسين وخمسمائة هـ .

كُنْتُ أَسْمَعُ الْفُقَهَاءَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ^(١) فِي «النُّظَامِيَّةِ»^(٢)، يَقُولُونَ^(٣): الْقُرْآنُ
مَعْنَى قَائِمٌ بِالذَّاتِ، وَالْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ عِبَارَاتٌ وَذَلَالَاتٌ عَلَى الْكَلَامِ الْقَدِيمِ الْقَائِمِ
بِالذَّاتِ.

فَحَصَلَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى صِرْتُ أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ مُوَافَقَةً.

وَكُنْتُ إِذَا صَلَّيْتُ أَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَوْفِّقَنِي لِأَحَبِّ الْمَذَاهِبِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ إِلَيْهِ.
فَبَقِيْتُ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةً طَوِيلَةً، أَقُولُ: اَللّٰهُمَّ وَفِّقْنِي لِأَحَبِّ الْمَذَاهِبِ إِلَيْكَ، وَأَقْرَبِهَا عِنْدَكَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي قَدْ
جِئْتُ إِلَى مَسْجِدِ الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْمَقْرِيءِ الْخَيَّاطِ^(٤)، فِي مَسْجِدِ ابْنِ
جَرْدَةَ^(٥)، وَالنَّاسُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مُجْتَمِعُونَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - عِنْدَ الشَّيْخِ
أَبِي مَنْصُورٍ.

فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَقَصَدْتُ إِلَى الزَّائِيَةِ الَّتِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهَا الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ،
فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا مَنْصُورٍ قَدْ خَرَجَ مِنْ زَاوِيَتِهِ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيَّ شَخْصٌ، فَمَا رَأَيْتُ شَخْصًا
أَحْسَنَ مِنْهُ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ - ﷺ - الَّذِي وُصِفَ لَنَا؛ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ مَا رَأَيْتُ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنْهَا،
وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ بَيَاضَاءُ. وَالشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ.

فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، وَلَمْ أَتَحَقَّقْ مِنَ الرَّأدِّ عَلَيَّ لِدَهْشَتِي بِرُؤْيَا
النَّبِيِّ - ﷺ -، وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا.

فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ أَوْ أَسْتَفْتِيهِ بِكَلَامٍ أَصْلًا،

(١) أي: من المتمميين السائرين على مذهب الإمام الشافعي، ولا يعني ممن صحب الإمام نفسه،
والأمر واضح، ويدل عليه أن الإمام - رحمه الله تعالى - توفي سنة أربع ومائتين، وأبو الفضل ولد سنة
سبع أو ثمان وستين وأربعمئة، ومشايخه مهما عمروا لن يبلغوا مولد الإمام.
والإمام الشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد
يزيد بن هاشم بن المطلب المطلب، أبو عبدالله الشافعي، المكي نزيل مصر، وهو المجدد لأمر
الدين على رأس المائتين، مات سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة، رحمه الله تعالى
التقريب ١٤٣/٢.

(٢) هي مدرسة مشهورة في بغداد.

(٣) في المطبوعة: يقولون - يعني - : القرآن... ولا داعي لكلمة: يعني.

(٤) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن عبد الرزاق الشيرازي الأصل، الصغار الخياط نزل ببغداد، ومات
فيها، حنبلي المذهب، (٤٠١-٤٩٧) هـ. مقرر، ومن آثاره المذهب في القراءات.

(٥) ابن جرّدة: كان من متمولي بغداد، إليه نسبت خرابة ابن جرّدة ببغداد، والمسجد واقع فيها.

وقال لي : عليك بمذهب هذا الشيخ ، عليك بمذهب هذا الشيخ ، عليك بمذهب هذا الشيخ ، عليك بمذهب هذا الشيخ ، ثلاثاً .

قال الحافظ أبو الفضل ؛ وأنا أقسم بالله ثلاثاً ، وأشهد بالله ثلاثاً ، لقد قال لي رسول الله - ﷺ - ثلاثاً ، ويشير في كل مرة بيده اليمنى إلى الشيخ أبي منصور .

قال : فانتبهت وأعضائي ترعد ، فناديت والدتي رابعة بنت الشيخ أبي حكيم الخبيري^(١) وحكيت لها ما رأيت .

فقلت : يا بني ! هذا منام وحي ، فاعتمد عليه .

فلما أَصْبَحْتُ بَكَرْتُ إِلَى الصَّلَاةِ خَلْفَ الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورٍ . فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ قَصَصْتُ عَلَيْهِ الْمَنَامَ^(٢) ، فَذَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَخَشَعَتْ قَلْبَهُ . وَقَالَ لِي : يَا بَنِي ! مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ حَسَنٌ ؛ فَتَكُونُ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ فِي الْفُرُوعِ ، وَعَلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ^(٣) وَأَصْحَابِ

(١) قال في الباب ١/٤١٨ - ٤١٩ : «الْخَبْرِيُّ : بفتح الخاء المعجمة ، وسكون الباء الموحدة ، وفي آخرها راء ، هذه النسبة إلى خَبَرٍ ، وهي قرية من قرى شيراز من بلاد فارس ، وبها قبر سعيد أخي الحسن بن أبي الحسن البصري .

ينسب إليها . . . ورابعة وفاطمة ابنتا أبي حكيم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله المعلم الخبيري ، كان أبو حكيم من قرية خَبَرٍ ، فانتقل إلى بغداد ، وصار بها معلماً ، وسمعت رابعة من أبي محمد الجوهري ، وهي أم محمد بن ناصر السلامي ، وكان ابنها محمد يكتب الفارسي لهذا السبب ، . . . أه . . .

(٢) رؤيا النبي - ﷺ - في المنام حق لا ريب فيه ، لأن الشيطان لا يتمثل به ، كما ثبت ذلك عن النبي - ﷺ - في الأحاديث الصحيحة - الثابتة .

ولا وحي بعد وفاة رسول الله - ﷺ - فإذا رأى النائم النبي - ﷺ - يأمره بشيء في منامه ، فيجب عليه أن يعرض ذلك على الشرع الظاهر ، فإن وافقه فهو حق ، وإن خالفه فلا يلتفت إليه ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٢/٣٨٩ : «إن النائم لو رأى النبي - ﷺ - يأمره بشيء هل يجب عليه امتثاله ولا بد ، أو لا بد أن يعرضه على الشرع الظاهر ؟ فالثاني هو المعتمد ، أه . وكان قد فصل الكلام في هذه المسألة ، وبما يتعلق برؤية النبي - ﷺ - ، فانظر الفتح ١٢/٣٨٣ - ٣٨٩ .

ومما ذكره ونوه إليه ١٢/٣٨٣ - ٣٨٤ أنه يجب أن تكون رؤيته - ﷺ - في المنام مطابقة لأوصافه الكريمة ، فقد كان محمد بن سيرين ، إذا قصَّ عليه رجل أنه رأى النبي - ﷺ - قال : صف لي الذي رأيته ، فإن وصف له صفة لا يعرفها ، قال : لم تره ، وسنده صحيح .

وأخرج الحاكم - قلت : والترمذي في الشمائل الذي أقوم بتحقيقه أنا والشيخ أحمد زمزلي - من طريق عاصم بن كليب ، حدثني أبي قال : قلت لابن عباس رأيت النبي - ﷺ - في المنام ، قال : صفه لي ، قال : ذكرت الحسن بن علي فشبهته به ، قال : قد رأيته ، وسنده جيد .

(٣) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المرزوي ، نزيل بغداد ، أبو عبدالله ، أحد الأئمة ، ثقة حافظ ، فقيه حجة ، مات - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة ، التقريب ١/٢٤ .

الحديث في الأصول.

فقلت له: أي سيدي! ما أريد أن أكون لوثين، وأنا أشهد الله وملائكته وأنبياءه، وأشهدك عليّ أنني منذ اليوم لا أعتقد ولا أدين الله ولا أعتد إلا على مذهب أحمد في الأصول والفروع.

فقبل الشيخ أبو منصور رأسي، وقال: وفقك الله، فقبلت يده.

وقال لي الشيخ أبو منصور: أنا كنت في ابتداء أمري شافعيًا، وكنت أتفق على القاضي الإمام أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري^(١) وأسمع الخلاف عليه.

فحضرت يوماً عند الشيخ أبي الحسن علي بن عمر القزويني^(٢) الزاهد الصالح لأقرأ عليه القرآن، فابتدأت أقرأ عليه القرآن، فقطع عليّ القراءة مرة أو مرتين. ثم قال: قالوا وقلنا، وقلنا وقالوا، فلا نحن نرجع إليهم، ولا هم يرجعون إلى قولنا؛ ورجعنا إلى عادتنا؛ فأني فائدة في هذا؟ ثم كرر عليّ هذا الكلام.

فقلت في نفسي: والله ما عني الشيخ بهذا أحدًا غيري. فتركت الإشتغال بالخلاف، وقرأت «مختصر أبي القاسم الخرقني»^(٣) على رجل كان يقرئ القرآن.

(١) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر، أبو الطيب الطبري، الفقيه الشافعي، ولد بآمل سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وابتدأ بدرس الفقه وتعلم العلم وله أربع عشرة سنة، سمع الحديث بجرجان، وبنيسابور، وبها درس الفقه على أبي الحسن الماسرجسي وغيره من المشايخ، وقدم بغداد وسمع فيها، ثم تصدّر للتحدث والتدريس، وافتى بها، ثم ولي القضاء بربع الكرخ بعد موت أبي عبد الله الضيمري، فلم يزل على القضاء إلى حين وفاته سنة خمسين وأربعمائة، وكان ثقة، صادقًا، دينيًا، ورعًا، عارفًا بأصول الفقه وفروعه، محققًا في علمه، سليم الصدر، حسن الخلق، صحيح المذهب جيد اللسان، يقول الشعر على طريقة الفقهاء. وقد أخذ عنه أبو بكر الخطيب البغدادي، أنظر تاريخ بغداد ٣٥٨/٩ - ٣٦٠.

(٢) هو علي بن عمر بن محمد بن الحسن، أبو الحسن الحربي، المعروف بابن القزويني، كان أحد الزهاد المذكورين، من عبّاد الله الصالحين، يقرأ القرآن، ويروي الحديث، ولا يخرج من بيته، إلا للصلاة، وكان وافر العقل، صحيح الرأي ولد في المحرم سنة ستين وثلاثين، ومات ليلة الأحد لخمس خلون من شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، تاريخ بغداد ٤٣/١٢.

(٣) هو مختصر في فروع الفقه الحنبلي.

وأبو القاسم الخرقني هو: عمر بن الحسين بن عبد الله، كانت له مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر، لأنه خرج عن بغداد لما ظهر سب الصحابة، وأودع كتبه في إحدى دورها، فاحترقت الدار بما فيها من الكتب، توفي - رحمه الله تعالى - سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودفن بدمشق، تاريخ بغداد ٢٣٤/١١ - ٢٣٥.

قلت: ومختصره هذا، شرحه المصنف الموفق ابن قدامه شرحًا وافيًا، وهو المعروف بـ (المُعَنِّي)، =

قال الحافظ: ورأيتُ بعد ذلك ما زادني يقيناً، وعلمتُ أن ذلك تثبت من الله لي وتعليم، لأعرف حقَّ نعمة الله عليّ وأشكره، إذ أنقذني من اعتقاد البدعة إلى اعتقاد السُّنة، والله المسؤولُ الخاتمةً بالموت على الإسلام والسُّنة.

٩٤ - [توبة أبي الحسن الهرقاني^(١) عن مذهب المتكلمين]

قال الحافظ أبو الفضل^(٢): وحدثني الشيخ الصالح أبو الحسن عليّ بن المختار بن عليّ الهرقاني، قال: كان لي رفيقٌ يُعرفُ بمحمد بن خنيس، يقرأ على أبي عبد الله القيرواني^(٣) المتكلم شيئاً من الكلام من كتاب ابن الباقلاني^(٤). فوافقته في ذلك.

فرايتُ ليلة في منامي كأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السَّلام - على سطح رباط الشيخ أبي سعد الصوفي، وهو جالس، وحوله حلقة دائرة. فقلت لبعضهم: ما هذا الجمع؟ فقال لي: هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، أما تسلم عليه؟ فجلست ففضضت الحلقة، ووقفت تلقاء وجهه، وقلت: السَّلام عليك يا مولاي أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال لي: وعليك السَّلام ورحمة الله وبركاته، ورأيتَه وهو جالس موازٍ لرؤوس القيام، فبدأنِي وقال: تريد أن تعتقد؟ قلت: نعم يا مولاي. فقال: عليك باعتقاد أحمد. فقلت: السَّمع والطاعة^(٥).

= وهو من المراجع الكبيرة في الفقه الإسلامي عامة، وفي فقه الحنابلة خاصة. والخِرَقِي: بكسر الخاء المعجمة، وفتح الراء، وفي آخرها القاف، هذه النسبة إلى بيع الخِرَق والثياب. الباب ٤٣٥/١.

(١) لم أجد هذه النسبة في الباب، وليس لدي مرجع في الأنساب غيره.

(٢) هو محمد بن ناصر السَّلامي المذكور في القصة السابقة.

(٣) القيرواني: بفتح القاف، وسكون الياء، وفتح الراء والواو، وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى القيروان، وهي بلدة بأفريقية من بلاد الغرب، بناها عقبة بن نافع الفهري، له صحبة - رضي الله تعالى عنه - . الباب ٦٩/٣.

(٤) الكتاب هو التمهيد.

والباقلاني، هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري، ثم البغدادي، متكلم على مذهب الأشعري ولد بالبصرة سنة (٣٣٨هـ). وسكن بغداد، وسمع بها الحديث، وتوفي ببغداد لسبع بقين من ذي القعدة سنة (٤٠٣هـ). تصانيفه: التمهيد، واسمه الكتاب كاملاً: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل؛ وأسرار الباطنية، وهداية المسترشدين في الكلام. أنظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣٧٩/٥ - ٣٨٣، تذكره الحفاظ ٢٦٣/٣، البداية والنهاية ١١/٣٥٠ - ٣٥١، شذرات الذهب ٣/١٦٩، ومعجم المؤلفين ١٠/١٠٩ - ١١٠.

والباقلاني: بفتح الباء الموحدة وكسر القاف بعد الألف، واللام ألف، وفي آخرها نون، هذه النسبة إلى الباقل وبيعه، الباب ١١٢/١.

(٥) إلى هنا تنتهي الرواية.

فلَمَّا جَاءَنِي رَفِيقِي الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُ مَعَهُ الْكَلَامَ، وَمَعَهُ أَصْحَابُ لَهُ. قَالُوا: تَعَالِ
حَتَّى نَمْضِيَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ نَقْرَأَ عَلَيْهِ. قُلْتُ: الْيَوْمَ لِي شُغْلٌ.
ثُمَّ إِنِّي اجْتَمَعْتُ بِالشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورٍ فِي مَسْجِدِهِ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ الرُّوْيَا؛ فَسُرَّ
بِهَا، وَقَالَ: أَدْنُ مِنِّي. فَدَنُوتُ مِنْهُ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْ، وَقَالَ: أَنْتَ مُرَادٌ. وَدَعَا بِأَصْحَابِهِ
وَقَالَ: اقْصِصْ عَلَيْهِمُ الرُّوْيَا، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمُ الرُّوْيَا، فَقَالُوا: يَجِبُ عَلَيْهِ الشُّكْرُ، فَقَالَ
الشَّيْخُ: أَنَا أَفْدِيهِ، وَالشُّكْرُ عَلَيَّ، وَأَخْرَجَ ذَهَبًا فَاشْتَرَى بِهِ خَبْزًا وَتَمْرًا، فَفَرَّقَ عَلَى كُلِّ
خَاتَمِ الْقُرْآنِ رَغِيفَيْنِ وَرَطْلَ تَمْرٍ، وَمَنْ كَانَ يَحْفَظُ الْبَعْضَ أَعْطَاهُ رَغِيفًا وَنَصْفَ رَطْلٍ تَمْرٍ.
قَالَ: وَقَطَعْتُ الْمُضَيَّ^(١) إِلَى الْقَيَرَوَانِي، ثُمَّ اعْتَقَدْتُ مِنْ يَوْمِئِذٍ اعْتِقَادَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ
وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَأَنَا أَدِينُ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

* * *

(١) أَي: الْقَيَرَوَانِي.

(٢) أَي: الذَّهَابُ.

اخبار جماعة

من التوابين

٩٥ - [توبة منازل بن لاحق]^(١)

أنبأنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن حمزة السلمي في جماعة، قالوا: أنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرئ الأصبهاني، أنا أبو نعيم الحافظ، قال: ثنا محمد بن حميد، قال: ثنا عبد الله بن سعيد الرقي، قال: ثنا يزيد بن محمد بن سنان، عن أبيه، عن جده، قال: حدثني الحسن بن علي - رضي الله عنهما^(٢) - قال:

(١) لم أجد لمنازل بن لاحق هذا ترجمة، رغم أن القصة المذكورة هنا تدل على أنه من التابعين لأنه قابل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وتكلم معه.

لكن رأيت في الإصابة في تمييز الصحابة ٤٧٧/٣ في القسم الثالث من حرف الميم، وهو قسم المُخَضَّرِينَ ذَكَرَ لِرَجُلٍ يُدْعَى مَنَازِلَ بْنِ أَبِي مَنَازِلَ السَّعْدِيِّ، واسم أبي منازل فرعان بن الأغرف، وهي قرية من هذه القصة، إلا أنه ذكر أنها حدثت مع عمر بن الخطاب بدل علي - رضي الله عنهما - ، وذكر فيها أن والده كان مشركاً كثير المال، فسأله بعض ماله فأبى عليه، فلوى له يده وأخذ شيئاً من ماله فدعا عليه أبوه في شعر - وهو غير الشعر المذكور هنا، ولا يشبهه - ، دعا عليه بلي يده كما لوى ابنه يده، فأصبح ويده ملوثة.

ثم ذكر الحافظ ابن حجر أن في سنده ضعف وانقطاع.

قلت: وسند هذه القصة - التي ذكرها المصنف - ليست بأحسن حالاً وإسناداً في القصة التي ذكرها ابن حجر ففيها يزيد بن محمد بن سنان، ولم أجد من ترجم له، ولا لأبيه، ولا لجده.

ولم أجد ممن اسمه سنان يروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - سوى سنان بن أبي سنان الدبيلي المدني، لكن لا يعرف أن له ابن يروي عنه، أنظر تهذيب الكمال ١٥١/١٢ - ١٥٢ والله تعالى أعلم.

وفيه مخالفة لحديث صحيح، وهو أن الوالد دعا على ابنه بالشر، قد صح النهي عن ذلك: فقد قال رسول الله - ﷺ - : لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، ولا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم، رواه مسلم.

وقد تقدم أن منازل هذا تابعي فأبوه إما أن يكون صحابياً أو تابعياً كبيراً - إذ يظهر من خلال القصة أنه كان مسلماً - ، فلا يصح منه الدعاء على ولده بالفالغ، وهو يعلم النهي عن ذلك، وهذا مما يؤكد ضعف الحديث، ويكفيها جهالة رواه.

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي - رضي الله تعالى عنهما - ، سبط رسول

الله - ﷺ - ورعاته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات - رحمه الله - شهيداً بالسّم، سنة تسع وأربعين، =

بيناً أنا أطوف مع أبي حول البيت في ليلة ظلماء، وقد رقدت العيون، وهدأت الأصوات، إذ سمع أبي هاتفاً يهتف بصوت حزين شجي، وهو يقول:

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلَوِ مَعَ السَّقَمِ
قَدْ نَامَ وَفُذِكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَبَهُوا وَأَنْتَ عَيْنُكَ يَا قَيُّومُ لَمْ تَنَمْ
هَبْ لِي بِجُودِكَ فَضْلَ الْعَفْوِ عَنْ جُرْمِي^(١) يَا مَنْ إِلَيْهِ أَشَارَ الْخَلْقُ فِي الْحَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يُدْرِكُهُ^(٢) ذُو سَرْفٍ فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْكَرَمِ

قال: فقال أبي: يا بني! أما تسمع صوت النادب لذنبه، المستقيل لربه؟ الحقُّ فلعلَّ أن تأتيني به.

فخرجتُ أسعى حول البيت أطلبه، فلم أجده، حتى انتهيت إلى المقام، وإذا هو قائم يصلي، فقلت: أجب ابن عم رسول الله - ﷺ -، فأوجز في صلاته واتبعني. فأتيت أبي، فقلت: هذا الرجل يا أبت.

فقال له أبي: ممَّن الرجل؟ قال: من العرب. قال: وما اسمك؟ قال: مُنازل بن لاحق.

قال: وما شأنك، وما قصتك؟ قال: وما قصة مَنْ أَسْلَمَتْهُ ذُنُوبُهُ، وَأَوْبَقَتْهُ^(٣) عِيوبُهُ، فهو مرتطم في بحر الخطايا^(٤).

فقال له أبي: عليّ ذلك، فاشرح لي خبرك.

قال: كنتُ شاباً على اللهو والطرب لا أفيق عنه، وكان لي والد يعظني كثيراً، ويقول: يا بني! احذر هفوات الشباب وعثراته، فإنَّ الله سطوات ونقمات، ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألح عليّ بالموعظة ألححت عليه بالضرب، فلمَّا كان يوم من الأيام ألح عليّ بالموعظة، فأوجعته ضرباً؛ فحلف بالله مجتهداً ليأتين بيت الله الحرام

= وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: بعدها، التقريب ١٦٨/١. وعليّ - رضي الله عنه - هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، رابع الخلفاء الراشدين، ابن عم رسول الله - ﷺ - وزوج ابنته، من السابقين الأولين، المرجح أنه أول مَنْ أسلم، وهو أحد العشرة - أي: المبشرين بالجنة - مات في رمضان سنة أربعين، وهو يؤمِّد أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض، بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح، التقريب ٣٩/٢.

(١) حرَّكت الراء بالضمِّ لضرورة الشعر.

(٢) تَسْكِين الكاف هنا لضرورة الشعر.

(٣) أي: أهلكته، مختار الصحاح ص ٣٣٣.

(٤) أي: واقع في بحر الخطايا لا يجد منه مخلصاً أساس البلاغة ص ١٦٦.

فَيَتَعَلَّقُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَيَدْعُو عَلِيًّا، فَخَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْبَيْتِ، فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ،
وَأَنشَأَ يَقُولُ:

يَا مَنْ إِلَيْهِ أَتَى الْحِجَاجُ قَدْ قَطَعُوا عَرَضَ الْمَهَامَةِ^(١) مِنْ قَرَبٍ وَمِنْ بُعْدٍ^(٢)
إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَنْ لَا يَخِيْبُ مَنْ يَدْعُوهُ مُبْتَهَلًا بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ
هَذَا مَنَازِلَ لَا يَرْتَدُّ عَنْ عَقْقِي فَخَذُّ بِحَقِّي يَا رَحْمَنَ مَنْ وَلَدِي
وَشُلَّ مِنْهُ بِحَوْلٍ مِنْكَ جَانِبُهُ يَا مَنْ تَقَدَّسَ لَمْ يُؤْلَدْ وَلَمْ يَلِدْ
قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا اسْتَمْتَمَ كَلَامُهُ حَتَّى نَزَلَ بِي مَا تَرَى، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ شِقِّهِ الْأَيْمَنِ فَإِذَا هُوَ
يَابِسٌ.

قَالَ: فَأَبْتُ وَرَجَعْتُ؛ وَلَمْ أَزَلْ أَتَرَضَاهُ، وَأَخْضَعُ لَهُ، وَأَسْأَلُهُ الْعَفْوَ عَنِّي، إِلَى أَنْ
أَجَابَنِي أَنْ يَدْعُو لِي فِي الْمَكَانِ الَّذِي دَعَا عَلِيًّا.

قَالَ: فَحَمَلْتُهُ عَلَى نَاقَةٍ عُشْرَاءَ^(٣)، وَخَرَجْتُ أَقْفُو أثره، حَتَّى إِذَا صَرْنَا بِوَادِي الْأَرَاكِ^(٤)
طَارَ طَائِرٌ مِنْ شَجَرَةٍ، فَفَرَّتِ النَّاقَةُ، فَرَمْتُ بِهِ بَيْنَ أَحْجَارٍ، فَرَضَخْتُ رَأْسَهُ^(٥) فَمَاتَ، فَدَفَنْتُهُ
هَنَّاكَ، وَأَقْبَلْتُ آيَسًا، وَأَعْظَمْتُ مَا بِي مَا أَلْقَاهُ مِنَ التَّعْبِيرِ أَنِّي لَا أُعْرِفُ إِلَّا بِالْمَأْخُودِ بِعَقُوقِ
وَالدَّيْهِ.

فَقَالَ لَهُ أَبِي: أَبَشِّرْ فَقَدْ أَتَاكَ الْغُوثُ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَكَشَفَ عَنْ شِقِّهِ
بِيَدِهِ، وَدَعَا لَهُ مَرَّاتٍ يَرْدِّدُهُنَّ؛ فَعَادَ صَحِيحًا كَمَا كَانَ.

وَقَالَ لَهُ أَبِي: لَوْلَا أَنَّهُ قَدْ كَانَ سَبَقَتْ إِلَيْكَ مِنْ أَبِيكَ فِي الدَّعَاءِ لَكَ بِحَيْثُ دَعَا عَلَيْكَ
لَمَا دَعَوْتَ لَكَ.

قَالَ الْحَسَنُ^(٦): وَكَانَ أَبِي يَقُولُ لَنَا: احْذَرُوا دَعَاءَ الْوَالِدَيْنِ! فَإِنْ فِي دَعَائِهِمَا النَّمَاءُ
وَالْإِنْجِبَارُ^(٧)، وَالْإِسْتِثْصَالُ وَالْبَوَارُ^(٨).

(١) الْمَهَامَةُ: جَمْعُ مَهْمَةٍ، وَهِيَ الْمَفَازَةُ الْبَعِيدَةُ. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ ص ٤٨٣.

(٢) حُرِّكَتِ الْعَيْنُ بِالضَّمِّ لِمُضَرَّةِ الشَّعْرِ.

(٣) هِيَ النَّاقَةُ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا مِنْ وَقْتُ الْحَمْلِ عَشْرَةُ أَشْهُرٍ وَتَجَمَّعَ مِنْ عِشَارٍ، وَعُشْرَاوَاتٍ، وَعُشْرَاءَ
كَفَقَهَاءَ. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ ص ١٦٥.

(٤) وَادِي الْأَرَاكِ؛ وَإِدْقَرَبُ مَكَّةَ، وَالْأَرَاكِ شَجَرٌ مَعْرُوفٌ، وَاحِدُهُ أَرَاكَةٌ، أَنْظَرَ مَخْتَارُ الصَّحَاحِ ص ٣٣٥.

(٥) أَي: شَجَبَ وَكَسَّرَتْ رَأْسَهُ، أَنْظَرَ مَخْتَارُ الصَّحَاحِ ص ٨٤، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ ص ١٦٥.

(٦) أَي: ابْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -.

(٧) أَي: إِذَا دَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ.

(٨) أَي: إِذَا دَعَا عَلَيْهِ بِالشَّرِّ، بِسَبَبِ عَقُوقِهِ وَالْبَوَارِ: الْهَلَاكِ.

٩٦ - [توبة امرأة من دومة الجندل عن عمل السحر]

قرأت على أبي المعالي عبد الله بن عبد الرحمن السلمي، أخبركم هبة الله بن أحمد بن محمد الأُكفاني^(١)، قال: أنبأنا أبو الفتح عبد الجبار بن عبد الله بن إبراهيم بن برزة، قال: أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن عمر الفقيه، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم^(٢)، قال: ثنا الربيع بن سليمان، ثنا عبد الله بن وهب، ثنا ابن أبي الزناد^(٣)، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - زوج النبي ﷺ -، أنها قالت:

قَدِمَت امرأة من «دومة الجندل»^(٤) تبتغي رسول الله - ﷺ - بعد موته، حداثة ذلك^(٥)، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به.

قالت عائشة لعروة: يا ابن أخي! فرأيتها تبكي حتى إنني لأرحمها؛ تقول: إنني أخاف أن أكون قد هلكت، كان لي زوج، فغاب عني، فدخلت عليّ عجوز، فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما أمرك به تجعله يأتيك.

(١) الأُكفاني: بفتح الالف، وسكون الكاف، وفتح الفاء، وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى بيع الأكفان، اللباب ٨٢/١.

(٢) هو الإمام المعروف صاحب كتاب: الجرح والتعديل، وهو عبد الرحمن بن أبي حاتم: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التميمي الحنظلي، أبو محمد، ولد سنة (٢٤٠) هـ. وكان عالماً، محدثاً، عارفاً بالرجال، فقيهاً، أصولياً، متكلفاً، مفسراً، توفي بالري في المحرم سنة (٣٢٧) هـ.

من آثاره: تفسير القرآن الكريم في أربع مجلدات، الجرح والتعديل، الرد على الجهمية، مناقب الشافعي والمسند في (١٢) مجلداً.

أنظر ترجمته في: تذكره الحفاظ ٤٦/٣ - ٤٨، لسان الميزان، ٤٣٢/٣ - ٤٣٣، البداية والنهاية ١٩١/١١، وشذارات الذهب ٣٠٨/٢ - ٣٠٩، ومعجم المؤلفين ١٧٠/٥ - ١٧١.

- وقد روى هذه القصة الطبري في تفسيره ٣٦٠/١. وابن كثير في تفسيره ١٤١/١ - ١٤٢ من طريق الربيع بن سليمان، وهو ثقة. التقريب ٢٤٥/١.

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد: عبد الله بن ذُكَّان، المدني، مولى قريش؛ صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، ولهذا لم يذكره أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه، ويؤكد هذا أنه لو دخل بغداد لذكره، لأنه مشهور معروف فكان أولى بالذكر من غيره.

وقال الحافظ ابن كثير عقب القصة ١٤٢/١: «هذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها» أ هـ. والله تعالى أعلم.

(٤) دومة الجندل: بضم الدال وفتحها، وقد أنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين، وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول ﷺ، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالحجارة، أي الحجارة، نقلاً عن هامش المطبوعة.

(٥) أي: حداثة وفاته - ﷺ.

فلما أتانا الليل جاءني بكليين أسودَّين، فركبتُ أحدهما وركبت الآخر، ولم يكن كشيء^(١) حتى وقفنا بـ «بابل»، فإذا برجلين معلَّقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أعلم السُّحر. فقالا: إنما نحن فتنة، فلا تكفري وارجعي؛ فأبيتُ وقلتُ: لا. قالوا: فاذهبي إلى ذلك التَّور فبولي فيه.

فذهبت ففرزعت فلم أفعل؛ فرجعت إليهما. فقالا: أفعلتِ؟ فقلت: نعم. فقالا: هل رأيت شيئاً؟ قلت: لم أر شيئاً. فقالا: لم تفعلي، ارجعي إلى بلدك ولا تكفري؛ فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التَّور فبولي فيه.

ثمَّ إنِّي ذهبت، فاقشعُرُ جلدي وخفَّت؛ ثمَّ رجعت إليهما، فقلت: قد فعلت فقالا: ما رأيتِ؟ فقلتُ: لم أر شيئاً. فقالا: كذبتِ، لم تفعلي؛ فارجعي إلى بلدك ولا تكفري، فإنك على رأس أمرِك.

فذهبت فبلت فيه؛ فرأيت فارساً متقنَّاً بحديد خرج مني، فذهب في السماء، وغاب عني حتى ما أراه؛ وجثتهما، فقلت: قد فعلت. فقالا: ما رأيت؟ قلت: رأيتُ فارساً متقنَّاً بحديد خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه. فقالا: صدقت! ذلك إيمانك خرج منك؛ اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئاً، وما قالوا لي شيئاً.

فقلت: بلى! لن تدري شيئاً إلا كان؛ خذي هذا القمح فابذري. فبذرتُ، فقلتُ: أطلعي، فأطلعت، فقلت: الحقِّي، فلحقَّت. ثمَّ قلت: افركي ففركت، فقلت: ايبسي، فبيست. ثمَّ قلت: اطحني، فطحنت. ثمَّ قلت: اخبزي فخبزت.

فلما رأيت أنَّي لا أريد شيئاً إلا كان، سَقَطَ في يدي^(٢) وندمت، والله يا أمَّ المؤمنين، ما فعلتُ شيئاً قطَّ، ولا أفعله أبداً، فسألتُ أصحاب رسول الله - ﷺ -، - حدثنا وفاة رسول الله - ﷺ -، وهم متوافرون، فما دروا ما يقولون لها، وكلَّهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه؛ إلا أنه قد قال لها ابن عباس - أو بعض من كان عنده - : لو كان أبواك حَيَّين أو أحدهما^(٣).

قال ابن أبي الزناد: وكان هشام يقول: إنَّهم كانوا أهل ورع وخشية من الله، وبُعْدَاء من التَّكَلُّف والجُرْأَة على الله - .

(١) في تفسير ابن كثير: فلم يكن شيء.

(٢) أي: ندمت على ما فعلت، أنظر أساس البلاغة ص ٢١٤.

(٣) عند ابن كثير زيادة: قال هشام: فلو جاءتنا أفتيناها بالضممان.

ثم يقول هشام: ولو جاءتنا مثلها، لوجدت نوكي^(١) أهل حُمق وتكلف بغير علم.

٩٧ - [توبة شاب عن اللهو واللعب]

أخبرنا الإمام أبو الحسن البطّايحي^(٢) قال: أنبأنا أبو طالب اليُوسُفي، أنا الحسن بن علي التميمي، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني هارون بن عبد الله، ثنا ثابت البناني^(٣)، قال:

كان صِلَة بن أَشِيم^(٤) يخرج إلى الجَبَان فيتعبَ فيها. فكان يمر على شباب يلعبون ويلعبون. قال: فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فجازوا^(٥) النَّهَارَ عن الطريق وناموا الليل، متى يقطعون سفرهم؟ قال: فكان كذلك يمر بهم ويعظمهم، قال: فمرّ بهم ذات يوم، فقال لهم هذه المقالة. فقال شابّ منهم: يا قوم! إنّه والله ما يعني بهذا غيرنا، نحن بالنَّهار نلغو، وبالليل ننام. ثم اتَّبَعَ صِلَة، فلم يزل يختلف معه إلى الجَبَان ويتعبَد معه حتى مات، رحمهما الله.

-
- (١) النوكى: الحمقى، جمع أنوك، أي أحمق. انظر أساس البلاغة ص ٤٧٧.
- (٢) هو علي بن عساكر بن المرحب بن العوام البطّايحي، الضرير، مقرأ، عارف بالعربية، من أهل العراق، توفي في شعبان سنة (٥٧٢) هـ. من آثاره كتاب في القراءات، معجم المؤلفين ١٥٠/٧.
- وفي المطبوعة: البطّايحي، بالهمز، وهو خطأ، وإنما هو البطّايحي: بفتح الباء الموحدة، والطاء المهملة، والياء المثناة من تحت بعد الألف وفي آخرها الحاء المهملة، هذه النسبة إلى البطّايح، وهو موضع بين واسط والبصرة، وهي عدّة قرى مجتمعة في وسط الماء. اللباب ١٥٩/١.
- (٣) هو ثابت بن أسلم البناني - بضم الموحدة، ونونين مخففين -، أبو محمد البصري، ثقة عابد، من التابعين، مات سنة بضعة وعشرين ومائة، وله ست وثمانون. التقريب ١١٥/١.
- والظاهر أن في هذا الإسناد انقطاع، فعبدالله بن أحمد، هو: ابن حنبل الإمام، وهارون بن عبدالله، هو ابن مروان البغدادي، ثقة، إلا أنّه وَلِدَ نحو مائة وستين وثابت توفي سنة بضعة وعشرين ومائة - كما تقدم -، ولم يذكر في تهذيب الكمال ٣٤٦/٤ فيمن يروي عن ثابت البناني من اسمه هارون بن عبدالله، والله تعالى أعلم.

لكن ذكرها الحافظ أبو نعيم في الحلية ٢٣٨/٢ من طريق أخرى عن ثابت بها.

- (٤) هو صِلَة بن أَشِيم العدوي، أبو الصهباء، تابعي من عباد أهل البصرة وزهادهم، روى عنه أهلها، قتل سنة خمس وسبعين ومائة بكابل، في أوّل ولاية الحجاج بن يوسف، وقد قيل: أنه قتل في ولاية يزيد بن معاوية. الثقات لابن حبان ٣٨٣/٤. وذكره البخاري في التاريخ الكبير ٣٢١/٢ - ٣٢٢. ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وانظر حلية الأولياء ٢٣٧/٢ - ٢٤٢.
- (٥) في الحلية ٢٣٨/٢: فحدادوا.

٩٨ - [توبة شاب عن الإنهماك في الدنيا]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج^(١)، قال: ثنا أبو بكر الصوفي، قال: أنبأنا علي بن عبد الله، قال: أنبأنا أبو عبد الله بن عبد الله بن باكويه: قال: ثنا إبراهيم بن محمد الفقيه المالكي، قال: ثنا يوسف بن أحمد الواعظ، قال: ثنا العباس بن محمد المظهر^(٢) قال: ثنا الحسن بن أبي مريم العسكري، حدثني جعفر بن سليمان^(٣)، قال:

مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة. فبينما نحن ندور فيها مررنا بقصر يُعمر. وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجهاً منه، وإذا هو يأمر ببناء القصر، ويقول: افعلوا، واصنعوا.

فقال لي مالك: ما ترى إلى هذا الشاب وإلى حسن وجهه وحرصه على هذا البناء؟ ما أحوجني إلى أن أسأل ربي أن يخلصه، فلعله يجعله من شباب الجنة، يا جعفر ادخل بنا إليه.

قال جعفر: فدخلنا فسلمنا، فردّ السلام، ولم يعرف مالكا. فلما عرفوه إياه قام إليه، فقال: حاجة؟ قال: كم نويت أن تنفق على هذا القصر؟ قال: مائة ألف درهم.

قال: ألا تعطيني هذا المال فأضعه في حقه، وأضمن لك على الله تعالى قصراً خيراً من هذا القصر، بولدانه وخدمه؛ وقبأه وخيمه من ياقوتة حمراء، مرصع بالجواهر، ترابه الزعفران، وملاطه المسك^(٤)؛ أفصح^(٥) من قصرك هذا، لا يخرب، لا تمسه يدان ولم يبنه بناء، قال له الجليل^(٦): كن، فكان؟ قال: أجّلني الليلة، وبكر علي غدوة.

(١) أي: ابن الجوزي - رحمه الله تعالى.

(٢) المظهر؛ بضم الميم، وفتح الطاء، وتشديد الهاء المفتوحة وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى قرية ورجل، أما القرية فهي: مظهر، من أعمال سارية ما زندران... وأما الرجل فهو جدّ أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد بن محمد بن المظهر.
المظهر. . الباب ٢٢٦/٣.

(٣) هو جعفر بن سليمان الصُبَغي - بضم الصاد المعجمة، وفتح الموحدة -، أبو سليمان البصري، صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع، من أتباع التابعين، مات سنة ثمان وسبعين ومائة، التقريب ١٣١/١.

ولم أجد للحسن بن أبي مريم - الراوي عنه - ترجمة.

(٤) أي: طينه المسك، أساس البلاغة ص ٤٣٦.

(٥) أي: أوسع وأكبر، انظر أساس البلاغة ص ٣٥١.

(٦) أي: الله عز وجل.

قال جعفر: فبات مالك وهو يفكر في الشاب، فلما كان في وقت السحر دعا وأكثر من الدعاء.

فلما أصبحنا غدونا، فإذا بالشاب جالس، فلما عين مالكاً هشاً إليه^(١)، ثم قال: ما تقول في ما قلت بالأمس؟ قال: تفعل. قال: نعم. فأحضر البدر^(٢) ودعا بداوة وقرطاس، ثم كتب^(٣):

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان: إنني ضمننت لك على الله قصرأ بدل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة على الله؛ واشتريت لك بهذا المال قصرأ في الجنة، أفيح في^(٤) ظل ظليل، بقرب العزيز الجليل. ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب؛ وحملنا المال فما أمسى مالك وقد بقي عنده مقدار قوت ليلة.

فما أتى على الشاب أربعون ليلة، حتى صلى مالك ذات يوم الغداة، فلما انفتل، فإذا بالكتاب في المحراب موضوع، فأخذه مالك فنشره، فإذا في ظهره مكتوب بلا مداد: هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار: إننا وقينا الشاب القصر الذي ضمننت له وزيادة سبعين ضعفاً.

قال: فبقي مالك متعجباً؛ وأخذ الكتاب، فقمنا فذهبنا إلى منزل الشاب، فأقبلنا، فإذا الباب مسود، والبكاء في الدار، فقلنا: ما فعل الشاب؟ قالوا: مات بالأمس.

فأحضرنا الغاسل، فقلنا: أنت غسّلته؟ قال: نعم. قال مالك: فحدثنا كيف صنعت؟ قال: قال لي قبل الموت: إذا أنا مت وكفتني اجعل هذا الكتاب بين كفني وبدني. فجعلت الكتاب بين كفنه وبدنه، ودفنته معه.

فأخرج مالك الكتاب؛ فقال الغاسل: هذا الكتاب بعينه والذي قبضه، لقد جعلته بين كفنه وبدنه بيدي. قال: فكثر البكاء؛.

فقام شاب، فقال: يا مالك! خذ مني مائتي ألف درهم، وضمن لي مثل هذا.

قال: هيهات! كان ما كان، فات ما فات؛ والله يحكم ما يريد. فكلما ذكر مالك الشاب بكى ودعا له.

(١) أي: خفّ إليه وأسرع، مختار الصحاح ص ٢٢٤.

(٢) البدر: جمع البدر، والبدر: عشرة آلاف درهم، أنظر مختار الصحاح ص ١٢٤.

(٣) أي: مالك بن دينار.

(٤) في المطبوعة: من، وما أثبتناه أنسب للمعنى، والله أعلم.

٩٩ - [توبة جندي صاحب قصر عن الغناء والملاهي]

قال ابن باكويه: حدثنا عبد الواحد بن بكر، ثنا محمد بن داود الدُّيْنَوِيُّ^(١)، قال: سمعت أبا إسحاق الهَرَوِيَّ^(٢)، يقول:

كنت مع ابن الخُيَوطِيَّ^(٣) بالبصرة، فأخذ بيدي، وقال: قم حتى نخرج إلى «الأُبْلَة»^(٤). فلما قربنا إلى «الأُبْلَة»، ونحن نمشي على شاطئ «الأُبْلَة» في الليل، والقمر طالع، مررنا بقصر لجندي، فيه جارية تضرب بالعود؛ وفي جانب القصر في ظل القمر فقير بخرقتين.

فسمع الفقيرُ الجارية وهي تقول:

كُلُّ يَوْمٍ تَتَلَوْنَ غَيْرُ هَذَا بِكَ أَجْمَلُ

فصاح الفقير وقال: أعيديه، فهذا حالي مع الله تعالى.

قال: فنظر صاحب الجارية إلى الفقير، فقال لها: اتركي العود وأقبلي عليه، فإنه صوفي. فأخذت تقول، والفقير يقول: هذا حالي مع الله؛ والجارية تردّد، إلى أن صاح الفقير صيحة وخرّ مغشياً عليه، فحرّكناه، فإذا هو ميت.

فلما سمع صاحب القصر بموته نزل فأدخله إلى القصر، واغتمنا، وقلنا: هذا يكفّنه من غير وجهه، فصعد الجندي، وكسر كل ما كان بين يديه، فقلنا: ما بعد هذا إلا خير.

ومضينا إلى «الأُبْلَة» فَبِتْنَا وأعلمنا الناس. فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر، وإذا الناس مقبلون من كل وجه إلى الجنازة، كأنما نودي في «البصرة»، حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم.

(١) الدُّيْنَوِيُّ: بكسر الدال المهملة، وسكون الياء آخر الحروف، وفتح النون والواو، وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى الدُّيْنَوْر، وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين ينسب إليها جماعة من العلماء، اللباب ٢٥٦/١.

(٢) الهَرَوِي: بفتح الهاء والراء، وبعد واو، هذه النسبة إلى هراة، وهي إحدى مدن خراسان المشهورة، ينسب إليها خلق كثير من العلماء في كل فن. اللباب ٣٨٦/٣.

(٣) الخيوطي: بضم الخاء والياء تحتها نقطتان، وبعد الواو طاء مهملة، هذه النسبة إلى الخُيَوط، اللباب ٤٧٩/١.

(٤) هي مدينة إلى جنب البصرة، على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل منه إلى البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مضرت في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وكانت الأُبْلَة - حيثئذ مدينة، نقلاً عن هامش المطبوعة.

وقال في اللباب ٢٥/١ - ٢٦: «بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة، وهي اليوم من البصرة، وقيل: إنها من جنان الدنيا» أ.هـ.

وإذا الجندِيّ يمشي خلف الجنَازة حافياً حاسراً حتى دفن، فلما همّ الناس بالانصراف، قال الجندِيّ للقاضي والشهود: اشهدوا أن كل جارية لي حرّة لوجه الله تعالى، وكل ضياعي وعقاري حبيس في سبيل الله، ولي في صندوق أربعة آلاف دينار، وهي في سبيل الله.

ثم نزع الثوب الذي كان عليه، فرمى به، وبقي في سراويله.
فقال القاضي: عندي مئزران من وجههما، تقبلهما؟ فقال: شأنك، فأخذهما فاتزر بواحد، واتشح بالآخر، وهام على وجهه.
فكان بكاء الناس عليه أكثر منه على الميت.

١٠٠ - [توبة رجل من أعوان السلطان عن الفواحش]

وَحِكِي^(١) عن مالك بن دينار، قال:

كان لي جار يتعاطى الفواحش، فأتى إليّ الجيران يشكون منه. فأحضرناه، وقلنا له: إنّ الجيران يشكونك، فسبيلك أن تخرج من المحلّة. فقال: أنا في منزلي، لا أخرج. قلنا: تبيع دارك. قال: لا أبيع ملكي. قلنا: نشكوك إلى السلطان. قال: أنا من أعوانه. قلنا: ندعو الله عليك. قال: الله أرحم بي منكم.

قال: فلما أمسينا قمّت وصليتُ ودعوتُ عليه، فهتف بي هاتف: لا تدعُ عليه فإنّه من أولياء الله تعالى.

فجئت إلى باب داره، ودققت الباب، فخرج، فظنّ أنّي جئت لأخرجه من المحلّة، فتكلم كالمعتذر.

فقلت: ما جئت لهذا، ولكن رأيت كذا وكذا، فوقع عليه البكاء، وقال: إنّني تبت بعد ما كان هذا. ثم خرج من البلد فلم أره بعد ذلك.

واتفق أنّي خرجت إلى الحج، فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمتُ إليهم، فرأيتهم مطروحاتاً عليلاً، فلم ألبث أن قالوا: مات الشاب رحمه الله.

١٠١ - [توبة فتي من الأزديكان عن التأنث والتخنث]

أخبرنا أبو طالب المبارك بن عليّ الصيرفيّ، أنا أبو غالب شجاع بن فارس الذُهليّ، أنا أبو بكر الخياط، قال: أنا أحمد بن محمد بن دوست، قال: أنبأنا الحسين بن صفوان،

(١) بصيغة المبني للمجهول، وهذه الصيغة تفيد التضعيف عند علماء الحديث، كما سبق التنويه إلى ذلك مراراً.

قال: أنبأنا أحمد بن محمد، قال: أنبأنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: وحدثت عن محمد بن الحسين، عن يحيى بن راشد، ثنا رجاء بن ميسور المَجَاشِيعِي^(١)، قال:

كنا في مجلس صالح المُرِّي^(٢) وهو يتكلم. فقال لفتى بين يديه اقرأ يا فتى، فقرأ الفتى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٣). فقطع صالح عليه القراءة، وقال: كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟ إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم، حفاة عراة، مسوذة وجوههم، مُزَرَّقة عيونهم، ذائبة أجسادهم، ينادون: يا ويلنا، يا ثورنا، ماذا نزل بنا؟ ماذا حل بنا؟ أين يذهب بنا؟ ماذا يُرَاد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مُقَرَّنِينَ، من بين باك دماً بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت، إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك.

ثم نَحَبَ^(٤)، وصاح: يا سوء منظراه، يا سوء منقلباه، وبكى. وبكى الناس.

فقام فتى من الأزديكان، به تأنيث، فقال: أكلّ هذا في القيامة يا أبا بشر؟.

قال: نعم والله يا ابن أخي، وما هو أكثر؛ لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم، فما يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المدنف^(٥).

فصاح الفتى: إنا لله! واغفلناه عن نفسي أيام الحياة، وأسفا على تفريطي في طاعتك يا سيده، وأسفا على تضييعي عمري في دار الدنيا، ثم بكى؛ واستقبل القبلة،

(١) المَجَاشِيعِي: بضم الميم، وفتح الجيم، وسكون الالف، وكسر الشين المعجمة، والعين المهملة. هذه النسبة إلى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة من تميم، وهم خلق كثير، اللباب ٣/١٦٤ - ١٦٥.

ولم أجد من ترجم لرجاء بن ميسور هذا، كما أن في الإسناد انقطاع، وهو ظاهر من قول ابن أبي الدنيا: وحدثت.

(٢) هو صالح بن بشير بن وادع المُرِّي - بضم الميم، وتشديد الراء -، أبو بشر البصري، القاضي الزاهد، يروي عن ثابت والحسن البصري، وابن سيرين وغيرهم، روى عنه العراقيون، غلب عليه الخير والصلاح، فلم يحفظ الحديث فخلط، فترك الاحتجاج به، مات سنة اثنتين وسبعين ومائة، وقيل: بعدها، التقريب ١/٣٥٨، واللباب ٣/٢٠١.

(٣) سورة المؤمن، آية رقم ١٨/

(٤) أي: رفع صوته بالبكاء، مختار الصحاح ص ٤٢.

(٥) هو: المريض الذي ثقل عليه مرضه. مختار الصحاح ص ٢٩٢.

فقال: اللهم! إنني استقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك؛ اللهم! فاقبلني على ما كان فيّ، واعف عَمَّا تقدّم من فعلي، وأقلني عثرتي، وارحمني ومن حضرني، وتفضل علينا بجودك وكرمك؛ يا أرحم الراحمين، لك ألقيت معاقدا الأثام من عنقي، وإليك أنبت بجميع جوارحي، صادقاً لذلك قلبي، فالوَيْل لي إن لم تقبلني.

ثم غلب فسقط مغشياً عليه، فحُمِل من بين القوم سريعاً، فمكث صالح وإخوته يعودونه أياماً، ثم مات - والحمد لله - فحضره خلق كثير يكون عليه، ويدعون له.

فكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه فيقول: بأبي قتيل القرآن، وبأبي قتيل المواعظ والأحزان.

قال: فرآه رجل في منامه، قال: ما صنعت؟ قال: عمّنتي بركة مجلس صالح، فدخلتُ في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء.

١٠٢ - [توبة امرأة وهي تطوف حول الكعبة]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن محمد الخطيب الأنباري، قال: أنبأنا أبو الحسين بن بشران، قال: أنبأنا الحسين بن صفوان، قال: أنبأنا ابن أبي الدنيا، ثنا سعيد بن سليمان الواسطي^(١)، عن محمد بن يزيد بن خنيس^(٢)، قال: قال وهيب بن الورد^(٣):

بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول: يا رب! ذهبت اللذات، وبقيت التبعات؛ يا رب! سبحانك، وعزتك إنك أرحم الراحمين؛ يا رب! ما لك عقوبة إلا النار.

ف قالت صاحبة لها كانت معها: أختي، دخلت بيت ربك اليوم؟.

ف قالت: والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربي، وقد علمت حيث مشتا وأين مشتا؟.

١٠٣ - [توبة رجل عمّا جنت يده]

أخبرنا أبو الفضل مسعود بن عبيد الله بن النّادر، قال: أنا أبو سعد أحمد بن محمد البغدادي، قال: أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد الظّهْراني^(١)، وعبد الوهاب بن منده قال: أنبأنا أبو محمد بن محمد ابن يوه، قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر البُناني، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد، قال: كتب إليّ أبو عبد الله البَاهلي، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد عن إبراهيم بن الحارث، قال:

كان رجل كثير البكاء؛ ف قيل له في ذلك، فقال: أبكاني تذكّري ما جنيت على نفسي حين لم استحِ ممن شاهدني وهو يملك عقوبتي، فأخبرني إلى يوم العقوبة الدائمة، وأجلّني إلى يوم الحسرة الباقية؛ والله لو خيرت: أيما أحبّ إليك، تحاسب ثم يؤمر بك إلى الجنة، أو يقال لك: كن تراباً؟ - لاخترت أن أكون تراباً.

(١) هو سعيد بن سليمان الضبي، أبو عثمان الواسطي، نزيل بغداد، البراز، لقبه سعدويه، ثقة حافظ مات سنة خمس وعشرين ومائتين، وله مائة سنة. التقريب ٢٩٨/١.

(٢) هو محمد بن يزيد بن خنيس، المخزومي مولا هم، المكي، مقبول، وكان من العباد توفي بعد العشرين ومائتين، التقريب ٢١٩/٢. وقد ذكر في التهذيب عن ابن حبان قوله: يجب أن يعتبر بحديثه إذا بين السماع في خبره، ولم يبين السماع في هذه القصة من وهيب فلا يعتبر بروايته.

(٣) هو وهيب بن الورد، الثقة العابد، من أتباع التابعين، تقدّم ترجمته، وانظر التقريب ٣٣٩/٢.

(٤) الظّهْراني: بكسر الظاء، وبالهاء، وفتح الراء، وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى ظهران، وهي قرية

١٠٤ - [توبة مُلهي أهل المدينة عن اللهو على يد والدته]

ومن «الملتقط»^(١): قال صالح بن عمر: وحَدَّثني أبي، قال: كان بالمدينة امرأة متعبدة، ولها ولد يلهو، وهو مُلهي أهل المدينة. وكانت تعظه، وتقول: يا بُني! اذكر مصارع الغافلين قبلك، وعواقب البطالين قبلك، اذكر نزول الموت. فيقول إذا ألحَّت عليه:

كُفِّي عَنِ التَّعَذُّالِ وَاللُّومِ وَاسْتَيْقِظِي مِنْ سِنَةِ النُّومِ
إِنِّي وَإِنْ تَابَعْتُ فِي لَذَّتِي قَلْبِي وَعَاصَيْتُكَ فِي لُومِي
أَرْجُو مِنْ إِفْضَالِهِ تَوْبَةً تَنْقُلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ
فلم يزل كذلك حتى قدم أبو عامر البُناني واعظ أهل الحجاز، ووافق قدومه رمضان، فسأله إخوانه أن يجلس لهم في مسجد رسول الله - ﷺ - فأجابهم.

وجلس ليلة الجمعة بعد انقضاء التراويح، واجتمع الناس، وجاء الفتى فجلس مع القوم، فلم يزل أبو عامر يعظ ويُنذِر ويبشِّر، إلى أن ماتت القلوب فرقاً، واشتأقت النفوس إلى الجنة، فوقعت الموعظة في قلب الغلام فتغيَّر لونه. ثم نهض إلى أمه، فبكى عندها طويلاً، ثم قال:

زَمِمْتُ^(٢) لِلتَّوْبَةِ أَجْمَالِي وَرُخْتُ قَدْ طَاوَعْتَ عُذَالِي^(٣)
وَأُبْتُ وَالتَّوْبَةُ قَدْ فَتَحَتْ مِنْ كُلِّ عُضْوٍ لِي أَقْفَالِي
لَمَّا حَدَا الْحَادِي بِقَلْبِي إِلَى طَاعَةِ رَبِّي فَكُّ أَغْلَالِي
أَجَبْتُهُ لِبَيْتِكَ مِنْ مُوقِفٍ نَبَّةً بِالتَّذْكَارِ إِغْفَالِي
يَا أُمِّ هَلْ يَقْبَلُنِي سَيِّدِي عَلَى الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ حَالِي؟
وَاسْؤَلَا إِنْ رَدَّنِي خَائِباً رَبِّي وَلَمْ يَرْضَ بِإِقْبَالِي

ثم شَمَّر في العبادة وجَدَّ، وكان لا يفطر إلا بعد التراويح، ولا ينام إلا بعد طلوع الشمس.

فقرَّب إليه أمه ليلة إفطاره، فامتنع وقال: أجد ألم الحمى، فأظن أن الأجل قد أُرِفَ^(٤). ثم فزع إلى محرابه ولسانه لا يفتر من الذِّكْرِ. فبقي أربعة أيام على تلك الحال. ثم استقبل القبلة يوماً، وقال: إلهي عصيتك قوياً، وأطعتك ضعيفاً، وأسخطتك

(١) أي: ملتقط الحكايات، لابن الجوزي.

(٢) أي: شددت، أنظر مختار الصحاح ص ٤١٠.

(٣) أي: قد دنا، مختار الصحاح ص ٢٨٥.

جَلَدًا^(١)، وخدمتك نحيفاً، فليت شعري هل قبلتني؟ ثم سقط مغشياً عليه، فانشج وجهه.

فقامت إليه أمه، فقالت: يا ثمرة فؤادي، وقرّة عيني، ردّ جوابي.

فسأفاق فقال: يا أمّاه! هذا اليوم الذي كنت تحذّريني، وهذا الوقت الذي كنت تخوّفيني؛ فيا أسفي على الأيام الخوالي، يا أمّاه! إنّي خائف على نفسي أن يطول في النار حبسي؛ بالله عليك يا أمّاه، قومي فضعي رجلك على خدي، حتى أذوق طعم الذل لعله يرحمني، ففعلت، وهو يقول: هذا جزاء من أساء، ثم مات رحمه الله.

قالت أمه: فرأيت في المنام ليلة الجمعة، وكأنه القمر، فقلت: يا ولدي! ما فعل الله بك؟ فقال: خيراً، رفع درجتي.

قلت: فما كنت تقول قبل موتك؟ قال: هتف بي هاتف: أجب الرحمن! فأجبت.

قلت: فما فعل أبو عامر^(٢)؟ فقال: هيهات! أين نحن من أبي عامر؟

حَلْ أَبُو عَامِرٍ فِي قُبَّةٍ وَطَدَهَا^(٣) ذُو الْعَرْشِ لِلنَّاسِ
بَيْنَ جَوَارٍ كَالْدُمَى خُرْدًا^(٤) يَسْقِينُهُ بِالْكَاسِ وَالطَّاسِ
يَقْلَنَ بِالْتَّرْخِيمِ^(٥) خَذَهَا فَقَدْ هُنَيْتَهَا يَا وَاغْظَ النَّاسِ

١٠٥ - [توبة دينار العيَّار عن المعاصي على يد والدته]

وروي أن رجلاً كان يُعرف بـ«دينار العيَّار»، كانت له والدّة تعظه ولا يتعظ، فمرّ في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام، فأخذ منها عظماً نخرأ فانفتت في يده، ففكر في نفسه، وقال لنفسه: ويحك! كأني بك غداً قد صار عظمك هكذا رُفَاتاً، والجسم تراباً، وأنا اليوم أقدم على المعاصي، فندم وعزم على التوبة، ورفع رأسه إلى السماء، وقال: إلهي! إليك ألقيت مقاليد أمري، فاقبلني وارحمني.

ثم مضى نحو أمه متغيّر اللون، مُنْكَسِر القلب، فقال: يا أمّاه! ما يُصْنَعُ بالعبد الأبق إذا أخذه سيده؟ فقالت: يُخْشَن ملبسه ومطعمه، ويغْلَ يده وقدمه.

فقال: أريد جبة من صوف، وأقراصاً من شعير، وتفعلين بي كما يُفعل بالأبق، لعلّ

(١) أي: صلباً قوياً، مختار الصحاح ص ٩٢

(٢) أي: الثباني، واعظ أهل الشام.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ١١٥: «وطد الشيء: أثبتته وثقله» اهـ.

(٤) أي: عذارى، خفرات، حيّات، أساس البلاغة ص ١٠٧.

(٥) أي: بصوت رقيق لئِنْ، أساس البلاغة ص ١٥٩.

مولاي يرى ذُلِّي فيرحمني . ففعلت ما طلب .

فكان إذا جنَّه الليل أخذ في البكاء والعيول ، ويقول لنفسه : ويحك يا دينار! ألك قوّة على النّار؟ كيف تعرّضت لغنّيب الجبّار؟ وكذلك إلى الصباح .

فقال له أمّه في بعض الليالي : ارفق بنفسك ، فقال : دعيني أتعب قليلاً لعلّي أستريح طويلاً ؛ يا أمي إنّ لي موقفاً طويلاً بين يديّ ربّ جليل ، ولا أدري أيؤمر بي إلى الظلّ الظليل ، أو إلى شرّ مقيّل ، إنّي أخاف عناء لا راحة بعده ، وتوبيخاً لا عفو معه .

قالت : فاسترح قليلاً ، فقال : الرّاحة أطلب ، أتضمنين لي الخلاص؟

قالت : فمن يضمّنه لي؟

قال : فدعيني وما أنا عليه ؛ كأنك يا أماء غداً بالخلائق يساقون إلى الجنّة ، وأنا أساق إلى النار .

فمرّت به في بعض الليالي في قراءته ﴿فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) . ففكر فيها ، وبكى ، وجعل يضطرب كالحيّة ، حتى خر مغشياً عليه ، فجاءت أمه إليه ونادته ، فلم يجبها ، فقالت : قُبْرَةٌ عيني ، أين الملتقى؟ فقال بصوت ضعيف : إن لم تجديني في عرصة القيامة فأسألي مالكا^(٢) عني . ثم شهق شهقة مات فيها .

فجهزته وغسلته ، وخرجت تنادي : أيها الناس! هلمّوا إلى الصلاة على قتيل النّار؛ فجاء الناس ؛ فلم ير أكثر جمعاً ولا أغزر دمعاً من ذلك اليوم .

١٠٦ - [توبة رجل عن حب جاريته المغنيّة التي شغلته عن الله]

وقال علي بن الحسين : كان لنا جار من المتعبّدين قد برز في الاجتهاد ، فصلّي حتى تورّمت قدماءه ، وبكى حتى مرضت عيناه ؛ فاجتمع إليه أهله وجيرانه فسألوه أن يتزوّج .

فاشتري جارية - وكانت تغني وهو لا يعلم - ، فبينما هو ذات يوم في محرابه يصلي ، رفعت الجارية صوتها بالغناء ، فطار لبه ، فرّام^(٣) ما كان عليه من العبادة فلم يُطق .

فأقبلت الجارية عليه ، فقالت : يا مولاي! لقد أبليت شبابك ، ورَفَضْتَ لذات الدنيا أيام حياتك ؛ فلو تمتعت بي ؛ فمال إلى قولها ، واشتغل باللذات عمّا كان فيه من التّعبد .

(١) سورة الحجر، آية رقم ٩٢-٩٣ .

(٢) يريد مالكا خازن النار .

(٣) أي : قصد .

فبلغ ذلك أخاً له كان يوافقه على العبادة؛ فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من الناصح الشفيق، والطبيب الرفيق، إلى مَنْ سُلِبَ حلاوة الذكر، والتلذذ بالقرآن، والخشوع والأحزان؛ بلغني أنك اشتريت جاريةً بعْتَ بها من الآخرة حَقَّكَ؛ فإن كنتَ بعْتَ الجزيل بالقليل، والقرآن بالقيان، فإنِّي محدِّرك هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وموتم الأولاد^(١)؛ فكأنه قد جاء على غرة، فأبكم^(٢) منك اللسان، وهدم منك الأركان، وقرب منك الأكفان، وأحتوشك^(٣) الأهل والجيران؛ وأحدرك من الصيحة إذا جئت^(٤) الأمم لهول ملكٍ جبار؛ فاحذري يا أخي ما يحل بك من ملك غضبان. ثم طوى الكتاب، وأنقذه إليه^(٥). فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره، فغصَّ بريقه، وأذهله ذلك، فنهض مبادراً من مجلس سروره، وكسر آنيته، وهجر جاريته، وآلى^(٦) أن لا يطعم الطعام ولا يتوسد المنام.

قال الذي وعظه: فلما مات رأيته في المنام بعد ثلاث، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قدمنا على ربِّ كريم أباحنا الجنة. وقال:

الله عوّضني ذو العرش جارية حوراء تسقيني^(٧) طوراً وتهنئني
تقول لي اشرب بما قد كنت تأملني وقر عينا مع الولدان والعين
يا من تخلى عن الدنيا وأزعجه عن الخطايا وعيد في السطواسين^(٨)

١٠٧ - [توبة شاب وامراته على يد سري السَّقْطِي] ^(٩)

وعن سري السَّقْطِي^(١٠)، قال: كنت يوماً أتكلم بجامع المدينة، فوقف عليّ شاب،

- (١) أي: متيم الأولاد، وقصد بذلك: الموت.
- (٢) أي: أخرس، وأسكت، مختار الصحاح ص ٣٩٧.
- (٣) أي: اجتمع عليك الأهل، وجعلوك في وسطهم، مختار الصحاح ص ٢١٩.
- (٤) تقول: جئا على ركبته، إذا جلس عليهما، أنظر أساس البلاغة ص ٥٢.
- (٥) أي: أرسله إليه.
- (٦) أي: وحلف، مختار الصحاح ص ٤٨٦.
- (٧) حرّكت الياء بالفتح لضرورة الشعر.
- (٨) قال الأستاذ عبد القادر أرناؤوط: أي في سور القرآن التي فيها: طس، وطسم، كسورة: الشعراء) و (النحل) و (القصص).
- (٩) هو سريّ بن المغلس، أبو الحسن السَّقْطِي، البغدادي المولد والوفاة، كان من المشايخ، المذكورين المعروفين وأحد العباد المجتهدين، صاحب معروف الكرخي، وهو خال الجُنَيْد بن محمد وأستاذه، توفي في رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وله نحو ثمان وتسعين سنة، ودفن في مقبرة=

حسن الشباب، فاخر الثياب، ومعه أصحابه، فسمعني أقول في عظمي عجباً لضعف يعصي قوياً؛ فتغير لونه وانصرف.

فلما كان من الغد جلستُ في مجلسي، وإذا بالفتى قد أقبل، فسلم، وصلى ركعتين، وقال: يا سرّي! سمعتُك بالأمس تقول: عجباً لضعف يعصي قوياً، فما معناه؟ فقلتُ: لا أقوى من الله، ولا أضعف من العبد، وهو يعصيه، فنهض، فخرج.

ثم أقبل من الغد، وعليه ثوبان أبيضان، وليس معه أحد، فقال: يا سرّي! كيف الطريق إلى الله؟ فقلتُ: إن أردتَ العبادة فعليك بصيام النهار، وقيام الليل؛ وإن أردتَ الله فاترك كل شيء سواه تصل إليه، وليس إلا المساجد والخراب والمقابر، فقام وهو يقول: والله لاسلكتُ إلا أصعب الطرق، وولى خارجاً.

فلما كان بعد أيام أقبل إليّ غلمان كثير، فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟ فقلتُ: لا أعرفه؛ إلا أن رجلاً جاءني، من صفته كذا وكذا، فجرى لي معه كذا وكذا، ولا أعلم حاله، فقالوا: نقسم عليك بالله متى عرفت حاله فعرفنا، ودلّوني على داره.

فبقيتُ سنة لا أعرف له خبراً، فبينما أنا ذات ليلة بعد عشاء الآخرة جالساً في بيتي، إذا بطارق يطرق الباب، فأذنتُ له بالدخول، فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه، وأخرى على عاتقه، ومعه زنبيل^(١) فيه نوى. فقبل بين عيني، وقال لي: يا سرّي! أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رق الدنيا.

فأومأتُ إلى صاحبي أن امضِ إلى أهله فيخبرهم. فمضى، وإذا بزوجه قد جاءت ومعهما ولده وغلمانه. فدخلتُ وألقت ولده في حجره وعليه حلّي وحُلل، وقالت له: يا سيدي! أرملتني وأنت حيّ، وأيتمتَ ولدك وأنت حيّ.

قال سرّي: فنظر إليّ، وقال: يا سرّي! ما هذا وفاء، ثم أقبل عليها، فقال: والله إنك لثمرّة فؤادي، وحبّبة قلبي، وإن هذا ولدي لأعزّ الخلق عليّ، غير أن هذا سرّي أخبرني أن من أراد الله قطع كل ما سواه.

ثم نزع ما على الصبيّ، فقال: ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد العارية،

= الشونيزية، وقبره ظاهر معروف، من أقواله: لا يقوى على ترك الشهوات إلا من ترك الشهات. تاريخ بغداد ١١٦/ ١٢٨.

والسَّقْطِي: بفتح السين المهملة، والقاف، وفي آخرها طاء مهملة هذه: نسبة إلى بيع السَّقْط وهو معروف، اللباب ٢/ ١٢٢.

(١) هو وعاء معروف، أنظر أساس البلاغة ص ١٨٨، ومختار الصحاح ص ٣٦٣.

وخرق قطعة من كسائه فلفَ فيها الصبي^(١). فقالت المرأة: لا أرى ولدي في هذه الحال، وانتزعت منه؛ فحين رآها قد اشتغلت به، نهض وقال: ضيَعتم عليّ ليلتي؛ بيني وبينكم الله، ووَلّى خارجاً، وضجّت الدار بالبكاء؛ فقالت: إن عدت سمعت له خبراً فأعلمني، فقلت: نعم.

فلما كان بعد أيام أنت عجزوز، فقالت: يا سريّ! بالشونيزية^(٢) غلام يسألك الحضور، فمضيتُ فإذا به مطروح في تربة، تحت رأسه لَبَنَةٌ. فسَلَمْتُ عليه، ففتح عينيه، وقال: يا سريّ! ترى تُغفّر تلك الجنايات؟ فقلت: نعم. قال: يُغفّر لمثلي؟ قلت: نعم. قال: أنا غريق! قلت: هو منجي الغرقى. فقال: عليّ مظلّم، فقلت: في الخبر «أنه يؤتى بالتائب يوم القيامة، معه خصومه، فيُقال لهم: خلّوا عنه فإن الله تعالى يعوّضكم».

فقال: يا سريّ! معي دراهم من لقط النوى، إذا أنا مت فاشتري لي ما أحتاج إليه وكفّني، ولا تُعلّم أهلي لئلا يغيّروا كفني بحرام.

قال سريّ: فجلست عنده قليلاً، ففتح عينيه، فقال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(٣) ثم مات.

فأخذتُ الدراهم، وجئت فاشتريت ما يحتاج إليه، وسرّْتُ نحوه؛ فإذا الناس يهرعون، فقلت: ما الخبر؟ ف قيل: مات وليّ من أولياء الله، نريد أن نصليّ عليه. فجئت فغسلته ودفّناه.

فلما كان بعد مدّة نفَذَ^(٤) أهله يستعلمون خبره، فأخبرتهم بموته، فأقبلت امرأته باكية، فأخبرتها بحاله، فسألتنني أن أريها قبره. فقلت: أخاف أن تغيّروا أكفانه؟ قالت: لا والله؛ فأريتها القبر، فبكّت، وأمرت بإحضار شاهدَين، فأحضرتُهما، وأعتقت جواريهما، وأوقفت عقارها، وتصدّقت بمالها، ولزمت قبره حتى ماتت.

١٠٨ - [توبة امرأة بارعة الجمال أرادت ان تفتن الربيع بن خثيم]^(٥)

أبانا محمد بن عبد الباقي، قال: أبانا جعفر بن أحمد، قال: أنا أحمد بن عليّ،

(١) قال الأستاذ عبد القادر أرناؤوط: هذا من الغلو في الزهد، وهو مخالف لهدى رسولنا محمد - ﷺ - في معاملة أهله وولده، ومعاملة أولاد بناته.

(٢) الشونيزية: هي مقبرة بغداد، وفيها دفن كثير من الصالحين.

(٣) سورة الصافات، آية رقم ٦١.

(٤) أي: بعث وأرسل.

(٥) في المطبوعة: الربيع بن خثيم، وهو خطأ، وهو كذلك في الخلاصة ص ١١٥، والمثبت كما في =

قال: أنا محمد بن عبد الله الدِّقَّاق، قال: أنا الحسين بن صفوان، قال: أنا عبد الله بن محمد، حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: أنبأنا أبو القاسم محرز الجَلَّاب^(١)، حدثني سعدان، قال:

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرَّض للرَّبيع بن خُثَيْم^(٢) لعلها تفتنه، وجعلوا لها، إن فعلت ذلك، ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيَّبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده. فنظر إليها، فراعه أمرها. فأقبلت عليه وهي سافرة^(٣)، فقال لها الرَّبيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيَّرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت، فقطع منك حبل الوتين^(٤)؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرَّخت صرخة فسقطت مغشياً عليها، فوالله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربِّها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق.

١٠٩ - [توبة جار لأحمد بن حنبل]

حدثنا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي^(٥)، أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر، أنا أبو طالب اليوسُفي، أنا أبو إسحاق البرمكي^(٦)، أنا أبو عبد الله بن بطة^(٧)، قال: حدثني أبو

= التاريخ الكبير للبخاري ٢/١/٢٦٩، والثقات لابن حبان ٤/٢٢٤، وتهذيب الكمال ٩/٧٠ - ٧١، وتذكرة الحفاظ ١/٥٧، والكاشف ١/٢٣٥، وتهذيب التهذيب ٣/٢٤٢. والتقريب ١/٢٤٤. وهو الربيع بن خُثَيْم - بضم المعجمة، وفتح المثناة - ابن عائذ بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مخضرم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله - ﷺ - لأحبك، مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين، التقريب.

(١) الجَلَّاب: بفتح الجيم، وتشديد اللام، وفي آخرها الباء الموحدة، هذا الاسم لمن يجلب الرقيق والدواب. الباب ١/٣١٩.

(٢) في المطبوعة: الربيع بن خُثَيْم، وهو خطأ، وقد تقدم التنبيه إلى ذلك، في ترجمته أوَّل القصة.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ١٥٠: «سفرت المرأة: كشفت عن وجهها، فهي سافرة» أ.هـ.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٤٧٣: «الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه» أ.هـ.

(٥) أي: ابن الجوزي - رحمه الله.

(٦) قال في الباب ١/١٤٢ - ١٤٣: «البرمكي: بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، وفتح الميم، وفي آخرها الكاف، هذه النسبة إلى اسم وموضع.

أما الاسم فهم أولاد أبي علي يحيى بن خالد بن برمك، وفيهم كثيرة..

وأما الموضع فالمنتسب إليه أبو إسحاق - وهو الراوي هنا - إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي البغدادي، كان سلفه قديماً يسكنون محلة ببغداد تعرف بالبرامكة، وقيل: بل كانوا يسكنون قرية تُسمَّى البرمكية، فنسبوا إليها، روى عنه أبو بكر الخطيب، والقاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي وغيرهما توفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة أ.هـ.

(٧) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعد بن عتبة العُكْبَرِي =

بكر الأجرّي^(١)، قال: سمعت ابن أبي الطيّب، يقول: حدثنا جعفر الصّائغ، قال:

كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل رجل ممن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يوماً إلى مجلس أحمد يسلم عليه، فكأنّ أحمد لم يردّ عليه ردّاً تاماً وانقبض منه.

فقال له: يا أبا عبد الله! لِمَ تنقبض منّي؟ فإنّي قد انتقلت عما كنت تعهدني برؤيا رأيتهَا.

قال: وأيّ شيء رأيته؟

قال: رأيت النّبي - ﷺ - في النّوم كأنه على علوّ من الأرض، وناس كثير أسفل جلوس. قال: فيقوم رجل رجل منهم إليه، فيقول: ادع لي؛ فيدعوله، حتى لم يبق من القوم غيري.

قال: فأردت أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنت عليه.

قال لي: يا فلان، لِمَ لا تقوم إليّ فتسألني أدعوك؟ قال: قلت: يا رسول الله! يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه؛ فقال: إن كان يقطعك الحياء فقم فسألني أدع لك، فإنك لا تسبّ أحداً من أصحابي. قال: فقمته، فدعا لي. فانتبهت وقد بغض الله إليّ ما كنت عليه.

قال: فقال لنا أبو عبد الله: يا جعفر، يا فلان، حدّثوا بهذا واحفظوه فإنّه ينفع.

١١٠ - [توبة أبي عمر بن علوان عن نظره إلى امرأة]

أبانا الإمام العلامة أبو اليُمّن زيد بن الحسن الكندي^(٢)، أخبر عبد الرحمن بن

الحنبلي، المعروف بابن بطة، أبو عبد الله، فقيه، محدّث، متكلم، ولد لأربع خلون من شوال سنة (٣٠٤) هـ. في عكبرا وتوفي فيها في يوم عاشوراء، سنة (٣٨٧) هـ. من مصنفاته الكثيرة: السنن، المناسك، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة. أنظر ترجمته في البداية والنهاية ١١/٣٢١ - ٣٢٢ شذرات الذهب ٣/١٢٢ - ١٢٤، ومعجم المؤلفين ٢٤٥/٦.

(١) هو الإمام المعروف محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الأجرّي، وقد تقدّمت ترجمته.

(٢) هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث الكندي، البغدادي، الحنفي، تاج الدين، أبو اليمّن، مقرئ، نحوي، أديب، شاعر، لغوي، محدّث، حافظ، ولد ببغداد في شعبان سنة (٥٢٠) هـ. ونشأ بها، وتوفي بدمشق في شوال سنة (٦١٣) هـ. من تصانيفه: اتحاف الزائر وأصراف المقيم المسافر، حاشية على شرح ديوان المتنبي لعبد القادر الحلبي، وديوان =

محمد^(١) القَزَاز، أنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثني محمد بن الحسن السَّاحلي^(٢)، أنا عَمَّار بن عبد الله الصوفي، قال: سمعت محمد بن حمَّاد الرَّحبي^(٣)، يقول: سمعت أبا عمر بن علوان، يقول:

خرجت يوماً في حاجة فرأيت جنازة، فتبعتها لأصلي عليها. ووقفت في جملة النَّاس حتَّى تُدفن. فوقعت عيني على امرأة مُسْفرة، من غير تعمّد، فلمحت بالنظر^(٤)، واسترجعت، واستغفرت الله تعالى، وعدتُ إلى منزلي.

فقلت لي عجوز: يا سيدي، مالي أرى وجهك أسود؟ فأخذت المرأة فنظرت، فإذا وجهي أسود. فرجعت إلى سري^(٥) أنظر من أين دُهِيت^(٦)، فذكرتُ النظرة. فانفردتُ في موضع استغفر الله تعالى وأبأله الإقالة أربعين يوماً.

فخطر في قلبي أن رُزَّ شيخك الجُنيد. فانحدرتُ إلى بغداد. فلما جئت الحُجرة التي هو فيها طرقت الباب، فقال: ادخل، يا أبا عمرو! تُذنبُ بالرَّحبة^(٧)، ويُستغفر لك ببغداد.

١١١ - [توبة فتى شاب وجارية جميلة أحبَّ كل منهما الآخر]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن العَلَّاف^(٨)، أنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران الواعظ، ثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي الكندي، أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل السَّامري^(٩)، أنا أبو العباس محمد بن يزيد المُبرِّد، عن ابن أبي كامل، عن

= شعر كبير،

أنظر: البداية والنهاية ١٣/٧١ - ٧٤، وسير أعلام النبلاء (ج ١٣ ق ١٢٤ - ١٢٦)، ومعجم المؤلفين ١٨٩/٤.

(١) في نسخة: عبد الرحمن بن نصر، هامش المطبوعة.

(٢) في نسخة: المناحلي، هامش المطبوعة.

(٣) الرَّحبي: بفتح الراء، وسكون الحاء المهملة، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى الرَّحبة، وهي بلدة على فرات، يقال لها رحبة مالك بن طوق. اللباب ١٩/٢.

(٤) تقول: لمح: أبصره بنظر خفيف، مختار الصحاح ص ٨٠.

(٥) أي: إلى نفسي، أتذكر وأنظر في سري.

(٦) أي: من أين أصبت بهذه الداهية. وهي الأمر العظيم، مختار الصحاح ص ٥٥٥.

(٧) هي بلدة على الفرات اللباب ١٩/٢.

(٨) العَلَّاف: بفتح العين وبعدها لام ألف ثم فاء. يقال هذا لمن يبيع العَلَف ويجمعه. اللباب ٣٦٦/٢.

(٩) السَّامري: بفتح السين، وسكون الألف، وفتح الميم، وفي آخرها راء مشددة، هذه النسبة إلى =

إسحاق بن إبراهيم، عن رجاء بن عمر النخعي^(١)، قال:

كان بالكوفة فتى جميلُ الوجه، شديدُ التَّعبُد والإجتهاد، وكان أحدَ الزُّهَّاد، فنزل في جوار قوم من النَّخَع، فنظر إلى جاريةٍ منهم جميلة، فهويها وهام بها عقله، ونزل بها مثل الذي نزل به.

فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنَّها مسَّاة لابن عمِّ لها.

واشتدَّ عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدَّة محبَّتِكَ لي، وقد اشتدَّ بلائي بك لذلك، مع وجدي بك. فإن شئتَ زرتك، وإن شئتَ سهلتُ لك أن تأتيني إلى منزلي.

فقال للرسول: لا واحدة من هاتين الخصلتين؛ ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) أخاف ناراً لا يَخْبُو^(٣) سعيها، ولا يخمد لهبها^(٤).

فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال، قالت: وأراه مع هذا زاهداً يخاف الله تعالى؛ والله ما أحدٌ أحقُّ بهذا من أحد؛ وإنَّ العِبَادَ فيه لُمُشْرِكُونَ.

ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، ولبست المُسُوح، وجعلتُ تعبد، وهي مع ذلك تذب وتتحل حباً للفتى وأسفاً عليه، حتى ماتت شوقاً إليه. فكان الفتى يأتي قبرها. فرآها في منامه وكأنَّها في أحسن منظر، فقال: كيف أنتِ، وما لقيت بعدي؟ فقالت:

نَعَمْ الْمَحَبَّةُ يَا حَبِيبِي حُبُّكَ حُبٌّ يَقُودُ إِلَى خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ فقال على ذلك: إلى ما صرتِ؟ فقالت:

إِلَى نَعِيمٍ وَعَيْشٍ لَا زَوَالَ لَهُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مُلْكٌ لَيْسَ بِالْفَنَائِي فقال لها: اذكريني هناك فإني لست أنساكِ. فقالت: ولا أنا والله أنساكِ، ولقد سألتُك ربي، مولاي ومولاك، فأعاني على ذلك بالإجتهاد. ثم ولَّتْ مدبرة، فقلت لها:

= مدينة: سرّ من رأى، بالعراق فوق بغداد، وهي مشهورة فخفها الناس، وقالوا: سامراً، بناها المعتصم وخربت عن قريب من عمارتها، ينسب إليها جماعة. اللباب ٩٤/٢.

(١) النخعي: بفتح النون والخاء، وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى النَّخَع، وهي قبيلة كبيرة من مذحج اللباب ٣٠٤/٣.

(٢) سورة الزُّمَر، آية رقم ١٣.

(٣) أي: لا يسكن ولا يطفأ، مختار الصحاح ص ٥٠٠.

(٤) لا يسكن لهباً، ولا يطفأ جمراً، مختار الصحاح ص ٩٥.

متى أراك؟ قالت: ستأتينا عن قريب.
فلم يعيش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات، رحمهما الله.

١١٢ - [توبة رجل عن الشراب والعود بسماع آيات من القرآن]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج^(١)، أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر، أنا محمد بن أبي نصر الحميدي^(٢)، قال: أنا محمد بن سلامة القُضاعي^(٣)، قال: أنا محمد بن أحمد الكاتب، قال: أنا أبو مسلم، قال: أنا محمد بن الحسين بن دُرَيْد، قال: أخبرنا الحسن بن خضر، أخبرني رجل من أهل بغداد، عن أبي هاشم المذكر^(٤)، قال:

أردتُ البصرة، فجيئتُ إلى سفينة أكثرِها^(٥)، وفيها رجل ومعه جارية، فقال الرجل: ليس ها هنا موضع. فسألته الجارية أن يحملني فحملني.

فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع، فقال: أنزلوا ذلك المسكين ليتغذى، فأنزلتُ عليّ آتي مسكين. فلما تغذينا، قال: يا جارية! هاتي شرابك. فشرب وأمرها أن تسقيني، فقلت: رحمك الله، إن للضيف حقاً؛ فتركني؛

فلما دبّ فيه النبذ، قال: يا جارية! هاتي العود وهاتي ما عندك. فأخذت العود وغنت تقول:

وَكُنَّا كَغُضْنِي بَانَةٍ^(٦) لَيْسَ وَاحِدٌ يَزُولُ عَلَى الْخُلَانِ عَنْ رَأْيٍ وَاحِدٍ

(١) أي: ابن الجوزي.

(٢) الحميدي: بفتح الحاء المهملة، وضَمّ الحاء، وفتح الميم، وسكون الياء المثناة، من تحتها، وفي آخرها دال مهملة، هذه النسبة إلى حميد، وهو بطن من أسد بن عبد العزى بن قُصي، اللباب ٣٩٢/١ - ٣٩٣.

(٣) قال في اللباب ٤٣/٣: والقُضاعي: بضمّ القاف، وفتح الضاد المعجمة، وفي آخرها عين مهملة، هذه النسبة إلى قضاة، شعب عظيم يشتمل على قبائل كثيرة، منهم: كلب، وبلي، وجهينة وغيرها.

وقد اختلف في قضاة، فقليل: إنه من معد، وقيل: من اليمن، والمنتسب إليه خلق كثير، منهم: القاضي أبو عبدالله - الراوي هنا - محمد بن سلامة بن جعفر القضاي بمصر، سمع خلقاً كثيراً وصنّف كتاب الشهاب، روى عنه جماعة، منهم القاضي أبو بكر الأنباري ببغداد، وروى عنه بالإجازة. وتوفي - رحمه الله - سنة أربع وخمسين وأربعمائة بمصر، وكان فقيهاً شافعيّاً صاحب علوم كثيرة، أهد.

(٤) في نسخ: أبي هشام، هامش المطبوعة.

والمذكر: يقال هذا لمن يذكر الناس ويعظمهم. اللباب ١٨٧/٣.

(٥) أي: استأجرها.

(٦) أي: شجرة.

تَبَدَّلَ بِي خِلاً فَحَاَلْتُ غَيْرَهُ وَخَلَّيْتُهُ^(١) لَمَّا أَرَادَ تَبَاعُدي
فَلَوْ أَنَّ كَفِّي لَمْ تَرُدَّنِي أَبْنَيْتُهَا^(٢) وَلَمْ يَضْطَحِبْهَا بَعْدَ ذَلِكَ سَاعِدِي
أَلَا قَبِحَ الرَّحْمَنُ كُلَّ مُمَازِقٍ^(٣) يَكُونُ أَخَا فِي الْخَفْضِ^(٤) لَا فِي الشَّدَائِدِ

ثم التفت إلي فقال: أتحسن مثل هذا؟ فقلت: أحسن خيراً منه. فقرأت: ﴿وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾^(٥). فجعل الشيخ يبكي؛ فلما انتهيت إلى قوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾^(٦) قال الشيخ: يا جارية! إذهبي، فأنث حرّة لوجه الله تعالى. وألقى ما معه من الشراب في الماء، وكسر العود. ثم دنا إلي فاعتنقني، وقال: يا أخي! أترى الله يقبل توبتي؟ فقلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٧).

قال: فواخيته بعد ذلك أربعين سنة حتى مات قبلي. فرأيتُه في المنام، فقلت له: إلي م صرت؟ قال: إلى الجنة. قلت: بم صرت إلى الجنة؟ قال: بقراءتك عليّ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾^(٨).

١١٣ - [توبة شيخ مُهَلَّبِي^(٩) وجاريته عن الشراب والضرب بالعود]

أخبرنا الامام الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المَدِينِي^(١٠) إجازة،

(١) أي: تركته، وفي نسخة: وباعدته، هامش المطبوعة.

(٢) أي: قطعنها.

(٣) أي: غير مخلص، مختار الصحاح ص ٣٣٢.

(٤) أي في العيشة الهنيئة الغضة، أنظر مختار الصحاح ص ٢٣٤.

(٥) سورة التكوير، الآيات ١/ - ٣.

(٦) سورة التكوير، آية رقم ١٠، وتمام الآيات:

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ، وَإِذَا

الْمَوُودَةُ سُيِّلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

(٧) سورة البقرة، آية رقم ٢٢٢.

(٨) سورة التكوير، آية رقم ١٠.

(٩) مُهَلَّبِي: بضم الميم، وفتح الهاء، وتشديد اللام المفتوحة، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى أبي سعيد المُهَلَّب بن أبي حفرة الأزدي، أمير خراسان، وينسب إليه كثير من العلماء نسبة ولاء، اللباب ٣/ ٢٧٥ - ٢٧٦.

(١٠) هو الإمام محمد بن عمر (أبو بكر) ابن أحمد (أبو عيسى) ابن عمر بن محمد بن أحمد المَدِينِي، الأصبهاني، الشافعي أبو موسى، محدث، حافظ، لغوي، أخباري، نسابة، ولد بمدينة أصبهان - ولذلك لُقِبَ بالمَدِينِي - في ذي القعدة، سنة (٥٠١) هـ. وزار بغداد وهمذان، وسمع من غانم البرجي وجماعة من أصحاب أبي نعيم، وتوفي بأصبهان في جمادى الأولى سنة (٥٨١) هـ. =

قال: أنا أبو الفتح عبد الرزاق بن محمد الشَّرابي^(١)، قال: أنا سعيد بن محمد بن سعيد الولي، أنا علي بن أحمد الواقدي، أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثَّعلبي^(٢)، قال: أخبرني أبو محمد عبد الله بن محمد عبد الرحمن بن محمد الغازي^(٣)، قال: أخبرني أبو محمد عمر بن محمد، ثنا أبو عياش الحَوْلاني^(٤)، قال: حدثني صالح بن عبد الله الحَزْزَاز، حدثني إسماعيل بن عبد الله الخَزَاعِي، قال:

قدم رجل من المهالبة من البصرة أيام البرامكة في حوائج له، فلما فرغ منها انحدر إلى البصرة ومعه غلام له وجارية. فلما صار في دجلة، إذا بفَتَى على سناحل دجلة، عليه جبّة صوف، ويده عكازة ومِزود^(٥)، قال: فسأل المَلَّاح أن يحمله إلى البصرة ويأخذ منه الْبِرَاء^(٦).

قال: فأشرف الشيخ المهَلِّي؛ فلما رآه رَقَّ له، فقال للملاح: قرب واحمله معك على الظلال، فحمّله.

فلما كان في وقت الغداء دعا الشيخ بالسُّفْرة، وقال للملاح: قل للفتى ينزل إليها، فأبى عليه؛ فلم ينزل يطلب إليه حتى نَزَلَ. فأكلوا. حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم، فمنعه الشيخ حتى توضؤوا؛ ثم دعا بِزُكْرَةٍ^(٧) فيها شراب، فشرب قدحاً، ثم سَقَى الجارية،

= من تصانيفه الكثيرة: اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفظ والأعارف، الأخبار الطوال، عوالي التابعين، وتمة الغريبين (غريب القرآن، وغريب الحديث) للهروري في مجلد وسَمَاء: المغيث. أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١٢٤/٤ - ١٢٦، شذرات الذهب ٢٧٣/٤، ومعجم المؤلفين ٧٦/١١، واللباب ١٨٤/٣ - ١٨٥.

(١) الشَّرابي: بفتح الشين والراء، وسكون الألف، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى الشَّراب واشتهر بهذه النسبة جماعة كان أحداهم يصنعون الشراب ويحفظونه. اللباب ١٨٩/٢ - ١٩٠.

(٢) هو المفسر المعروف، وقد تفتت ترجمته، وقيل إنه قيل له الثَّعلبي لقب له، وليس بنسب اللباب ٢٣٨/١.

(٣) هذه النسبة إلى العزو وجهاد الكفار. اللباب ٣٧٢/٢.

(٤) وفي نسخة: الأصفَهاني - بالقاء - هاشم المصنف.

(٥) الحَوْلاني: بفتح الحاء المعجمة، وسكون الواو، وفي آخرها نون، هذه النسبة إلى حولا بن عمرو بن مالك، وقيل من الحلاف، وهي قبيلة عربية. نسب إليها جماعة من علماء أنظر اللباب ٧٢/١.

(٦) المزود: ما يُجعل فيه الزاد. مختار الصحاح ص ٩٨.

(٧) أي: الأجرة.

(٨) الزُكْرَة - بضم الزاي - : زَقٌّ للشراب، مختار الصحاح ص ١٤٦.

ثم عرض على الفتى . فأبى ، وقال : أحب أن تعفيني . قال : قد أعفيناك ، اجلس معنا .
وسقى الجارية ، وقال : هاتي ما عندك ، فأخرجت عوداً لها في كيس ، فهيأته
وأصلحته ، ثم أخذت فغنت .

فقال : يا فتى ! تحسن مثل هذا ؟

قال : أحسن ما هو أحسن من هذا ، فافتتح الفتى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ،
﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلاً . أَيْنَ ما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾^(١) . وكان الفتى حسن الصوت .

قال : فرج الشيخ بالقدح في الماء^(٢) ، وقال : أشهد أن هذا أحسن مما سمعت ، فهل
غير هذا ؟ قال : نعم ، ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إنا
أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه
بشّ الشراب وساءت مرتفعاً ﴾^(٣) .

قال : فوقعت من قلب الشيخ موقعاً . قال : فأمر بالزُّكرة ، فرمى بها ، وأخذ العود
فكسره .

ثم قال : يا فتى ! هل ها هنا فرج ؟ قال : نعم ، ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على
أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾^(٤) .

قال : فصاح الشيخ صيحة خراً مغشياً عليه . فنظروا فإذا الشيخ قد ذاق الموت ، وقد
قاربوا البصرة . قال : فضجّ القوم بالصراخ ، واجتمع الناس - وكان رجلاً من المهالبة
معروفاً - ، فحُبل إلى منزله ، فما رأيت جنازة كانت أكثر جمعاً منها .

قال : فبلغني أن الجارية المغنية تدرّعت الشعر ، وفوق الشعر جبة صوف ، وجعلت
تقوم الليل ، وتصوم النهار . فمكثت بعده أربعين ليلة . ثم مرّت بهذه الآية في بعض
الليالي : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين
ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بشّ الشراب

(١) سورة النساء ، آية رقم ٧٧-٧٨ .

(٢) رجّ : أي حرك وزلزل . مختار الصحاح ص ٦٣ ، والمقصود هنا أنه سكب ما فيه من الشراب من ماء
البحر ، والله أعلم .

(٣) سورة الكهف ، آية رقم ٢٩ ،

(٤) سورة الزمر ، آية رقم ٥٣ .

وساءت مُرْتَفَقاً^(١). قال: فأصبحوا، فأصابوها مِيتة.

١١٤ - [توبة أعرابي لسماع آية من القرآن]

قال الثعلبي^(٢): وحدَّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر المذَّكَّر، ثنا الحاكم أبو محمد يحيى بن منصور، ثنا أبو رجاء محمد بن أحمد القاضي، ثنا أبو الفضل العباس بن الفرَج الرِّياشي^(٣)، قال: سمعت الأصمعي^(٤)، يقول:

أقبلتُ ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة. فبينما أنا في بعض سِكَكها، إذ طلع أعرابي جلفٌ جافٌ، على قَعُودٍ^(٥) له، متقلِّد سيفه، ويده قوس، فدنا وسلَّم، وقال لي: ممَّن الرجل؟ قلت: من بني الأصمغ، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم.

قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلام الرُّحْمَن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الأدميون؟! قلت: نعم.

قال: اتلُ عليَّ شيئاً منه. فقلتُ له: انزل عن قَعُودِكَ. فنزل؛ وابتدأت بسورة الذاريات.

فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٦)، قال: يا أصمعي، هذا كلام الرُّحْمَن؟ قلت: إي والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد - ﷺ -، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحراها، وقطعها بجلدها، وقال: أعني على تفريقها. ففرقناها على من أقبل وأدبر.

ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وجعلهما تحت الرَّحْل. وولَّى مُدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾

فأقبلتُ على نفسي باللُّوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع

(١) سورة الكهف، آية رقم ٢٩.

(٢) هو المفسر المعروف أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، وقد تقدمت ترجمته. والثعلبي: وقيل أنه لقب له وليس بنسب.

(٣) في المطبوعة: أبو الفضل العباس بن أبي الفرَج الرياشي، وهو خطأ، والتصويب من الكاشف ٦٠/٢، والتقريب ٣٩٨/١، وهو ثقة، وقد تقدمت ترجمته.

(٤) هو عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي، صدوق سني، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) القَعُود - بالفتح - : البعير من الإبل، وهو البكر حين يركب أي تمكن ظهره من الركوب، وأقله ستان إلى أن يشنى فإذا أنشئ سمي جملاً، ولا تكون البكرة قعوداً، بل قلوصاً، مختار الصحاح ص ١٠٩.

(٦) سورة الذاريات، آية رقم ٢٢.

الرَّشِيد دخلت مكة، فبينما أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق. فالتفت فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مُصْفَراً، فسَلَّم عليّ، وأخذ بيدي، وأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتل كلام الرَّحْمَنِ؛ فأخذت في سورة الدَّارِيَّات. فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(١)، صاح الأعرابي: وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا.

ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾^(٢). فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله، من الذي أغضبَ الجليل حتى حلف؟! ألم يصدِّقوه حتى الجؤوه إلى اليمين؟! قالها ثلاثاً، وخرجت فيها روحه.

١١٥ - [توبة أمير من أمراء الأعراب بسبب الصوم]

وحكي عن ابن سمعون^(٣)، قال: سمعت الشُّبْلِيَّ^(٤)، يقول: كنتُ في قافلة بالشَّام، فخرج الأعراب فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم.

فخرج جِرابٌ^(٥) فيه سَكْرٌ ولوز، فأكلوا منه، والأمير لا يأكل، فقلت له: لم لا تأكل؟ فقال: أنا صائم. فقلت: تقطع الطريق، وتأخذ الأموال، وتقتل النَّفْسَ، وأنت صائم؟! فقال: يا شيخ! أجعلُ للصِّلح موضعاً.

فلما كان بعد حين رأيتُه يطوف حول البيت، وهو محرم كالشَّنِّ^(٦) البالي. فقلت: أنت ذاك الرجل؟

(١) سورة الداريات، آية رقم ٢٢.

(٢) سورة الداريات، آية رقم ٢٣.

(٣) هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عُثَيْس بن إسماعيل (سمعون)، أبو الحُسَيْن الواعظ، المعروف بابن سمعون ولد سنة (٣٠٠) هـ. ببغداد وكان واحد دهره، وفريد عصره في الزهد والوعظ، علت شهرته حتى قيل: أوعظ من ابن سمعون، توفي في ذي القعدة أو ذي الحجة سنة (٣٨٧) هـ. تاريخ بغداد ٢٧٤/١ - ٢٧٧.

(٤) هو أبو بكر الشُّبْلِيَّ، الصوفي، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كبيراً، والشُّبْلِيَّ نسبة إلى قرية من قرى اشروسنة كذا في تاريخ بغداد، وفي اللباب: اسروشنة، وهذه القرية يقال لها: شُبْلِيَّة: ولد بسر من رأى سنة (٢٤٧) هـ. وكان من أهل الولاية، فقد كان أوَّل أمره حاجب الموفق، وكان أبوه حاجب الحجاب ثم وُلَّاه الموفق إمارة دماوند - وهو جبل قرب الرب وكوره -، ثم حضر الشُّبْلِيَّ يوماً مجلس خير النَّسَاج، وسمع موعظته، فتاب ثم ترك الولاية، وعكف على العبادة، حتى صار بعد ذلك واحد زمانه حالاً ونفساً، وتوفي ببغداد سنة (٣٣٤) هـ. تاريخ بغداد ٣٨٩/١٤ - ٣٩٧. والحلية ٣٦٦/١٠ - ٣٧٥، واللباب ١٨٣/٢.

(٥) الجِراب - بالكسر - : وعاء معروف، مختار الصحاح ص ١٩.

(٦) الشَّنُّ: القرية الخَلْق، مختار الصحاح ص ٢٧٦.

فقال: ذاك الصَّوم بلغ بي هذا المقام.

١١٦ - [توبة لبيب العابد عن قتل الحيات]

وذكر القاضي أبو علي التَّنُوخِي^(١)، قال: كان ينزل بباب الشام من الجانب الغربي ببغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة، يُقال له: لبيب العابد. وكان النَّاسُ ينتابونه^(٢).

فحدثني لبيب، قال: كنت مملوكاً رومياً لبعض الجند، فربَّاني وعَلَّمَنِي العمل بالسلاح، فصرت رجلاً، ومات مولاي بعد أن أعتقني، فتوصَّلتُ إلى أن جعلتُ رزقه لي، وتزوجت امرأته. وقد علَّمَ الله تعالى أني لم أرد بذلك إلا صيانتها. وأقمت معها مدة.

فاتفَّقَ أني رأيت يوماً حيَّةً داخلةً إلى حجرها، فأمسكت ذنبها لأقتلها، فوثَّبت عليَّ فنهشت يدي فشَلَّتْ، ومضى زمن طويل على هذا، فشَلَّتْ يدي الأخرى بغير سبب أعرفه، ثم جَفَّتْ رجلاي، ثم عميت، ثم خَرِسْتُ. فكنت على هذه الحال سنةً كاملةً؛ لم يبق لي جارحةٌ صحيحةٌ إلا سمعي، أسمع به ما أكره؛ وأنا طريحٌ على ظهري لا أقدر على كلامٍ ولا إيماءٍ ولا حركةٍ؛ أسقى وأنا ريَّان، وأترك وأنا عطشان، وأطعم وأنا شبعان، وأمنع وأنا جائع.

فلما كان بعد سنة دخلت امرأة على زوجتي، فقالت: كيف أبو عليّ لبيب؟ فقالت لها زوجي: لا حيٌّ فيرجى، ولا ميتٌ فيُسَلَّى^(٣).

فأقلقني ذلك، وآلم قلبي ألماً شديداً، فَبَكَيْتُ وَضَجَجْتُ^(٤) إلى الله تعالى في سرِّي ودعوتُ، وكنت في جميع تلك العِلَلِ لا أجد ألماً في نفسي. فلما كان في بقية ذلك اليوم ضَرَبَ عليّ جسدي ضَرْبَاناً شديداً كاد يُتْلَفَنِي، ولم يزل على ذلك إلى أن دخل الليل

(١) هو المحسن بن علي (أبو القاسم) ابن محمد بن داود بن إبراهيم بن تميم التَّنُوخِي، البصري، ثم البغدادي، أبو علي، أديب شاعر، أخباري، ولد بالبصرة في ربيع الأول سنة (٣٢٧) هـ. وسمع بها من جماعة، ونزل ببغداد، فأقام بها وحدث، وولي القضاء بعدة نواح، وتوفي ببغداد في المحرم من سنة (٣٨٤) هـ. من آثاره: ديوان شعر، المستجاد من فعالات الأجواد، والفرج بعد الشدة. أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٣/١٥٦ - ١٥٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٩/٣٦، شذرات الذهب ٣/١١٢ - ١١٣، ومعجم المؤلفين ٨/١٨٥ - ١٨٦.

والتَّنُوخِي، بفتح التاء المثناة من فوق، وضم النون المخففة، وقد تقدّم التعريف بهذه النسبة، وأنظر اللباب ١/٢٢٥.

(٢) أي: يأتون إليه مرةً بعد أخرى.

(٣) أي: فينسى.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٦٤: «ضَجَّ القوم، إضجاجاً: جلبوا وصاحوا، فإن جزعوا من شيء غلبوا قبل: ضَجَّوا أ.هـ.

وانتصف، أو جارا^(١)، فسكن الألم قليلاً، فنمت.

فما أحسست إلا وقد انتَبَهْتُ وقت السَّحر، وإحدى يديَّ على صدري، وقد كانت طول السنة مطروحة على الفراش لا تنشال^(٢)، أو تُشال. فحرَّكْتُها فتحرَّكت، ففرحت فرحاً شديداً، وقوي طمعي في تفضل الله بالعافية، فحرَّكت الأخرى فتحرَّكت، فقبضت إحدى رجلي فانقبضت، فرددتها فرجعت؛ وفعلتُ بالأخرى مثل ذلك، فرُمْتُ^(٣) الإنقلاب، فانقلبت وجلست؛ ورمْتُ القيام فقمْتُ، ونزلت عن السَّرير الذي كنت مطروحةً عليه، وكان في بيت من الدار، فمشيت ألتمس الحائط في الظلمة إلى أن وقعت يدي على الباب، وأنا لا أطمعُ في بصري. فخرجت إلى صَحْن الدار^(٤)، فرأيت السَّماء والكواكب تُزهر، فكدت أموت فرحاً، وانطلقَ لساني بأن قلت: يا قديم الإحسان، لك الحمد.

ثم صحت بزوجتي، فقالت: أبو علي؟! فقلت: الساعة صرت أبا علي! اسرجي^(١)؛ فأُسْرِجْتُ؛ فقلت: جيئني بمقراض، فجاءت به، فقصصت شارباً كان لي على زيِّ الجند.

فقالت لي زوجتي: ما تصنع؟ الآن يعيبك رفقاًؤك؛ فقلت: بعد هذا لا أخدم أحداً غير ربي.

فانقطعتُ إلى الله - عزَّ وجلَّ - وخرجتُ من الدَّار ولزمت عبادة ربي. قال: وكانت هذه الكلمة: «يا قديم الإحسان لك الحمد»، قد صارت عادته يقولها في حشو كلامه. وكان يُقال: إذ. مجاب الدعوة.

(١) أي: كاد.

(٢) أي: فأردت وطلبت.

(٣) أي: وسطه، مختار الصحاح ص ٢٧٨.

(٤) أي: أضيق السَّراح.

١١٧ - [توبة المعتصم^(١)] ورجوعه عن قتل تميم بن جميل

قال^(٢): ووجدتُ في بعض الكتب: قال أحمد بن أبي ذؤاد^(٣): ما رأيت رجلاً قطَّ أشرفَ على الموت؛ فما شغله ولا أذهله عما يريد حتى بلغه وخلَّصه الله - عزَّ وجلَّ - إلا تميم بن جميل، فلإني رأيته بين يدي المعتصم، وقد بُسِطَ له النُّطع^(٤) وانتُضِيَ له السيف^(٥)، وكان رجلاً جسيماً وسيماً. فأحبَّ المعتصم أن يستنطقه لينظر أين منظره من مخبره.

فقال له: تكلم، فقال: أما إذ أذن أمير المؤمنين، فالحمد لله ﴿الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقه﴾، وبدأ خلقَ الإنسانِ من طينٍ. ثم جعلَ نسله من سُلالةٍ من ماءٍ مهينٍ^(٦) يا أمير المؤمنين! جبر الله بك صدع الدين^(٧)، ولمَّ بك شعثُ المسلمين^(٨)، إن الذنوب تخرسُ اللسان، وتخلعُ الأفئدة؛ وإيم الله! لقد عظمت الجريرة^(٩) وانقطعت الحجة، وساء الظنُّ، ولم يبقَ إلا عفوك أو انتقامك، ثم أنشأ يقول:

أرى الموتَ بين السيف والنُّطع كأميناً يلا حظني من حيث ما أتلفتُ
وأكبرَ ظنِّي أنك اليومَ قاتلي وأيُّ امرئٍ ممَّا قضى الله يفلتُ
وأَيُّ امرئٍ يُذلي بعدرَ حجةٍ وسيفُ المنايا بينَ عَيْنَيْهِ مُضلتُ

(١) هو الخليفة محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد بن محمد (المهدي) ابن عبدالله (المنصور) ابن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، يكنى أبا إسحاق، ويقال له: الثماني، لأنه ولد بالخلد في سنة ثمانين ومائة في الشهر الثامن، وهو ثامن الخلفاء، والثامن من ولد العباس، وفتح ثمانية فتوح، واستخلف في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين، ومات بالخاقاني من سر من رأى - التي بناها لما ضاقت بغداد بجنده، وانتقل إليها معهم - ، وكان عمره ثمانياً وأربعين سنة. وكان شهماً شجاعاً، واسع الصدر، لين الجانب كريم الأعراق. تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٢ - ٣٤٧.

(٢) أي: القاضي أبو علي التوحي.

(٣) هو قاضي المعتصم بالله ثم الواصل من بعده، وحامل لواء المحنة بفتنة خلق القرآن، وتقدّمت ترجمته في ذكر توبة الواصل، وابنه المهدي.

(٤) النطع فيه أربع لغات: نَطَع نطلع، ونَطَع كتيع، ونَطَع كدرع، ونَطَع كضلع، والجمع: نطوع، وانطاع، وهو بساط من الأديم. أنظر مختار الصحاح ص ٢٧٩. وأساس البلاغة ص ٤٦١.

(٥) أي: وسلَّ له السيف، مختار الصحاح ص ٥٤٦، وأساس البلاغة ص ٤٦١.

(٦) سورة السجدة، آية رقم ٧ - ٨.

(٧) أي: شق الدين وضعفه، أنظر أساس البلاغة ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٨) أي: تفرَّقهم، أساس البلاغة ص ٢٣٦.

(٩) الجريرة الذنب والجنابة والجريمة، أنظر أساس البلاغة ص ٥٦، ومختار الصحاح ص ١٣٠.

وما جَزَعِي من أن أموتَ فلإنني
ولكنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قدْ تركَتْهم
فلإن عشتُ عاشوا سالمينَ بِغِبْطَةٍ
كأنِّي أراهم حينَ أنْعَى إليهمُ
لأَعْلَمُ أن الموتَ شيءٌ مُؤَقَّتٌ
وأَكْبَادُهُم من حَرْها تَنْفُتُ
أذودُ العِدَى عنهم وإنْ مِتُّ موْتُوا
وقد لطموا تلكَ الخدودَ وصوْتُوا
قال: فاستعبرَ المعتصم^(١)، ثم قال: يا تميم، قد عفوتُ عن الهفوة، ووهبتك للصبيّة.

ثم أمر به ففكَّ حديدَه، وخلع عليه، وعقد له على سقي الفرات.

١١٨ - [توبة لَصٍّ من اللصوص عن التعرّض للناس]

أَبَانَا الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السُّلَمي^(٢)، أنا أبو الحسين بن الطُّيُورِيّ، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن عليّ بن أحمد بن الفضل، أنا أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن الحسين بن جهضم، ثنا حبيب، ثنا الفضل بن أحمد، ثنا محمد بن مرزوق، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أمة الملك بنت هشام بن حسان، قالت: خرج عطاء الأزرق إلى الجَبَّانِ يصليّ بالليل، فعرض له لَصٌّ؛ فقال: اللهم اكفنيه. قال: فجفت يده ورجلاه.

قال: فجعل يبكي ويصيح: والله لا أعود أبداً؛ قال: فدعا الله له فأطلق. قال: فأتبعه اللصّ، فقال له: أسألك بالله من أنت؟ قال: أنا عطاء. فلما أصبح، سأل: تعرفون رجلاً صالحاً يخرج بالليل إلى الجَبَّانِ يصلي؟ قالوا: نعم، عطاء السُّلَمي^(٣).

قال: فذهب إلى عطاء السُّلَمي إلى الخربة فدخل عليه، وقال: إنني جئتُك تائباً من قصّتي كذا وكذا، فادعُ الله لي، قال: فرفع عطاء السُّلَمي يديه إلى السماء، وجعل يبكي، ويقول: ويحك، ليس أنا، ذاك عطاء الأزرق.

(١) أي: جَرَتْ غَبْرَتُهُ.

(٢) السُّلَمي: بكسر السين، وفتح اللام، وقد تقدّم التعريف بالإسم، وبالنسب.

(٣) هو عطاء السلمي المشهور، من كبار الخائفين بالبصرة، معاصر لسليمان التيمي، أدرك زمان أنس بن مالك، وسمع من الحسن البصري، وجعفر بن زيد وغيرهما، وعنه بشر بن منصور، وصالح المزري، وعبد الواحد بن زياد وغيرهم حكايات ولم يسند شيئاً.

قال ابن عدي: يعدّ من زهاد أهل البصرة، وله كلام دقيق في الزهد، لسان الميزان ١٧٣/٤ - ١٧٤. وحليه الأولياء ٢١٥/٦ - ٢٢٦.

١١٩ - [توبة يوسف بن أسباط^(١) على يد شاب كان يعمل نباشاً]

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السلمي، أنا أبو القاسم الحسيني، أنا رشأ بن نظيف، أنا الحسن بن إسماعيل، أنا أبو بكر أحمد بن مروان، ثنا عمرو بن حفص الشيباني، ثنا ابن خبيق^(٢)، ثنا أبي، قال:

صحب يوسف بن أسباط فتى من أهل الجزيرة؛ فلم يكلمه إلا بعد عشر سنين، وكان يوسف يرى من جزعه وفزعه وعبادته آناء الليل والنهار، فقال له يوسف: ما كان عملك؟ فإني لا أراك تهذا من البكاء. فقال له: كنت نباشاً. فقال له يوسف: فأني شيء كنت ترى إذا وصلت إلى اللحد؟ قال: كنت أرى أكثرهم قد حوّلوا وجوههم عن القبلة إلا قليلاً.

قال يوسف: إلا قليلاً، فاختلط يوسف على المكان^(٣)، وذهب عقله حتى كان يحتاج أن يُداوى.

قال ابن خبيق: قال أبي: دَعَوْنَا سليمان الطبيب ليدأوي يوسف؛ وكان يرجع إليه عقله أحياناً، فيقول: إلا قليلاً، فلم يزل به حتى داواه وصَحَّ. فلما فرغ وأراد أن يخرج سليمان الطبيب، قال يوسف: أي شيء تعطونه؟ قلنا: لا يريد منك شيئاً. قال: سبحان الله! جئتم بطبيب الملوك، ولا أعطيته شيئاً؟ قلنا: أعطه ديناراً. فقال: خذ هذا فادفعه إليه، وأعلمه أنني لا أملك غيره، لئلا يتوهم أنني أقل مروءة من الملوك، فدفع إليه صرة فيها خمسة عشر ديناراً،

قال: فأخذتها فدفعتها إليه، وجعل يوسف يعمل الخوص^(٤) بيده حتى مات.

قال أحمد بن مروان: ثنا محمد بن أحمد، ثنا ابن خبيق، ثنا الهيثم بن جميل قال: حدّثني حبيب قال: قال يوسف بن أسباط:

ورثت عن أبي ضياعاً بخمسائة ألف بالكوفة. فجرى بيني وبين عمومتي كلام،

(١) هو يوسف بن أسباط بن واصل، أبو محمد الشيباني، الزاهد الواعظ، سكن انطاكية، وكان من عباد أهل الشام وقرائهم، كان لا يأكل إلا الحلال المحض.

وكان مستقيم الحديث ربما أخطأ، وكان من خيار أهل زمانه. مات سنة خمس وتسعين ومائة، أسان الميزان ٣١٧/٦ - ٣١٨، وانظر حلية الأولياء ٢٣٧/٨ - ٢٥٣.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن خبيق، أحد الزهاد.

(٣) كذا في المطبوعة، والمقصود: على الحال.

(٤) الخوص: ورق النخل، مختار الصحاح ص ٢٢٦، والمقصود أنه كان يصنع منها بعض الأشياء، كالْبُسْط وغير ذلك، أساس البلاغة ص ١٢٢.

فشاورت الحسن بن صالح^(١)، فقال لي : ما أرى لك أن تخصمهم ؛ إنها من أرض الخراج، فتركها لله - عز وجل - وأنا محتاج إلى فلس، أو كما قال.

١٢٠ - [توبة نباش عن نبش القبور]

أنبأنا عبد الرحمن بن عليّ الإمام^(٢)، قال : أنا إبراهيم بن دينار الفقيه، أنا إسماعيل بن محمد بن ملة، أنا عبد العزيز بن أحمد، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان، ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين^(٣)، ثنا أبو موسى الطرسوسي^(٤)، ثنا هارون بن زياد المصيصي^(٥)، ثنا أبو اسحاق الفزاري^(٦)، قال :

كان رجل يُكثّر الجلوس إلينا، ونصف وجهه مغطى، فقلت له : إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى، أطلعني على هذا؟ فقال : تعطيني الأمان؟ قلت : نعم.

قال : كنت نباشاً فدُفِنَت امرأة، فأُتِيتُ قبرها، فنبشت حتى وصلت إلى اللّبن. ثم رفعت اللّبن، فضربت بيدي إلى الرّداء؛ ثم ضربت بيدي إلى اللّفاقة فمددتها. فجعلت تمدّها هي ؛ فقلت : أتراها تغلبنني؟ فجثيتُ على ركبتيّ؛ فمددتُ، فرفعتُ يدها فلطمتني، وكشف وجهه، فإذا أثر خمس أصابع في وجهه.

فقلت له : ثمّة مه؟ قال : ثم رددتُ عليها لفاقها وإزارها، ثم رددتُ التراب؛ وجعلتُ على نفسي أن لا أنبش ما عشت.

(١) هو الحسن بن صالح بن حيّ، الهمداني - بسكون الميم -، الثوري، ثقة، فقيه، عابد، رمي بالتشيع، من أتباع التابعين، مات سنة تسع وتسعين ومائة، وكان مولده سنة مائة. التقريب ١٦٧/١.

(٢) أي : ابن الجوزي.

(٣) في نسخه : إبراهيم بن محمد بن الحسن.

(٤) الطرسوسي : بفتح الطاء والراء، وضم السين المهملة، وسكون الواو، وفي آخرها سين ثانية، هذه النسبة إلى طرسوس، وهي مدينة مشهورة، كانت ثغراً من ناحية بلاد الروم ساحل البحر الشامي، وهي الآن بيد الأرمن النصارى، أعادها الله - تعالى - إلى الإسلام - أمين -، الباب ٢٧٩/٢.

(٥) المصيصي : بكسر الميم والصاد المشددة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وفي آخرها صاد مهملة ثانية، هذه النسبة إلى المصيصية، مدينة على ساحل البحر، ينسب إليها كثير من العلماء، الباب ٢٢١/٣.

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أبو إسحاق الكوفي، نزل الشام، وسكن المصيصية، وحُدث بها، وكان من أصحاب الإمام الأوزاعي ومعاصرة، وهو : إمام ثقة حافظ، له تصانيف. مات سنة خمس وثمانين ومائة، وقيل بعدها، تهذيب التهذيب ١٥١/١ - ١٥٣، والتقريب ٤١/١.

قال: فكتبت بذلك إلى الأوزاعي^(١). فكتب إليّ الأوزاعي: ويحك! سنه عمّ مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة، أحول وجهه أم ترك وجهه إلى القبلة؟
 قال: فجاءني الكتاب؛ فقلت له: أخبرني عمّ مات من أهل الإسلام، أترك وجهه على ما كان، أم ماذا؟ فقال: أكثر ذلك حوّل وجهه عن القبلة.
 فكتبتُ بذلك إلى الأوزاعي. فكتبَ إليّ: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون - ثلاث مرّات - ، أما من حوّل وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنّة.

١٢١ - [توبة شابّ مُسرف على نفسه على يد إبراهيم بن أدهم]

وروي أن رجلاً جاء إلى إبراهيم بن أدهم، فقال له: يا أبا اسحاق^(٢)! إنّني مسرف على نفسي، فأعرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي.
 قال: إن قبلتَ خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية، ولم تُوبقك^(٣) لذّة.
 قال: هات يا أبا اسحاق!
 قال: أما الأولى، فإذا أردتَ أن تعصيَ الله - عزَّ وجلَّ - فلا تأكل رزقه. قال: فمن أين آكل وكلّ ما في الأرض من رزقه؟

قال له: يا هذا، أفيحسُن أن تأكل رزقه وتعصيه؟
 قال: لا؛ هات الثانية.

قال: وإذا أردتَ أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده. قال الرجل: هذه أعظم من الأولى، يا هذا، إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له، فأين أسكن؟ قال: يا هذا! أفيحسُن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟
 قال: لا؛ هات الثالثة.

قال: إذا أردتَ أن تعصيه، وأنت تحت رزقه وفي بلاده، فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له، فاعصه فيه. قال: يا إبراهيم! كيف هذا وهو مَطَّلَع على ما في السرائر؟!.

(١) هو الإمام الجليل عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي.

أبو عمرو الأوزاعي، إمام الديار الشامية في الفقه والحديث والزهد، ولد في بعلبك سنة (٨٨) هـ، ونشأ في البقاع، ثم سكن بيروت مرابطاً، وبها توفي سنة (١٥٧) هـ. وكان عظيم الشأن، طُلب للقضاء فأمتنع، تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٨ - ١٨٣، والتقريب ١/ ٤٩٣.

(٢) هي كنية إبراهيم بن أدهم، وقد سبقت ترجمته.

(٣) أي: ولم تهلكك.

قال: يا هذا، أفحس أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك ويرى ما به؟!

قال: لا؛ هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخرتني حتى أتوب توبة شحيحاً، وأعمل لله عملاً صالحاً. قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا، فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم ينس لك تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟! قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم. قال: لا يسونني ولا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذا؟!!

قال له: يا إبراهيم، حسي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه. ولزمه في العبادة حتى فرّق الموت بينهما.

١٢٢ - [توبة صاحب مقناة^(١) على يد شاب دمشقي]

أنا أبو طاهر السلفي^(٢) إجازة، أنا أبو الحسين بن الطيوري، أنا مسعود بن نصر السجستاني، أنا أبو حازم عمر بن أحمد العبدي^(٣)، أنا علي بن عبد الله بن جهضم، أنا أبو الطيب محمد بن جعفر، ثنا يحيى بن الحسن الرازي^(٤)، ثنا معروف

(١) المقناة: موضع القنّاء، وهو: الخيار، والواحدة قنّاءة، مختار الصحاح ص ١٢، وأساس البلاغة ص ٣٥٥.

(٢) السلفي: بكسر السين، وفتح اللام، وقد تقدم بيان ذلك.

(٣) في المطبوعة: أبو حازم عمر بن أحمد العبدي، وهو خطأ وإنما هو العبدي.

وهو عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه العبدي، كان إماماً، رحل في طلب الحديث، فسمع أبا بكر الإسماعيلي، وخلفاً كثيراً، روى عنه الخطيب أبو بكر البغدادي، وتوفي يوم عيد الفطر، سنة سبع عشرة وأربع مائة.

والعبدي: بفتح العين، وسكون الباء، وضم الدال وسكون الواو، وفي آخرها ياء مشاة من تحتها، هكذا يقوله المحدثون، هذه النسبة إلى عبدي - بضم الدال - ،

وأما النعاة، فيقولون: عبدي: بفتح العين والدال.

أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٣١٣/٢ - ٣١٤.

(٤) في نسخة: يحيى بن الحسين الرازي.

الكرخي^(١) قال :

رأيت في البادية شاباً حسن الوجه، له ذؤابتان^(٢) حستان، وعلى رأسه رداء،
وعليه قميص كتان، وفي رجله نعل طاق.

قال معروف : فتعجبت منه في مثل ذلك المكان، ومن زيّه. فقلت : السّلام
ورحمة الله وبركاته، فقال : وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته يا عمّ، فقلت : إل
أين؟ قال : من مدينة دمشق. قلت : متى خرجت منها؟ قال : ضحوة النهار.

قال معروف : فتعجبت، وكان بينه وبين الموضع الذي أَيْت فيه مراحل كثيرة
فقلت : له : وأين المقصد؟ قال : مكة. فعلمت أنه محمول، فودعته ومضى
أره حتى مضت ثلاث سنين.

فلما كان ذات يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر في أمره وما كان منه، إذا بإنسان
الباب، فخرجت إليه، فإذا بصاحبي، فسلمت عليه، وقلت : مرحباً وأهلاً؛ فأت
المنزل، فرأيتَه منقطعاً والهاً^(٣) تالفاً، عليه زُرمانقة^(٤)، حافياً حاسراً.

فقلت : هيه! أيش الخبر؟ قال : يا أستاذ، لا طَفَنِي حتى أدخلني الشُّبْكة فرسي
فمرة يلاطنني، ومرة يهدّدي، ويجيعني مرة، ويكرمني أخرى، فليته أوقفني على
أسرار أوليائه، ثم ليفعل بي ما يشاء.

قال معروف : فأبكاني كلامه، فقلت له : فحدّثني ببعض ما جرى عليك
فأرقتني.

قال : هيهات أن أبدية، وهو يريد أن يخفيه، ولكن بدياً ما فعل بي في طريقي إليك
يا مولاي وسيدي، ثم استفرغه البكاء. فقلت : وما فعل بك؟

قال : جوعني ثلاثين يوماً؛ ثم دخلت إلى قرية فيها مقشاة، وقد نُبِذَ منها السدود

(١) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد أعلام الزهاد، توفي سنة (٢٠٠) هـ. من أقواله :
إذا أراد الله بعبد خيراً، فتح الله عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شراً،
أغلق عليه باب العمل، وفتح الله عليه باب الجدل، أنظر حلية الأولياء ٨/٣٦٠ - ٣٦٨.

(٢) ذؤابتان : ثنية ذؤابة، وهي الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر، أساس البلاغة ص ١٤٠.
(٣) الوَلَه : الحزن، أو ذهاب العقل حزناً، والحيرة، أنظر مختار الصحاح ص ٤٨٤، وأساس البلاغة
ص ٥٠٩.

(٤) الزرمانقة : جبة صوف، قال أبو عبيد : أراها عبرانية - أي : هي كلمة عبرانية - ، وقيل : هو فارسي
معرب، وأصله : اشتربانه، أي : متاع الجمال، مختار الصحاح ص ٣١٩.

وطرح، فقعدت آكل منه. فبُصرَ بي صاحب المقناة، فأقبل إليّ يضرب ظهري وبطني، ويقول: يا لصّ، ما خرّبت مقنّاتي غيرك، منذُ كمّ أنا أُرصدك^(١) حتى وقعت عليك.

فبينما هو يضربني، إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً، وقَلَب السُّوط في رأسه، وقال: تعمد إلى وليّ من أولياء الله تعالى تقول له: يا لصّ؟ فأخذ صاحب المقناة بيدي فذهب بي إلى منزله، فما بقي من الكرامة شيئاً إلا عمله بي؛ واستحلّني، وجعل مقنّاته لله ولأصحاب معروف.

فقلت له: صف لي معروفاً، فوصفك لي، فعرفتُك بما كنت شاهدته من صفتك.

قال معروف: فما استتمّ كلامه حتى دقّ صاحب المقناة الباب ودخل، وكان موسراً، فأخرج جميع ماله، وأنفق على الفقراء، وصحب الشاب سنةً، وخرجا إلى الحج، فماتا في «الرَبْدَةِ»^(٢) رحمة الله عليهما.

١٢٣ - [توبة عاص في جوف الليل وموته لسماع آية من القرآن فيها ذكر النار]

أخبرنا محمد، أنا حمد، ثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: حدثني محمد بن إسحاق الثَّقَفِي، حدثني أحمد بن موسى الأنصاريّ، عن منصور بن عمار، قال:

حجبتُ حَجَّةً، فنزلتُ سَكَّةً من سكك الكوفة. فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل، وهو يقول: إلهي! وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولكنّ خطيئةً عرضت لي، أعانني عليها شقائي، وغرّني سترك المرخى عليّ، وقد عصيتك بجهدي، وخالفتك بجهلي، ولك الحُجَّة عليّ؛ فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك مني؟ واشباباه! واشباباه.

قال: فلما فرغ من قوله، تلوّث آية من كتاب الله: ﴿نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾... الآية^(٣). فسمعتُ حركةً شديدة، ثم لم أسمع بعدها جَسّاً، فمضيتُ.

(١) أي: أراقبك.

(٢) هي قرية من قرى مدينة رسول الله ﷺ، وبها توفي أبوذر الغفاري رضي الله عنه، ودفن فيها، اللباب ١٥/٢.

(٣) سورة التحريم، آية رقم ٦/، وتتمام هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

فلما كان من الغد رجعتُ في مَدْرَجَتِي^(١)، إذا بجنازة قد وُضِعَتْ، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتهَا عن أمر الميت، ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاء الله إلا جزاءه، مرَّ بابني البارحة، وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله؛ فلما سمعها ابني تَفَطَّرَتْ مرارته فوق مِيتًا.

١٢٤ - [توبة امرأة عن الغناء والعود، وتوبة مولاها على يدها]

وجدت في كتاب عن سريِّ السقطي^(٢)، أنه قال: ضاقت عليَّ نفسي يوماً، فقلت في نفسي: أخرج إلى المارستان^(٣)، وأنظر إلى المجانين فيه، وأُعْتَبِرَ بأحوالهم.

فخرجت إلى بعض المارستانات، وإذا بامرأة مغلولة يدها إلى عنقها، وعليها ثياب حسان، وروائح عطرة، وهي تنشد:

أَعْيَذُكَ أَنْ تَغْلُ يَدِي	بغیر جریمة سَبَقْتُ
تَغْلُ يَدِي إِلَى عُنْقِي	وَمَا خَانَتْ وَلَا سَرَقْتُ
وَبَيْنَ جَوَانِحِي كِبْدٌ	أَحْسُ بِهَا قَدْ احْتَرَقْتُ
وَحَقِّكَ يَا مَدَى أَمَلِي	يَمِينًا بَرَّةً صَدَقْتُ
فَلَوْ قَطَعْتَهَا قِطْعًا	وَحَقِّكَ عَنْكَ لَانْطَقْتُ

فقلت لصاحب المارستان: ما هذه؟ فقال: مملوكةٌ خُيِّلَ عقلها، فحبست لتصلح. فلما سمعت كلامه أنشدت:

مَعْشَرَ النَّاسِ مَا جُنَنْتُ وَلَكِنْ	أنا سكرانةٌ، وقلبي صاح
لَمْ غَلَلْتُ يَدِي وَلَمْ آتِ ذَنْبًا	غير هتكي في حُبِّه وافتضاحي
أنا مفتونةٌ بحبِّ حبيب	لست أبغي عن بابِه من براح
فصلاحي الذي زعمتم فسادِي	وفسادي الذي زعمتم صلاحِي
ما على من أحبَّ مولى الموالِي	وارتضاهُ لنفسه من جُناح

قال سريِّ: فسمعتُ كلاماً أبكاني.

فلما رأْتُ دموعي، قالت: يا سريِّ، هذه دموعك على الصُّفة، فكيف لو عرفته حقَّ المعرفة؟

(١) أي: في طريق زمانِي الذي سلكته، أنظر مختار الصحاح ص ٦٢.

(٢) هو سريِّ السقطي، الزاهد المعروف، تقدمت ترجمته.

(٣) المارستان - بفتح الراء - : دار المرضى، وهو معرَّب، مختار الصحاح ص ٢١٣.

فقلت: هذا أعجب، من أين عَرَفْتَنِي؟

قالت: ما جهلت منذ عرفت أن أهل الدُّرَجَات يعرف بعضهم بعضاً.

فقلت: يا جارية أراكِ تذكِرين المحبة، فلمن تُحَيِّين؟

قالت: لمن تعرَّف إلينا بآلائه^(١)، وتحبُّب إلينا بنعمائه، وجادَ علينا بجزيل عطائه؛ فهو قريب، إلى القلوب مجيب، تسمَّى بأسمائه الحسنَى، وأمرنا أن ندعوهُ بها؛ فهو حكيم كريم، قريب مجيب.

قال: فقلت لها: فيم حُبِسْتَ؟

فقالت: قومي عابوا عليَّ ما سمعت مِنِّي^(٢).

فقلت لصاحب المارستان: أطلقها. ففعل؛ فقلت: إذهبي حيث شئت. فقالت: إنَّ حبيبَ قلبي قد ملَّكني لبعض مماليكه، فإنَّ رضي مالكي. وإلا صبرت واحتسبت.

فقلت: هذه والله أعقل مِنِّي، فجاء مالکها ومعه ناس كثير، فقال لصاحب المارستان: وأين بدعة^(٣)؟ فقال: دخل عليها سري فأطلقها.

فلما رآني عظمي؛ فقلت: هي والله أولى بالتعظيم مِنِّي، فما الذي تنكر منها؟ فقال: كثرة فكرتها، وسرعة عَبرتها^(٤) وزفرتها^(٥) وحنينها؛ فهي باكية رغبة، لا تأكل مع من يأكل، ولا تشرب مع من يشرب؛ وهي بضاعتي اشتريتها بكل مالي - بعشرين ألف درهم -، وأملت أن أربح فيها مثل ثمنها.

فقلت: وما كانت صنعتها؟ قال: مطربة. قلت: ومنذ كم كان بها هذا الدَّاء؟ فقال: منذ سنة. قلت: ما كان بدوُّه؟ قال: كان العود في حجرها وهي تغني، وتقول:

وَحَقُّكَ لَانْقَضَتْ الدَّهْرُ عَهْدًا وَلَا كَدَّرْتُ بَعْدَ الصَّفْوِ وَدًّا
مَلَأَتْ جَوَانِحِي وَالْقَلْبَ وَجَدًا فَكَيْفَ أَقْرُ أَوْ أُسْلُو وَأَهْدًا
فَيَا مَنْ لِي مَوْلَى سِوَاهُ تُرَاكَ تَرَكْتَنِي فِي النَّاسِ عَبْدًا

قال: فَكَسَّرَتِ العود وقامت وبكت. فاتهمتها بمحبَّة إنسان. فكشفتُ عن ذلك فلم أجد له أثرًا. قال: فقلت لها: هكذا كان؟ فقالت:

(١) أي: نعمه.

(٢) في المطبوعة: منهم، وما أثبتناه هو المناسب لسياق الكلام.

(٣) هو اسم المرأة.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ١٦٢: «القيرة: تحلب الدمع، وعبر الرجل والمرأة: جرى دمه، أهد.

(٥) أي: تنفسها. أنظر مختار الصحاح ص ١٤٦.

خاطبني الوعظ من جناني^(١) وكان وعظي على لساني
قربني منه بعد بُعدٍ وخصني الله واصطفاني
أجبت لما دُعيت طوعاً مُلبياً للذي دعاني
وخفت مما جئيت قدماً فوق الحُب بالأمان

قال: فقلت له: عليّ الثمن وأزيدك. قال: فصاح: وافقراه! من أين لك ثمن هذه؟
فقلت: لا تعجل عليّ، تكون في المارستان حتى آتي بثمرها، ثم مضيت وعيني تدمع،
وقلبي يخشع. وبِت ولم أطمع غمضاً، ووالله ما عندي درهم من ثمنها.

وبقيت طول ليلتي أنضرع إلى الله تعالى، وأقول: يا رب! إنك تعلم سري
وجهري، وقد اتكلت على فضلك، وعولت عليك، فلا تفضحني. فبينما أنا عند السحر
إذا بقارع يقرع الباب. فقلت: من بالباب؟ فقال: حبيب من الأحباب، أتى في سبب من
الأسباب، من الملك الوهاب. ففتحت الباب، فإذا برجل معه خادِم وشمعة. فقال: يا
أستاذ! أتأذن لي بالدخول؟ فقلت: ادخل، من أنت؟

قال: أنا أحمد بن المثنى، قد أعطاني مالك الدار فأكثر؛ كنت الليلة نائماً، فهتف
بي هاتف في المنام: إحمل خمس بذرات^(٢) إلى سري، يعطيها لمولى بدعة، يكفها من
الأسر ومن رق العبودية الساعة؛ فلنا بها عناية. فجئت مبادراً بهذا المال، فاصنم به ما
شئت.

قال: فخررتُ لله ساجداً وارتقبت الصبح.
فلما تعالى ضوء النهار، أخذت بيد أحمد ومضيت به إلى المارستان. فإذا الموكل
به يلتفت يميناً وشمالاً. فلما رأياني قال: مرحباً! ادخل، فإن لها عند الله عناية؛ هتف بي
البارحة هاتف، وهو يقول:

إنها مِنَّا ببالٍ ليس تخلو مِن نوال
قربتُ نَمَّ تسمت وعلت في كلِّ حال
فحفظتُ هذا القول وكررتُه إلى أن أتيتُم. فدخلتُ عليها وهي تقول:

قد تصبَّرتُ إلى أن عيلَ في حُبِّك صبري
ضاقَ من غُلِّي وقيدي وامتهاني فيك صُدري
ليس يخفَى عنك أمري يا مُنى قلبي وذخري

(١) من قلبي.

(٢) بدرات: جمع بذرة، والبذرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم مختار الصحاح ص ١٤٢.

أنت لي تَعْتَقُ رقي وتَفُكُ اليومَ أُسْري

قال: وأقبل مولاها يبكي ويخشع، فقلت له: قد جئناك بما ورثت وربع خمسة آلاف. فقال: لا والله! فقلت: بربع عشرة آلاف فقال: لا. فقلت: بربع المثل. فقال: لو أعطيتني الدنيا ما قبلت، وهي حرة لوجه الله تعالى.

فقلت له: ما القصة؟ فقال: يا أستاذ! وُبُخْتُ البارحة، أشهدك أنني خارج من جميع مالي، وهارب إلى الله تعالى؛ اللهم كُنْ لي بالسَّعة كفيلاً، وبالرزق جميلاً.

فالتفتُ إلى ابن المثنى فرأيتَه يبكي، فقلت له: ما بكأوك؟ فقال: ما رضيَ بي المولى لما ندبني إليه؛ أشهدك أنني قد تصدَّقت بجميع مالي لوجه الله تعالى.

فقلت: ما أعظم بركة بدعة على الجميع، فقامت بدعة، فنزعت ما كان عليها، ولبست مدرعة من الشعر، وخرجت وهي تقول:

هَرَبْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ بَكَيْتُ مِنْهُ عَلَيْهِ
وَحَقُّهُ فَهُوَ مَوْلَى لَا زِلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ
حَتَّى أَنْالَ وَأَحْظَى بِمَا رَجَوْتُ لَدَيْهِ

قال سري: فأقمت بعد ذلك مدة حتى مات مولاها. فبينما أنا أطوف بالكعبة، وإذا أنا بصوت محزون من كبد مقروحة، وهو يقول:

قَدْ تَشَهَّرْتُ بِحَبِّكَ كَيْفَ لِي مِنْكَ بِقُرْبِكَ
كَيْفَ بِي يَا نَفْسُ إِنْ وَا خَذِكَ اللَّهُ بِذَنْبِكَ
لَمْ يُقَاسِي أَحَدٌ يَا نَفْسُ كَرِياً مِثْلَ كَرِيبِكَ
فَسَلِّي رَبُّكَ يَأْتِي كَ الرِّضَى مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ

قال: فتبعت الصوت فإذا امرأة كالخيال. فلما رأتني قالت: السلام عليك يا سري؛ فقلت: وعليك السلام، من أنت؟ فقالت: لا إله إلا الله، وقع التناكر بعد المعرفة، أنا بدعة.

فقلت: ما الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق؟ فقالت: أفادني كل المني. وأنشدت:

يَا مَنْ رَأَى وَخَشَنِي فَأَنْسَنِي بِالْقُرْبِ مِنْ قُرْبِهِ فَأَنْعَشَنِي
هَرَبْتُ مِنْ مَسْكَنِي إِلَى سَكَنِي نَعَمْ وَمِنْ مَوْطَنِي إِلَى وَطَنِي
يَا سَكَنِي لَا خَلَوْتُ مِنْ سَكَنِي دَهْرِي وَيَا عُدَّتِي عَلَى الزَّمَنِ

أَوْحَشَنِي مَا فَقَدْتُ مِنْهُ فَقَدْ عَادَ بِإِحْسَانِهِ فَأَنْسَنِي
وَعَدْتُ أَيْضاً وَعَادَ مَنَعُطْفاً كَذَلِكَ مُذْ كَانَ مِنْهُ عَوْدُنِي

ثم قالت: لا حاجة لي بالبقاء، فخذني إليك.
قال: فحرّكتها فإذا هي ميّنة - رحمة الله عليها.

* * *

ذكر خبر جماعة من أسلم

١٢٥ - [توبة أبي إسماعيل النصراني وإسلامه]

أنبأتنا شهدة بنت أحمد بن الفرّج الإبري قالت: أنا جعفر بن أحمد السراج، ثنا جعفر الخَلْدِي^(١)، ثنا أحمد بن مسروق، ثنا محمد بن الحسين، ثنا عبد الله بن الفرّج العابد، قال:

كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا إسماعيل. قال: فمرّ ذات ليلة برجل وهو يتهدّد على سطحه، وهو يقرأ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٢)، قال: فصرخ أبو إسماعيل صرخة غشي عليه، فلم يزل على حاله تلك حتى أصبح.

فلما أصبح أُسْلِمَ، ثم أتى فتحاً الموصلي^(٣) فاستأذنه في صحبته، فكان يصحبه ويخدمه.

قال: فبكى أبو إسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وعشي من الأخرى^(٤). فقلت له يوماً: حدّثني ببعض أمر فتح، قال: فبكى، ثم قال: أخبرك عنه، كان والله كهيشه.

(١) قال في الباب ٤٥٦/١: «الخَلْدِي»: بضم الخاء، وسكون اللام، وفي آخرها دال مهملة، هذه النسبة إلى الخُلْد، وهي محلّة ببغداد.

وأما جعفر بن محمد بن نصير - وهو الراوي هنا - الخَلْدِي الخواص، أبو محمد، أحد مشايخ الصوفية، له كرامات ظاهرة، فإنما قيل له الخَلْدِي لأنه كان يوماً عند الجنيد، فسُئِلَ الجنيد عن مسألة، فقال الجنيد أجبهم، فأجابهم، فقال - أي الجنيد - : يا خَلْدِي من أين لك هذه الأجوبة؟! فبقي عليه.

روى عن الحارث بن أبي أسامة وغيره، روى عنه أبو حفص بن شاهين، والدارقطني وغيرهما، ومات في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وكان ثقةً أهد.

(٢) سورة آل عمران، آية رقم ٨٣.

(٣) هو فتح بن سعيد الموصلي، أبو محمد، من عباد أهل الجزيرة، ومتقشفهم، أنظر الثقات لابن حبان ٣٢٢/٧، والحلية ٢٩٢/٨ - ٢٩٤.

(٤) أي: ضعف بصره في الأخرى، مختار الصحاح ص ٥٢٦.

الرُّوحَانِيَّينَ، معلق القلب بما هناك، ليست له في الدنيا راحة.
قلت:
عليّ ذاك.

قال: شهدت العيد معه ذات يوم، ورجع بعد ما تفرّق النَّاسُ، ورجعت معه. فنظر إلى الدّخان يفور من نواحي المدينة، ثم بكى، ثم قال: قد قرّب النَّاسُ قربانهم، فليت شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب؛ ثم سقط مغشياً عليه.
فجئت بماءٍ فمسحت به وجهه فأفاق^(١)، حتى دخل بعض أزقة المدينة، فرفع رأسه إلى السّماء، ثم قال: قد علمت طول غمي وحزني وتردادي في أزقة الدنيا، فحتى متى تحبسني أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشياً عليه.
فجئت بماءٍ فمسحته على وجهه، فأفاق، فما عاش بعد ذلك إلا أياماً حتى مات - رحمه الله.

١٢٦ - [توبة شاب نصراني وإسلامه]

أنبأنا الحافظ أبو طاهر السّلفي^(٢)، أنا أبو الحسين بن الطّيوريّ، أنا عبد العزيز بن عليّ، أنا عليّ بن عبد الله الصّوفي، ثنا محمد بن داود قال: حدثني حامد الأسود - صاحب إبراهيم الخواص^(٣)، قال:
كان إبراهيم، إذا أراد سفرًا، لم يحدث به أحداً ولم يذكره؛ وإنّما يأخذ ركوته^(٤) ويمشي.
فبينما نحن معه في مسجده تناول ركوته ومشى. فاتّبعته، فلم يكلمني، حتى وافينا الكوفة. فأقام بها يومه وليلته.
ثم خرج نحو القادسية^(٥). فلما وافاها، قال لي: يا حامد، إلى أين؟ قلت: يا سيدي! خرجت بخروجك. قال: أنا أريد مكة إن شاء الله، قلت: وأنا إن شاء الله أريد مكة، فمشينا يومنا وليلتنا.

-
- (١) في المطبوعة: فما أفاق، والمثبت هو الموافق لسياق الكلام، وهو كذلك - أي: فأفاق - على الصواب - في نسخ.
(٢) السّلفي: بكسر الين، وفتح الميم، وقد تقدم بيان ذلك.
(٣) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص، أبو إسحاق، من كبار الصوفيّة، تقدّمت ترجمته.
(٤) الركوة: إناء للماء، وجمعها ركاء وركوات - بفتح الكاف مختار الصحاح ص ٥١٠.
(٥) هي قرية عند الكوفة، بها كانت الوقعة المشهورة زمن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - ، الباب ٦/٣.

فلما كان بعد أيام إذا شاب قد انضم إلينا في بعض الطريق. فمشى يوماً وليلة لا يسجد لله - عز وجل - سجدة. فعرفت إبراهيم، وقلت: إن هذا الغلام لا يصلي.

فجلس، وقال له: يا غلام! مالك لا تصلي، والصلاة أوجب عليك من الحج. فقال: يا شيخ! ما علي صلاة. قال: ألسنت برجل مسلم؟ قال: لا. قال: أي شيء أنت؟ قال: نصراني، ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكل؛ وأدعت نفسي أنها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما أدعت، حتى أخرجتها إلى هذه القلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود، أثير ساكني وأمتحن خاطري.

فقام إبراهيم ومشي، وقال: دعه يكون معك. فلم يزل يسايرنا إلى أن وافينا «بطن مر» فقام إبراهيم ونزع خُلقانه^(١) وطهرها بالماء، ثم جلس وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح. فقال: يا عبد المسيح^(٢)! هذا دهليز^(٣) مكة، وقد حرم الله على أمثالك الدخول إليه، وقرأ: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(٤) والذي أردت أن تستكشف من نفسك فقد بان لك، فاحذر أن تدخل مكة، فإن رأيالك بمكة أنكرنا عليك.

قال حامد: فتركناه ودخلنا مكة، وخرجنا إلى الموقف. فبينما نحن جلوس بعرفات، إذا هو قد أقبل وعليه ثوبان وهو مُحرم، يتصفح الوجوه حتى وقف علينا، فأكب على إبراهيم يقبل رأسه. فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح؟ فقال: هيهات! أنا اليوم عبدُ من المسيح عبده.

فقال له إبراهيم: حدّثني حديثك.

فقال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج^(٥)، فقمْتُ وتكرت في زيّ المسلمين كأني محرم. فساعة وقعت عيني على الكعبة اضمحلّ عندي كل دين سوى الإسلام، فأسلمت واغتسلت وأحرمت. وها أنا أطلبك يومي، فالتفت إلينا إبراهيم وقال: يا حامد!

(١) أي: ثيابه الخَلْقَة البالية، أنظر مختار الصحاح ص ٣١٥.

(٢) هذه التسمية وقيلها لا تجوز في شرعنا فإن لفظة عبد إذا أضيفت في شرعنا، إنما تضاف إلى لفظ الجلالة: الله، أو إلى اسم من أسمائه، الحسنی، وما سوى ذلك لا يجوز مطلقاً مثل: عبد النبي، وعبد الحسين وغير ذلك.

(٣) أي: طريق.

(٤) سورة التوبة، آية رقم ٢٨.

(٥) أي الحجاج،

انظر إلى بركة الصديق في النصرانية، كيف هداه إلى الإسلام، وصحبنا، حتى مات بين الفقراء - رحمه الله.

١٢٧ - [توبة عابد صنم وإسلامه]

وحُكي عن عبد الواحد بن زيد، قال: كنت في مركب، فطرحتنا الرّيح إلى جزيرة، وإذا فيها رجل يعبد صنماً. فقلنا له: يا رجل، مَنْ تعبد؟ فأوماً إلى الصنم. فقلنا إنَّ معنا في المركب من يُسوي^(١) مثل هذا، وليس هذا إله يُعبد. قال: فأنتم لمن تعبدون؟ قلنا: الله.

قال: وما الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه.

فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجّه إلينا هذا الملك رسولاً كريماً فأخبر بذلك.

قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: أدّى الرّسالة ثم قبضه الله.

قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى، ترك عندنا كتاب الملك.

فقال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حسناً.

فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا. فقرأنا عليه سورة من القرآن، فلم نزل نقرأ ويبكي حتى ختمنا السّورة. فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى، ثمّ أسلم.

وحملناه معنا، وعلمناه شرائع الإسلام، وسوراً من القرآن. وكنا حين جئنا الليل^(٢)، وصلينا العشاء، وأخذنا مضاجعنا، قال لنا: يا قوم! هذا الإله الذي دلتُموني عليه، إذا جئته الليل ينام؟ قلنا: لا، يا عبد الله، هو عظيمٌ قيوم لا ينام.

قال: بشس العبيد أنتم، تَمون ومولاكم لا ينام؟ فأعجبنا كلامه.

فلما قدمنا «عبّادان»^(٣) قلت لأصحابي: هذا قريب عهد بالإسلام. فجمعنا له دراهم وأعطيناها. فقال: ما هذا؟ قلنا: تنفقها. فقال: لا إله إلا الله! دلتُموني على طريق ما سلكتُموها؛ أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنماً من دونه ولم يضيّعني، يضيّعني وأنا أعرفه!

(١) أي: يصنع.

(٢) أي: سترنا بظلامه. أنظر مختار الصحاح ص ٤٤٦.

(٣) هي: بُلَيْدة بنواحي البصرة في البحر - بحر فارس - . الباب ٣٠٩/٢.

فلما كان بعد أيام قيل لي : إنه في المَوْت . فأتيتُه ، فقلتُ له : هل من حاجة ؟ فقال : قَضَى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي .

قال عبد الواحد : فحملتني عيني ، فنمت عنده . فرأيت مقابر «عَبَّادان» روضة ، وفيها قبة ، وفي القبة سرير عليه جارية لم يُرَ أحسن منها . فقالت : سألتك بالله إلّا ما عَجَلَتْ به ، فقد اشتدَّ شوقي إليه . فانتبهتُ ، وإذا به قد فارق الدنيا . فقمْتُ إليه فغسلته ، وكفَّته ، وواريته .

فلما جنَّ الليل نمتُ ، فرأيتُه في القبة مع الجارية ، وهو يقرأ : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١) .

١٢٨ - [توبة مجوسي وإسلامه وأهل داره]

وقرأت في «الملتقط»^(٢) أن بعض العلويين كان نازلاً بـ «بَلَخ»^(٣) وله امرأة علوية^(٤) ، ولها بنات قد أصابهم الفقر . ومات الرجل ، فخرَّجَتِ المرأة بالبنات إلى «سَمَرْقَنْد»^(٥) ، خوفاً من شِمَاتَةِ الأعداء .

فاتفق خروجها في شدة البرد ، فلما دخلوا البلد أدخلتهم مسجداً ، ومضت تحتال لهم في القوت ، فمَرَّتْ بجمعين ؛ جمعٍ على رجل مسلم وهو شيخ البلد ، وجمع على مجوسي هو ضامن البلد .

فبدأت بالمسلم ، فشرحت له حالها ، وقالت : أريد قوت الليلة ، فقال : أقيمي عندي البيئة أنك علوية ، فقالت : ما في البلد من يعرفني ، فأعرضَ عنها .

فمضت إلى المجوسي ، فأخبرته بالخبر ، وحدثته ما جرى لها مع المسلم ، فبعث معها أهل داره إلى المسجد ، فجاؤوا بأولادها إلى داره ، فألبسهم الجِلَّ الفاخرة .

فلما انتصفَ الليل رأى ذلك المسلم في منامه كأنَّ القيامة قد قامت ، واللواء على رأس محمد - ﷺ - ، وإذا قصر من الزمرد الأخضر . فقال له : يا رسول الله ! لمن هذا

(١) سورة الرعد ، آية رقم ٢٣/ - ٢٤ .

(٢) أي : ملتقط الحكايات ، لابن الجوزي .

(٣) هي : بلد من بلاد خراسان ، فتحها الأحنف بن قيس التميمي ، زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، خرج منها عالم لا يحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء ، اللباب ١٧٢/١ .

(٤) أي : منسوبة إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

(٥) بلدة مشهورة بخراسان ، ويُنسب إليها جماعة من العلماء .

القصر؟ فقال: لرجل مسلم موحد، فقال: يا رسول الله! فأنا مسلم موحد. فقال: أقم عندي البيّنة بأنك مسلم موحد، فبقي الرجل متحيراً.

فقال له: لما قصدتكَ العلوية قلتَ لها: أقيمي عندي البيّنة؛ فهكذا أنتَ أقم عندي البيّنة.

فانتبه يبكي ويلطم؛ وخرج يطوف البلد على المرأة، حتى عرف أين هي، فأرسل إلى المجوسي، فأتاه، فقال له: أين العلوية؟ قال: عندي، قال: أريدها.

قال: ما إلى هذا من سبيل. قال: خذ مني ألف دينار، وسلمهم إليّ. قال: ما أفل، قد استضافوني ولحقني من بركاتهم.

قال: لا بدّ منهم. قال: الذي تطلبه أنا أحقّ به، والقصر الذي رأيته لي خُلِق، أتدبّر عليّ بإسلامك؟ والله ما نمتُ ولا أهل داري حتى أسلمنا على يد العلوية. ورأيتُ مثل منامك الذي رأيته؛ وقال لي رسول الله - ﷺ - : العلوية عندك وبناتها؟ قلتُ: نعم.

قال: القصرُ لك ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة؛ خلقتك الله مؤمناً في الأزل.

١٢٩ - [توبه يهودي مُحسِن وإسلامه]

وروي عن ختن^(١) أبي عمران اللؤلؤي، وكان رجلاً صالحاً يُخَدِّمُ الفقراء^(٢)، وبيته بيت ضيافة، أنه نزل به قوم، فمضى إلى الحاكم يطلب لهم شيئاً، فلم يُعطه، فمضى إلى يهودي، فبعث إلى داره ما يحتاج إليه.

فلما نام الحاكم رأى كأنه على باب قصر من لؤلؤة حمراء، فهمّ أن يدخله، فمنع منه، وقيل له: إنّ هذا كان لك فدفع إلى فلان اليهودي، فلما أصبح الحاكم مضى إلى ختن أبي عمران، فسأله عن القصة فأخبره.

فاستحضر الحاكم اليهودي، وقال: لك قصر في الجنة، تبعه بعشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فزاده، فأبى؛ وسأله عن القصة، فقصّ عليه الرؤيا، فقال اليهودي لختن أبي عمران: اعرض عليّ الإسلام، فأسلم.

(١) قال في مختار الصحاح ص ٤٤٩: «الختن: كلّ من كان قبيل المرأة، مثل الأب والأخ، وهم الأختان، هكذا عند العرب، وأما العامة، فختن الرجل عندهم: زوج ابنته، أهد.

(٢) أي: يكرمهم ويجود عليهم، أساس البلاغة ص ١٢١ وأنظر مختار الصحاح ص ٤٠٥.

١٣٠ - [توبة مجوسي كريم وإسلامه مع أولاده ورهطه]

وعن أبي حفص النيسابوري، أنه قال لأصحابه يوماً في وقت الربيع: تعالوا نخرج إلى التنزه، فخرجوا؛ فمروا بمحلة، فإذا شجرة كُثْرى^(١) قد أثمرت في دار، فوقف ينظر إليها، فخرج من تلك الدار رجل مجوسي شيخ كبير، فقال له: يا مقدّم الأخيار! هل تكون ضيفاً لمقدّم الأشرار؟.

فدخل أبو حفص مع أصحابه، وكان معهم من قراء القرآن. فأخرج المجوسي كيساً فيه دراهم، وقال: أعلم أنكم تنزهون ممّا تصل أيدينا إليه من الطعام، فمُر من يشتري لكم شيئاً من السوق؛ ففعلوا.

فلما أراد أبو حفص أن يخرج قال له المجوسي: لا يمكنك أن تخرج إلا وأنا معك. فأسلم، وأسلم من أولاده ورهطه^(٢) بضعة عشر نفساً.

١٣١ - [توبة مجوسي بغدادي وإسلامه مع ابنه وابنته وكثير من أصحابه]

وجدتُ في كتاب الجوهر^(٣)، قال: حدّث ابن أبي الدنيا أن رجلاً نام، فرأى المصطفى - ﷺ - وهو يقول له: امض إلى المجوسي الذي في بغداد، وقل له: قد أُجيبَت الدّعوة، فلما أصبحت، قلت: كيف أمضي إلى مجوسي؟! فتمت الليلة الثانية، فرأيت مثل ذلك. ثم رأيت مثل ذلك في الليلة الثالثة.

فلما أصبحت تحمّلت إلى بغداد، وأتيت المجوسي، فوجدته في نعمة عريضة ودنيا واسعة. قال: فدخلت إنيّه وسلّمت عليه، وجلست. فقال: ألك حاجة؟ فقلت: نعم. قال: تكلم. قلت: في خلوة. فانصرف النَّاسُ وبقي أصحابه؛ فقلت: وهؤلاء، فصرّفهم؛ وقال: قل. قلت: أنا رسولُ رسولِ الله - ﷺ - إليك، وهو يقول لك: قد أُجيبَت الدّعوة.

(١) هو: نوع من الفواكه، واحدة: كمثرى، مختار الصحاح ص ١٨٠.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٢٤٥: «رهط الرجل: قومه وقبيلته، والرهط: مادون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة أ هـ».

(٣) الجوهر عند الإطلاق، هو: إسماعيل بن حمّاد الجوهرى، أبو نصر الفارابي، أصله من بلاد الترك من فاراب، ورحل إلى العراق وقرأ العربية على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي، وسافر إلى الحجاز، وطوّف بلاد ربيعة ومصر، واجهد نفسه في الطلب، ولما قضى وطره من الطواف. عاد راجعاً إلى خراسان، ثم سرح إلى نيسابور، فلم يزل مقيماً، بها على التدريس والتأليف وتعلم الخط حتى توفي بها سنة (٣٩٣) هـ.، وقيل توفي في حدود (٤٠٠) هـ. وكان مبرزاً في اللغة والأدب. انظر لسان الميزان ٤٠٠/١ - ٤٠٢، وشذرات الذهب ١٢٣/٣. ومعجم المؤلفين ٢٦٧/٢ - ٢٦٨ والجوهرى: نسبة إلى بيع الجوهر. اللباب ٣١٣/١.

فقال: أتعرفني؟ قلت: نعم. قال: فإني أنكر الإسلام، وأنكر رسالة محمد عليه السلام. قلت: كذلك قلت، وهو أرسلني إليك.

قال: أرسلك إلي؟ قلت: نعم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم دعا أصحابه، وقال: قد كنت في ضلال، وقد رجعت إلى الحق؛ فمن أسلم فما في يديه له، ومن لم يسلم فليترزع مما لي عنده، فأسلم القوم إلا قليلاً.

ثم دعا ابنه، فقال: يا بني! إني كنت في ضلال، وقد أسلمت؛ فما أنت صانع؟ قال: يا أبت! أسلم، فأسلم.

ثم دعا ابنته، وقال: يا بنية! قد أسلمت وأسلم أخوك، فإن أنت أسلمت فرقت بينكما. فقالت: يا أبت! والله لقد كنت كارهة لاجتماعي به، وأسلمت.

فقال لي: أتدري الدعوة التي أجيت؟ قلت: لا. قال: لئما زوجت ابنتي بولدي، وصنعت له طعاماً، ودعوت الناس كلهم، فأجابوا لئما خولني الله من الدنيا.

فلما أكل الناس تعبت؛ فقلت للخادم: افرش لي حصيراً في أعلى الدار أنام شيئاً. فطلعت؛ وكان بجوارنا قوم أشرف فقراء. فسمعت صبيّة وهي تقول لأماها: يا أماه! قد آذانا هذا المجوسي برائحة طعامه.

قال: فنزلت وحملت لهم طعاماً كثيراً، ودنانير كثيرة؛ وكسوة لكل من في الدار. فقالت واحدة^(١): حشرك الله مع جدّي، وقال الباكون: آمين، فتلك الدعوة التي أجيت.

١٣٢ - [توبة طيب نصراني مُحْسِن وإسلامه]

وروي أن بعض مشايخ الصوفية خرج على أصحابه، وكانوا أربعين رجلاً، وقد أقاموا ثلاثة أيام لم يفتح لهم بطعام، فقال لهم: يا قوم، إن الله قد أباح التسبّب للعباد؛ فقال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾^(٢)؛ فانظروا من يخرج منها فليأتنا بشيء.

قال: فخرج فقير فمشى في جانبي بغداد، فلم يجد من يسأله في شيء، فأخذه

(١) في المطبوعة: الواحدة.

(٢) سورة تبارك، آية رقم ١٥، وتام الآية: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

الجوع والتعب، فجلس على دكان طبيب نصراني، والناس عليه خلق عظيم، يصف لهم الدواء.

فقال له النصراني: ما بك؟ فلم يرَ أن يشكو إلى نصراني حاله، بل مَدَّ يده إليه، فمسَّ يده. فقال النصراني عند ذلك: هذه علّة أنا أعرف دواءها؛ يا غلام، امض إلى السوق واثنني برطل خبز، ورطل شواء، ورطل حلواء.

فقال الفقير: فهذه العلّة بأربعين رجلاً. فقال: يا غلام، اثني بأربعين مثل ذلك. فأتى الغلام بذلك. فسلمه النصراني إلى الفقير، وقال: خذه لمن ذكرت. فأخذه معه الحمال، ومضى معه إلى الدّويرة^(١).

وقام النصراني يختبر صدق الفقير. فلما أتى الدّويرة وقف خارجاً منها خلف طاق، حتى دخل الفقير، فوضع الطعام، واجتمع الشّيوخ والفقراء، وقَدَمُوا الطعام، فأمسك الشّيوخ عن الطعام، وقال: يا فقير! ما قصّة هذا الطعام؟ فحكى له القصّة بكمالها.

فقال الشّيوخ: أترضون أن تأكلوا طعام نصرانيّ وصلكم به دون مكافأة؟ قالوا: ما مكافأته؟ قال: تدعون الله له قبل أكل طعامه بالنّجاة من النار، فدَعَوْا له وهو يسمع.

فلَمَّا رأى النصرانيّ إمساكهم عن الطعام مع حاجتهم إليه، وسمع ما قال الشّيوخ، قرَعَ الباب، ففتح له ودخل، وقطع الزُّنار، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.



تمّ الكتاب بعون الله تعالى وتوفيقه انتهت من تحقيقه والتعليق عليه صباح يوم الخميس أول شهر رمضان المبارك سنة (١٤٠٩) هجرية والحمد لله الذي بنعمته تمّ الصالحات.

خالد عبد اللطيف السبع العلمي
طرابلس - لبنان

(١) هي موضع ببغداد معروف، اللباب ٥١٧/١. وهي غير الدّويرة - كصحيفة - القرية التي بنيسابور اللباب ٥١٦/١.

من هدي القرآن الكريم في التوبة(*)

لقد أمرنا الله تعالى بالتوبة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدنئات.

ووعده القبول عليها فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾. وفتح باب الرجاء فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وأمرنا أن نلتمس النجاة على عجل: وأن نبادر إلى التوبة قبل دنو الأجل فقال: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ، وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وندبنا إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارة إلى نيل القربات فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذَّنُوبَ إِلَى اللَّهِ، وَلَمْ يُصِرِّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

(*) ذكر هذا لاسـتاذ الفاضـل عبد القادر الأرنـاؤوط، وقد أُبقيـتْ لما فيه من الفائدة.

من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوبة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنِّي أتوب إليه في اليوم مائة مرة»، رواه مسلم في «صحيحه» عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه.

وقال أيضاً: «إن الله يسُّط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويسُّط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»، رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقال: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»، رواه أحمد، والترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إنِّي جرمْتُ الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلُّكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم؛ يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحد، فسألوني، فأعطيت كل واحد مسأله، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»، رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

فهرس الكتاب

٣٣ - ٥	- مقدمة التحقيق
٣٧	- مقدمة المؤلف
	ذكر التوابين من الملائكة عليهم السلام
٣٩	١ - قصة هاروت وماروت
	ذكر التوابين من الأنبياء عليهم السلام
٤٨	٢ - توبة آدم عليه السلام
٥٣	٣ - توبة نوح عليه السلام
٥٥	٤ - توبة موسى عليه السلام
٥٨	٥ - توبة داود عليه السلام
٦٥	٦ - توبة سليمان عليه السلام
٧٠	٧ - توبة يونس عليه السلام
	ذكر التوابين من ملوك الأمم الماضية
٧٦	٨ - توبة طالوت عليه السلام
٧٨	٩ - توبة ابن ملك من ملوك بني اسرائيل
٨١	١٠ - توبة صاحب الخورنق
٨٤	١١ - توبة ملك من الملوك
٨٦	١٢ - توبة امرئ القيس الكندي
٨٨	١٣ - توبة ملك من ملوك اليمن
٨٨	١٤ - توبة ملك من ملوك بني اسرائيل
٨٩	١٥ - توبة ملك من ملوك بني اسرائيل
٩٠	١٦ - توبة حفيد نبي هو ولد عابد
٩٣	١٧ - توبة ملك من الملوك وقوم لا يعبدون الله
٩٤	١٨ - توبة ملك يقال له : كنعان وقومه من بعده
	ذكر التوابين من الأمم
٩٨	١٩ - توبة قوم موسى عليه السلام

٩٩	٢٠ - توبة قوم يونس عليه السلام
١٠٣	٢١ - توبة قوم نبي من الأنبياء
	ذكر التوابين من آحاد الأمم الماضية
١٠٥	٢٢ - توبة أصحاب الغار
١٠٨	٢٣ - توبة الكفل
١٠٩	٢٤ - توبة العابد والمرأة البغي
١١٠	٢٥ - توبة القصاب
١١١	٢٦ - توبة صاحب الرغيف
١٢٢	٢٧ - توبة راهب من بني اسرائيل
١١٣	٢٨ - توبة عابد من العبد
١١٣	٢٩ - توبة ذي الرجل
١١٤	٣٠ - توبة برخ العابد
١١٥	٣١ - توبة العبد العاصي
١١٦	٣٢ - توبة شاب مسرف على نفسه
١١٧	٣٣ - توبة رجلين من بني اسرائيل
١١٧	٣٤ - توبة عاص من العصاة
١١٨	٣٥ - توبة الخارج من القرية الظالمة
١١٩	٣٦ - توبة من قتل مائة نفس
١٢١	٣٧ - توبة لص من بني اسرائيل
١٢٢	٣٨ - توبة ثلاث بنات من البغايا وغواة قرية
١٢٣	٣٩ - توبة صاحب فاحشة

أخبار التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ

١٢٦	٤٠ - توبة أبي خيثمة رضي الله عنه
١٢٧	٤١ - توبة مخشي بن حُمير
١٢٧	٤٢ - توبة كعب بن مالك رضي الله عنه
١٣٦	٤٣ - توبة أبي لبابة رضي الله عنه
١٣٨	٤٤ - توبة أبي هريرة - رضي الله عنه - عن فتواه في امرأة زانية
١٣٩	٤٥ - توبة ثعلبة بن عبد الرحمن رضي الله عنه
١٤٢	٤٦ - توبة عمرو بن مالك الرُّؤاسي رضي الله عنه
١٤٣	٤٧ - توبة غني من أغنياء الصحابة

- ٤٨ - توبة أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه
 ٤٩ - توبة عبدالله بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنه
 ٥٠ - توبة هُبَّار بن الأسود رضي الله عنه
 ٥١ - توبة عكرمة بن أبي نُجَهل رضي الله عنه
 ٥٢ - توبة سهيل بن عمرو والحارث بن هشام رضي الله عنهما
 ٥٣ - توبة الأنصار رضي الله عنهم
 ٥٤ - توبة أبي محجنٍ الثقفي رضي الله عنه
 ٥٥ - توبة طُليحة بن خويلد رضي الله عنه

ذكر التَّوَابِينَ من ملوك هذه الأُمَّة

- ٥٦ - توبة ذي الكلاع
 ٥٧ - توبة امير وتاجر
 ٥٨ - توبة ملك من ملوك البصرة
 ٥٩ - توبة ملك من ملوك البصرة وجاريته
 ٦٠ - توبة أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان
 ٦١ - توبة غَضِيضُ أُمِّه هشام بن عبد الملك
 ٦٢ - توبة الأمير حميد بن جابر
 ٦٣ - توبة ابراهيم بن أدهم
 ٦٤ - توبة شقيق البلخي
 ٦٥ - توبة عبدالله بن مرزوق
 ٦٦ - توبة جعفر بن حرب
 ٦٧ - توبة هارون الرشيد
 ٦٨ - توبة ابن هارون الرشيد
 ٦٩ - توبة علي بن المأمون والمأمون
 ٧٠ - توبة موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي
 ٧١ - توبة جعفر البرمكي
 ٧٢ - توبة جارية من بنات الكبار
 ٧٣ - توبة الواثق بالله وابنه المهتدي بالله
 ٢١٦

ذكر سبب توبة جماعة من الأُمَّة رحمه الله عليهم

- ٧٤ - توبة حبيب أبي محمد
 ٧٥ - توبة زاذان الكندي

- ٢٢٣ - توبة مالك بن دينار
- ٢٢٥ ٧٧ - توبة داود الطائي
- ٢٢٦ ٧٨ - توبة الفضيل بن عياض
- ٢٢٨ ٧٩ - توبة علي بن الفضيل بن عياض
- ٢٢٩ ٨٠ - توبة بشر بن الحارث الحافي
- ٢٣٠ ٨١ - توبة عشرة فتيان وعشرة أحداث
- ٢٣١ ٨٢ - توبة رجل من طغيانه
- ٢٣٢ ٨٣ - توبة تاجر من تجار بغداد في الوقعة من الناس
- ٢٣٤ ٨٤ - توبة أبي عبد ربّ
- ٢٣٦ ٨٥ - توبة القعنبي
- ٢٣٨ ٨٦ - توبة عكبر الكردي
- ٢٣٩ ٨٧ - توبة صدقة بن سليمان الجعفري
- ٢٤٠ ٨٨ - توبة ذي النون المصري
- ٢٤٢ ٨٩ - توبة سكران
- ٢٤٣ ٩٠ - توبة المرتعش
- ٢٤٤ ٩١ - توبة عبد الرحمن القسّ
- ٢٤٥ ٩٢ - توبة أبي الحارث الأولاسيّ
- ٢٤٦ ٩٣ - توبة أبي الفضل محمد بن ناصر السّلامي عن اعتقاد المبتدعة
- ٢٥٠ ٩٤ - توبة أبي الحسن الهرقاني عن مذهب المتكلمين
- أخبار جماعة من التّوابين
- ٢٥٢ ٩٥ - توبة منازل بن لاحق
- ٢٥٥ ٩٦ - توبة امرأة من دومة الجندل عن عمل السحر
- ٢٥٧ ٩٧ - توبة شاب عن اللهو واللعب
- ٢٥٨ ٩٨ - توبة شاب عن الإنهماك في الدنيا
- ٢٦٠ ٩٩ - توبة جندي صاحب قصر عن الغناء والملاهي
- ٢٦١ ١٠٠ - توبة رجل من أعوان السلطان عن الفواحش
- ٢٦١ ١٠١ - توبة فتى من الازدكان عن التأنث والتخنث
- ٢٦٤ ١٠٢ - توبة امرأة وهي تطوف حول الكعبة
- ٢٦٤ ١٠٣ - توبة رجل عمّا جنت يده
- ٢٦٥ ١٠٤ - توبة مُلهي أهل المدينة عن اللهو على يد والدته
- ٢٦٦ ١٠٥ - توبة دينار العيّار عن المعاصي على يد والدته

- ٢٦٧ ١٠٦ - توبة رجلٍ عن حبّ جاريتِه المغنية التي شغلته عن الله
- ٢٦٨ ١٠٧ - توبة شاب وامرأته على يد سري السَّقْطِي
- ٢٧٠ ١٠٨ - توبة امرأة بارعة الجمال أرادت أن تفتنّ الربيع بن خثيم
- ٢٧١ ١٠٩ - توبة جار لأحمد بن حنبل
- ٢٧٢ ١١٠ - توبة أبي عمر بن علوان عن نظرةٍ إلى امرأة
- ٢٧٣ ١١١ - توبة فتى شاب وجارية جميلة أحبّ كلّ منهما الآخر
- ٢٧٥ ١١٢ - توبة رجلٍ عن الشراب والعود بسماع آيات من القرآن
- ٢٧٦ ١١٣ - توبة شيخ مُهلبي وجاريتِه عن الشراب والضرب بالعود
- ٢٧٩ ١١٤ - توبة اعرابي لسماع آية من القرآن
- ٢٨٠ ١١٥ - توبة أمير من امراء الأعراب بسبب الصوم
- ٢٨١ ١١٦ - توبة لبيب العابد عن قتل الحيات
- ٢٨٣ ١١٧ - توبة المعتصم ورجوعه عن قتل تميم بن جميل
- ٢٨٤ ١١٨ - توبة لص من اللصوص عن التعرّض للناس
- ٢٨٥ ١١٩ - توبة يوسف بن اسباط على يد شاب كان يعمل نَبَاشاً
- ٢٨٦ ١٢٠ - توبة نَبَاش عن نبش القبور
- ٢٨٧ ١٢١ - توبة شاب مسرفٍ على نفسه على يد ابراهيم بن أدهم
- ٢٨٨ ١٢٢ - توبة صاحب مقنّاةٍ على يد شاب دمشقي
- ٢٩٠ ١٢٣ - توبة عاصٍ في جوف الليل وموته لسماع آية من القرآن فيها ذكرُ النار
- ٢٩١ ١٢٤ - توبة امرأة عن الغناء والعود وتوبة مولاها على يدها

ذكر خبر جماعة ممّن أسلم

- ٢٩٦ ١٢٥ - توبة أبي اسماعيل النصراني وإسلامه
- ٢٩٧ ١٢٦ - توبة شاب نصراني وإسلامه
- ٢٩٩ ١٢٧ - توبة عابد صنم وإسلامه
- ٣٠١ ١٢٨ - توبة مجوسي وإسلامه وأهل داره
- ٣٠١ ١٢٩ - توبة يهودي مُحسين وإسلامه
- ٣٠٢ ١٣٠ - توبة مجوسي كريم وإسلامه مع أولاده ورهطه
- ٣٠٢ ١٣١ - توبة مجوسي بغدادي وإسلامه مع ابنته وابنته وكثير من أصحابه
- ٣٠٣ ١٣٢ - توبة طبيب نصراني مُحسين وإسلامه
- ٣٠٥ - من هدي القرآن الكريم في التوبة
- ٣٠٦ - من هدي رسول الله ﷺ في التوبة